محمد شعبان صوان

الحروب من أجل المقدسات

من أمريكا الإسرائيلية إلى فلسطين الهندية الحمراء

E-KUTUB

الحروب من أجل المقدسات

من أمريكا الإسرائيلية
إلى فلسطين الهندية الحمراء

محمد شعبان صوان

إصدارات إي-كتب
لندن، آب-آغسطس 2015

Wars for Sanctities
By: **Mohammad Shaban Sawan**

Published by E-Kutub.com
ISBN: 9781780581736
* * * * *

الطبعة الأولى، لندن، آب-اغسطس 2015
المؤلف: **محمد شعبان صوان**
الناشر: E-kutub Ltd، شركة بريطانية مسجلة في انجلترا برقم: 7513024

يمكنك الكتابة الى المؤلف على العنوان التالي:
shabansawan@hotmail.com
لوحة الغلاف صورة تعود لـ"الثور الجالس" بريشة Oliver Schoon

بسم الله الرحمن الرحيم

"فاقصص القصص لعلهم يتفكرون"

صدق الله العظيم

الأعراف 176

الفهرس

ملخص الكتاب

من دروس التاريخ الأمريكي:

مآل المفاوضات على المقدسات

يقدم التاريخ الأمريكي دراسة جدوى لمحاولة استعادة المقدسات بالمفاوضات.

●**الملخص**: في 25 يونيو/ حزيران/ جوان من سنة 1876 تلقى الجيش الأمريكي هزيمة نكراء على أيدي السكان الأصليين الذين كانوا يدافعون عن آخر معاقلهم في شمال السهول الوسطى بالولايات المتحدة (داكوتا) ضد تمدد الاستيطان الطامع بالذهب المكتشف حديثاً في أراضيهم المقدسة في التلال السوداء التي ضمنتها المعاهدات للهنود إلى الأبد، وتلقى الأمريكيون أنباء الهزيمة بعد وقوعها بعشرة أيام وهم في غمرة أفراحهم بالذكرى المئوية للاستقلال، فوقع الخبر عليهم كالصاعقة وأعاد الجيش الكرة على الهنود حاملاً حقد قرون من العداء والتوسع مما أدى إلى فرض شروط الهزيمة عليهم واستيلاء الحكومة الأمريكية، بمعاهدات ملفقة، على أرضهم المقدسة والغنية التي كانوا يقاتلون للدفاع عنها بكل قواهم، ولما تعرضوا للاكتساح والإبادة وغمرتهم أمواج الاستيطان الجارفة وفقدوا كل الآمال بالانتصار العسكري لجأوا إلى المفاوضات والقانون وعدالة أعدائهم التي

حكمت، بعد قرن من عملية السرقة ونصف قرن من الجري في أروقة المحاكم، بتعويضهم بمبلغ إذا وزع اليوم عليهم سيحصل كل فرد من القبيلة المعنية على أكثر من 10 آلاف دولار، ولكنهم مازالوا يرفضون ويطالبون بعودة الأرض المقدسة نفسها وسط رفض قاطع من السلطة والشعب في أمريكا بسبب أهمية مواردها السياحية والمعدنية والزراعية، فماذا يقدم هذا العرض من عبر لقضيتنا في فلسطين؟

- **تمهيد:**
علاقة السابقة الأمريكية بالجريمة الصهيونية

قبل الدخول في الموضوع الرئيس تحسن الإشارة إلى أن كثيراً من الدراسات تفيد بوجود علاقة وثيقة بين السابقة الأمريكية ضد الهنود الحمر والجرائم الاستعمارية والصهيونية في المشرق العربي الإسلامي، فقد كان اكتشاف أمريكا ابتداء جزءاً من محاولة الالتفاف على المشرق العثماني لإيجاد طريق آخر إلى الشرق الأقصى[1]، بالإضافة إلى البحث عن ثروات تمول غزو الأراضي المقدسة في فلسطين لانتزاعها ثانية من أيدي المسلمين [2]، ثم كانت رؤية المستوطنين الأوروبيين الأوائل في أمريكا لأنفسهم وللوضع الذي نشأ من اكتشاف العالم الجديد مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالكتب المقدسة التي اعتقد المتطهرون (Puritans) أنها تنبأت باسم وصفة أمريكا

[1] -.Morris Jastrow ، 2010، ص 27-28 و74-75.
[2] -تزفيتان تودوروف، 1992، ص 17.
-منير العكش، 2004، ص 9.

ورصدتها لهم بصفتهم الشعب المختار الذي سيحقق على هذه الأرض نبوءات عودة المسيح وأحداث آخر الزمان، فأمريكا هي أورشليم الجديدة والمستوطنون هم شعب إسرائيل الجديد الذي تفوق على شعب إسرائيل القديم، وإنجلترا هي بابل الحديثة التي هرب منها المضطهَدون لينشئوا مملكة الرب الجديدة تمهيداً للعصر الألفي، وذهبت أقوالهم إلى حد ضرورة إعلان الحرب على "أعداء الرب" وهم روما البابوية والخلافة العثمانية، وستكون أمريكا هي ذروة التاريخ البشري أو ما أطلق عليه "المدينة على تل" يتطلع العالم إليها للقدوة، ولم تنته عقيدة المتطهرين بانتهاء عصر الإيمان بل كانت أفكارهم هي التي مهدت للقيم العلمانية التي تأثر مفكروها بالكتب المقدسة واعتنقتها الولايات المتحدة فيما بعد، وكان "الآباء الحجاج" هم موضع إجماع التيارات السياسية الأمريكية المختلفة التي كانت تخاطب جماهيرها بالرجوع إلى هؤلاء المؤسسين، وقد استمدت أمريكا تقويمها الذاتي لقداستها ولغة خطابها من الآباء الحجاج، ويبدو ذلك واضحاً من الارتباط الوثيق بين الهوية الأمريكية ونيو إنجلند والمفردات الدينية الأخروية التي تعبر عنها كالحلم الأمريكي والقدر الجلي وأمة الخلاص والميلاد الجديد، وما زالت الأسطورة حية إلى اليوم، وقد لخص أحد المؤرخين هذه الصلة بالقول إن للذات الأمريكية أصولاً بيوريتانية[3].

كما كانت معاملة الأوروبيين لسكان أمريكا الأصليين تطبيقاً للرؤى الدينية المستقاة من الكتب المقدسة عن سكان فلسطين

[3] -Scavan Bercovitch، 1975، ص 62 و81 و88 و94-108 و117-120 و146 و154 وما بعدها.

القدماء[4]، بالإضافة إلى الرؤى التي تكونت لدى الفرنجة عن المسلمين أثناء الحروب الصليبية[5]، ثم أعاد الأوروبيون والأمريكيون الكرة ثانية لينظروا إلى العالم عموماً[6] والمسلمين عامة والعرب خاصة[7] وأهل فلسطين بشكل أكثر خصوصية بطريقة تطابق نظرتهم إلى الهنود الحمر[8]، بالإضافة إلى تشبيه المستوطنين الصهاينة بالمستوطنين الأمريكيين الأوائل[9] والذين جمعهم الرئيس الأمريكي جيمي كارتر (1977-1981) جميعاً في سلة واحدة تحت وصف رواد أمتين تتقاسمان ميراث التوراة، وذلك في خطاب تملق أمام الكنيست الصهيوني سنة

---

[4] -ريجينا الشريف، 1985، ص 183-184.
-رجاء جارودي، 1986، ص 227.
-فؤاد شعبان، 2003، ص 91.
-حمدان حمدان، 2000، ص 48.
-رضا هلال، 2001، ص 79.
-جورجي كنعان، 1995، ص 59-60.
-نبيل مطر، 2012، ص 260-261.
-منير العكش، 2002، ص 10.
-منير العكش، 2004.

[5] -.Jack Utter، 2001، ص 14-18.
-.Robert A. Williams، 1992، ص 13-58.
-نبيل مطر، 2012، ص 186-187 و254 وما بعدها.
-ضياء الدين سردار وميريل وين ديفيز، 2005، ص 313-314.

[6] - ضياء الدين سردار وميريل وين ديفيز، 2005، ص 391.

[7] -منير العكش، 2004، ص 23 و33-34.
-مايكل أورين، 2008، ص 178 و237.

[8] -ميخائيل سليمان، 1996، ص 27 و76-77.
-رجاء جارودي، 1986، ص 330 و529.
-كميل منصور، 1996، ص 78.
-الدكتور يوسف الحسن، 1990، ص 29.

[9] -مايكل أورين، 2008، ص 365 و420 و429-430.

1979[10]، وقد كررت الغزوة الصهيونية في فلسطين ما صنعه التوسع الأمريكي في الغرب بشكل مطابق كما سبق ذكره في "فلسطين الهندية الحمراء (1)" في الجزء الأول من الكتاب.

قصة التلال السوداء

في عام 1866 شنت قبيلة "سو" Sioux حرباً على الجيش الأمريكي الذي اقتحم أراضيها في شمال السهول العظمى حيث ولايات داكوتا ومونتانا ووايومنج اليوم ليحمي طريق المستوطنين والمنقبين الذين جذبتهم حمى الذهب بعيداً في مونتانا، واستمرت الحرب سنتين إلى أن أذعنت الولايات المتحدة لشروط الزعيم "الغيمة الحمراء" Red Cloud وأخلت المنطقة من الدخلاء ودمرت ما بنته من حصون على الطريق المؤدي للمناجم ومنحت القبيلة محمية كبرى تتضمن أراضيها المقدسة في التلال السوداء Black Hills وأراضي صيدها وسكناها، وكانت المرة الوحيدة التي حققت فيها قبيلة هندية انتصاراً سياسياً تبع الانتصار العسكري، ووقع الطرفان على ذلك في معاهدة حصن لارامي 1868.

ولكن...

اكتشف الذهب ثانية ولكن هذه المرة في عقر التلال السوداء نفسها سنة 1874 بعد رحلة استكشافية قام بها الجيش الأمريكي متخللاً المنطقة فأطلق الهنود على الطريق الذي اجتازه اسم درب اللصوص، واجتاح المنقبون والمتطفلون البيض تلك

---

[10] -رضا هلال، 2001، ص 117.

-الدكتور يوسف الحسن، 1990، ص 76.

التلال، ورغم أن القانون كان إلى جانب السكان الأصليين فإن ذلك لم يفدهم شيئاً، وفضلت الحكومة الأمريكية الوقوف ضدهم على الوقوف ضد رعاياها وإجلائهم[11]، فرفض الهنود التخلي عن أراضيهم، بسبب وفرة مواردها في زمن تقلصت فيه سبل عيشهم أمام زحف الاستيطان، وبسبب قدسيتها أيضاً[12]، فأعلنت الولايات المتحدة الحرب عليهم بحجة حماية أصدقائها من الهنود "المتحضرين" من "عدوانية" الرموز المستقلة ذات الكبرياء ولم تأت على ذكر ثروات التلال السوداء[13]، تماماً كما استولت على ثروات بلادنا فيما بعد بحجج "حماية" الأصدقاء ونشر الديمقراطية والحرب على الإرهاب والديكتاتورية دون ذكر الدوافع المادية، أي أن حروب أمريكا لأجل الذهب أولاً ثم لأجل الذهب الأسود فيما بعد، كانت ترتدي قناع الدفاع عن جيران من يهددون احتكارها لهذه الثروات.

وتصاعد التوتر إلى أن وقعت معركة كبرى عند الفرع الأصغر لنهر "القرن الكبير" Little Big Horn، أو "القرن الصغير" كما سأشير إليه فيما بعد، حيث هزم فيها تحالف القبائل الهندية الجيش الأمريكي بقيادة أصغر جنرالات الحرب الأهلية سناً جورج كاستر، الذي حارب الرق الجنوبي ثم أراد سلب حرية الهنود في عمليتين يؤكد تلازمهما لصالح الطبقة الصناعية الشمالية انتفاء الدوافع الإنسانية في عملية تحرير الرقيق، وكان هدف كاستر من السعي لهزيمة الهنود أن يصل

---

[11] -.Angie Debo، 1983، ص 236.
-.Paula Mitchell Marks ، 1998، ص 193.
[12] -.Angie Debo، 1983، ص 235.
[13] -Frederick E. Hoxie، 1996، ص 594.
-Robert M. Utley، 1994، ص 127.

بهذا "المجد" لمنصب رئاسة الجمهورية ظاناً طبقاً لرؤيته الاستعمارية الاستئصالية المناظرة للاستشراق في بلادنا أن جميع الهنود "الجبناء" سيلوذون بالفرار أمامه، ولكنه اصطدم بواقع مغاير لاستشراقه، كعادة الرؤى الاستعمارية التي تحط من قدر السكان الأصليين دائماً، وأوصلته الحقيقة المرة إلى حتفه بأيدي مقاتلي الهنود الشجعان الذين رمى نفسه وجيشه بين رماحهم وكان شعارهم أن اليوم يوم مناسب للموت، وأباد الهنود الجنود الأمريكيين وقائدهم الذين اندفعوا إلى أراضيهم لإخضاعهم، وكان ذلك في 25 يونيو/ حزيران/ جوان من سنة 1876، مما أدى إلى غضب أمريكي عارم نتيجة إحباط الأمة الأمريكية بعد تلقي خبر الهزيمة الماحقة في اليوم التالي للذكرى المئوية الأولى للاستقلال (5 يوليو/ تموز/ جويلية 1876) حين كانت الأمة في ذروة نشوتها واحتفالاتها بالانتصارات التي حققتها فيما مضى ومازالت تتوسع في الآفاق وهي تعتقد "بالقدر الجلي" الذي كُتب لتمددها[14]، ولهذا ما زالت تلك المعركة حية في الوجدان التاريخي الأمريكي إلى اليوم ومازالت المؤلفات تصدر عن أدق تفاصيلها رغم أن عدد قتلاها ليس كبيراً بمقاييس الحروب المعاصرة (260 تقريباً) ولكن القضية ليست بالعدد المجرد بل برمزية الحدث وفي هذا رد على من يظنون أن ردود الفعل الأمريكية على بعض أحداث التاريخ (كإنهاء حرب فيتنام مثلاً) آتية من دوافع أخلاقية مثلاً لأن الخسائر المادية بقلتها لا تبرر الانسحاب حيث أن ضحايا الحرب الأمريكيين أقل من ضحايا حوادث الطرق، وهذا القياس الأعوج

---

[14] -نفس المرجع، ص 239.

يهمل رمزية الحدث عندما تكون حرباً هناك مسئولون عنها أو تكون حوادث طرق كل واحد فيها مسئول عن نفسه ويتحمل وحده مسئولية الحدث.

وقد أدى الحقد المتولد عن تلك النكسة العسكرية إلى اجتياح الأراضي الهندية بسيول من الجنود وهزيمة معاكسة للسكان الأصليين الذين تم حصرهم بالقوة والاستيلاء ظلماً على أراضيهم المقدسة في التلال السوداء بطريقة غير شرعية، تخالف ما نصت عليه معاهدة لارامي السابقة التي اشترطت موافقة ثلاثة أرباع رجال القبيلة على أي تنازل مستقبلي عن الأرض بعد سنة 1868، وقد تم التوصل إلى "موافقة" عُشر رجال القبيلة بوسائل ملتوية تظهر حقيقة رسالة الديمقراطية الأمريكية كالرشوة ببضعة دولارات أو ببعض الخمر بالإضافة إلى تهديد الهنود بقطع المساعدات ومن ثم الموت جوعاً إن لم يتنازلوا عن أرضهم (sign, or die)[15] وخداعهم بإفهامهم أنهم سيتلقون الدعم المادي إلى أن يتمكنوا من الاعتماد على أنفسهم في كسب العيش حسب طريقة الرجل الأبيض، وكان الهنود يعتقدون أن كلمة الرجل الشفوية كالمكتوبة في قيمتها[16]، وهو ما سيتكشف عدم دقته فيما يتعلق بالأمريكيين الذين لم يتعبوا أنفسهم بكتابة وعودهم أو حتى بالالتزام بما وقعوا عليه، وسيغرق الهنود في الفقر والحرمان والجوع الذي هربوا منه ابتداء عندما تنازلوا عن الأرض، وستستمر محاولات نزع أراضيهم بوفود متعددة للمفاوضات تقوم بنفس الممارسات

---

15 - .Paula Mitchell Marks، 1998، ص 196.

-.Edward Lazarus، 1999، ص 92 و436.

16 -.Jeffrey Ostler، 2010، ص 100.

السابقة في محاولات انتزاع الموافقة على مزيد من التنازلات بعد صدور قانون دوز لتحصيص الأراضي (1887) والذي شبهت "عظمته" و"أهميته" للسكان الأصليين المقبلين على "الحضارة" بإعلان الاستقلال وكذلك تحرير الرقيق والماجنا كارتا (أي 3 في 1 !)[17] وأفضى إلى توزيع مساحات محددة لكل أسرة هندية لتتعلم الحياة المستقرة و"المتحضرة"، دون النظر لحاجات الأجيال القادمة، و"بالصدفة" يؤدي ذلك إلى استيلاء الأمريكيين على بقية أراضي القبيلة الشاسعة و"الفائضة" عن حاجتها (!)، وهو ما يناظر "التقسيم" في تاريخنا الفلسطيني، وفي سبيل تمرير هذا القانون على الهنود ستقوم الإدارة الأمريكية بواسطة مندوبيها بتحطيم مكانة الزعماء المقاومين والمناهضين للتخلي عن الأراضي القبلية، وصناعة زعماء مطواعين بدلاً منهم ولكنهم فاسدون ومرتشون ومخمورون، ومن الأفضل أحياناً إفساد زعماء لهم باع في تاريخ المقاومة، وسيغرق الهنود في حالة البؤس بعد تفكيك مجتمعاتهم:

(1) بإبادة مصدر رزقهم الرئيس المتمثل في ثور البيسون.

(2) وبالغزو الفكري بالتبشير والتعليم والذي لم يستهدف صناعة مجتمع تقدمي مكان المجتمع "المتخلف":

أ-وكان ما أداه التبشير هو صناعة العملاء المرتبطين بمجتمع الرجل الأبيض وتحقيق غاياته، وتقسيم المجتمع الهندي بين "تقدميين" و"تقليديين"، تقدميون هم في الحقيقة عملاء لم يجنوا شيئاً لشعبهم سوى تسهيل الهيمنة البيضاء عليه وتجريده

---

[17] - Robert M. Utley. ، 2002، ص 215.

من أرضه وموارده كما أثبتت الحوادث إلى اليوم، وتقليديون كان بعضهم يلمسون الآثار السلبية للاحتكاك بالأمريكيين ويحاولون الحفاظ على تماسك المجتمع الأصلي بنبذ رذائل البيض ولكن دون جدوى في مواجهة القوة الماحقة،

ب-وكان إنجاز التعليم هو الإبادة الفعلية لأجيال من التلاميذ الهنود الذين وقعوا تحت تصرف المعاملة المتوحشة في المدارس ومن نجى منهم من الموت نتيجة ذلك خرج مغترباً عن شعبه وعن الشعب الأمريكي لا هو كالبيض ولا هو كالهنود[18]، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك في "الحوار الحضاري في التاريخ الأمريكي" في الجزء الأول.

(3) ومن أدوات التفكيك أيضاً نشر البيض الرذائل والأمراض الاجتماعية التي نتجت عن الاحتكاك "الحضاري" بالرجل الأبيض كالغش التجاري وشرب الخمر الذي كان له تأثيرات أخلاقية ومادية مدمرة على تلك المجتمعات، وكل ما سبق خلافاً لرؤية كارل ماركس الذي رأى في عملية الاستعمار دفعاً تقدمياً يستبدل مجتمعاً متقدماً مكان آخر زائل.

ولما حانت لحظة تقرير "الوضع النهائي" لم يكن مجتمع السكان الأصليين قادراً على مواجهة الموجة الأمريكية الكاسحة لأنه فقد أدوات المقاومة المستقلة وأصبح مرتبطاً بل معتمداً على حكومة أعدائه مما أدى إلى الموافقة على التنازل عن أراض واسعة تحت ضغط التهديد بالتجويع بقطع المساعدات، وفي نفس الوقت إغداق الوعود بإنجازات تنموية، وهو ما سيؤدي إلى انقسامات اجتماعية بين مؤيد مصدق ومعارض مكذب، ولن

---

18 -.Fiona Macdonald، 1993، ص 57.

يلبث الجميع أن يواجهوا لحظة الحقيقة حين يثبت كذب الوعود الأمريكية ويواجه المجتمع الهندي المرض الناتج عن الفقر، والجوع الناتج عن الجفاف الناتج بدوره عن دورات الطقس التي يحسن البيض استيعابها بتقنيتهم المتطورة ولكنهم لا ينقلون خبرتهم وإمكاناتهم للسكان الأصليين، بالإضافة إلى يباب الأرض التي حُشر فيها الهنود بعدما أخذ البيض أفضل الأراضي الزراعية ثم لم يأبهوا بتزويد الهنود بما يلزم للزراعة أو بتعليمهم الحياة الأمريكية التي وعدوهم بها قبل قيامهم بالتنازل عن أراضيهم، وستقلص الحكومة مساعداتها في مواجهة كل ذلك وهو ما سيؤدي إلى الكارثة، وسيلجأ الهنود في النهاية إلى التعلق بآمال غيبية تنصرهم بالمعجزات وتقضي على الرجل الأبيض تماماً بل وتعيد أمواتهم إلى الحياة الدنيا وازدهارهم في بلادهم، مما سيؤدي إلى مواجهات دموية تقضي نهائياً على مقاومتهم المسلحة وزعامتها بأيدي العملاء من الشرطة الهندية الذين كان الحاكم الاستعماري ووكيل الحكومة الأمريكية في المحمية هو الذي يحركهم ضد قومهم، وقام الجيش الأمريكي بإسدال الستار على 400 سنة من الصراع بين السكان الأصليين والاستيطان الأبيض بارتكاب مجزرة الركبة الجريحة Wounded Knee التي راح ضحيتها مئات من قبيلة "السو" في ديسمبر/ كانون الأول 1890، وكان كل ذلك طمعاً من الأمريكيين آنذاك فيما تحويه التلال السوداء من ذهب أصفر أدى اكتشافه إلى الطمع بسداد الدين القومي بعد الأزمة الاقتصادية الكبرى التي بدأت في سنة 1873[19] والتي

---

[19] -.David Nevin، 1981، ص 200.

استمرت إلى سنة 1879 وعُدت أطول فترات الركود في التاريخ الأمريكي الذي شهد الركود في الواقع في نصف سنوات الربع الأخير من القرن التاسع عشر[20].

وكان العدوان واضحاً في تلك الأيام حتى للمعتدين أنفسهم، فقد تساءل المعاون الشخصي للجنرال جورج كروك أحد كبار المشاركين في الحرب ضد الهنود سنة 1875 قبل الاستيلاء على التلال السوداء:" لماذا كلما أصبحت أرض الهندي المحمية تساوي أي شيء فإن عليه مغادرتها ومنحها للرجل الأبيض" فهذا صعب شرحه للهندي نفسه، واستنتج المعاون نفسه أن "سياسة الشعب الأمريكي (أي ليس الحكومة فقط وهنا معضلة الظلم الديمقراطي) كانت دائما تشريد الهندي وخنق أي طموح لديه لتحسين وضعه، فلماذا لا يسمح للهنود بامتلاك أي أرض فيها معادن أو أي نوع آخر من الأراضي؟"[21]

أما الإنسانية الأمريكية فقد شاركت في المظالم بصورة فعالة مرة تحت شعار أو تبرير أن تخلي الهنود عن أرضهم سيعوضهم بالحضارة المسيحية حتى لو كان ذلك بنقض الوعود المقطوعة لهم، وكانت الإنسانية في هذا الموقف "رأس حربة" في الجهود الحكومية للاستيلاء على أراضي الهنود[22] ومرة أخرى تحت تبرير أن الاستيلاء على أرضهم هو الطريقة الوحيدة لتفادي إبادتهم، أي أنه أهون الشرين[23].

---

[20] -هاري ماجدوف، 1981، ص 73.

[21] - Paula Mitchell Marks، 1998، ص 193-194.

[22] -Jeffrey Ostler ، 2010، ص 99.

[23] - Edward Lazarus، 1999، ص 90.

فساد "عملية السلام" ووحشيتها

الطريف أن كل ما سبق من سلب ونهب وقتل تم في ظل "سياسة السلام" التي انتهجتها الإدارة الأمريكية رسمياً منذ سنة 1869 وبدأت بوادرها منذ نهاية الحرب الأهلية الأمريكية (1865) حينما حاولت الأمة أن تشمل بنظام أمريكي جديد جميع المضطهدين من عبيد وسكان أصليين "بالرحمة" و"العدالة"، واستيعابهم داخل نسيج المجتمع الأمريكي، وكان ذلك في ظل الإجماع على أن الرب كلف الأمة الأمريكية برسالة نشر المسيحية البروتستانتية في القارة كلها وأن حياة السكان الأصليين عقبة في وجه هذا التمدد وكان الخلاف بين الصقور والحمائم محصوراً في طريقة التخلص من الهندي، هل يكون ذلك بالطرق العسكرية العنيفة التي تصل حد الإبادة أو بالعطف والقضاء على ثقافته وزعامته وطريقة حياته وجعله متحضراً كالبيض تماماً، ولما انتصرت سياسة السلام قامت بتطبيق برنامجها الذي يفترض أن الهنود سيهرعون للاستجابة للبيض ويقدمون كل التنازلات المطلوبة لو تمت محاورتهم باللطف، وهو فرض اكتشفوا زيفه فيما بعد فانقلبوا على الهندي لأنه يرفض هداياهم، ولم يكن من العجيب أن تترافق عملية السلام مع أشرس الحروب الدموية في تاريخ القضية الهندية.

والواقع هو أن الإدارة الأمريكية في ظل عملية السلام كانت أكثر الإدارات فساداً في التاريخ الأمريكي، وفي ظلها ألغي الاعتراف باستقلال القبائل الهندية وانتهت سياسة عقد المعاهدات معهم (1871) وحلت محلها الاتفاقيات، وكان ذلك ضمن صراع أجهزة الحكم الأمريكية على النفوذ ومحاولتها

تقليص مكانة الهنود سياسياً، كما تمت في ظل عملية السلام إبادة الملايين من جاموس البيسون الذي يعتمد عليه هنود السهول بهدف دفعهم نحو الاستسلام "للحضارة"، ودفعوا إلى محميات جرداء لم تكن محل طمع الرجل الأبيض ومن غير الممكن ممارسة الزراعة في ظروفها البائسة، كما قصرت الحكومة في إدخال أدوات وتعليمات التحضر الزراعي إلى هذه المحميات، وقصرت أيضاً في إعاشة الهنود الذين أصبحوا عالة على المساعدات الحكومية بعد فقدان موارد رزقهم وطريقة حياتهم المستقلة، تماماً كما فعل الغرب والصهاينة بأهل فلسطين، ثم أجبرتهم الحكومة في سلسلة معاهدات مفروضة على تسليم البقية الباقية من أراضيهم والاكتفاء بحصة محددة لكل أسرة بعد صدور قانون التحصيص (1887)، أو التقسيم بمصطلح القضية الفلسطينية، بحجة تعليمهم الملكية الفردية، وهي كلمة السر للتحضر كما ادعوا، ومن محاسن "الصدف" أن هذا التحضر نقل معظم الأراضي الهندية إلى أيدي البيض، وهو الهدف الحقيقي من فكرة التمدين، كما أن الاستغلال الاستعماري هو الهدف من ادعاءات نشر الرسالة الحضارية الغربية، وتحت الذرائع القانونية والحضارية تمت سرقة ثلثي أراضي الهنود التي ضمنتها لهم المعاهدات بعد حشرهم في المحميات، وذلك في الفترة بين صدور القانون ونهاية العمل به سنة 1934، وبعد تطبيقه مباشرة وفي ظل مواسم الجفاف وفشل المحاصيل لم يعد للهنود سوى التعلق بالآمال الغيبية فسرت سريان النار في الهشيم ديانة "رقصة الأرواح" (1890) بين جميع قبائلهم، الصديقة للأمريكيين والمعادية على حد سواء، عندما بشرتهم بزوال الرجل الأبيض من الوجود وعودة الماضي المجيد بأهله

وحيواناته إلى الحياة، فتعامل الأمريكيون بعنف مع الظاهرة وانتهى الأمر بمقتل زعيم المقاومة "الثور الجالس" ومجزرة الركبة الجريحة (نهاية 1890) وإعلان إغلاق التخوم وزوال حرية الهنود.

اللجوء للمفاوضات والقوانين في ظل اختلال ميزان القوى: التلال السوداء والعدالة البيضاء

وبعد الهزيمة النهائية التي لحقت بالمقاومة الهندية المسلحة (1890) أمام طوفان الاستيطان الأمريكي، قامت قبيلة سو في عشرينيات القرن العشرين باللجوء إلى المفاوضات في ظل عدم تكافؤ القوى واستنجدت بعدالة الخصم وبالقانون الذي أقر نظرياً في السبعينيات بعدم شرعية استيلاء الحكومة الأمريكية على التلال السوداء المقدسة، فووجِهوا بدعاوى البيض أنهم اختلقوا قدسية التلال السوداء ليبرروا مطالبتهم بها وأنها لم تكن مقدسة في تراثهم القديم[24]، كما ووجه المسلمون بادعاءات الصهاينة أن الفلسطينيين قاموا باختلاق أهمية القدس التي لم تكن عاصمة لهم في أي زمن، وكأن الحق في الأرض متوقف على كونها مقدسة أو عاصمة، وهل كانت مكة المكرمة عاصمة في أي زمن مضى؟ وهل يلغي ذلك أحقية المسلمين بها؟ كما ووجه الهنود من "السو" بتاريخ قديم يحكي استيلاءهم على التلال من قبيلة منافسة فلا بأس أن يستولي البيض عليها منهم[25]، وذلك في الوقت الذي تملأ الحضارة الغربية الدنيا صراخاً عن كونها

[24] - Jeffrey Ostler، 2010، ص 22.

[25] - Edward Lazarus، 1999، ص 413.

حضارة العقل والقانون والإنسانية الفريدة بين الأمم ثم تأتي في لحظات الضعف أمام المصالح بالاحتجاج بأفعال "البربرية" و "الهمجية" في فجر التاريخ (!)

وبعد أكثر من قرن من السرقة وأكثر من نصف قرن من السعي في دهاليز المحاكم حكمت المحكمة الأمريكية العليا في سنة 1980 بتعويض الهنود بمبلغ 106 ملايين دولار عن الاستيلاء على أرضهم بغير حق، مما ولّد موجة من المشاعر الرجعية المضادة للهنود وكشف عن حقيقة الإحساس الزائف بالذنب الذي ينتاب الأجيال المعاصرة مما ارتكب ضد السكان الأصليين من مظالم في الماضي، وأصبحنا في زمن يطالب فيه المستعمِرون "بالمساواة" رداً على أي قرار يعيد حقاً إلى صاحبه، وذلك ليشترك صاحب الحق والدخيل في استعمال الحق (!) وتبلغ الجرأة بالدخيل أن يتساءل مستنكراً : "هل نحن بصدد إعادة أمريكا إلى الهنود؟"[26]، وهو ما يعطي لمحة واضحة عن مشاعر المجتمعات الاستيطانية تجاه سكانها الأصليين حتى بعد زوال خطرهم بل زوال معظمهم من الوجود، إذ ليس هناك مجتمع مستعد أن يعترف بتلوث لحظة تأسيسه وللكشف عن الأساطير المؤسسة لوجوده، وهي سمة ملازمة للمجتمعات الغربية التي تتعامل مع الآخرين وفق مفهوم المنفعة فترتكب الجرائم ضدهم ثم تبكي عليهم بعد فوات الأوان فإذا تجددت المصالح القديمة عاد ارتكاب المظالم سيرته الأولى ونسي المتباكون دموعهم التي لم تجف بعد.

[26] -.Alvin M. Josephy، 1989، ص 209.

ولكن الهنود رفضوا تسلم المبلغ منذ ذلك الحين وما زالوا رافضين رغم أنه تراكم مع الفوائد إلى ما يزيد عن مليار دولار اليوم مما يجعل نصيب الفرد الواحد أكثر من 10 آلاف دولار[27] في منطقة تعد من الأكثر فقراً وبؤساً في الولايات المتحدة[28]، ومع أنه بإمكان الهنود قبض المبلغ ومواصلة نضالهم، لاسيما في ضوء مطالبتهم بالعودة والتعويض بالمليارات معاً[29]، فأنهم يرون قبول المبلغ الآن موافقة ضمنية على البيع مما يتناقض مع قيمهم[30].

لقد أنتجت التلال السوداء ذهباً تقدر قيمته بمئات الملايين من الدولارات وتعد أكثر مناطق نصف الكرة الغربي غنى بالمعدن الأصفر [31]، بالإضافة إلى موارد زراعية وخشبية، ومع ذلك فإن أهميتها السياحية تفوق أهمية مواردها الأخرى[32] إذ يزورها أكثر من ثلاثة ملايين سائح سنوياً[33] لاسيما للحج إلى "مزار الديمقراطية" الذي يحوي تماثيل أربعة رؤساء أمريكيين مميزين ديمقراطياً هم واشنطن وجيفرسون ولنكولن وروزفلت[34]، وهم جميعاً من أشد أنصار التوسع والاستيطان، وقد أطلق أحد الزعماء الهنود على النصب اسم "نكتة أو خدعة

---

27 - http://www.pbs.org/newshour/bb/social_issues-july-dec11-/blackhills_08-24

28 - Edward Lazarus. ،1999، ص 429.

29 -نفس المرجع، ص 406-407.

30 -Jeffrey Ostler. ،2010، ص 176.

31 - Edward Lazarus. ،1999، ص 106.

- Paula Mitchell Marks. ،1998، ص 205.

-New Standard Encyclopedia. ،1999، ج 16 ص S-645.

32 - New Standard Encyclopedia. ،1999، ج 3 ص B-274 b.

33 - Jeffrey Ostler. ،2010، ص xiii.

34 -Howard R. Lamer ،1998، ص 108.

الديمقراطية"[35]، وهو ما يؤكد أن الديمقراطية الأمريكية، التي نحتت رموزها في منطقة مسروقة، تأسست على النهب والظلم والاضطهاد، هذا بالإضافة إلى النشاطات الرياضية والسياحية الأخرى التي تجذب مئات الآلاف.

موقعنا اليوم وفائدتنا من الحدث التاريخي

واليوم تقف قضية فلسطين في موقف مشابه مع الفارق، فسكان أمريكا الأصليون لجئوا إلى القانون والتفاوض بعدما تمت إبادة غالبيتهم العظمى ولم يكن من المتصور أن تؤدي أية مقاومة مسلحة لأية نتيجة بعد إغلاق التخوم ونهاية وجود أراض هندية مستقلة (1890)، والذي تم بعد القضاء على مقاومة الهنود وألّف علامة فارقة في التاريخ الأمريكي[36]، وسيطرة الاستيطان الأمريكي الغامرة على القارة كلها بأعداد هائلة لم يعد من المجدي العمل على صدها بأية وسيلة، أي أنهم لم يلجئوا إلى الخيار السلمي التفاوضي إلا بعد زوال الأمة التي يمكنها أن تقاوم، ومع ذلك قاموا منذ نهاية ستينيات القرن العشرين ببعض الفورات المسلحة (1969 و 1972 و 1973) لإثبات وجودهم وأعلنوا نشوء "القوة الحمراء" للمطالبة بحقوق الهنود الحمر على غرار "القوة السوداء" التي تطالب بحقوق ذوي الأصول الإفريقية في أمريكا، (وقد وقفت الحكومة الأمريكية في هذه الأحداث إلى جانب السلطة الهندية

---

35 - Jeffrey Ostler، 2010، ص 168.

36 - David Reynolds ، 2009، ص 232 و268.

- ضياء الدين سردار وميريل وين ديفيز، 2006، ص 288.

المرتبطة بها والتي تمسك بزمام المال والسلاح في المحمية وتدين الثائرين، فدعم الأمريكيون استبدادها وحكمها الإرهابي ضد الثوار الذين اتهموا سلطتهم هذه بالديكتاتورية[37]: وهذا سلوك متكرر للاستعمار وعملائه)، ونجد قيادة فلسطين اليوم ترتبط بسلطة الاحتلال وتحصر خيارها بالتفاوض والقانون، وهي، خلافاً لهنود أمريكا، جزء من أمة كبرى لم تعد عملية إفنائها من الممكنات، وليس من المتصور أن يغمرها مد استيطاني لأمة صغيرة ومعادية أصبحت تستجدي منابع الهجرة لملء مساحة فلسطين الصغيرة.

والخلاصة المهمة لنا هي التالي: إن الولايات المتحدة مع ضخامة حجمها واقتصادها ترفض بعد قرن من المفاوضات والتحكيم التخلي عن زاوية بعيدة في إحدى ولاياتها القصية بسبب أهميتها السياحية رغم اعترافها بعدم شرعية الاستيلاء عليها ووقوف منظمة الأمم المتحدة إلى جانب إعادتها[38] (كما تقف إلى جانب حقوقنا!)، وقد رأينا في تفاصيل الاستيلاء على الأوطان أنها نفسها تتكرر (من جانب المعتدين) كوعود التمدين الكاذبة في البداية ثم العدوان المسلح والتمدد الاستيطاني في أفضل الأراضي وترك البقية القاحلة التي لا يرغب فيها أحد للسكان الهنود، والقضاء على مصادر الرزق والحياة الاقتصادية المستقلة أو سلبها لسحب البساط من تحت المقاومة، والطمع في الموارد الغنية والخداع والتهديد والرشوة في العلاقات السياسية

---

[37] - Alvin M. Josephy، 1989، ص 252-253.

- Edward Lazarus، 1999، ص 301-302.

- Vine Deloria، 1992، ص 20.

[38] - http://en.wikipedia.org/wiki/Black_Hills_Land_Claim

والقضاء على زعامات المقاومة وصناعة زعماء عملاء مطواعين في عقد المعاهدات، بل في فرضها بالقوة من جانب المعتدي ثم نقضها فيما بعد، واللعب على وتر انقسام المجتمعات الأصلية وإثارة الخلافات بينها وبذر التفتيت بالفكر السطحي الوافد والوعود الخلابة الكاذبة ومحاولة إفساد هذه المجتمعات بأدوات "حضارية" أحياناً وغير أخلاقية أحياناً أخرى لطمس ثقافتها المقاومة والتفافها حول زعمائها الذين يمثلون مصالحها الحقيقية، وذلك ليصل الأمريكيون إلى "التقسيم" الذي هو في الحقيقة استيلاء كامل على الأرض وترك الفتات فقط لأصحابها، والقيام بمحاولة ضبط السكان المحليين بشرطة هندية محلية من العملاء عقب تفكيك المجتمع الهندي وإفساده والقضاء على مصادر رزقه المستقل وتحويل أفراده إلى عالة على كوبونات المساعدة الحكومية والتي تستخدم للضغط السياسي للحصول على تنازلات عن الحقوق الوطنية، ومشاركة فعالة في كل ذلك (من جانب الاتجاه الإنساني) خوفاً من بطش الأمريكي بالهنود حيناً وطمعاً في عروضه المسيحية والحضارية لهم حيناً آخر، ومقاومة مستمرة أحياناً وسلسلة من التنازلات أيضاً أحياناً أخرى (من جانب الضحية) ما يناظر ما حدث ويحدث في قضيتنا بفلسطين إلى اليوم....

والسؤال الآن لكل أنصار الحلول السلمية والقانونية والتفاوضية: إذا كانت الولايات المتحدة ترفض التخلي عن أرض قصية لمجرد أهميتها السياحية، فهل ستقتنع الصهيونية ربيبة الولايات المتحدة بالتخلي عن "عاصمتها" السياسية، ذات الأهمية الدينية والتاريخية والسياحية أيضاً، بالمفاوضات والتحكيم؟ وكم من الوقت سيستغرق هذا الأمر؟ وهل سيكون

ذلك قبل أو بعد تخلي الولايات المتحدة عن عاصمتها واشنطن أو على الأقل اقتسامها مع السكان الأصليين لإعادتها إلى القبيلة التي نشأت على أنقاضها[39]؟! أليس في هذا الحدث مؤشر على عدم جدوى القانون الذي نفرح دائماً بوقوفه إلى جانبنا كما كان يقف إلى جانب الهنود الحمر أيضاً دون أية نتيجة عملية؟ أم أننا على استعداد لقبض قيمة أي تعويض كبر حجمه أم صغر، في وقت يبدي المستعمِرون استعدادهم لدفع الأثمان الباهظة للأرض كما هي عادتهم، فنصبح خلافاً لصمود الهنود الذين يرفضون ذلك رغم شدة ضعف قواهم وانعدام آمالهم بتغير موازين القوى وشدة فقرهم وارتفاع بعض الأصوات القليلة التي مازالت ترفض الإفصاح عن هويتها خجلاً لأنها تنادي بقبول المبالغ المغرية[40]؟

[39] -منير العكش، 2004، ص 19-24.

[40] - http://en.wikipedia.org/wiki/Black_Hills_Land_Claim

مقدمة

هذا الكتاب تتمة لكتاب "أمريكا الإسرائيلية وفلسطين الهندية الحمراء" ولكن الموضوعين مستقلان يمكن قراءتهما بشكل منفصل يغطي كل جزء منهما مرحلة زمنية مختلفة، وفي المرحلة الزمنية التي يتناولها هذا الجزء من دراسة الحروب الهندية، نشبت معارك المقاومة بعد الحرب الأهلية الأمريكية حيث توقف الجزء الأول، وتركزت هذه المعارك في منطقة السهول العظمى الواقعة في وسط القارة بين نهر المسيسبي شرقاً وجبال روكي غرباً، وذلك بعدما تم اكتساح الأطراف وظل الاعتقاد الشائع بأن هذه السهول "صحراء أمريكية كبرى" لا تصلح للزراعة والإقامة، ومن هنا كان تأجيل الطمع فيها.

بلغت المواجهات في هذه المنطقة أوجها في منتصف سبعينيات القرن التاسع عشر وذلك في معارك الدفاع عن آخر معاقل الحياة الهندية التقليدية المعتمدة على جاموس البيسون في شمال وجنوب السهول العظمى في نفس الوقت الذي كان البيض فيه ينشطون لإبادة هذا الجاموس ضمن خطة لإجبار الهنود على الاستسلام بعد القضاء على العمود الفقري لوسيلة معيشتهم (كما يحاول الاحتلال الصهيوني اليوم إفراغ الأراضي الفلسطينية عن طريق التضييق على وسائل معيشة أهل فلسطين كالمياه والأراضي وأشجار الزيتون والرواتب).

وسيكون محور الحديث في هذا الجزء هو الحرب الطويلة المستمرة إلى يومنا هذا منذ ذلك الوقت والتي خاضتها قبيلة

"سو" Sioux الغربية، كما يسميها البيض أو لاكوتا Lakota بالتسمية المحلية وهي إحدى أكبر القبائل وأكثرها شراسة في المقاومة،[41] للدفاع عن الأراضي الهندية المقدسة في التلال السوداء بجنوب داكوتا حيث سنجد درساً عميقاً لمعركتنا نحن مع نفس العدو من أجل مقدساتنا أيضاً.

لقد كان الجانب العسكري في حروب قبيلة "سو" هو الأكثر دموية في تاريخ الحروب الهندية في أمريكا الشمالية [42]، إذ اشتهر محاربوها بالمقاومة العنيدة التي استمرت ما يزيد عن 35 عاماً (1854-1890) [43]، وقد تطرق الجزء الأول من هذه الدراسة لأوائل هذه المواجهات التي أعقبت معاهدة لارامي (1851) كمعركة جراتان (1854) التي أطلق عليها التاريخ الأمريكي مذبحة جراتان رغم أن جراتان وجنوده كانوا هم المعتدين على الهنود في أرضهم وتسبب تهور القائد الأمريكي في هلاكه مع هؤلاء الجنود، وهو نمط سيتكرر في الحروب الآتية وسيصر الأمريكيون على كون المعتدي هو الضحية وكون المعركة مجزرة.

كما تطرق الجزء الأول لثورة "السو" الشرقيين في ولاية مينيسوتا زمن "المحرر العظيم" أبراهام لنكولن واستعرض المصير الدامي الذي آلت إليه القبيلة في نفس الوقت الذي كانت

---

[41] -تنقسم قبيلة "سو" إلى ثلاثة أفرع أساسية هي الفرع الشرقي الذي ينطق اسمه بكلمة داكوتا الذي أصبح زمناً علماً على القبيلة كلها وسميت ولايتان باسمه وهو الفرع الذي ثار زمن لنكولن، أما الفرع الأوسط فيسمي نفسه ناكوتا، والفرع الغربي الأكثر شهرة هو لاكوتا، والأسماء الثلاثة هي تنويعات على نفس الاسم حسب اللهجات المختلفة التي تتحدث بها القبيلة نفسها.

[42] -Bill Yenne، 1986، ص 156.

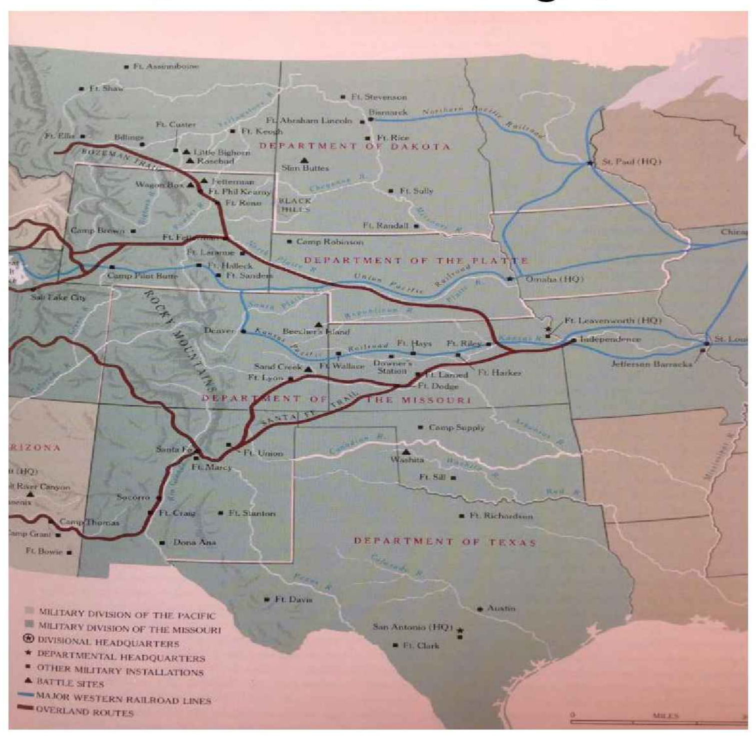
[43] -Carl Waldman، 2006، ص 270.

الولايات المتحدة تدعي فيه تحرير الرقيق من العبودية ومع ذلك كانت تسلب حرية السكان الأصليين.

وسيبدأ هذا الجزء بحرب زعيم لاكوتا "الغيمة الحمراء" التي نشبت بعد الحرب الأهلية واستمرت تداعياتها العسكرية إلى سنة 1890 حين تمت هزيمة المقاومة الهندية وإغلاق منطقة التخوم وسيطرة الولايات المتحدة على جميع الأراضي الواقعة في مجالها، ثم انبعثت أشكال جديدة من المقاومة في القرن العشرين للمحافظة على ما تبقى من الأراضي الهندية والمطالبة ببعض أو أهم ما تم الاستيلاء عليه بطرق غير شرعية حتى وفق موازين الرجل الأبيض نفسه.

وتجدر الإشارة إلى أن نواة هذه الكتاب كانت بحثاً جامعياً كتبته قبل ثلاثين عاماً (خريف 1985) لمادة تاريخ أمريكا في قسم التاريخ بجامعة الكويت وهي المادة التي كان يلقيها آنذاك حضرة الدكتور منصور بوخمسين الذي منح ذلك البحث أعلى درجات الفصل فنال الامتياز الوحيد (A) من بين جميع الدرجات الممنوحة لطلبة المادة نفسها واقترح الدكتور منذ ذلك الوقت عملية النشر إلا أن الظروف لم تنضج إلا الآن.

خرائط مرجعية لحوادث الكتاب توضح مواقع الولايات والأنـهار وطرق المواصلات والمعارك والحصون

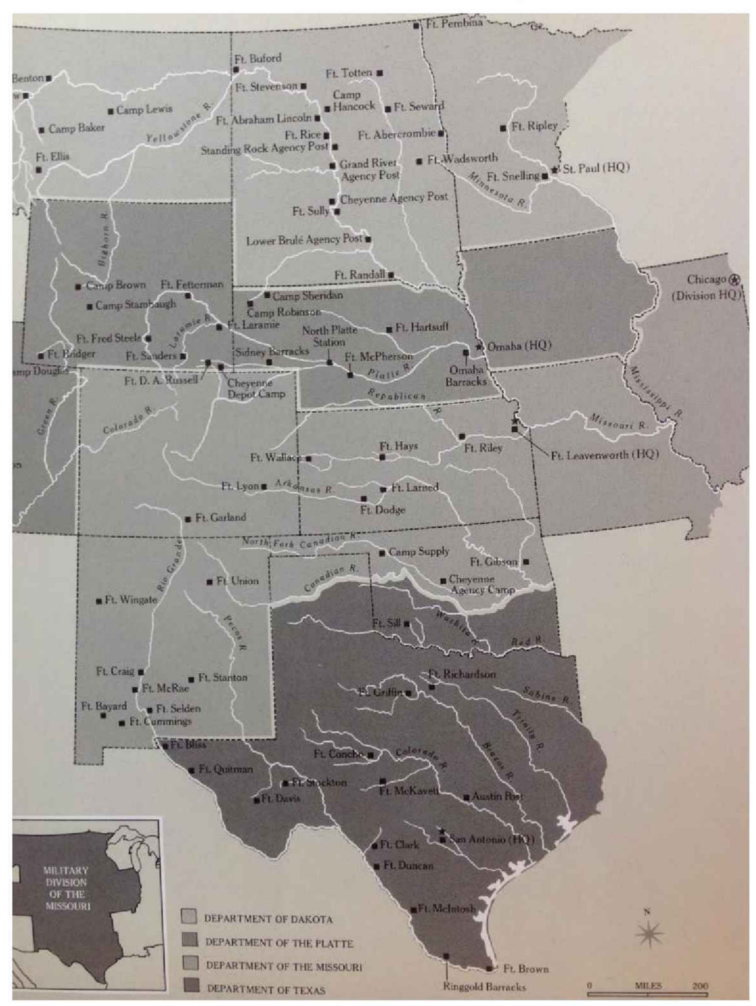


خريطة مرجعية رقم (1): كان جيش الولايات المتحدة في زمن أحداث الكتاب مقسماً إدارياً إلى ثلاثة قطاعات عسكرية: الأطلسي والميسوري والباسيفيكي[44]، تبين الخريطة قطاع الميسوري العسكري (مركزه الرئيس مدينة شيكاغو) الواقع في وسط الولايات المتحدة حيث ستدور في شماله (قسم داكوتا وقسم البلات) أحداث هذا الجزء من تاريخ المقاومة الهندية، وتظهر في الخريطة مواقع الحصون والمواجهات الرئيسة والأنهار والولايات كما أصبحت فيما بعد[45]

---

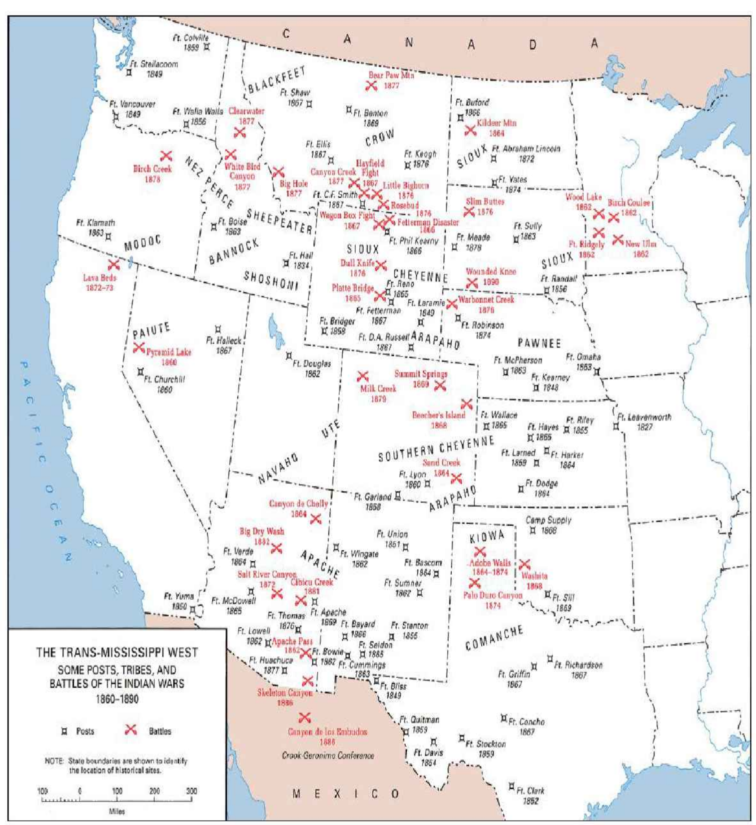
[44] -Edgar I Stewart، 1987، ص 75.

[45] - David Nevin، 1981، ص 23.

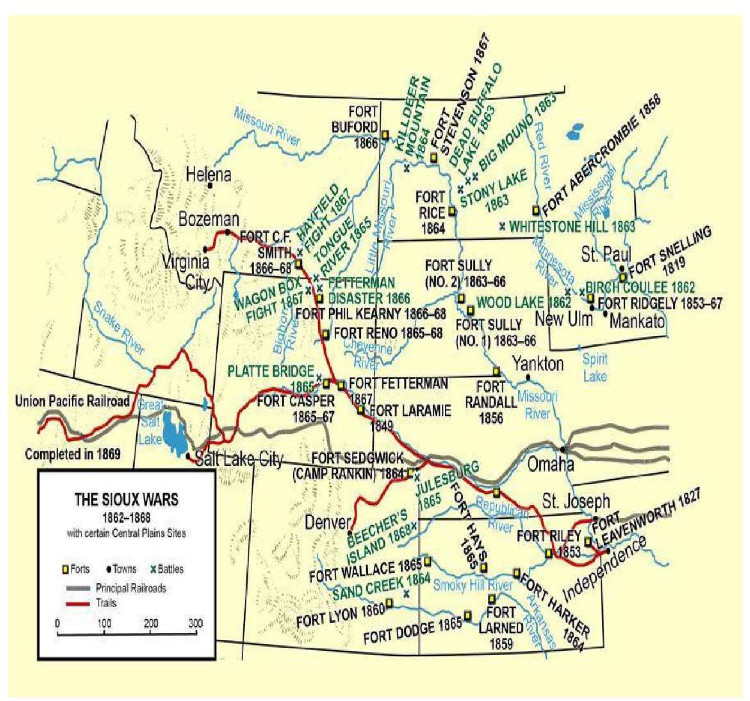


خريطة مرجعية رقم (2) : قطاع الميسوري[46] وأقسامه الأربعة (من الشمال إلى الجنوب: قسم داكوتا، قسم البلات، قسم الميسوري، قسم تكساس) وتظهر الحصون العسكرية ويرد ذكر بعضها لاسيما في داكوتا والبلات في ثنايا الكتاب.

46 -نفس المرجع، ص 163.



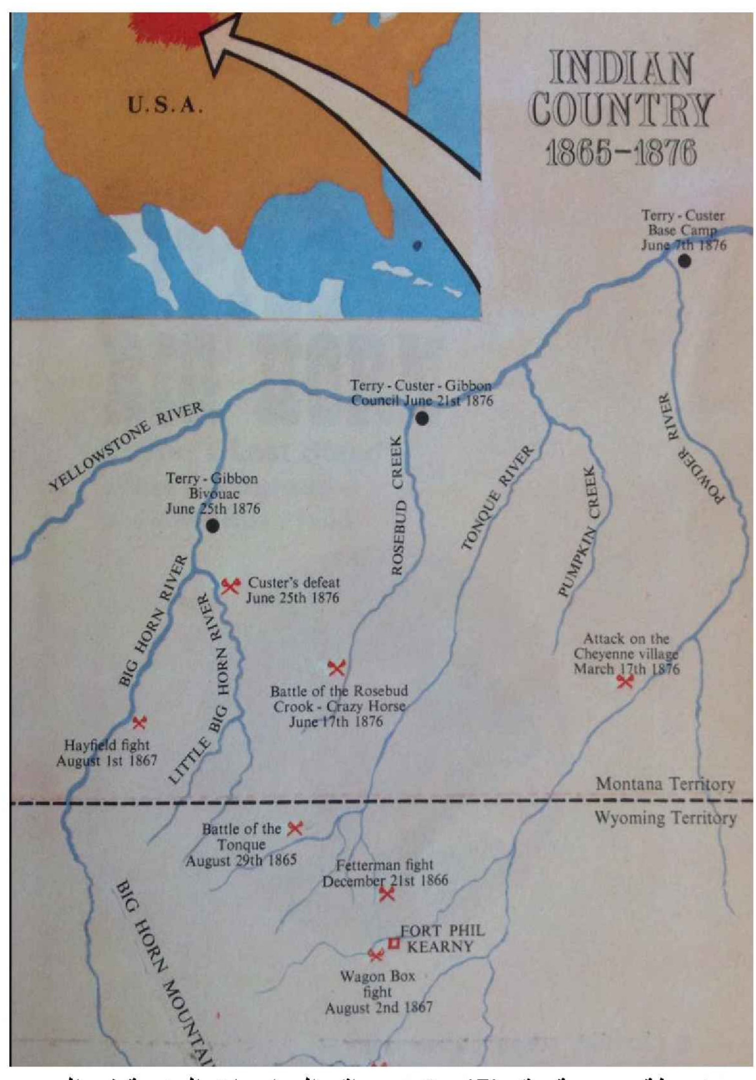
خريطة مرجعية رقم (3): مواقع الحروب الهندية (1860-1890) على الخريطة المعاصرة وربما تكون غير واضحة المعالم ولكن المقصود منها توضيح كثرة هذه الحروب في مدة وجيزة وعلى بقعة واسعة من الأرض



خريطة مرجعية رقم (4) : وهي أكثر تفصيلاً للمواجهات التي وقعت منذ بداية الحرب مع قبيلة سو ومنها مواجهات حرب الغيمة الحمراء التي بدأت بجسر البلات (1865)[47]، وجميع المواجهات التي سبقت عام 1865 كانت من تبعات ثورة قبيلة "السو" الشرقية (سانتي) في مينيسوتا والتي بحثها الجزء الأول من هذه الدراسة.

---

47 _ http://www.ndstudies.org/resources/IndianStudies/standingrock/images/sioux-wars_large.jpg



خريطة مرجعية رقم (5) : تبين مواقع المواجهات الرئيسة في الحرب الأمريكية على قبيلة "السو" [48]

[48] - Frank Humphris، 1976، ص 1.

مقدمة تاريخية مختصرة

قبيلة "سو" : لا يريد هذا الجزء الحديث عن قبيلة في حد ذاتها، ولكن هذه القبيلة هي قبيلة كبرى مازالت إلى اليوم ثاني أكبر قبائل القارة وهي التي تحملت العبء الأكبر لمواجهة الزحف الاستيطاني الأمريكي في آخر أيام المقاومة وقادت ائتلافاً من بقية القبائل، لاسيما "الشايان" Cheyenne والأراباهو Arapaho في وقفة العز الأخيرة لصد الجيش الأمريكي، والحديث عن هذه الأحداث لا ينحصر في مشكلة قبيلة واحدة بل يحدد معالم التاريخ الأمريكي الذي مارس نفس السياسات تجاه القبائل الأخرى في تاريخه كما أنه انطلق بعد هزيمة السكان الأصليين ليرتكب في أنحاء العالم نفس الجرائم التي ارتكبها بداية ضد هؤلاء الهنود، ومن هنا جاءت أهمية الحديث عن تلك الأيام.

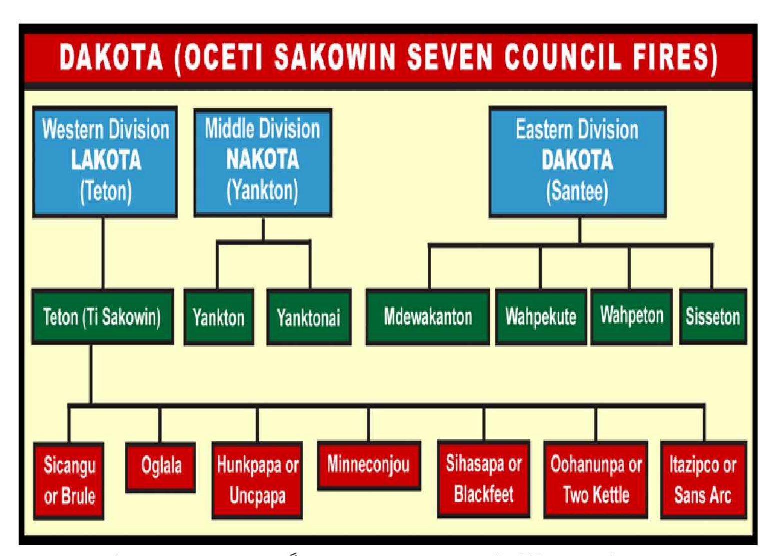
وقبل الاسترسال في سرد حوادث التاريخ ينبغي التعرف على هذه القبيلة بصفتها نموذجاً للقبائل الهندية لاسيما في منطقة السهول العظمى بين نهر المسيسبي وجبال روكي لمعرفة وسبر حقيقة التغيرات الاجتماعية التي ساقتها الحضارة الغربية إليها في نموذج تكرر قبلها وسيتكرر مثاله كثيراً فيما بعد.

قبيلة "سو"[49] أعظم القبائل الهندية قاطبة ومن أكثرها عدداً وعاشت في شمال الولايات المتحدة موزعة على مساحة واسعة

49 -تفاصيل هذا القسم في المراجع التالية:

أصبحت فيما بعد عدة ولايات أمريكية، وأتى اسمها من تحريف فرنسي لكلمة من قبيلة معادية "للسو" كانت تصفهم بالأفاعي أي الأعداء، أما قبيلة "السو" فتطلق على نفسها تنويعات على اسم داكوتا Dakota الذي يعني الحلفاء، وتنقسم القبيلة إلى ثلاثة فروع هي الفرع الشرقي المسمى "سانتي" Santee ويطلق على نفسه اسم داكوتا، والفرع الأوسط المسمى يانكتون Yankton ويطلق على نفسه اسم ناكوتا Nakota والفرع الغربي المسمى تيتون Teton ويطلق على نفسه اسم لاكوتا Lakota، وتنقسم هذه الفروع الثلاثة إلى عشائر أصغر يهمنا منها في هذا الكتاب القسم الغربي وهو لاكوتا وعشائره السبع إذ كان "السو" الغربيون هم الأشد مقاومة للتمدد الاستعماري والاستيطاني الأمريكي واستطاعت بقاياهم النجاة رغم الحوادث الدموية الهائلة التي مرت بهم.

-Royal B. Hassrick، 1964.
-Michael Johnson & Jonathan Smith، 2000.
-Howard R. Lamar، 1977، ص 1115-1117.
-Richard Carlisle، 1978، ج 4 ص 452-454.
-Tony Boddington، 1977، ص 11-35.
-Bruce Grant، 1989، ص 139 و146.
-Charles A. Eastman، 1997، ص 71.
-Robert M. Utley، 2002، ص 162 و169.
-John D. McDermott، 1998، ص 107.
-Clark Wissler، 1989، ص 311.



فروع قبيلة سو[50] التي عرفت عموماً باسم داكوتا قبل الانتباه إلى فروق اللهجات.

●**الجغرافيا:** توزعت أمة "سو" على مساحة واسعة من القارة الأمريكية الشمالية، فسكنت قبيلة داكوتا الشرقية فيما سيصبح فيما بعد ولاية مينيسوتا ضمن المنطقة الجغرافية المعروفة بالغابات الشرقية، واعتمدت الحياة الزراعية المستقرة، ومع ذلك اكتسحها جشع البيض بحجة تعليمها الزراعة (!) وذلك في عهد "المحرر العظيم" أبراهام لنكولن، أما قبيلة ناكوتا الوسطى فسكنت شرق ولايتي داكوتا الشمالية والجنوبية، وعاشت على خليط من الزراعة والصيد، وسكنت قبيلة لاكوتا الغربية في ولايتي داكوتا وولاية نبراسكا مع امتدادات في

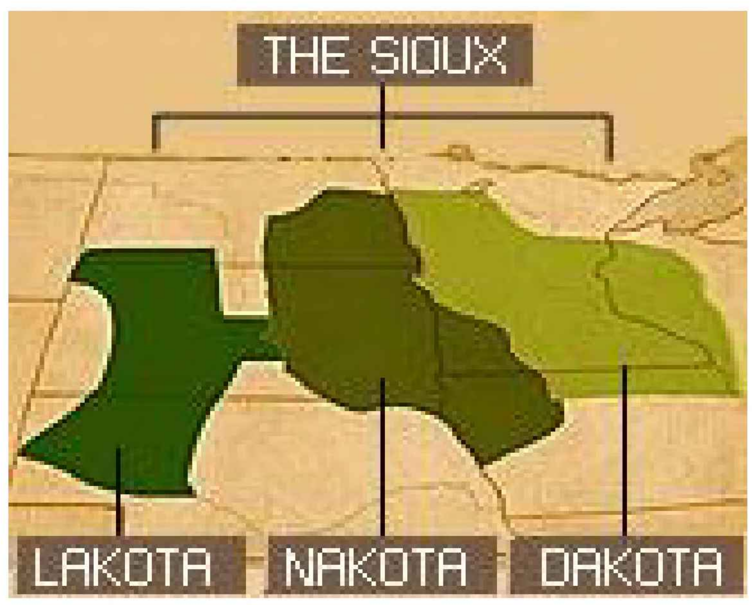
---

50 _ http://www.ndstudies.org/resources/IndianStudies/standingrock/images/seven_council_large.gif

مونتانا ووايومنج، وكانت تعيش على الصيد والتنقل ومن المفارقات أنها انتقلت من الزراعة إلى الصيد نتيجة حصولها على الجواد الذي أدخله الرجل الأبيض، وتصنف مواطن ناكوتا ولاكوتا ضمن السهول العظمى.



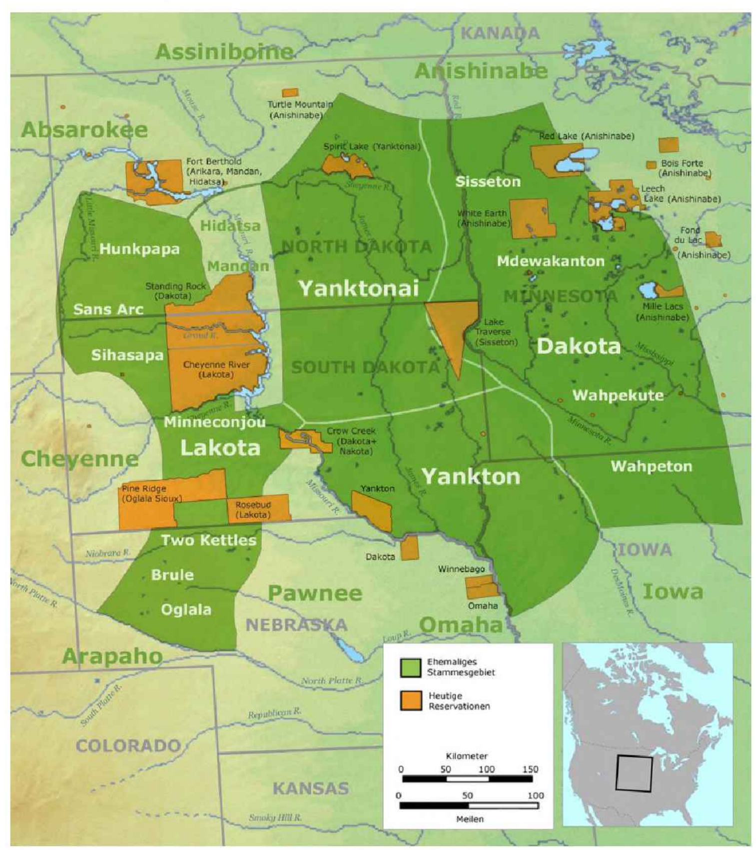
خريطة رقم (6)-أ: هجرة "السو" الغربيين "لاكوتا" ضمن القبيلة كلها من الشرق إلى الغرب منذ أواسط القرن السابع عشر.



خريطة رقم (6)-ب: توزيع المواطن الأصلية لأقسام القبيلة على الولايات الأمريكية الحالية حيث مينيسوتا شرقاً وداكوتا الشمالية والجنوبية ونبراسكا غرباً[51]

---

[51] ـ http://wintercounts.si.edu/html_version/html/socialstructure.html



خريطة رقم (6)-ج: ماتبقى من أراضي "السو" (اللون البني) الشرقيين (داكوتا) والأواسط (ناكوتا: يانكتوناي ويانكتون) والغربيين (لاكوتا) مع تفصيل توزيع العشائر على الأراضي الأصلية (اللون الأخضر الداكن) وموضعها بالنسبة للقارة الأمريكية (ويكيبيديا)[52]

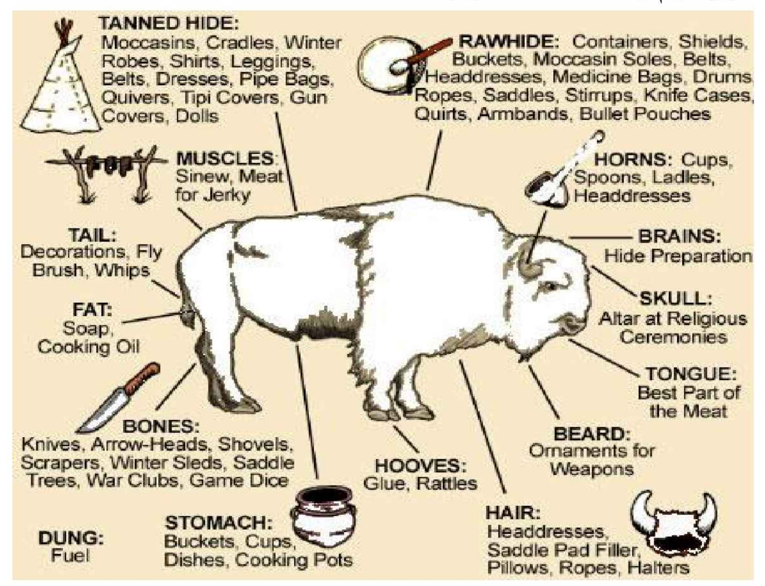
[52] - http://commons.wikimedia.org/wiki/File:Sioux01.png

المعيشة: اعتمدت قبيلة لاكوتا على حيوانين رئيسين في معيشتها هما الحصان والجاموس الأمريكي Bison، وقبل أن يدخل الحصان في حياتها كان الكلب هو وسيلة التنقل، فلما عرف الهنود الحصان منذ سنة 1740 أحدث ذلك ثورة في حياتهم الاجتماعية والمعيشية، إذ أصبحوا يصلون إلى مناطق أبعد ويحملون متاعاً أكبر ومن ثم يسكنون في خيام أطول ويأكلون صيداً أوفر وظهر بينهم الانقسام الطبقي وفقاً للقدرة على امتلاك أعداد أكبر من الجياد مما أفسح المجال أمام تعدد الزوجات للأثرياء.



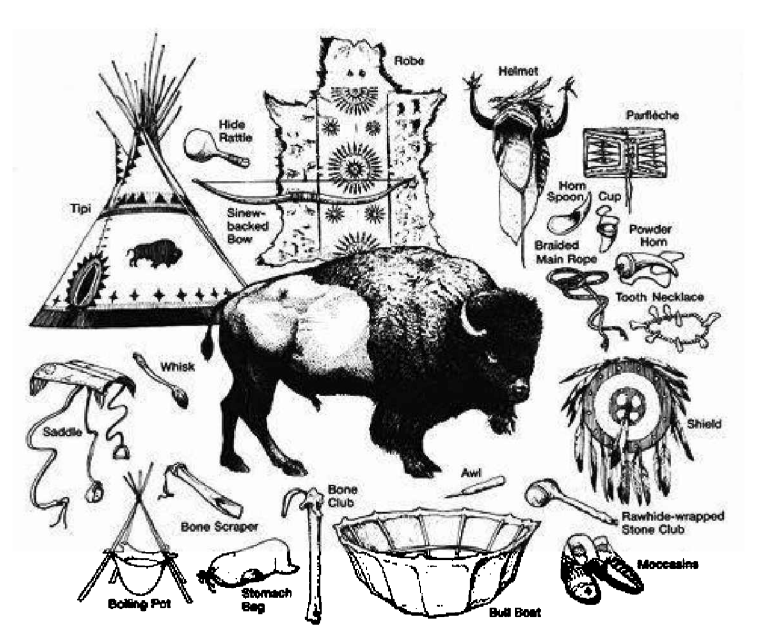
قدرة الحصان على حمل متاع وأعمدة أكبر من قدرة الكلب أحدثت ثورة اجتماعية في حياة هنود السهول.

أما البيسون فكان مصدر المأكل والملبس والمسكن وأدوات الحياة اليومية لقبيلة لاكوتا، وقد كان يؤلف 80% من موارد الحياة الهندية، فكان الهنود يأكلون لحمه ويخزنونه لأيام الشتاء ويستعملون فراءه للباس وجلده لبناء الخيام وصناعة الأحذية والحقائب والدروع، وأعصابه لصناعة الحبال، ومعدته لصناعة أواني الطبخ، وعظامه في صناعة الأكواب والملاعق ولعب الأطفال، وهكذا لم يكونوا يهملون أي جزء منه ويستفيدون حتى من روثه للحصول على الوقود، فلم يكن من العجيب بعد كل هذا أن يستميت الهنود في الدفاع عن بقاء الجاموس وأن تتم هزيمتهم بعد القضاء عليه.



استخدامات الجاموس في الحياة الهندية في السهول العظمى[53]

[53] - https://kirstenclarke.files.wordpress.com/2013/11/buffalo.png



كانت الجماعات المتفرقة تجتمع صيفاً للقيام بصيد الجاموس وأداء طقوس تجدد الحياة كرقصة الشمس، والاستعداد لمبادلة جلود البيسون في المراكز التجارية الأمريكية على طول نهري البلات والميسوري، وكانت تنقل حوالي سبع مرات في الصيف خلف قطعان الجاموس، أما في الشتاء فكانت المخيمات المتفرقة تظل في أماكنها حيث لا بحث عن الصيد.

- http://www.thecanadianencyclopedia.ca/en/article/buffalo-hunt/



الأزياء التقليدية لرجال فروع "السو" الثلاث وهم من اليسار: لاكوتا أو تيتون (الغربيون)، ناكوتا أو يانكتوناي (الأواسط)، داكوتا أو سانتي (الشرقيون)، أما الصغير فمن لاكوتا، وذلك كما رسمهم الفنان جوناثان سميث من الصور الأصلية [54]

---

[54] Michael Johnson & Jonathan Smith-، 2000، ص D.

لم تكن القبيلة مركزية في ترابطها ولم تعرف منصب الزعيم الأكبر إلى فترة متأخرة من الحروب ضد الرجل الأبيض، وقد انقسمت القبيلة إلى عشائر متعددة وانقسمت العشائر إلى جماعات مستقلة كان انتخاب الزعماء فيها يقوم على أساس المزايا الشخصية التي تتحدد بالشجاعة والجلد والسخاء والحكمة، ويحصل عليها الفرد عن طريق القدرات الروحية المستمدة من الرؤى والأحلام التي ترشد صاحبها وبموجبها يستطيع القائد أن يحدد لقومه أين تقطن ومن تحارب وأين تمارس الصيد، والمصدر الآخر للمزايا هو الشجاعة التي يبديها المحارب في المعارك لاسيما عندما يستطيع أن يلمس وهو غير مسلح عدوه وهي مأثرة أهم من القتل نفسه، والهدف من الحرب هو حماية أراضي الصيد والحصول على الجياد، وبعد ظهور الرجل الأبيض صار الهندي يدافع عن أرضه وعشيرته وطريقة حياته بالمقاومة، ولم تكن تنقصه الشجاعة، ويشير المؤرخون إلى كونه متفوقاً على غريمه الأبيض، وحتى في هزائمه الكبرى كانت خسائر الهندي أقل من خسائر البيض، بل كان "أكثر المقاتلين الأوروبيين نجاحاً هم الذين تبنوا طرق الهنود في الحرب لتصبح طرقهم الذاتية" وأن "نجاح الأوروبيين في حروب التخوم كان متوقفاً على قدرتهم على تحقيق التوازن بين تقاليدهم العسكرية وطريقة الهنود في الحرب" لأن"التطور العسكري الأوروبي في حد ذاته لم يكن ضماناً لإخضاع القارة"[55]، ولكن في مواجهة الأعداد الأكبر والتقنية الأحدث والموارد الأوفر لم يكن الهندي متمكناً من النصر في النهاية.

[55] -Armstrong Starkey، 1998، الغلاف الخلفي الخارجي.

وبالإضافة إلى القوى الروحية والبدنية كان للهنود فضائل يحدد الالتزام بها مكانة الرجل في قبيلته وهي الشجاعة والتحمل والسخاء والحكمة ونتيجة لتلك الأسباب في التميز كان هناك قادة سياسيون وقادة عسكريون، وتعتمد مكانة القائد على قبول أتباعه فإن لم يعد يلقى الاستجابة والاحترام من قومه انحدرت مكانته وتخلى أتباعه عنه دون انقلابات دموية، ولم يكن الابن يرث منصب أبيه إلا أحياناً، وهي صورة متقدمة من التنظيم السياسي لم تفت ملاحظة المؤرخين.

كانت زعامة الكبار تحيل تنفيذ الأوامر والانضباط إلى مجموعات المحاربين المختلفة التي تتميز كل واحدة منها باسم خاص "كالقلوب القوية" و"حاملي الرمح" و"راكبي الحصان الأبيض"، ولكل منها زعيمها والناطقون باسمها، وتقوم هذه "النقابات" بالعمل داخل المخيم وبحمايته وتوفير حاجاته.

●**الحياة الاجتماعية**: أما الوحدة الاجتماعية فكانت الأسرة الممتدة، وكان الرأي العام هو وسيلة الضغط الاجتماعي والعقاب على كثير من الجرائم، فالخروج عن أعراف القبيلة يؤدي للنبذ والموت بعيداً عنها، ولم يكن من المفترض أن ينشئ الشاب علاقات مع الفتيات قبل أن يقدم على اختيار زوجته، وكانت سمعة الشاب تبنى في ميدان الصيد وساحة الحرب، وعليه أن يبني سمعته قبل التقدم لخطبة فتاته، وكلما كانت المهام التي اجتازها صعبة، دعم ذلك وضعه الاجتماعي، وكانت عملية بناء السمعة محفوفة بكثير من المخاطر، وترجع الأصول العائلية إلى جانبي الأب والأم، وكذلك السكن العائلي قد يكون مرتبطاً بأهل الرجل أو المرأة، ولم يكن هناك نظام محدد

للميراث، وبينما كانت الحرب والصيد من مهمة الرجل، كان العمل الداخلي كجمع الوقود وإعداد الطعام والملابس ودبغ الجلود من نصيب المرأة، وقد وصف الرجل الأبيض حياة المرأة الهندية بالعبودية رغم أنه لم يعمل على تحسينها بل اتخذ منها ذريعة لانتقاص المجتمع الهندي ومن ثم إبادته برجاله ونسائه اللواتي حملن عبئاً ضخماً من تبعات الاستعمار ووقعن باستمرار ضحايا للمجازر الأمريكية (كما يتخذ الغرب من مكانة المرأة حجة للتدخل في شئون المجتمعات الأخرى وتبلغ المهزلة حداً مضحكاً عندما يعيرنا الصهاينة بمكانة المرأة الفلسطينية الدونية مع أن عبئها الأكبر قادم من جهة الاحتلال كفقد الأب والأخ والزوج والابن وهدم البيت، وفقد مصدر المعيشة، والاعتقال وغير ذلك من جرائم الاحتلال).

●**المعتقدات**: كان الهنود يعتقدون بأن الكائنات كلها مرتبطة ببعضها البعض وتنحدر من أم واحدة هي الأرض، وأن الأرواح تسكن الرياح والرعد والجبال والأنهار والحيوانات والأشجار والصخور ويمكنها أن تقدم الخير والشر ولهذا لابد من بناء علاقة وطيدة معها للحصول على النجاة والمساعدة والبقاء والإرشاد، بالإضافة إلى وجوب الانسجام مع الطبيعة والاقتراب منها وعدم خرق قوانينها، وهو مفهوم أصبحت الحياة المعاصرة تقدره وتحاول الحفاظ عليه في غمرة الحياة المادية وتلوثها البيئي، و"الروح العظمى" هو الاسم الذي أطلقه الرجل البيض على مفهوم الهنود للإله الخالق والذي كان هنود لاكوتا يطلقون عليه "واكانتانكا".

أما القيم التي يحافظ الهندي عليها فهي مكانة الصيد والقتال والاهتمام بالأسرة وبقاء الجماعة بالإضافة إلى الحياة المنسجمة مع الطبيعة، وكانت الأرض ذات أهمية قصوى عند الهنود، لا يعرفون امتلاكها ولا بيعها والتصرف بها، فهي كالهواء والبحر والسحاب لا يمكن أن يحتكرها شخص له، ولهذا حدث الصدام بين مفاهيمهم ومفهوم الرجل الأبيض الذي يرى الطبيعة مادة استعمالية مسخرة لأغراضه مهما كانت التبعات.

أما عن الموت فكان "السو" يعتقدون أن الميت يغادر إلى عالم آخر خال من الآلام، وقد ترجم البيض هذا المفهوم إلى مصطلح "أرض الصيد السعيدة"، وكانت كل قبيلة هندية تعتقد أن موتاها سيذهبون إلى إحدى الجهات الأصلية (شمال أو جنوب أو شرق أو غرب)، ولم تكن لديهم فكرة عن العقاب بعد الموت، وقد علق أحد زعمائهم عما يقوله الرجل الأبيض عن الجحيم في هذا الشأن:"لن يزعج البيض الهنود بعد الموت، لأن جميع البيض سيذهبون إلى جحيمهم"، وكان الهنود يضعون موتاهم في أكفان على سقالات وهي طريقة الدفن عندهم.



سقالات أموات من "السو" في التلال السوداء

●**بدايات الاحتكاك بين "السو" والبيض**: بدأ احتكاك هنود "السو" بالرجل الأبيض منذ القرن الثامن عشر حين كان التعامل بين الطرفين يتركز على تجارة الفراء المزدهرة في ذلك الزمن، واستمرت التجارة لمدة قرن قبل أن تتراجع في نهاية ثلاثينيات القرن التاسع عشر، كما راجت تجارة الخمور التي أدت إلى الانحلال الاجتماعي في المجتمعات الهندية، وبعد رحلة لويس وكلارك (1804-1806) لاكتشاف مجاهل القارة الأمريكية التي أصبحت في حوزة الولايات المتحدة بعد شراء لويزيانا من فرنسا (1803) ومقابلتهما لهنود "السو" في شمال السهول

العظمى عقدت القبيلة في سنة 1825 ميثاق صداقة مع حملة الجنرال هنري أتكينسون[56].



حملة لويس وكلارك تلتقي "السو" في داكوتا

كانت منطقة السهول العظمى ضمن "الحدود الهندية الدائمة" التي خصصتها الحكومة الأمريكية في "قانون التجارة والعلاقات" سنة 1834 لسكنى السكان الأصليين حيث لم تكن مرغوبة للرجل الأبيض لسيادة الاعتقاد بكونها "صحراء أمريكا الكبرى" التي لا تصلح للحرث والزراعة[57]، ومع أن التجار ارتادوا طريق أوريغون منذ ثلاثينيات القرن التاسع عشر، فإنه لم يصبح طريقاً عاماً مطروقاً إلا بعدما ارتاده المستوطنون، فقد

---

[56] -Robert W. Larson، 1997، ص 51-57.

[57] -Tony Boddington، 1977، ص 116-117.

بدأت قوافلهم تعبر هذه المنطقة متجهة نحو الساحل الغربي ومقاطعات أوريغون وكاليفورنيا منذ سنة 1841، وفي سنة 1843 عبره ألف باحث عن مسكن في الغرب، وقد أدى شق هذا الطريق إلى تقسيم قطعان الجواميس الكبرى إلى شمالية وجنوبية، وتبعاً لذلك انقسمت قبائل السهول إلى شمالية وجنوبية[58]، ومنذ ذلك الوقت أصبحت أراضي "السو" عقبة في وجه المتطلعين إلى الجنان العقارية والذهبية التي اكتشفت في أوريغون ويوتا وكاليفورنيا وكولورادو ومونتانا[59] (خريطة رقم 9)، واتضح أثر سلبي لذلك منذ سنة 1845 واشتدت حمى الهجرة بعد الحرب المكسيكية الأمريكية (1846-1848) والتسوية مع بريطانيا مما أدى إلى انضمام المقاطعتين إلى الولايات المتحدة ولم يلبث أن اكتشف الذهب فيهما مما زاد الطين بلة بعبور خمسين ألف مهاجر لأراضي "السو" الجنوبيين في السنة الأولى لاكتشاف الذهب في كاليفورنيا (1849)، وقد كان لهذه السيول البشرية آثار ضارة بقطعان الجاموس التي تعترض طريقها حتى أن التجار البيض الذين كانوا يعيشون بين الهنود أحسوا بنذر تدمير معاشهم على أيدي هؤلاء العابرين[60].

هدد الهنود المهاجرين وتعرضوا لقوافلهم مما جعل الحكومة الأمريكية ترسل الجيش "لضبط" السكان الأصليين منذ سنة 1845 وأصبح الحال غير محتمل ومنذراً بانفجار بعدما تشتتت القطعان وأصبح الهنود في حاجة ماسة للطعام نصف العام وأصبحت النساء في عوز وأطفالهن في بكاء مستمر من شدة

58- John D. McDermott، 1998، ص 151.

59- Jeffrey Ostler، 2010، ص 68.

60- Robert W. Larson، 1997، ص 61-62.

الجوع، وذلك وفقاً لشهادة الوكيل الحكومي توماس فيتزباتريك الذي عين في نفس تلك السنة أيضاً للإشراف على شئون الهنود في منطقة نهر البلات (الخريطة رقم 10)، وتصاعدت التحذيرات من المسئولين عن الشئون الهندية منذ سنة 1847 بسبب نقصان الجواميس واستعار الحروب بين القبائل على الموارد والسببان أصلهما واحد هو المستوطنون، وقد حاولت الحكومة التحكم بالهنود عن طريق شراء مركز تجاري من شركة الفراء الأمريكية وتحويله إلى حصن عسكري هو حصن لارامي في نفس العام الذي اكتشف الذهب فيه في كاليفورنيا (1849)[61]، وهو الحصن الذي سيتخذ شهرة في قابل الأيام (الخرائط المرجعية رقم 1 ورقم 2 ورقم 3 ورقم 4).

ومما فاقم غضب الهنود الأمراض التي جلبها المهاجرون أثناء عبورهم كالكوليرا والحصبة والجدري، وقد حصدت أعداداً كبرى جعلت الهنود يعتقدون أن الأمريكيين تعمدوا نشر الأوبئة للقضاء عليهم[62].

---

[61] -نفس المرجع، ص 62-64.

-Edward Lazarus، 1999، ص 15.

[62] -Robert W. Larson، 1997، ص 62-63.

-Jeffrey Ostler، 2010، ص 37.

-Edward Lazarus، 1999، ص 15.



حصن لارامي كما كان مركزاً تجارياً قبل أن تشتريه الولايات المتحدة
وفقاً لذاكرة الفنان ألفرد جاكوب ميلر (حوالي 1859)

وكان الحل الآخر هو عقد مؤتمر عام لمجموع القبائل التي تقطن شمال السهول للحصول على موافقتها على عبور المهاجرين أراضيها، وبالفعل اجتمع عشرة آلاف مندوب عن تسع قبائل حول حصن لارامي في أكبر تجمع في تاريخ السهول حتى ذلك الوقت وذلك في سبتمبر/ أيلول سنة 1851 لمدة 18 يوماً [63] تم فيها الاتفاق يوم 17 على إقامة "سلام دائم" مع الولايات المتحدة وعلى أن تقوم الأخيرة ببناء الحصون وإنشاء

[63] -Robert W. Larson، 1997، ص 65-67.

الطرق في أراضي الهنود وعلى أن تقوم أيضاً بحماية الهنود من تعديات الأمريكيين وعلى أن تضع الحرب أوزارها بين القبائل المتعادية وتحديد مجال خاص لكل قبيلة وموافقة الهنود على عبور المستوطنين وعلى أن تزود الحكومة الأمريكية القبائل الهندية بمساعدات بمبلغ خمسين ألف دولار سنوياً على شكل مؤن وسلع ومواشي وأدوات زراعية لمدة خمسين سنة وعلى أن تختار كل قبيلة زعيماً كبيراً لتمثيلها[64] وهو أمر كان جديداً على التنظيم الاجتماعي للسكان الأصليين، أما المبلغ فكان ضئيلاً جداً عند مقارنته بالملايين اللازمة لحرب هذه القبائل لاسيما عندما نعلم أن الخمسين ألف دولار ستوزع سنوياً على خمسين ألف هندي[65] مما يجعل نصيب الفرد هو دولار سنوياً وذلك مقابل 150 ألف دولار تلزم لقتل الهندي الواحد كما سيأتي، ومع ذلك لم يقبل الكونجرس بهذه النفقة وعند مصادقته على المعاهدة خفض مدة المساعدات إلى عشر سنوات قابلة للتمديد خمس سنوات أخرى فقط مع زيادة المبلغ إلى سبعين ألفاً سنوياً بدل الخمسين ألفاً[66]، وسيؤدي هذا التقليص إلى اعتراض "الغيمة الحمراء" فيما بعد ضمن شكاواه من تنكر السياسة الأمريكية لقومه بعد إلقاء سلاحه.

كانت معاهدة لارامي مع قبائل شمال السهول شطراً من خطة شاملة للسيطرة على كل السهول العظمى بصفتها معبراً للأراضي المكتسبة حديثاً على الساحل الغربي، فما أن قبلت القبائل بالحدود فيما بينها حتى أصبح من السهل انفراد الحكومة

64- Francis Paul Prucha، 2000، ص 84-85.

65- Edward Lazarus، 1999، ص 19.

66- Howard R. Lamar، 1998، ص 385.

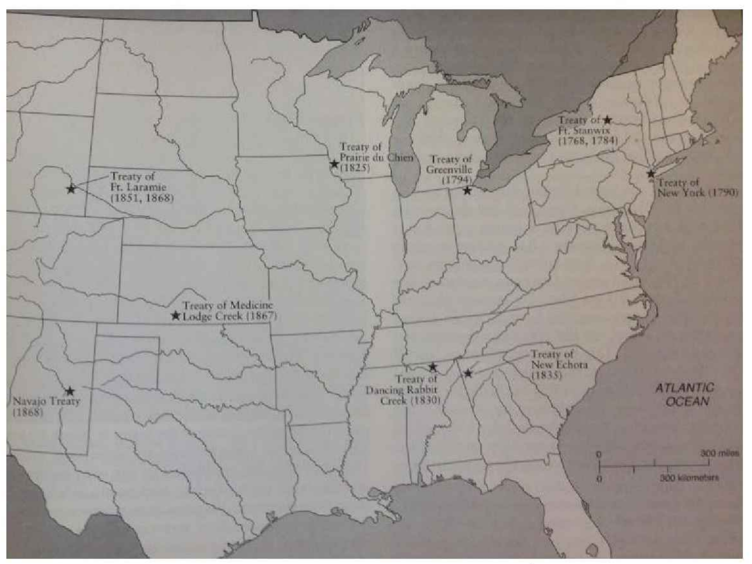
الأمريكية بكل واحدة منها للتنازل عن إقليمها الخاص[67]، وبعدها بسنتين (1853) عقدت الولايات المتحدة معاهدة مماثلة مع قبائل جنوب السهول[68]، وسيستمر هذا التوازي بين شمال السهول وجنوبها في السنوات القادمة، إذ عندما يوافق بعض الهنود على الحياة في المحميات في الشمال سنة 1868 ستكون هناك معاهدة "الكوخ السحري" المماثلة في الجنوب (1867)، وعندما تندلع آخر حروب المقاومة للدفاع عن الوجود في الشمال (1876) ستكون لها حرب موازية قبل ذلك بقليل في الجنوب (1874)، ولكن سلام لارامي لم يصمد سوى ثلاث سنين إذ وقعت في سنة **1854** معركة جراتان التي اعتدى فيها الجيش على قبيلة "السو" بعد الخلاف على تعويض عن بقرة ضالة تخص أحد المستوطنين.

---

[67] -Tony Boddington، 1977، ص 119.

[68] -Francis Paul Prucha، 2000، ص 84.

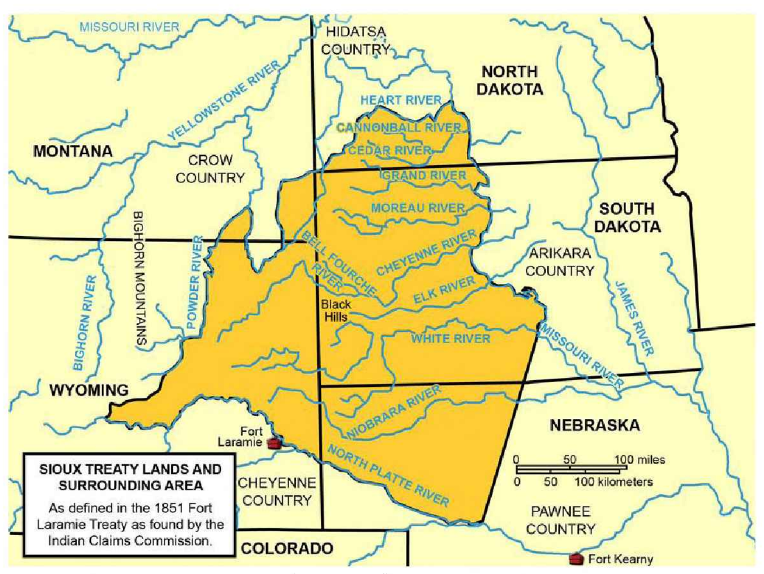
-Robert M. Utley، 2002، ص 61.



خريطة رقم (7)-أ: موقع معاهدة لارامي 1851 ومواقع المعاهدات الفاصلة في تاريخ العلاقات الهندية الأمريكية، وقد ورد ذكر معظمها في الجزء الأول والبقية في هذا الجزء[69]

---

[69] -Frederick E. Hoxie، 1996، ص 649.



خريطة (7)-ب: الأراضي التي منحتها
معاهدة لارامي 1851 لقبيلة "السو"

قام الجيش بعد ذلك (1855) بالانتقام لمقتل جراتان وجنوده بالهجوم بقيادة الجنرال وليام هارني على قرية هندية، مسالمة وغير مذنبة بأي جرم، في وادي الرماد Ash Hollow عند نهير المياه الزرقاء Blue Water Creek وارتكب مجزرة[70] (رغم وجود من يسميها "معركة") وراح ضحيتها أكثر من ثمانين هندياً أكثر من نصفهم من النساء والأطفال وكتب شاهد عيان عن مشهد لنساء وأطفال يصيحون باكين وقد شوههم الرصاص بصورة مخيفة، كما تم أسر سبعين امرأة وطفلاً واقتيدوا إلى حصن لارامي[71]، وهو ما يعطي نموذجاً

[70] -Edward Lazarus، 1999، ص 23.
[71] -Jeffrey Ostler، 2010، ص 45.

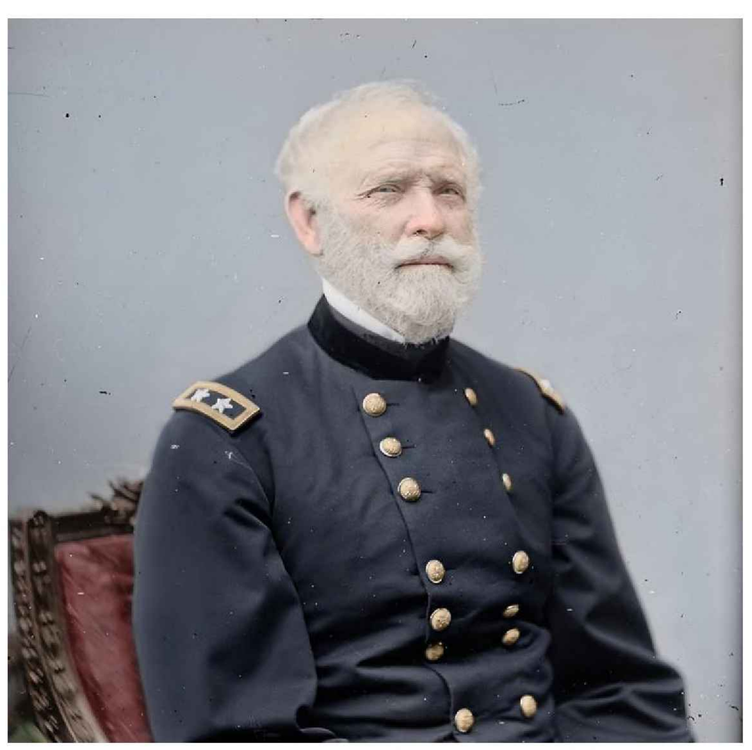
لطريقة تعامل الحكومة الأمريكية مع الهنود بعدم التفريق بين مسالم ومقاوم[72] (نفس الطريقة التي تعامل بها الاستعمار مع المستعمَرين في بلادنا وفي كل مكان)، واستطاع الجنرال هارني أن يفرض شروطه على "السو" (1856) وأن يعين لهم زعيماً متعاوناً مع الأمريكيين اسمه "ضلع الدب" Bear's Rib والذي كان كذلك دموياً في معاملة قومه ومن يخرج على قوانينه[73] (كعادة المستبدين العملاء الذين يعينهم الأجنبي دائماً)، ولكن "السو" اجتمعوا في السنة التالية فيما بينهم (1857) وقرروا أنهم قد تنازلوا عن أراض بما فيه الكفاية ولم يعد وضعهم يتحمل مزيداً من التنازلات[74]، وفي النهاية تم اغتيال "ضلع الدب" في سنة 1862 بسبب قبوله هدايا البيض خلافاً لرغبة قومه[75].

72- Edgar I. Stewart، 1987، ص 16.

73- Mark Diedrich، 1998، ص 63.

74- Jeffrey Ostler، 2010، ص 47.

75- Mark Diedrich، 1998، ص 65.



الجنرال وليام سيبلي هارني (1800-1889) قاتل الهنود في حرب الصقر الأسود (1832) ثم في حرب السيمينول في أواخر الثلاثينيات وأوائل الأربعينيات، وكان معروفاً بقسوته على أعداء الولايات المتحدة[76]، ثم قاتل ضد "السو" في الخمسينيات فأطلقوا عليه ألقاب "قاتل النساء"[77] و"الدب الأحمق" و"البغيض"[78]، اشترك أيضاً في الحرب الأهلية.

وكانت معاهدتا السهول خطوة انتقالية ضمن معالجة "المشكلة الهندية" من سياسة تهجير القبائل إلى المنطقة الهندية

---

[76] -Jeffrey Ostler، 2010، ص 44.

[77] - http://en.wikipedia.org/wiki/William_S._Harney

[78] -Jeffrey Ostler، 2010، ص 46.

الواسعة خلف الحدود "الدائمة" التي ظلت تتراجع إلى الخلف حتى لم يعد هناك مزيد من الغرب تتراجع إليه، إلى سياسة حصر الهنود في المحميات للاستيلاء على بقية أراضيهم، كانت معاهدة لارامي (1851) ومعاهدة أتكينسون (1853) خطوة انتقالية لأنها أبقت على "الحدود الدائمة" التي تفصل أراضي الهنود عن الاستيطان الأبيض، ولكنها حددت لكل قبيلة مجالاً خاصاً بها بعدما كانت الأراضي مفتوحة لتجوالها، وفي ذلك اعتراف مباشر بحق الهندي ولملكيته للأرض التي يعيش عليها[79]، ولكن ستكون هذه الخطوة أيضاً تمهيداً لحصر القبائل بعد ذلك في مساحات ستظل تضيق مع مرور الزمن، ومع أن تبرير سياسة تحديد الحدود بين القبائل كان هو الحد من نزاعاتها وتأمين مرور المهاجرين البيض، فإن هذه التجزئة كانت تسهل على الحكومة الأمريكية بعد ذلك الاستفراد بكل قبيلة على حدة ومطالبتها بالتخلي عن مزيد من أراضيها دون إثارة بقية القبائل[80] (كما حدث عندما رسمت الحدود بين بلادنا وصار الاعتداء على قطر من أقطارها لا يعني بقية الأقطار).

وفي هذه الفترة لم تعد منطقة السهول هي الصحراء الكبرى كما كان يُظن سابقاً، فقد اكتشف فيها الذهب وتبين أن بعض مناطقها صالحة للزراعة وأن مناطق الصيد الهندية تصلح لرعي الماشية، فبدأ شبح الأطماع يهدد السهول نفسها بعدما كانت مجرد معبر، وكان اكتشاف الذهب في كولورادو سنة 1859، ثم في مونتانا سنة 1862، وصدور قانون السكن سنة 1862 أيضاً حين شجعت الدولة الاستيطان بتوزيع الأراضي

---

[79] -Edward Lazarus، 1999، ص 17.

[80] -Tony Boddington ، 1977، ص 119.

المجانية في عهد الرئيس أبراهام لنكولن[81]، واكتشاف صلاحية الأرض للرعي سنة 1867، فأصبحت الحكومة الأمريكية تحت ضغط المستوطنين والمزارعين والمنقبين ورعاة البقر وشركات السكك الحديدية لفتح الأراضي الهندية لاستغلال البيض، وأصبح مصير السكان الأصليين مشكلة لديها، فهم أولاً شجعان ومسلحون وغير راغبين بتسليم أرضهم للبيض، وحتى لو تمت هزيمتهم فماذا يُفعل بهم؟[82].

سيتطرق الحديث إلى الطريقة التي واجه بها المجتمع الأمريكي "المشكلة الهندية" وانقسامه بين "صقور" و"حمائم" ومواقف الطرفين وما نتج عنها في ثنايا الكتاب، وسيبدأ الحديث الآن من التحدي المباشر الأول الذي واجه أرض الهنود في شمال السهول وهو اكتشاف الذهب في مونتانا سنة 1862.

ذهب مونتانا والطريق إليه

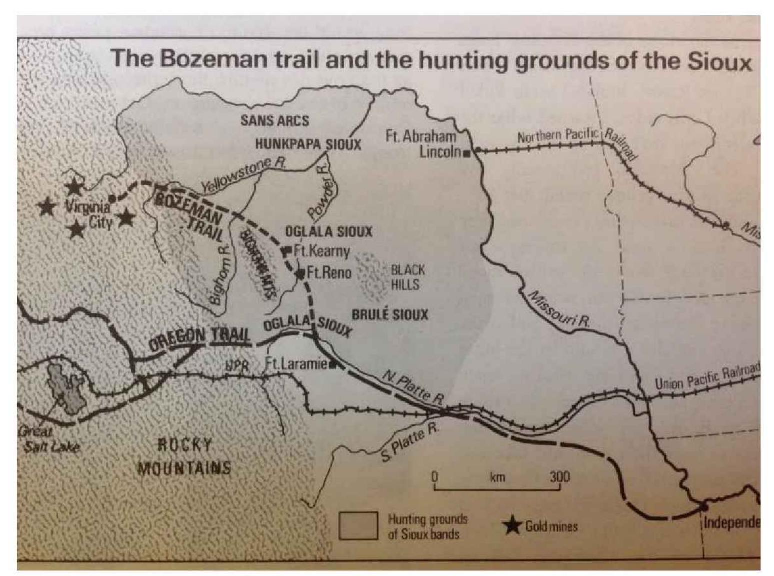
أدى اكتشاف الذهب حول مدينة فرجينيا في مونتانا سنة 1862 والتي تحتوي على أضخم كتلة من الخام النفيس عرفت في أمريكا حتى ذلك الوقت[83]، إلى تدفق المستوطنين على المنطقة مما أدى إلى إشعال حرب في نبراسكا سنة 1864، وزاد الأمر تفاقماً قيام جون بوزمان باكتشاف طريق من حصن لارامي باتجاه الشمال الغربي نحو حقول الذهب حول فرجينيا، وخطط هذا الطريق في الفترة بين 1863-1865 وسارت فيه

[81] -Geoffrey C. Ward، 1996، ص 265.
[82] -Tony Boddington ، 1977، ص 121-126.
[83] -Geoffrey C. Ward، 1996، ص 185.

أول قافلة سنة 1863[84]، وكانت المشكلة في هذا الطريق أنه يخترق عمق أراضي الصيد حول نهر البارود والتي يعيش الهنود في شمال السهول على مواردها الحيوانية لاسيما جاموس البيسون، ولهذا صمموا على مقاومة فتح هذا الطريق، وفي نفس الوقت تضاعفت أهمية الذهب المكتشف آنذاك بإلحاح الحاجة إليه في بلد تستنزفه الحرب الأهلية وتطلع الحكومة إلى الازدهار الاقتصادي بعوائد هذا الذهب، وفي مارس / آذار من سنة 1865 أقر الكونجرس شق الطريق الذي اقترحه بوزمان وأطلق عليه اسم مكتشفه وأُرسلت حملة عسكرية لحراسة هذا الخط[85]، وقد قتل هنود من قبيلة الأقدام السوداء بوزمان وهو يرتاد طريقه في سنة 1867 [86].

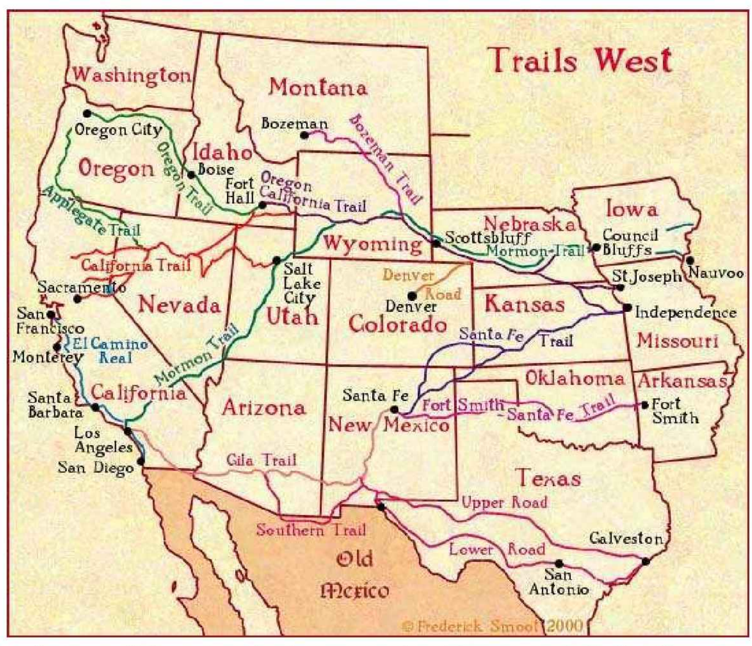
---

[84] -Howard R. Lamar، 1977، ص 118.
[85] -Charles M. Robinson III، 1996، ص 16.
[86] -Ralph K. Andrist، 1993، ص 105.



خريطة رقم (8): توضح اختراق طريق بوزمان لأراضي الهنود وتوزيع عشائرهم وأنهار المنطقة ومناجم الذهب وخطوط السكة الحديدية فيها وموقعها من جبال روكي[87]

[87] -Tony Boddington ، 1977، ص 141.



خريطة رقم (9) توضح مكان طريق بوزمان (فوق) نسبة إلى مساحة القارة الأمريكية[88]

كان طريق بوزمان جزءاً من أسباب عديدة تجمعت لتؤدي للصدام بين هنود السهول والولايات المتحدة، فهناك نكث معاهدة لارامي (1851) وما تبعه في معركة جراتان (1854) ومجزرة وادي الرماد (1855)، وهناك اكتشاف الذهب في كاليفورنيا (1849) وأوريغون (1851) وكولورادو (1858) وما تبع ذلك من عبور المهاجرين والتمدد الاستيطاني ونشوء المقاطعات حيث كان الهنود وحدهم لمدة قرون هم السكان

[88] - http://www.tngenweb.org/tnletters/usa-west.htm

الوحيدين[89]، وكانت ثورة "السو" الشرقيين وما لاقوه من جانب الرجل الأبيض في نفس العام الذي اكتشف فيه الذهب في مونتانا نذيراً بما ينتظر هنود السهول العظمى.

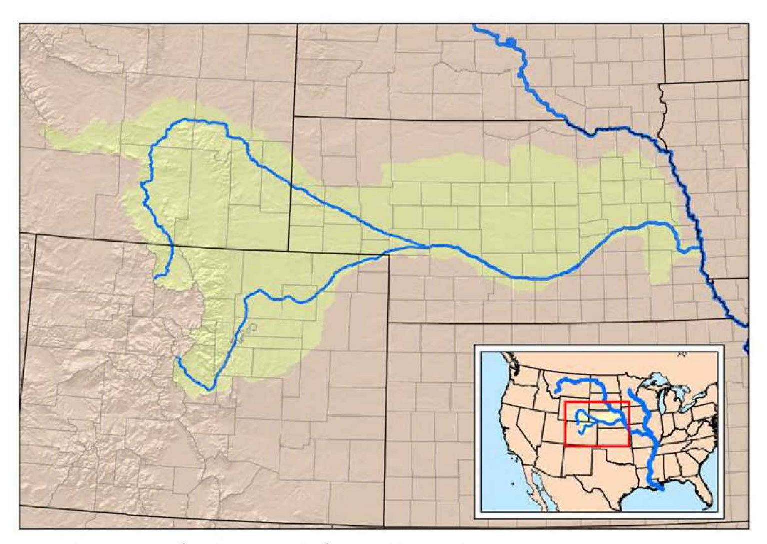
"الغيمة الحمراء" يصد غزاة نهر البارود

في ربيع سنة 1865 زاد عدد الجنود الذين يحرسون خطوط المواصلات على نهر البلات Platte River وصاروا ينتشرون شمالاً ويقتحمون منطقة نهر البارود Powder River مما أغضب السكان الأصليين المنتمين إلى قبيلة "السو" الغربية "لاكوتا" Lakota أو "تيتون" Teton ودفع زعيم فرع الأوغلالا "الغيمة الحمراء" Red Cloud إلى العمل على إجبار الأمريكيين على الالتزام بمعاهدة حصن لارامي 1851 التي تحظر على الجنود التجول في منطقة شمال نهر البلات دون إذن سكانها الهنود[90] (وبهذا يتبين أن برامج المعتدي لا تتوقف على موقف المعتدى عليه بل على الأطماع المستندة إلى القوة المجردة ومن هنا تظهر عبثية الموقف المتباكي على قرار تقسيم فلسطين والذي يلوم العرب لرفضه، ذلك أن الأطماع الصهيونية المستندة إلى الدعم الغربي كان لها برامجها الخاصة غير المتوقفة على موقف أهل فلسطين، ولو لم تكن هذه الأطماع موجودة لالتزم الصهاينة حدود التقسيم وما تعدوها في "حرب الاستقلال" سنة 1948).

---

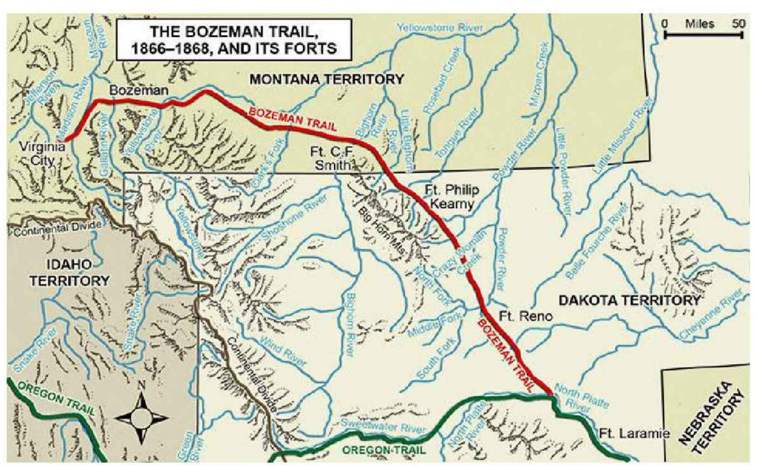
[89] -Edward Lazarus، 1999، ص 27.

[90] -دي براون، 1982، ص 76-78.



خريطة رقم (10) نهر البلات الذي بدأ الهجوم على أراضي قبيلة سو عند فرعه الشمالي في وايومنج[91]

[91] - http://commons.wikimedia.org/wiki/File:Platterivermap.png



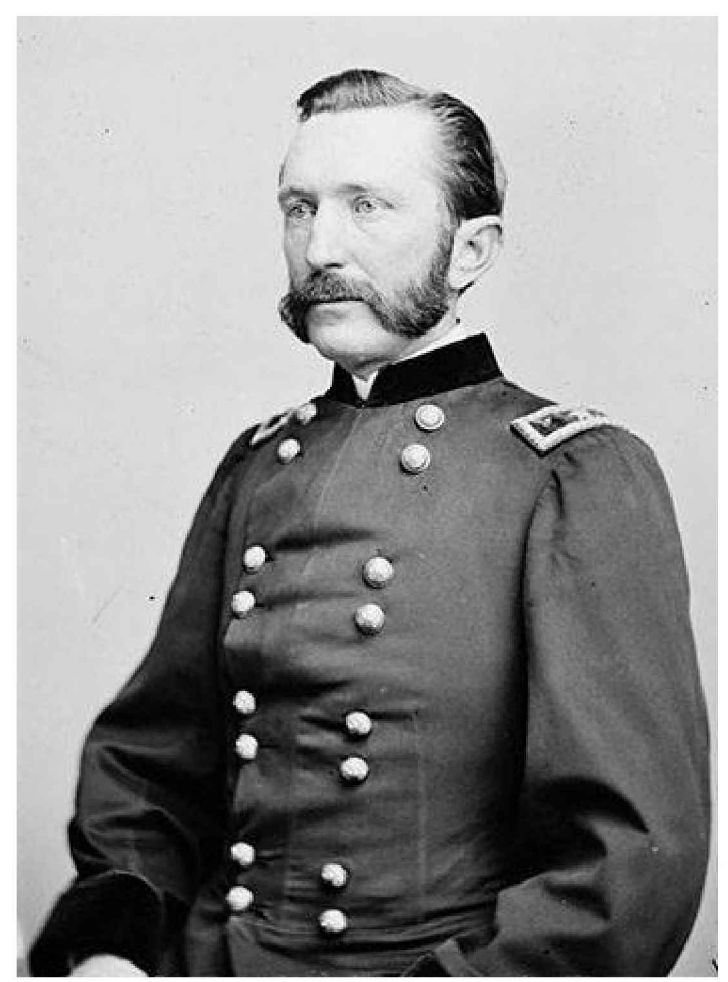
خريطة رقم (11) وهي خريطة أخرى وملونة لطريق بوزمان الذي يخترق حوض نهر البلات إلى نهر البارود حيث أراضي صيد الهنود التي اقتحمها الجنود[92]

وفي 24 يوليو/ تموز/ جويلية 1865 قاد "الغيمة الحمراء" زعيم السو، و"السكين المثلمة" Dull Knife زعيم قبيلة "الشايان" الشمالية، و"الأنف الروماني" Roman Nose زعيم قبيلة "الشايان" الجنوبية التي انضمت حديثاً إلى جاراتها الشمالية بعد مجزرة "نهير الرمل" Sand Creek التي ارتكبها الجنود الأمريكيون ضدها في كولورادو سنة 1864، قاد هؤلاء الزعماء جميعاً هجوماً على المركز العسكري عند جسر نهر بلات ومعهم ثلاثة آلاف محارب، ولمدة ثلاثة أيام وجه الهنود ضرباتهم إلى المركز وأوقعوا به خسائر مهمة ثم عادوا إلى نهر البارود.

[92] - http://www.wyohistory.org/encyclopedia/connor%E2%80%99s-powder-river-expedition-1865

وفي نفس الوقت عُين الجنرال باتريك كونور لقتال الهنود على امتداد نهر البلات، وأعلن في يوليو/ تموز/ جويلية أن الهنود شمال النهر "يجب اصطيادهم صيد الذئاب"[93]، وبهذا أظهرت الحكومة عزمها على تجاوز معاهدة لارامي لسنة 1851، وفي أوائل أغسطس/ آب/ أوت انطلقت ثلاثة طوابير من ثلاثة أماكن مختلفة لحصر الهنود بينها والإطباق عليهم: إذ انطلق طابور الكولونيل نيلسون كول من نبراسكا نحو التلال السوداء، وتحرك طابور الكولونيل صامويل ووكر من حصن لارامي بوايومنج نحو التلال السوداء أيضاً حيث قضت الخطة بأن يلتقي الطابوران هناك، أما طابور الجنرال كونر فيتحرك عبر طريق بوزمان حيث يحصر الهنود بينه وبين الطابورين السابقين في أوائل سبتمبر/ أيلول.

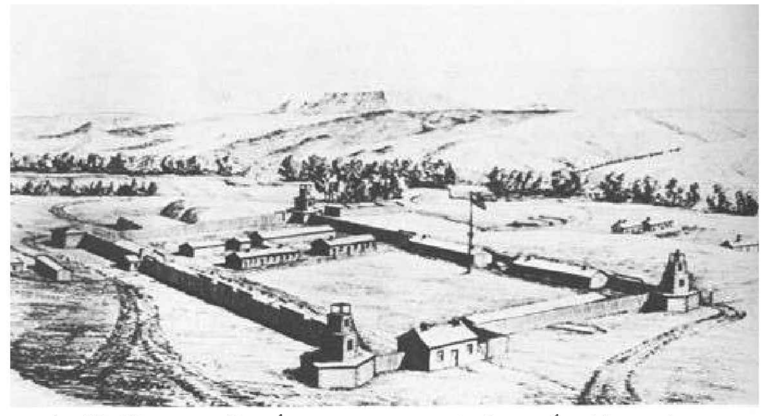
[93] -دي براون، 1982، ص 82.



الجنرال باتريك كونر قتل مئات الهنود في يوتاه سنة 1863 (أي أثناء الحرب من أجل "تحرير" الرقيق) فاحتفي به بصفته مدافعاً شجاعاً عن التخوم ضد العدو الأحمر[94]

94 -نفس المرجع، ص 82.

وفي طريقه بنى كونر بالقرب من أحد فروع نهر البارود حصناً سماه باسمه (وتغير الاسم فيما بعد إلى حصن رينو) (خرائط مرجعية أرقام 1 و3 و4 والخريطتان رقما 8 و11) وترك فيه سرية من الخيالة للحماية ثم غادره، وهاجم قرية لقبيلة "الأراباهو" في 29 أغسطس/ آب/ أوت وقتل أكثر من خمسين هندياً في "معركة" سميت معركة اللسان Tongue (خريطة مرجعية رقم 5) ثم توجه نحو نهر البرعم Rosebud للبحث عن مزيد من القرى الهندية.



حصن كونر الذي أصبح فيما بعد حصن رينو أحد الحصون الثلاثة على طريق بوزمان (ويكيبيديا)

وفي الوقت الذي كان يستعد فيه لمهاجمة قرية "الأراباهو" كان الطابوران الآخران ينتظرانه عند نهر البارود وقد أرسلا الكشافة إلى نهري اللسان والبرعم للبحث عنه ولكنه كان ما يزال في أقصى الجنوب مما أوقعهم في حيرة وقادهم إلى كارثة، فقد كان محاربو "السو" بالقرب منهم تحت قيادة "الثور الجالس" Sitting Bull الذي شهد ما فعله الجنود بأبناء

عمومته من "السو" الشرقيين "السانتي" فصمم على مقاومة الجيش بكل قوة، وقد نجح في توجيه ضربات موجعة وسريعة لجنود الطابورين بمساعدة محاربيه الأربعمائة وساعده في ذلك الحالة السيئة التي وصل الجنود إليها، فإضافة إلى كونهم ممن حاربوا في الحرب الأهلية وكانوا ينتظرون انتهاء خدمتهم مع انتهاء الحرب في ربيع ذلك العام (1865)، وذلك إلى درجة أن بعضهم لم يسر في الحملة ضد الهنود إلا تحت تهديد المدافع، فإن المؤن التي حملوها كانت قد شارفت على النفاد إلى حد أنهم أكلوا بعض بغالهم وانتشر بينهم مرض الاسقربوط وهزلت خيولهم من قلة العشب والماء مما جعلهم في النهاية يرجعون جنوباً بموازاة نهر البارود، ولكن الهنود استمروا في ملاحقتهم يضربون مؤخرتهم مرة، ويظهرون من أعلى التلال مرة أخرى، الأمر الذي بث الرعب في نفوس الجنود وجعلهم على حافة الجنون، وجاءت عاصفة من البرَد لتجعل الجنود يعيشون حالة الموت وهم أحياء، ولم تستطع جيادهم مقاومة ذلك الطقس وعجزت عن إكمال المسير فأطلق الجنود النار على تسعمائة منها فقتلوها ومشى أصحابها على أقدامهم.

وبعد قبيلة "السو" تلقفتهم قبيلة "الشايان" بقيادة "الأنف الروماني" وشاركت في الضغط عليهم حتى وصلوا إلى حالة اليأس، وفي نهاية سبتمبر / أيلول التقى كونر ببقايا الطابورين وعسكر الجميع حول حصن كونر إلى أن أتت الأوامر باستدعائهم.

وفي نفس الوقت الذي وقعت فيه هذه الاشتباكات كانت لجنة أمريكية رسمية جديدة تجوب قرى قبيلة "السو" في محاولة

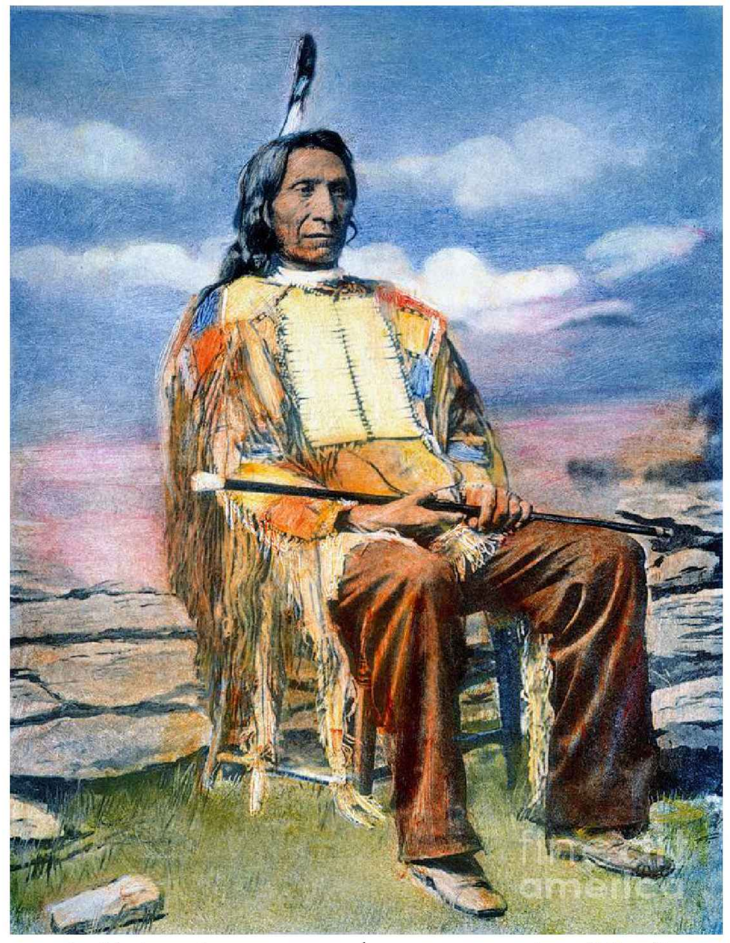
لإقناعها بتوقيع معاهدة تحصل الحكومة بموجبها على حق المرور وإنشاء الطرق في الأراضي الهندية.

في البداية لم يوقع أي من الزعماء الحربيين إذ كانوا مشغولين بمواجهة جنود كونر فقام المسئولون في المنطقة بمحاولات عديدة لإقناعهم بالقدوم للتفاهم، وفي النهاية وافق الزعماء لاسيما بعد فشل حملة كونر، وتحدد يوم 13 يونيو/ حزيران/ جوان 1866 لبدء المحادثات في حصن لارامي، ولكن في نفس اليوم المحدد لبدء المحادثات وصل الكولونيل هنري كارنجتون على رأس 700 من الجنود إلى نفس حصن لارامي وأعلن بصراحة أنه أُرسل لحراسة طريق بوزمان وبناء عدد من الحصون على طوله لحمايته وذلك بالرغم من أن الطريق يمر خلال أراضي الصيد التابعة للهنود والتي لم تبدأ بعد المحادثات بشأنها الأمر الذي أغضب الزعماء فقال "الغيمة الحمراء" إن لجنة السلام تعامل الزعماء كالأطفال: "لقد أرسل إلينا الأب الأعظم (أي الرئيس الأمريكي) هدايا وطلب إلينا أن نبيعه الطريق، ولكن قبل أن يقول الهنود نعم أو لا، يذهب "الزعيم الأبيض" مع الجنود ليسرقوا الطريق"[95] (وهذا الاحتقار الأبيض لمواقف السكان المحليين شهدناه في أكثر من موقع في بلادنا حيث كانت القيادة الأمريكية تحشر جنودها دون انتظار موافقة الزعماء العرب كما حدث في أزمة الخليج سنة 1990 حينما أبحر الجنود الأمريكيون إلى الجزيرة العربية قبل صدور الموافقة السعودية، وفي احتلال العراق سنة 2003 حينما لم يتمكن قادة الخليج من رفض تطفل الجيش الأمريكي المعتدي،

---

[95] -Benjamin Capps، 1981، ص 196.

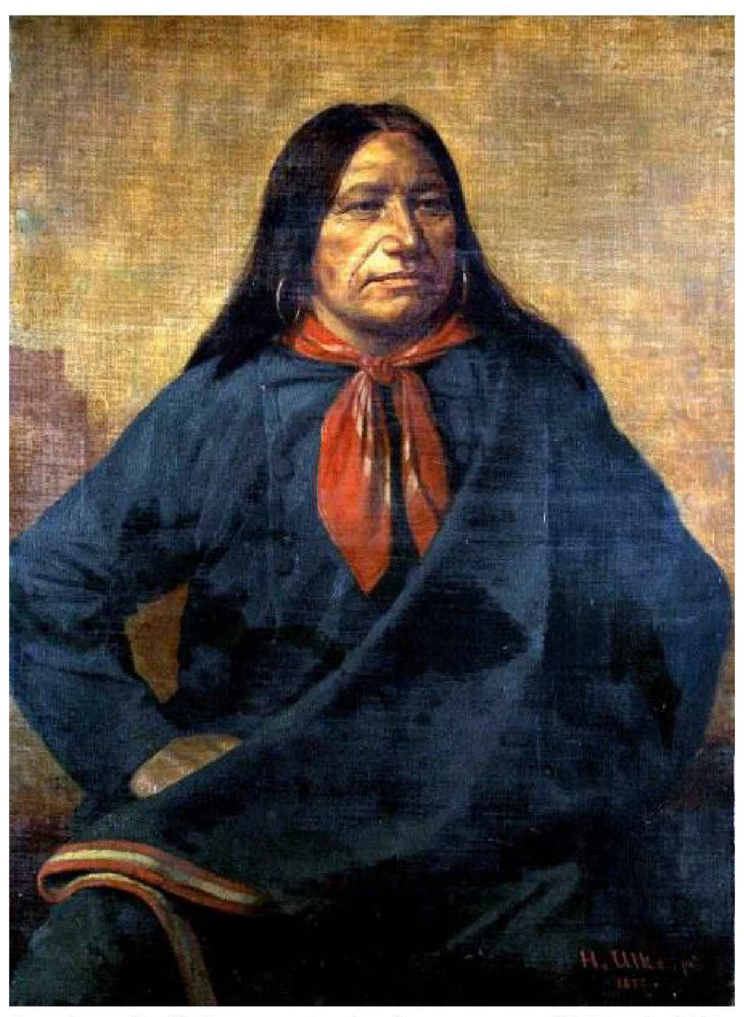
وسيكون موقف "الغيمة الحمراء" مناقضاً لمواقف الزعماء العرب المتخاذلين).



"الغيمة الحمراء" زعيم عشيرة أوغلالا Oglala من قبيلة "السو" الغربية[96]

[96] - http://fineartamerica.com/featured/red-cloud-1822-1909-granger.html

غادر معظم زعماء الهنود الحصن بغضب، وبقي "الذيل المرقط" Spotted Tail حيث وقّع على معاهدة تعطي الجنود الحق في فتح طريق عبر منطقة نهر البارود وإنشاء حصون على طوله، ولكن توقيع هذا الزعيم لم يكن ملزماً لعشيرته كلها والتي لم يسلم جميعها بزعامته، وذلك فضلاً عن أن يلزم بقية العشائر من "السو" وبقية القبائل.



"الذيل المرقط"[97] زعيم عشيرة البرول Brule من قبيلة "السو" الغربية، كان يفضل الطريق السلمي في التعامل مع البيض ولكن ذلك لم يؤد إلى إنقاذ قومه من الكارثة التي حلت بالجميع.

[97] - https://americangallery.files.wordpress.com/2012/05/spotted-tail.jpg

استمر فوج كارينجتون في التقدم شمالاً على طول طريق بوزمان، وتوقف في 13 يوليو/ تموز/ جويلية لبناء أول حصن ضمن مهمته وثاني حصن بعد الحصن الذي بناه كونر وهو حصن فيل كيرني (خرائط مرجعية أرقام 1 و3 و4 والخريطتان رقما 8 و11)، وكان الهنود يتبعون الجنود باستمرار لدراسة مدى قوتهم، وبعد أربعة أيام بدأت العمليات العسكرية لمحاربي "الغيمة الحمراء" بتوجيه ضربة لجنود كارينجتون، ومنذ ذلك اليوم أصبح السفر على طريق بوزمان محفوفاً بالمخاطر، وقد تعرضت معظم القوافل المدنية والعسكرية لهجمات وكمائن على طول الطريق.

انضم كثير من الهنود من عشائر "السو" وقبائل أخرى إلى حرب "الغيمة الحمراء" ضد الجيش الأمريكي، حتى من عشيرة "الذيل المرقط" الذين لم يرضوا باستسلام زعيمهم للأمريكيين، وقد حاول "الغيمة الحمراء" تجاوز الخلافات القديمة مع قبيلة الغراب Crow وقام بزيارتها في قراها عارضاً عليها تسوية لصراعات الماضي بإعادة أراضي صيد لها[98]، وقال لرجالها: "نريد مساعدتكم لتدمير البيض"، فردت القبيلة هذه الزيارات بزيارات مماثلة[99]، واستجاب "للغيمة الحمراء" بعض محاربيها[100].

وفي أغسطس/ آب/ أوت 1866 أرسل كارينجتون 150 جندياً لبناء حصن ثالث بعد حصني كونر وفيل كيرني، وذلك

---

[98] -Robert W. Larson، 1997، ص 94.

[99] -George E. Hyde، 1975، ص 145.

[100] -دي براون، 1982، ص 103.

إلى الشمال وأُطلق عليه حصن سميث (الخريطتان المرجعيتان 3 و4 وخريطة 11).

ومع بداية شتاء 1866-1867 عسكر الهنود على في مكان يمكن منه تركيز الهجمات على حصن فيل كيرني وقاموا بمهاجمة المجموعة التي تخرج منه يومياً لجمع الخشب من الغابات التي تبعد عنه أميالاً قليلة، أما الضربة الموجعة فقد وقعت في 21 ديسمبر / كانون الأول عندما تظاهر عشرة من الهنود بقيادة "الحصان المجنون" Crazy Horse من قبيلة "السو" وعشيرة "الأوغلالا" التي ينتمي إليها الزعيم الأكبر "الغيمة الحمراء"، بالهجوم على قافلة الخشب، وكالعادة، أمر كارينجتون الكابتن جيمس باول بالتوجه لمساعدتهم، ولكن الكابتن وليام فترمان طالب بقيادة عملية الإنقاذ.



وصف الزعيم "الحصان المجنون" (1841 أو 1842-1877) بكونه أعظم محاربي قبيلة "سو"، ولكن ليس له صورة مؤكدة، هذه صورة ظنية، كما أن الترجمة الحقيقية لاسمه هي "حصانه مجنون"

فترمان هذا كان قد وصل إلى الحصن قبل شهر، وبرز كمنتقد لاذع لحالة الحصن ولتعرض قافلة الخشب للغارات المستمرة، واتهم كارينجتون بالخوف والجبن وقلة الخبرة وكان يدعو دائماً لعقاب سريع للهنود، وردد باستمرار أنه بثمانين رجلاً فقط يمكنه اختراق قبيلة "السو" كلها وتحطيمها، وهو

نموذج سبق أن قابلناه في الليفتينانت جون جراتان الذي قاده تهوره المشابه إلى حتفه سنة 1854، وسنشاهد نموذجاً آخر في الجنرال جورج أرمسترونج كاستر الذي سيذهب أيضاً ضحية هذا المفهوم الاستشراقي-الاستئصالي عن ضعف السكان الأصليين وجبنهم، وسيودي به تهوره إلى الانتحار كذلك، ومن سخرية القدر بصاحبنا فترمان أنه عندما توجه لنجدة قافلة الخشب تجمع تحت إمرته ثمانين رجلاً بالتمام بعد أن اكتمل عددهم في آخر لحظة قبل مغادرتهم الحصن، وقد أعطاه كارينجتون أوامر صارمة بألا يجتاز حداً معيناً في مطاردة الهنود[101].

تمكن "الحصان المجنون" ورفاقه لما وصل فترمان ساحة المعركة من خداعه بإيهامه بأنهم يهربون منه وذلك ليقع في فخ مطاردتهم ويسوقه غروره الأبيض وأحلامه النابليونية للاستمرار في المطاردة إلى ما وراء الحد الذي عينه رئيسه كارينجتون فأطبق عليه الفخ وانقض عليه ألفان من الهنود وسحقوه مع بقية جنوده الذين لم يبق منهم واحد على قيد الحياة (الخرائط المرجعية أرقام 1 و 3 و4 و5)، أما خسائر الهنود فتختلف المصادر فيها إذ يقول بعضها إنها كانت 14 محارباً من "السو" و"الشايان" و"الأراباهو"[102]، تقول مصادر أخرى إنه كانت 200 قتيل وجريح[103]، وتقول ثالثة إنها كانت 160 من القتلى و 200 من الجرحى، ولكن المراجع لا تختلف في كونها

---

[101] -Benjamin Capps، 1981، ص 196.
-David Nevin، 1981، ص 136-137.
[102] -George E. Hyde، 1975، ص 149.
[103] -دي براون، 1982، ص 106.

معركة حامية استمرت 40 دقيقة وذكر أن الهنود أطلقوا فيها ألف سهم في الدقيقة[104]، ولا أدري إن كان فترمان قد اكتشف زيف رؤيته الاستشراقية قبل مقتله وعلم أن قبيلة "السو" تحتاج أكثر من ثمانين رجلاً لهزيمتها أم أن سلاح الهنود لم يمهله لإدراك ذلك حين دفعه لاستعجال الموت والانتحار، والغريب أن التاريخ الأمريكي والغربي مازال يصر على أن هذه المعركة "مجزرة"[105] تعرض لها الجيش الأمريكي رغم أنه هو الجانب المعتدي على أرض الهنود.

---

[104] -David Nevin، 1981، ص 140-142.

[105] -Francis Paul Prucha، 1995، ص 487 و489.

-Robert Utley، 2002، ص 105.

-Benjamin Capps، 1981، ص 195 و197.

-Howard R. Lamar، 1998، ص 362.

-Robert W. Frazer، 1972، ص 181.

-Frank Humphris، 1973، ص 22.



الكابتن وليام فترمان حمل أفكاراً استشراقية-استئصالية عن ضعف السكان الأصليين وجبنهم فكان أن قادته أوهامه إلى حتفه كما فعلت مع غيره من المغامرين الأمريكيين، وما زال الغرب مقتنعاً بأسطورة طرزان الأبيض أو رامبو الذي يمكنه قهر الطبيعة والمتوحشين وحده كما يمكنه الخروج سليماً من تحت الركام، والإصدارات الفنية التي تدور حول هذا الموضوع لا تعد ولا تحصى

كانت معركة فترمان نصراً لصالح الهنود بلا شك، سماها الهنود "معركة القتلى المائة" وسماها البيض "مذبحة فترمان"، وقد تركت أثراً عميقاً في نفسية الكولونيل كارينجتون المسئول عن حصن فيل كيرني حيث جرت وقائعها، وكانت فرصة لاتهام الهنود بالهمجية والوحشية الوثنية رغم أن الجنود الأمريكيين هم الذين اقتحموا الأراضي الهندية وهاجموها ورغم أن كل التمثيل الذي قام به مقاتلو الهنود بجثث الجنود سبق أن ارتكبه جنود "المحرر العظيم" أبراهام لنكولن في مجزرة "نهير الرمل" ضد هنود "الشايان" قبل ذلك بسنتين فقط (1864)[106]، ولكن "الحضارة" دائماً جاهزة بغطرسة قوتها لتوزيع تهم الهمجية والدموية على من يقف في طريقها في نفس الوقت الذي ترتكب هي أفظع مما تتهم به خصومها (تماماً مثل الإرهاب الصهيوني في أيامنا هذه).

وانطلقت الدعوة من قائد الجيش في قطاع الميسوري وليام تكومسيه شيرمان لجنوده بضرورة إبادة جميع الهنود رجالاً ونساء وأطفالاً[107] وإلى قتل عشرة هنود مقابل كل قتيل أبيض[108](كما يدعو الصهاينة اليوم بعد عمليات المقاومة)، ولكن قلة موارد الجيش المكرسة آنذاك للجنوب، والحاجة إلى تهدئة الهنود وعدم تدخلهم في إنشاء السكة الحديدية العابرة للقارة، والصراع بين المصلحين الإنسانيين وأصحاب التوجهات المتشددة، كل ذلك أدى إلى لجم تطلعات شيرمان الإبادية[109]،

---

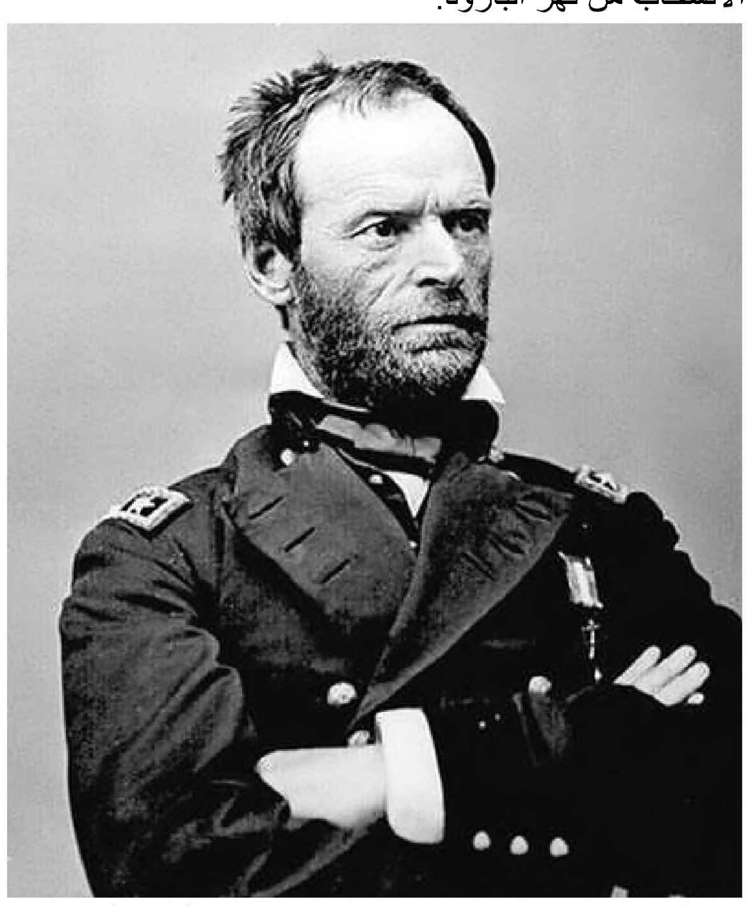
[106] -دي براون، 1982، ص 106.

[107] -Robert M. Utley، 2002، ص 105.

[108] -Robert W. Larson، 1997، ص 102.

[109] -Jeffrey Ostler، 2010، ص 58-59.

وأرسلت لجنة لإقناع "الغيمة الحمراء" بالتخلي عن أراضي الصيد في منطقة نهر البارود والاستقرار في محمية، ولكنه أرسل للأمريكيين مبعوثاً ليخبرهم أنه لا حديث عن السلام قبل الانسحاب من نهر البارود.



الجنرال وليام تكومسيه شيرمان قائد بارز في الحرب الأهلية الأمريكية قاد اجتياح جورجيا وإحراقها ثم أراد ممارسة سياسة الإبادة ضد الهنود الحمر رغم الادعاء بأن الحرب الأهلية كانت من أجل الحرية.

استأنف "الغيمة الحمراء" غاراته على القوافل العابرة في طريق بوزمان واستطاع محاربوه تدمير القطار الذي أنشأته حديثاً في تلك المنطقة شركة الباسيفيك الاتحادية، وفي أغسطس/ آب/ أوت 1867 هاجم محاربو "الشايان" ثلاثين جندياً تابعين لحصن سميث في حقل القش Hayfield الذي يبعد عنه ميلين (خريطة مرجعية رقم 5) ولكنهم لم يتمكنوا من الانتصار عليهم بسبب نوع جديد من البنادق كان الجنود مسلحين به، وفي نفس الوقت هاجم مقاتلو "السو" قافلة خشب مكونة من 32 رجلاً وتابعة لحصن فيل كيرني ولكنهم لم يتمكنوا من الانتصار عليهم أيضاً لنفس السبب إذ كان الجنود مسلحين بنوع جديد من البنادق لا يحتاج وقتاً لتعبئته ويسمى بالبنادق التكرارية في حين أن خطة الهنود اعتمدت على انتظار الوقت الذي تفرغ فيه بنادق الجنود ليعيدوا الهجوم عليهم أثناء إعادة تعبئتها.

سميت هذه المعركة "معركة صندوق العربة" Wagon Box (الخريطة المرجعية رقم 5) لأن رجال القافلة احتموا بصناديق العربات الحديدية[110]، واشتط الخيال الأمريكي في تصويرها، فادعى الضابط المسئول مقتل ستين هندياً، وحدد مؤرخ رقماً خيالياً "دقيقاً" وهو 1137 قتيلاً، ثم وصل الرقم إلى 1500، وصور بعضهم أرض المعركة وهي مغطاة بجثث الهنود من جميع الجهات، كل ذلك على الرغم من أن عدد المقاتلين في معركتي القش والعربات معاً لم يصل ألف محارب، وكانت إصابات الهنود في معركة العربات ستة قتلى وستة جرحى في أقل التقديرات وهي أقل من خسائر البيض أنفسهم[111]

---

[110] -Bill Yenne، 1986، ص 156.

[111] -George E. Hyde، 1975، ص 159-160.

وحتى تقديرات الجيش الذي اشترك في المعركة وصلت إلى 60 قتيلاً و 120 جريحاً من الهنود[112] (وذلك الخيال الأمريكي الذي عد ما يزيد عن الألف قتيل هو نفس الخيال الذي تكرر في أفلام هوليوود فيما بعد بشأن مواجهات فيتنام والشرق العربي).

وبعد هذه المعركة اقتنعت السياسة الأمريكية أن "الغيمة الحمراء" ليس مجرد قائد عصابة من الساخطين الخارجين عن إجماع القبيلة[113] (كما تقتضي الرؤية "الحريصة" على نشر الديمقراطية !) أو لا أهمية له كما ادعى أبرز مفاوضيه (هكذا دائماً ينتقص "أنصار السلام" في الكيانات الاستيطانية من أهمية دور المقاومة لأنها تعترض على رؤيتهم للسكان الأصليين بصفتهم مجموعة من المستسلمين الخانعين الذين يستحقون الشفقة والإحسان)، وأكدت هذه المعركة حجم المقاومة التي يتزعمها هذا الزعيم الذي ينضوي تحت لوائه آلاف المحاربين، مما يجعل الخيار أمام الحكومة بين الوصول إلى سلام بشروط الهنود أو اكتساح بلادهم بسيل من الجنود في حرب باهظة النفقات[114].

أرسلت واشنطن لجنة سلام جديدة في سبتمبر / أيلول برئاسة قائد قطاع الميسوري الجنرال وليام شيرمان لإقناع الهنود بالتخلي عن الصيد، والعيش في محمية بعيدة على نهر الميسوري، فأكدت هذه الاقتراحات المظلمة "للغيمة الحمراء" أن عليه الإصرار على شرطه الرئيس بعدم الدخول في

-دي براون، 1982، ص 109.

112 -Ralph K. Andrist، 1993، ص 131.

113 -Edward Lazarus، 1999، ص 37.

114 -George E. Hyde، 1975، ص 160.

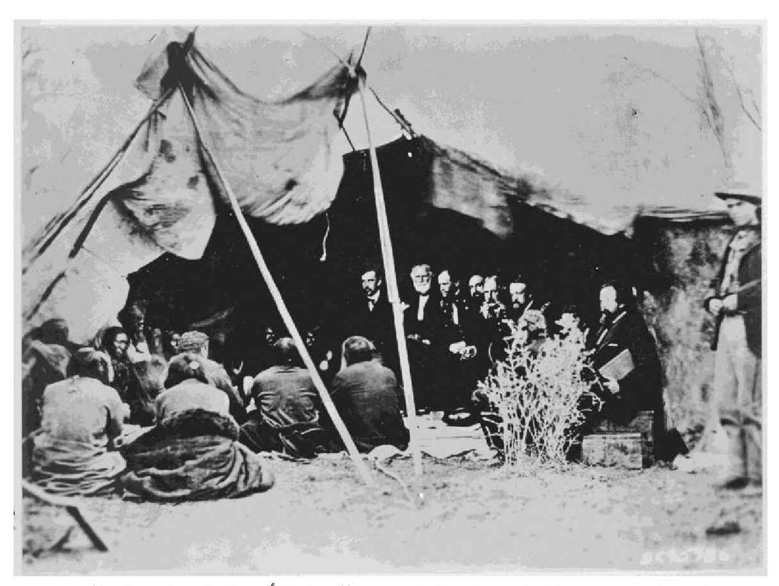
مباحثات سلمية قبل الانسحاب الأمريكي من منطقة نهر البارود، فلم يجتمع باللجنة التي عادت أدراجها إلى واشنطن ولكنها لم تلبث أن رجعت إلى الهنود مرة ثانية في ربيع 1868 فجوبهت بالموقف الصلب نفسه: "نحن في الجبال نراقب الجنود والحصون، حين نرى الجنود يبتعدون والحصون تُهجر، سأنزل وأتفاوض"[115] (لعل هذا الموقف يشبه الموقف العربي بعد حرب 1967 حين اعلن أنه لا صلح ولا اعتراف ولا مفاوضات قبل الانسحاب من الأراضي العربية المحتلة).

وإزاء تمسك "الغيمة الحمراء" بموقفه لم تجد وزارة الحرب في النهاية سوى الرضوخ لمطالبه، فأصدرت أمراً بالانسحاب من نهر البارود، فانسحب الجنود في 29 يوليو/ تموز/ جويلية 1868 من حصن سميث (الخريطة رقم 11) والذي سارع محاربو الزعيم الهندي بإحراقه وتدميره في اليوم التالي، وبعد شهر تم إخلاء حصن فيل كيرني الذي دمره محاربو "الشايان" وأحرقوه، وبعد ذلك بأيام غادر آخر الجنود آخر الحصون وهو حصن كونر (رينو).

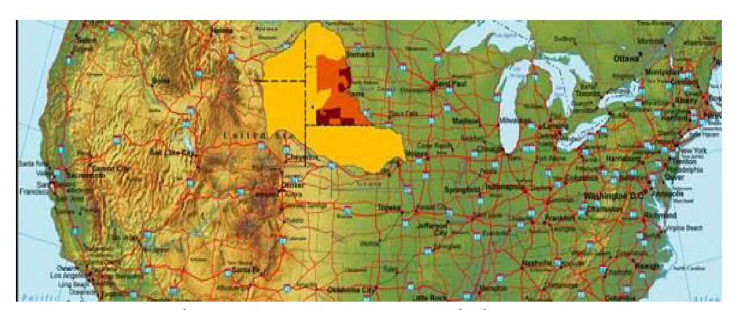
وفي 6 نوفمبر/ تشرين الثاني وصل "الغيمة الحمراء" إلى حصن لارامي لعقد معاهدة "سلام" جديدة عرفت باسم معاهدة لارامي 1868، وتضمنت بنودها موافقة الهنود على تخصيص محمية واسعة لهم تضم أراضي صيدهم في منطقة نهر البارود وسيكون لهم مركز تجاري يمكنهم التجارة فيه والحصول منه على المساعدات التي وعدتهم بها الحكومة، وبالإضافة إلى ذلك سيتم إغلاق طريق بوزمان الذي كان سبباً في وقوع الحرب.

---

[115] -دي براون، 1982، ص 112.



اجتماع حصن لارامي 1868 بين اللجنة الأمريكية وزعماء الهنود



خريطة رقم (12)-أ: أراضي قبيلة "سو" الغربية أو لاكوتا
وفقاً لمعاهدة لارامي 1868 [116] واستمرار تضاؤلها
إلى أن وصلت إلى البقع البنية اليوم

116 - http://www.russellmeansfreedom.com/tag/treaty-of-fort-laramie-1868/



خريطة رقم (12)-ب[117]: الفرق بين "المحمية الكبرى" و"الأراضي غير المتنازل عنها" و"أراضي الصيد" في معاهدة 1868 والتي يلاحظ أنها منحت "السو" أراض أكبر مما منحته لهم معاهدة 1851 والتي كانت مساحة الأرض الممنوحة لهم فيها ما يوازي مساحة ولاية أوريغون الحالية في غرب أمريكا[118]، وكانت الولايات المتحدة تضمر الاستيلاء على ما عدا المحمية الكبرى عندما تضمر أعداد الجواميس وتنتهي عملية الصيد وهو ما كان الإعداد له على قدم وساق بإفناء الجواميس.

ورغم إقرار المؤرخين أن "الغيمة الحمراء" هو الزعيم الأول والوحيد الذي انتصر على الولايات المتحدة في حربه ضدها وأجبرها على الرضوخ لمطالبه[119]، وأن ما حققه هو

117 - http://ngm.nationalgeographic.com/2012/08/pine-ridge/reservation-map

118 -Jeffrey Ostler، 2010، ص 41.

119 -Jon Manchip White، 1979، ص 233.

-Robert W. Larson، 1997، ص 117.

-Tony Boddington، 1977، ص 144.

أفضل ما تم تحقيقه على أيدي السكان الأصليين حتى ذلك الوقت منذ زمن بعيد[120]، ففي تقدير بعض المؤرخين إن النصر الذي حققه لم يكن ممكناً إلا بأسباب تعلقت بقرار الحكومة الأمريكية نفسها التراجع أمامه بإرادتها في ذلك الوقت[121]، وذلك لتراجع أهمية الصراع على مطالبه في سلم أولويات الحكومة الأمريكية التي كان لها اهتمامات غير بلاده وتوفر لها خيارات أخرى تغنيها عما كان يصر على الحصول عليه، فاهتمام الحكومة الاتحادية بالسيطرة على الجنوب المهزوم في الحرب الأهلية جعل من حماية خطوط المواصلات في شمال السهول العظمى عبئاً غير مرغوب فيه في ذلك الوقت، كما أن تقدم سكة الحديد فتح طرقاً أخرى إلى حقول الذهب في مونتانا، وأصبحت الحماية مطلوبة في جنوب وايومنج وليس شمالاً[122]، وكان هدف الحكومة الرئيس هو إبعاد الهنود عن مشاريع سكك الحديد[123].

ولكن عند التفكير بالأمر من زاوية أخرى نجد أن انسحاب الحكومة من أراضي الهنود لم يكن ممكناً كذلك دون مقاومتهم، إذ هل ستتبرع بترك أراض وقعت يدها عليها لو كانت آمنة هناك حتى مع توفر خيارات أخرى نحو حقول الذهب؟ وعندما يكون الجو آمناً في هذه الأراضي فلن تؤلف حمايتها عبئاً

-Willam K. Powers، 1989، ص 112.

[120] -Paula Mitchell Marks، 1998، ص 189.

[121] -Edward Lazarus، 1999، ص 51.

[122] -Robert W. Larson، 1997، ص 117-118.

-John D. McDermott، 1998، ص 157.

-Robert M. Utley، 2002، ص 118.

[123] -Edgar I. Stewart، 1987، ص 48.

اقتصادياً على حكومة مشغولة بإعادة السيطرة على الجنوب ومن ثم لم يكن من الممكن عقد معاهدة لارامي 1868 [124]، والتي مازالت المطالبة بتطبيقها تحيي الأمل في نفوس السكان الأصليين بالحصول على حقوقهم إلى هذا اليوم، ولو اتبع زعماء المقاومة سياسة الاستسلام التي انتهجها زعماء آخرون لدُفن هذا الأمل الحي منذ ذلك الوقت ولأصبحت السيطرة الأمريكية على أراضي "السو" شرعية وقانونية، ولهذا لا مفر من الاعتراف بدور المقاومة في تحقيق هذا النصر حتى مع توفر خيارات أمريكية أخرى[125] (وهذه هي فائدة عدم منح صك الاعتراف للمستعمِرين مهما طال الزمن ولهذا يتحرق المحتلون دائماً للحصول على اعتراف صاحب الحق مهما كان موقفه ضعيفاً، ولعل ذلك يعطينا درساً عن أهمية رفض سكان فلسطين لمشروع التقسيم 1947 في حينه مما جعل قيام الكيان الصهيوني إلى اليوم على أسس غير ثابتة قانونياً وأخلاقياً خلافاً لما يظنه المستسلمون والمنهزمون).

ولسنا في طور الرد على كل المحاولات الانتقاصية التي زخر بها التأريخ الأمريكي ضد الانتصار الهندي لولا أن ذلك تكرر فيما بعد عند مواجهة عمليات المقاومة من مختلف الشعوب المعتدى عليها، ومما قيل عن انتصار "الغيمة الحمراء" إن الحكومة الأمريكية كانت قادرة على مسح الهنود من المنطقة لولا تأثرها بتقرير لجنة تحقيق أرسلتها فقررت أنه لا حق أمريكياً في مد خطوط مواصلات داخل الأراضي الهندية وفقاً للمعاهدات السابقة، وادعى هؤلاء المؤرخون بفوقية بيضاء

[124] -Jeffrey Ostler، 2010، ص 58.
[125] -Paula Mitchell Marks، 1998، ص 188.

معهودة إنه لم يكن هناك معاهدات سارية (وكأن عدم وجود معاهدات يبرر اقتحام أراضي الآخرين وسلبهم) وذلك لأن معاهدة لارامي كانت قد انتهت مدتها أما معاهدة 1865 التي وقعها المسالمون "كالذيل المرقط" فلم يوقعها المقاومون[126] (استمر هذا الادعاء المتغطرس في القرن العشرين حين قال أنصار الاستعمار بأن استقلال المستعمرات تم "بكرم" من السادة المستعمِرين وليس بثورات المستعمَرين[127]).

الغريب أن يصدر كلام بهذه الغطرسة عن ماض أصبح في ذمة التاريخ ومع ذلك يحرص مؤرخ بارز على تبرير مظالم دولته فيه، فمن الذي ألغى معاهدة لارامي التي عقدت من أجل سلام "دائم" بين الطرفين؟ إن المدة المخصصة لدفع المساعدات للهنود وفقها وهي عشر سنوات لم تكن مدة المعاهدة بل مدة المساعدات الموعودة وهي مدة لم تكن في الصيغة الأصلية التي وافق الهنود عليها وهي خمسون عاماً، بل إن مؤرخاً منصفاً يصف هذه التعديلات اللاحقة التي طُلب إلى الهنود الالتزام بها، بعدما ظنوا أن الاتفاق نهائي، بأنها جعلت المستقبل محبطاً حين ظل الأمريكيون يمارسون لعبة التعديل اللاحق بعد إبرام اتفاقات نهائية[128]، وسيطرح "الغيمة الحمراء" هذا الموضوع ضمن شكاواه من السياسة الأمريكية بعد إلقائه سلاحه بسنتين (1870)[129]، ولا يمكن القول إن معاهدة 1851 انتهت وإلا فإن كل ما بنته الولايات المتحدة بناء على بنودها، من طرق

126- George E. Hyde، 1975، ص 161.

127- صوفي بيسيس، 2002، ص 130.

128- Jeffrey Ostler، 2010، ص 41.

129- Robert W. Larson، 1997، ص 141.

وحصون، عليها سحبه والتخلي عنه وهو كلام لم يقل أحد به ولم تلتزم به الحكومة الأمريكية وكان ساسة ذلك العصر الذين حققوا في الأمر أدرى بهذه الحقائق من مؤرخين محدثين يدعون اكتشاف ثغرات كان ماضيهم أحوج إليها ومع ذلك لم يرها أحد فيه لأنها غير موجودة أصلاً، فالمعاهدة سارية وإذا كان هناك من نقضها فهو الجانب الأمريكي عندما اعتدى على الهنود في معركة جراتان (1854) وما تبعها من انتقام الجيش الوحشي في مجزرة وادي الرماد (1855) وعند اكتشاف الذهب في كولورادو جنوباً (1858-1859).

وما يمكن قوله في هذا الموضوع بصفته تحفظاً على هذا الانتصار هو أن قبول الهنود بالعيش في محمية أدى إلى فقدانهم الاستقلال التقليدي الذي وسم حياتهم في الماضي، وهو ما جعل بعض زعماء المقاومة الصاعدين يرفضون الالتزام بمعاهدة لارامي التي لم يوقعوا عليها، أما "الغيمة الحمراء" فقد تحول إلى مفاوض سياسي يعتمد مركزه على الأمريكيين بعدما كان مقاوماً مسلحاً، وستشهد سيرته المقبلة زيارات عديدة إلى واشنطن لحل المشاكل التي ترتبت على توقيعه معاهدة السلام مع الولايات المتحدة والتي تضمنت بنوداً مبهمة وخادعة (شهد تاريخ القضية الفلسطينية وضعاً مشابهاً لزعامات مقاومة بعد التزامها الطريق السلمي مع الولايات المتحدة والكيان الصهيوني).

وقد جاء في معاهدة لارامي:"من هذا اليوم فصاعداً ستتوقف كافة الأعمال الحربية بين فريقي هذه الاتفاقية وإلى الأبد، إن حكومة الولايات المتحدة راغبة في السلام وتقسم هنا بشرفها

على المحافظة عليه...."[130]، ولكن الأحداث التي تلت في غضون سنوات قليلة أثبتت أن كمية الشرف لدى هذه الحكومة كانت غير كافية لضمان الالتزام بتعهداتها، وقد اتضح ذلك منذ البداية عندما تبين أنه لمرة أخرى، استخدم الأمريكيون الخدعة التقليدية بإفهام الهنود شيئاً آخر غير المدون في نص المعاهدة، إلى درجة أن "الغيمة الحمراء" فوجئ لما سمع الترجمة الأمينة لهذا النص لأول مرة في مايو/ أيار/ ماي 1870 وقال:"هذه أول مرة أسمع فيها عن مثل هذه المعاهدة، لم أسمع بها قط من قبل ولا أنوي الالتزام بها"[131].

ومن ضمن الاختلافات بين ما اتفق عليه وما دوّنه نص المعاهدة أن "الغيمة الحمراء" اشترط على أعضاء اللجنة بأن يكون المركز التجاري لقومه في حصن لارامي حيث تم التوقيع على المعاهدة، ووافقت اللجنة على ذلك، ولكنه اكتشف لما ذهب أول مرة بعد المعاهدة للتجارة والحصول على المساعدات في ربيع 1869 أن المركز التجاري يقع في حصن راندال على نهر الميسوري (الخريطتان المرجعيتان رقما 1 و2) والذي يبعد عن الموقع المتفق عليه أكثر من ثلاثمائة ميل، ومع أن قائد الحصن سمح لهم في ذلك العام بالمتاجرة، خوفاً من عددهم الكبير الذي بلغ الألف، فإنه أبلغ "الغيمة الحمراء" بوجوب الانتقال إلى الموقع المحدد في الموسم القادم، ولم يُسمح لزعيم عشيرة البرول المسالم "الذيل المرقط" بالتجارة في نفس العام، فاستجاب مرة أخرى لمطالب الحكومة وقاد قومه نحو الموقع

[130] -دي براون، 1982، ص 112.
-Edward Lazarus، 1999، ص 439.
[131] -دي براون، 1982، ص 143.

المحدد على نهر الميسوري حيث أصبح "أولادهم يموتون كالخراف، فالمنطقة لا تؤاتيهم"، كما عبر عن حالهم "الغيمة الحمراء" فيما بعد[132].

كما أن المساعدات التي وعدتهم الحكومة بإرسالها لم تف لهم بها، قال "الذيل المرقط" بعد توقيع المعاهدة بتسع سنوات:"لم يتم الوفاء بهذه الوعود...لقد ثبت أن الكلمات كلها كانت مزيفة...كانت هناك معاهدة وقعها الجنرال شيرمان....وقد قال لنا حينها إننا سنحصل وفق بنود المعاهدة على دفعات سنوية وعلى بضائع لمدة خمس وثلاثين سنة، قال هذا لنا ولكنه لم يكن يقول الحقيقة"[133]، وحتى ما كان يصل من هذه المساعدات كان الهنود هم أقل من يحصل على حصة منها، وفي ذلك قال "الغيمة الحمراء":"وحين ترسلون لنا المؤن فإنها تُسرق على طول الطريق بحيث أنها حين تصلني تكون عبارة عن حفنة فقط، يعطونني ورقة لأوقعها، وهذا هو كل ما أحصل عليه لقاء أرضي، أعرف أن الأشخاص الذين ترسلونهم إلى هناك كاذبون"[134] (فهل يسمع دعاة بيع فلسطين اليوم ليعلموا نوع الثمن الذي سيقبضونه؟).

وفي صيف 1870 زار "الغيمة الحمراء" و"الذيل المرقط" وزعماء آخرون العاصمة الأمريكية واشنطن بدعوة من مفوض الشئون الهندية، الهندي دونهوغاوا (أو إيلي باركر حسب اسمه الأمريكي)، وهناك عرضوا شكاواهم على الرئيس يوليسيس

---

[132] -نفس المرجع، ص 142.

[133] -نفس المرجع، ص 113.

[134] -نفس المرجع، ص 142.

وعن سرقة المؤن أثناء الطريق:

-Willam K. Powers، 1989، ص 114.

غرانت والحكومة التي خرجت من مأزقها بالتفسيرات المرنة جداً لنصوص المعاهدة التي كتبتها من جانب واحد وفوجئ الهنود بما تتضمنه، ولم يفتها أيضاً محاولة إبهار الزعماء الهنود بقوتها حين رتبت لهم زيارات للكونجرس والبيت الأبيض وحوض بناء السفن[135]، وفي هذه الزيارة لجأ "الغيمة الحمراء" إلى مخاطبة الرأي العام محاولاً نفي تهمة "الإرهاب" عن قومه بقوله في جمع في نيويورك:"أنتم لا تسمعون عنا إلا مع وصفنا بالقتلة واللصوص، نحن لسنا كذلك، لو كان لدينا مزيد من الأرض لتخلينا عنه، ولكن لم يعد لدينا مزيد، لقد تم حشرنا في جزيرة صغيرة جداً"[136].

وقد عاد "الغيمة الحمراء" إلى موطنه غرباً وقد أحرز انتصاراً في عملية السلام بعدما تراجعت الحكومة عن الأكاذيب والالتواء، وركز جهوده بعد عودته على المحافظة على "السلام" الذي تم التوصل إليه أخيراً وجمع كثيراً من الزعماء للاتفاق على مكان الوكالة والمركز التجاري الذي يريده بدلاً من حصن راندال على نهر الميسوري، وحضر الاجتماع في حصن لارامي عدد من زعماء "السو" و"الشايان" و"الأراباهو"، ولكن سيثبت على المدى البعيد عقم كل الاتفاقات مع الأمريكيين، ورفض بعض زعماء المقاومة الصاعدين "عملية السلام" برمتها، وقال "الثور الجالس" في ذلك: "لقد سحر البيض عيني "الغيمة الحمراء" حتى يرى كل شيء كما يريدون"[137] (كم

---

[135] -Robert M. Utley، 2002، ص 148.
[136] -Paula Mitchell Marks، 1998، ص 189.
[137] -دي براون، 1982، ص 145.

زعيماً عربياً سحر البيض عينيه بعد ذلك ليرى الأشياء كما يريدون؟؟).

حاولت الحكومة وضع الوكالة في مكان يبعد عن نهر البلات (خريطة رقم 10) بأربعين ميلاً، ولكن "الغيمة الحمراء" رفض ذلك وانطلق إلى منطقة نهر البارود ليقضي فيها شتاء 1870-1871، ثم سُمح له بالاستقرار مدة في وكالة مؤقتة تبعد 32 ميلاً عن حصن لارامي على نهر البلات، وفي عام 1873 نقلت الوكالة إلى النهر الأبيض شمال غرب نبراسكا حيث تأسس إلى جنبها معسكر روبنسون (خريطتان مرجعيتان 1 و2)[138] ثم نقلت مرة أخرى إلى نهر الميسوري سنة 1877 أكثر من مائة ميل إلى الشرق[139] لتنتقل في السنة التالية إلى النهر الأبيض حيث استقر أمرها في داكوتا الجنوبية باسم وكالة سلسلة جبال الصنوبر[140].

وفي الفترة التي تلت توقيع معاهدة لارامي 1868 أصبح هم "الغيمة الحمراء" هو تحديد مكان الوكالة الحكومية التي سيتلقى قومه منها المساعدات بعدما أصبحوا معتمدين عليها، وقد حسب أحد المؤرخين عدد مرات انتقال وكالة "الغيمة الحمراء" فوجدها ثلاث مرات، أما "الذيل المرقط" فانتقلت وكالته خمس مرات[141]، وفي هذا دلالة على دوامات الحلول السياسية التي يتيه الداخل فيها بين شد وجذب على أمور ثانوية، ولم يعد أمام "الغيمة الحمراء" من وسيلة مقاومة سوى تقديم الشكاوى

---

[138] -نفس المرجع، ص 145.

[139] -George E. Hyde، 1993، ص 19.

[140] - http://en.wikipedia.org/wiki/Red_Cloud

[141] -George E. Hyde، 1993، ص 19.

والتعامل مع لجان التحقيق، وسيصبح "الانتصار" هو الحصول على مكان ملائم للوكالة الحكومية أو تعيين وكيل جيد، أي مجرد تحسين ظروف المعيشة في إطار السياسة الاستعمارية (كتضاؤل القضية الفلسطينية بعد إلقاء السلاح من إزالة الاحتلال إلى الانسحاب من كسور عشرية ودفع رواتب والحصول على أموال الضرائب وفتح المعابر والكهرباء وغير ذلك من هموم يومية).

وتضاءلت اهتمامات "الغيمة الحمراء" مع الزمن فأصبحت همومه الشخصية مقدمة على قضايا قومه كما سنرى في أزمة التلال السوداء سنة 1875، وصار نشاطه السياسي اليومي محصوراً في الصراع مع وكلاء الحكومة الفاسدين والمتسلطين للحصول على شروط حياة أفضل لقومه بما تسمح به قدراته القليلة بعد إلقاء سلاحه، ورغم محاولته القيام ببعض الأدوار السياسية لصالح قومه والقبائل الأخرى، فإنه سيجد دوره السياسي الثوري مرفوضاً لدى القطاع الذي اعتاد حياة الاستسلام في الوكالات من قومه ولا يرغب في المشاكل مع الحكومة[142]، وبهذا صار الزعيم بين رفض المستسلمين والمقاومين معاً، كما أنه واجه محاولات التهميش والإذلال والعزل من قبل الحكومة الأمريكية حتى وصل الأمر إلى إهانته أمام قومه ثم حبسه في السجن بسبب خلافه مع الوكيل الحكومي في أرض الهنود والذي يناظر المندوب السامي في بلادنا (مثل مصير زعامات ثورية نزعت سلاحها في تاريخ فلسطين)، وسيحرص "الغيمة الحمراء" على بقائه زعيماً لقومه ولكن هذه

142 -نفس المرجع، ص 223.

المرة ليس بانتخاب منهم بل بدعم من الرجل الأبيض الذي أصبح هو المهيمن على السياسة الهندية، وستشهد سنواته الأخيرة إذلال قومه له وقيامهم بخطفه وإجباره على المشاركة في نشاطاتهم المقاومة (1890)، وعندما تحل الكارثة بهم سيكون اهتمام الزعيم منصباً على خسائره الشخصية ويطالب الحكومة الأمريكية بتعويضات عن أملاكه المسلوبة مستنداً إلى إثبات براءته من "العنف" وكونه مسالماً (أي غير إرهابي بالمصطلح المعاصر)، وبالفعل يحصل على بعض الأموال منها[143].

وبهذا يتبين أن المقاوم عندما يلقي سلاحه يصبح لعبة بأيدي أعدائه الذين يحتفظون بقوتهم وتصبح المفاوضات هي ورقته الوحيدة ومن ثم يصبح الحج إلى مراكز القرار المعادية هي الوسيلة التي ينتهجها للحصول على المكاسب، ولكن هيهات مع عدو لا يفهم سوى لغة القوة (هل يذكرنا هذا الوضع بمن ألقى سلاحه في تاريخ المقاومة الفلسطينية وأصبح "السلام" هو خياره الاستراتيجي؟).

---

[143] -معلومات الفقرتين السابقتين ملخصة من : Robert W. Larson، 1997 وGeorge E. Hyde، 1993.

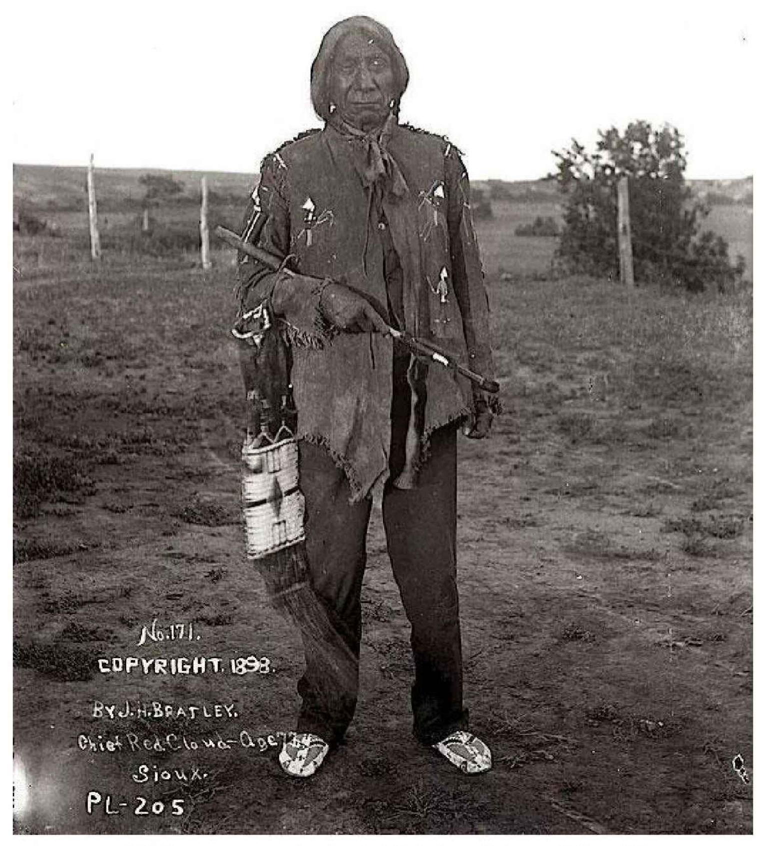




لقطتان أثناء بعض زيارات "الغيمة الحمراء" العديدة للعاصمة الأمريكية حيث كانت الحكومة الأمريكية ترغب في التأثير على زعماء الهنود ودفعهم للانبهار بقوتها[144] بواسطة الجولات على المرافق الهامة

[144] - Edgar I. Stewart، 1987، ص 54.

في العاصمة كمبنى الكونغرس والترسانة والأسطول وغير ذلك ولكنها لم تكن تحظى دائماً بالنتيجة المرجوة[145]، ورغم الخلافات التي كانت تحتدم بين الزعماء الهنود أنفسهم، فإن بعضهم لم يكن يؤثر إطلاع الأمريكيين على ذلك[146] (خلافاً للزعماء العرب الذين يتبارون بإظهار خلافاتهم أمام الأغراب).



"الغيمة الحمراء" سنة 1898: الحال يغني عن المقال

[145] -Robert W. Larson، 1997، ص 131.
-Jeffrey Ostler، 2010، ص 72.
[146] -Robert W. Larson، 1997، ص 130.

وخلاصة الأمر أن معاهدة لارامي لسنة 1851 هي البداية الرسمية للاختراق الأمريكي لمنطقة السهول العظمى، ولكن كما سبق الشرح في الجزء الأول من الكتاب لم تلتزم الحكومة ببنود اتفاقها مع القبائل الهندية المجتمعة في هذه المناسبة، ثم اجتمعت المظالم التي اشتكى منها هنود "السو" الشرقيون وقمع ثورتهم في مينيسوتا (1862) مع مجزرة "نهير الرمل" ضد قبيلة "الشايان" الجنوبية في كولورادو (1864) مع اكتشاف الذهب في مونتانا واختراق المستوطنين والمنقبين والجنود لأراضي "السو" الغربيين، جميع هذه الحوادث وقع معظمها في زمن "المحرر العظيم" أبراهام لنكولن، وأدت إلى إثارة حرب "الغيمة الحمراء" (1866-1868) والتي انتهت بمعاهدة جديدة في حصن لارامي.

إن معاهدة لارامي لسنة 1868 كانت انتصاراً ظاهرياً "للغيمة الحمراء" وأدى جوهرها إلى إتمام المراد من معاهدة 1851 في نفس المكان (حصن لارامي) والتي كانت البداية الرسمية لاختراق البيض منطقة السهول العظمى، إذ أدت معاهدة 1868 إلى التخلي عن الاستقلال الهندي وقبول السكان الأصليين بحدود أضيق من تلك التي فرضت عليهم سنة 1851 (كالحدود التي فرضها الاستعمار على العرب بعد زوال الخلافة الإسلامية) وصار البيض الآن يحيطون بهم بعدما كان المطلوب مجرد عبورهم، وإذا كانت هذه الحدود الأولية واسعة وتحتوي ما يكفي لممارسة الصيد فإنها ستكون مرحلة انتقالية نحو مزيد من الانكماش[147] لاسيما بعد زوال حقوق الصيد بفناء

[147] George E. Hyde، 1975، ص 169.

الجواميس، المهم أنها رسخت فكرة الحدود ولهذا رفضها الزعماء المقاومون وأتباعهم، وتحول "الغيمة الحمراء" إلى مفاوض سياسي يعتمد مركزه على الأمريكيين ودعمهم بعدما كان مقاوماً يستمد شرعيته من قاعدته الشعبية، وكان الإبهام الذي شاب المعاهدة عن مكان الوكالة التي ستوزع المساعدات على الهنود منها نذيراً بقدرة الرجل الأبيض على التلاعب بشركائه وعدم الوفاء بالتزامات تجاههم ولهذا انتقلت الوكالة من حصن لارامي إلى نهر الميسوري إلى النهر الأبيض.

ولم تكن منطقة حقوق الصيد التي لم يتنازل عنها الهنود إقراراً من البيض بحقهم الأبدي في ممارسة طريقة حياتهم كما يشاءون، إذ نصت المعاهدة على حق الهنود في الصيد مادامت هناك أعداد كافية من الجواميس تبرر ذلك[148]، وعندما نتذكر أن المجزرة الكبرى ضد هذه الجواميس كانت آنذاك قائمة على قدم وساق بهدف استئصالها لعلمنا أن تسليم البيض بحقوق الصيد الهندية كان مؤقتاً جداً ومع ذلك لم يصبر البيض حتى فترة فناء البيسون وأشعلوا الحرب ضد الهنود بعد اكتشاف الذهب في أراضيهم كما سيأتي، وسيتبين للتاريخ زيف الادعاءات الحضارية التي زعمها الرجل الأبيض حين لم يقدم للهنود أي بديل قابل للحياة بعد تنازلهم أو اضطرارهم للتنازل عن طريقة معيشتهم، وسيظل وضعهم إلى اليوم شاهداً على حقيقة مجتمع التعددية الذي ادعى البيض التوصل إليه ومع ذلك مازال يضيق بأصحاب الحق الأصليين سواء كانوا منسجمين مع الواقع الجديد أو مطالبين بالعودة إلى أصولهم التي يدعي البيض أن

---

[148] -Edward Lazarus، 1999، ص 446-447.

مجتمع القرن التاسع عشر لم يكن يقبلها، فهل قبلها مجتمع القرن العشرين وما تلاه؟

ولكن ذلك الخط السلمي الذي انتهجه "الغيمة الحمراء" منذ توقيعه معاهدة حصن لارامي سنة 1868 لم يعجب كثيراً من قومه الذين بدءوا ينفضون من حوله ويتخلون عن زعامته التي تعرضت للهزات في نفس الوقت الذي بدأت فيه أسماء جديدة تلمع في سماء السهول لزعماء رفضوا الاستسلام أمام التوسع الاستيطاني في أرضهم وآثروا مقاومة أعدائهم على القبول بحياة التسول على فتات غاصب أرضهم في المحميات، ومن هؤلاء: "الحصان المجنون" Crazy Horse، و "مرارة" Gall، و"مطر في الوجه" Rain in the Face، وغيرهم[149]، ولكن واحداً من هؤلاء لمع اسمه كالبدر بين النجوم، وقبله الجميع بصفة الزعيم الأكبر، وتعلقت به قلوب الهنود لا بين أفراد عشيرته أو قبيلته فقط، بل بين أهالي شمال السهول العظمى جميعهم حيث برز بينهم كرمز للصمود وروح الوحدة التي جمعت بينهم في وقفتهم الأخيرة دفاعاً عن أرضهم وحريتهم ومقدساتهم وطريقتهم في الحياة، هذا الزعيم هو "الثور الجالس" Sitting Bull.

[149] - Frank Humphris، 1976، ص 6.

"الثور الجالس" بطل المقاومة الهندية للاستعمار الأمريكي في شمال السهول العظمى (1875-1890)



"الثور الجالس" من رسم لورنا بولوس Lorna Poulos[150]

150 - http://poulosstudios.com/sitting%20bull.htm

من الميلاد إلى الزعامة

ولد "الثور الجالس" على ضفاف "النهر العظيم" Grand River أحد فروع الميسوري في ولاية داكوتا الجنوبية في بداية أو وسط الثلاثينيات (1831-1834) من القرن التاسع عشر، وهو ينتمي لفرع الهنكبابا Hunkpapa (وهي كلمة تعني اتحاداً من المجموعات[151]) من قبيلة "السو" الغربية (التيتون أو لاكوتا)، والده هو "العائد مرة أخرى" Returns Again وكان من روحانيي القبيلة الذين لهم القدرة على فهم لغة الحيوان والكلام معه، وقد أتى اسم "الثور الجالس" في ليلة كان والده مع بعض رفاقه متحلقين حول النار حين سمعوا همهمة ثور قريب منهم، وقد فهم "العائد مرة أخرى" أن الثور يردد أربعة أسماء: الثور الجالس، الثور القافز، الثور الواقف مع بقرة، الثور الوحيد، وهي أسماء تشير إلى مراحل عمر الثور من الطفولة مروراً بالشباب والنضج وصولاً إلى كبر العمر.

أطلق "العائد مرة أخرى" على ولده في البداية اسم "بطيء" Slow استناداً إلى بعض ما بدا منه من تصرفات في طفولته، وقد شارك "بطيء" في سن مبكرة في حروب قبيلته، ولعل أولاها تلك الغارة التي قام بها عشرون من الهنكبابا على مخيم لقبيلة "الغراب" Crow، العدو التقليدي، للاستيلاء على جيادهم، ولم تكن مشاركة "بطيء" في الغارة لنفس السبب بل للقيام بنوع من أنواع الشجاعة وهو لمس العدو بعصا خاصة للحصول على شرف خاص، وبالفعل قام "بطيء" بالمهمة وعاد

[151] - Jerome A. Greene، 1994، ص 42.

بعدها ليفتخر أبوه به ويسميه منذ ذلك اليوم "الثور الجالس" رغم أنه اتخذ هذا الاسم لنفسه في البداية إلا أنه تركه بعدما منحه لابنه المحبوب.

شارك "الثور الجالس" في اشتباكات أخرى مع قبيلة "الغراب" وأصيب في أحدها إصابة جعلته يعرج بقية حياته، ومع ذلك فقد برزت شجاعته بوضوح بين محاربي قومه مما جعله يتزعم المحاربين الأقوياء في القبيلة وهو في أواسط العشرينيات من عمره (1857) فضلاً عن تزعم عشيرته الهنكبابا نفسها، ولاحظ أقرانه أنه يشبه الثور في عدة صفات كالعناد وانعدام الخوف والتشبث بالرأي وعدم القابلية للاستسلام، فقد كان الجاموس في عواصف الشتاء لا يتراجع كالأبقار المستأنسة بل يمضي قدماً كأنه يستمتع بالمقاومة، وعندما يبدأ السير في اتجاه ما، لا يمكن لأحد أن يصده، ويقول أحد مؤرخي حياة "الثور الجالس" إنه عند التأمل في حياة هذا الزعيم وما أبداه من تحمل وشجاعة ومثابرة وقوة يتضح أن دروس الجاموس أثمرت ولم تخطئه، وإلى جانب هذه الصفات المتعلقة بالشجاعة، عُرف "الثور الجالس" باللطف والسخاء والتواضع وبقدرته على التنبؤ بالحوادث مما جعله ذا مكانة في قومه مبجلاً حيثما ذُكر[152].

وفي أربعينيات وخمسينيات القرن التاسع عشر اشتعلت أعمال العنف بين البيض وهنود لاكوتا الجنوبيين نتيجة عبور

---

[152] -Stanley Vestal، 1980، ص 3-19.
-Robert M. Utley، 1994، ص 14-37.
-Benjamin Cappss، 1982، ص 195-197.
-Jason Hook، 1986، ص 8-10.

المهاجرين أرضهم في طريقهم إلى كاليفورنيا وأوريغون واستقرار بعض المستوطنين في أراضي "السو"، وقد أدى ذلك إلى إفساد المراعي وإفزاع قطعان الجاموس، في البداية تأمل "الثور الجالس" المشهد قائلاً:"لا أفهم لماذا يترك الرجل الأبيض أرضه ويغزو أرضنا، لا بد أنها أرض سيئة وقليلة الصيد، وإذا كان يأتي إلى هنا لمجرد الصيد والمتاجرة سنرحب به (كما رحب الهنود دائماً بطلائع الهجرة من أوروبا)، ولكني أخشى أن يأتي لسرقة أراضي صيدنا، إذا كان محتاجاً وأتى بسلام دعوه يشاركنا صيدنا، فهناك ما يكفي من الجواميس لإطعام العالم كله"[153] (وسيندم الهنود على هذا الترحاب كما ندم من قبلهم)، واشترك في أعمال العنف بعض العشائر إلا أن عشيرة "الثور الجالس" الهنكبابا لم يكن لها دور لأن الأحداث آنذاك كانت بعيدة عنها[154]، إلا أنه اتخذ موقف المقاومة الصارم في اجتماع القبيلة سنة 1857 ودعا، إلى جانب "الغيمة الحمراء"، إلى التصدي للمد الاستيطاني الأمريكي بإجراءات حاسمة خلافاً "للذيل المرقط" الذي نحا نحو المهادنة[155].

وبعد ثورة "السو" الشرقيين "السانتي"، في 1862، تحرك كل من الجنرال ألفرد سالي والجنرال هنري سيبلي نحو الغرب لإخضاع "السو" الغربيين بعد الفراغ من الشرقيين، فاشترك "الثور الجالس" في اشتباكات مع جنود سيبلي في صيف سنة 1863 كما شارك في الدفاع عن أحد المخيمات التي هاجمها سالي في 28 يوليو/ تموز/ جويلية 1864 في جبل الزقزاق

---

[153] -Mark Diedrich، 1998، ص 63.

[154] -Howard R. Lamar، 1977، ص 1119.

[155] -Jeffrey Ostler، 2010، ص 47.

Killdeer Mountain، وفي الشهر التالي اشتبك مع الجنود في "الأراضي الرديئة" Badlands حيث خاطب الزعيم كشافة الجنود من الهنود المتعاونين مع الأمريكيين موبخاً بقوله:"لا عمل لكم مع الجنود، إن الهنود هنا لا يقاتلون البيض، فلماذا يأتي البيض هنا لقتال الهنود؟ علينا الآن أن نقتلكم وستموتون عطشاً"[156]، ولما علم "السو" بمجزرة نهير الرمل في نوفمبر/ تشرين الثاني 1864 ضد حلفائهم "الشايان" أدى ذلك إلى إثارتهم، ثم قاد "الثور الجالس" حصاراً حول حصن رايس Rice في صيف 1865، ولما حاول الجنرال سالي جمع الهنود من أجل "السلام" خاطب الزعيم قبيلته بالقول:" إن قبيلة لاكوتا (السو الغربيين) وقبيلة "الشايان" يقاتلون البيض الآن على نهر البلات (الخريطة رقم 10)، وفي هذا اليوم يعبر الجنود أراضي صيدنا من الجنوب على نهر البارود، إن (الجنرال) سالي يريد ببساطة أن يجمعنا كلنا في حصن رايس ويقضي علينا، تمهلوا ولا تستعجلوا وخذوا وقتكم (في التفكير)"[157]، وشارك بعد ذلك في التصدي لحملة كونر عندما قام محاربوه بملاحقة طابوري ووكر وكول وإنهاكهما في سبتمبر / أيلول 1865.

في البداية لم يؤيد "الثور الجالس" الحرب التي شنها "السو" الشرقيون على الرجل الأبيض، وقال:"لقد أخطأ إخواننا، لم يكن عليهم شن الحرب على الرجل الأبيض، إن لديه كثيراً مما نحتاجه: البنادق والملابس والسكاكين، علينا أن نكون أصدقاء له، أنا لا أشن الحرب عليه رغم أنني أخشى هداياه ولا أصغي

---

[156] -Mark Diedrich، 1998، ص 67.

[157] -نفس المرجع، ص 67.

إلى وعوده، وأعتقد أنه سيتم طردنا"[158]، وهو ما يدل على بدايات الحذر من البيض عنده والذي تدرج إلى العداوة فيما بعد.

وبالفعل جاء توغل الجيش الأمريكي في أراضي "السو" الغربيين "لاكوتا" بعد القضاء على ثورة "السو" الشرقيين "داكوتا"، وبعدما أصبح تسعة أعشار الشرقيين بين الموت والاعتقال، وكان ذلك التوغل لقلة التمييز بين أقسام الهنود من جهة، وذلك نتيجة عدم الرغبة في هذا التمييز أكثر من عدم القدرة على ذلك، لاسيما بعدما وجد الشرقيون ملجأ لهم بين إخوتهم الغربيين الذين وجدوا أنفسهم في خضم حرب لم يشعلوها نتيجة قيامهم بإيواء إخوتهم فثاروا لنصرتهم، ومنهم عشيرة "الثور الجالس" الرافض للهيمنة البيضاء، ولكن من جهة أخرى استهدف الجيش أيضاً تمهيد طريق لمناجم الذهب المكتشف حديثاً قرب مدينة فرجينيا في مونتانا ولهذا وجد محاربو "السو" الغربيين تدخلهم لنصرة إخوتهم دفاعاً عن أنفسهم أيضاً ضد من يحاولون اختراق أراضي صيدهم حول نهر البارود، وقد أدت هذه الثورة إلى قيام الجيش بمعاقبة الجميع حتى المسالمين دون تمييز[159] (وذلك مثل قيام الاستعمار في كل زمان ومكان بمعاقبة السكان الأصليين دون تمييز نتيجة عمليات المقاومة الشرعية ضده وقد شاهدنا هذه المشاهد في فترة الانتداب البريطاني في فلسطين لاسيما أثناء ثورة 1936 ثم بعد ذلك أثناء الاحتلال الصهيوني)، وقد استمرت حرب "الثور الجالس" على تطفل الجيش على بلاده وبنائه الحصون

---

[158] -نفس المرجع، ص 65.

[159] -Edward Lazarus، 1999، ص 28.

-Edgar I. Stewart، 1987، ص 20.

في المنطقة لمدة خمس سنوات[160]، وامتدت من حصن رايس Rice 1865 لتشمل حصون بافورد Buford و ستيفنسون Stevenson و توتن Totten (الخريطة المرجعية رقم 2) في 1866-1867 ثم انتهت فجأة في 1870[161].

وقد لاحظ "الثور الجالس" من عمليات الاشتباك الأولى مع الغزاة البيض الفروق بين قتال الهندي وقتال الرجل الأبيض، لاسيما أن هدف المقاتل الهندي كان إبراز شجاعته وخاصة بلمس عدوه حياً، أما الرجل الأبيض فهدفه هو القتل الذي كان هدفاً ثانوياً عند الهندي، وقد قال الزعيم في ذلك:"إن الجنود البيض لا يعرفون كيف يقاتلون، وهم ليسوا نشطاء، إذ يقفون في أماكنهم جامدين أو يركضون في خط مستقيم، مما يجعل من السهل استهدافهم، وهم لا يحاولون إنقاذ أنفسهم، كما أنهم يبدون بلا قلوب، فعندما يُقتل الهندي، يشعر زملاؤه الهنود بالأسف ويبكون، وأحياناً يوقفون القتال، ولكن عندما يُقتل الجندي الأبيض، لا يبكي أحد، ولا يهتم أحد، ويستمرون في إطلاق النار ويدعونه مسجى، وأحياناً يغادرون المكان ويتركون جرحاهم خلفهم"[162].

ومع أن "الثور الجالس" وعشيرته الهنكبابا كانوا أثناء حرب "الغيمة الحمراء" في الشمال حول نهر الصخرة الصفراء Yellowstone (الخريطة المرجعية رقم 5) فقد اشتركوا في بدايتها سنة 1866، ولكنه كان أيضاً مشغولاً بالحرب على تطفل البيض على أرضه كما سبق ذكره، فقد شن الغارات على

---

[160] -Frederick E. Hoxie، 1996، ص 594.
[161] -Robert M. Utley، 1994، ص 91.
[162] -Mark Diedrich، 1998، ص 66.

حصن رايس في سنة 1866 ثم على حصن بافورد Buford معلناً أنه سيمحوه من على وجه الأرض في يوم قريب، وبجوار حصن الاتحاد Union في سنة 1867 قال لأحد التجار البيض:"لقد قتلت وسلبت وجرحت من البيض ما يكفي ليجعلني لا أؤمن بالسلام معهم، إنهم لهم تأثير السحر الرديء، وسأموت أنا في النهاية موتاً طويلاً، وأفضل أن يكون موتي في أرض المعركة أو بتمزيق جسدي بالرصاص، وهناك شيء آخر يدفعني للبعد عن هؤلاء القوم الذين يحملون الماء على الأكتاف ويسحبون السماد"، ثم خاطب مجموعة من الحضور الهنود بأن عليهم ألا يقيموا قريباً من البيض، ليصبحوا فقراء كالأفاعي ولا يأكلون سوى اللحم والبسكويت (الرديء الذي تقدمه الحكومة)، وأنه من الأفضل أن يفعلوا ما يفعل هو داخل أراضي الصيد حيث يأكل اللحم الوفير، وإذا أرادوا جياداً جيدة أن يسرقوها من الحصون: "أنظروا إليّ، هل أنا فقير أو قومي كذلك؟ ربما سيتمكن مني البيض في النهاية كما تقولون ولكني سأكون قد مررت بأوقات سعيدة حتى ذلك الحين، إنكم أغبياء إذ تجعلوا أنفسكم عبيداً لقطعة من اللحم وبعض البسكويت وقليل من السكر والقهوة"[163].

ويصف شاهد عيان أن مخيم "الثور الجالس" كان أكبر من أي مخيم هندي سبق له رؤيته، وأن أتباعه كانوا من السعادة والثراء والوفرة ما افتقده الهنود المسالمون الفقراء والمتسكعون حول الوكالات الحكومية طلباً للمساعدات الأمريكية[164]، وقد تم اختيار "الثور الجالس" زعيماً للفصائل المقاومة في سنة

---

[163] -نفس المرجع، ص 68.

[164] -George E. Hyde، 1975، ص 153.

1867-1868 ووصاه من نصبوه بأن يجعل خالق الكون في تفكيره دائماً وأن يحرص على رعاية الفقراء، وأعلن هو أنه سيظل مرابطاً في طريق حصن توتن-حصن ستيفنسون (الخريطة المرجعية رقم 2) لإزعاج البيض، وقد أصبح الجنرال ألفرد تيري فيما بعد يعدد لرؤسائه في الجيش أفعال "الثور الجالس" الكثيرة في الوقت الذي انتقده المسالمون لإصراره على السير في طريق الحرب[165] (كما هو حال المقاومين مع "المعتدلين" في تاريخ قضايانا).

ولما وافق "الغيمة الحمراء" على التوقيع على معاهدة حصن لارامي ومعه عدد من زعماء "السو" في سنة 1868 توجه المبشر اليسوعي الأب بيير جان دي سميت إلى مخيم "الثور الجالس" على نهر البارود محاولاً إقناعه بالتوقيع على المعاهدة، ولكن الزعيم رد عليه بأن هذه المعاهدة ستؤدي إلى تقييد حرية الهنود مهما بالغت في بيع الكلام: "أتمنى أن يعلم الجميع أنني لا أنوي بيع أي جزء من أرضي، ولن أسمح للبيض بقطع الأشجار على طول النهر، لاسيما البلوط، إنني مغرم بمجاميع البلوط الصغيرة، أحب أن أنظر إليها لأنها تتحمل العواصف الشتوية وحرارة الصيف، وإنها مثلنا تنمو وتزدهر بهما معاً"[166]، وقال أيضاً إنه لن يسمح بسرقة قومه وإنهم يستطيعون الاعتماد على أنفسهم[167]، وهو مستعد للسلام ولكن بهذه الشروط التي يعلمها الجميع وهي عدم تنازله عن أرضه وتوقف البيض عن قطع أشجاره ووجوب إخلاء الحصون التي بنيت في أرض قومه،

---

165 -Mark Diedrich، 1998، ص 68.

166 -Benjamin Capps، 1982، ص 197.

167 -Jason Hook، 1986، ص 11.

ورفض الذهاب بنفسه للمباحثات وأرسل مندوباً عنه هو الزعيم "مرارة" Gall وأوصاه ألا يتسلم هدية من البيض وأن يطالب برحيل الجنود وسحب السفن من الأنهار[168].

ويبدو من هذه الحادثة التلازم بين دعوة التبشير وسياسة الاستعمار، ورغم أن الأب دي سميت يسوعي كاثوليكي فإنه كان يمهد السبيل لسياسة حكومة تفصل بين الدين والسياسة ويغلب عليها الطابع البروتستانتي، وحتى لو كان الأب مخلصاً في دعوته لتجنيب الهنود مواجهات غير متكافئة فإن ذلك يؤكد لنا أن سبيل الإنسانية في مجتمع المنفعة ليس الوقوف إلى جانب صاحب الحق بل إقناعه بالتنازل لصالح تيار الظلم الكاسح لتجنيبه خسارة المزيد في ظن القائل مع أن النهاية أثبتت أن الضحية لم تستفد شيئاً من هذا الرأي ودفعت فاتورة التوسع كاملة.

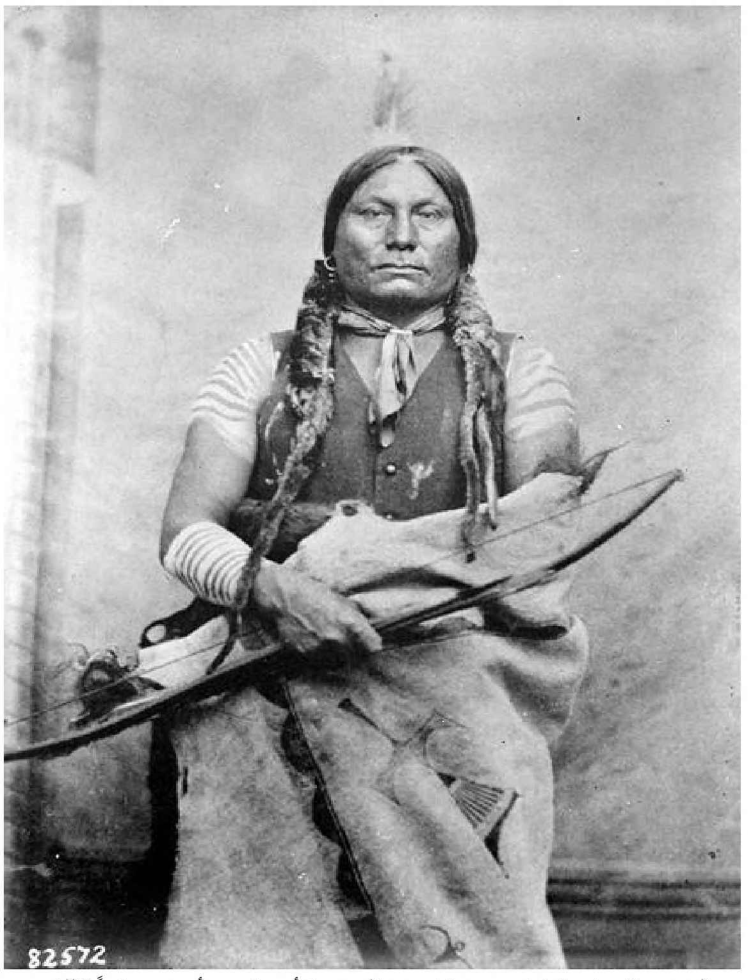
خاطب "مرارة" البيض بقوله:"لقد ولدنا عراة، وتعلمنا أن نصيد ونعيش على الصيد، تقولون لنا إن علينا أن نتعلم الزراعة وأن نعيش في بيت واحد، ونتبنى أساليبكم في الحياة، افترضوا أن الناس الذين يعيشون وراء البحر العظيم أتوا وقالوا لكم توقفوا عن الزراعة واقتلوا ماشيتكم، ثم أخذوا بيوتكم وأراضيكم، فماذا تفعلون؟ ألا تحاربوهم؟"[169] (وبالفعل كان البيض قد دخلوا في حرب ساحقة ضد الجنوب لأجل سبب أقل مما تحدث عنه الزعيم الهندي بكثير، ثم دخلوا حربين عالميتين لأسباب أتفه من ذلك أيضاً واستمر التورط الأمريكي في حروب

---

[168] -Mark Diedrich، 1998، ص 71.

[169] -دي براون، 1982، ص 222.

أخرى إلى اليوم دون أن يهدد أحد بإخراج الأمريكيين من بيوتهم).



الزعيم "مرارة" كان من مقاومي التمدد الأمريكي وأصبح نائباً "للثور الجالس" وقاد صد هجوم كاستر في سنة 1876 بعدما قُتلت أسرته كلها ثم أصبح موالياً للبيض فاعتنق المسيحية وعُين قاضياً في المحمية وعارض سياسة "الثور الجالس" وتوفي سنة 1894.

ورغم قيام "مرارة" بتوقيع المعاهدة فإن عدم الالتزام بشروط "الثور الجالس" أشعره بصواب موقفه باستئناف الحرب حتى أنه أصبح عند البيض كما يصفه قائد حصن ستيفنسون:"الثور الجالس واحد من أخطر الهنود وأسوئهم في داكوتا، لقد رصدت جائزة لمن يأتي برأسه،...وقد أصبحت مقاطعة داكوتا مسرحاً لعمليات القتل والسلب التي يقوم بها...إنه مصمم على الانتقام، وقد ارتكب ضدنا كل ما أمكنه من أذى وهو الآن محرك كل الضربات الموجهة ضدنا"[170].

وفي الفترة التي تلت توقيع المعاهدة حاول "الغيمة الحمراء" اختيار موقع الوكالة التي يريد أن يكون المركز التجاري لقومه فيها، إلا أن "الثور الجالس" رفض التعامل مع فكرة المحميات والوكالات من الأساس وصرح كما سبق ذكره بأن البيض سحروا عيني "الغيمة الحمراء" ليرى الأمور كما يريدون، وفي نفس هذه الفترة كان الجيش يحاول الضغط على الهنود ليحصرهم في أراضي المحمية ويجبرهم على مغادرة الأراضي التي وصفت بأنها غير متنازل عنها ومكرسة لحقوق الصيد فيها (خريطة 12-ب)، وأصبحت هذه هي سياسة الجيش مما جعل معاهدة لارامي تفقد معناها بعد سنة فقط من توقيعها[171].

وفي نفس تلك السنة (1869) أي بعد حرب "الغيمة الحمراء" الذي قبل بالسلام، حصل "الثور الجالس" على زعامة قومه عامة في غمرة التحديات التي طرحها اقتحام البيض أراضي قبيلته وتوج بقلنسوة الريش الطويلة التي يرتديها الزعماء الذين سجلوا كثيراً من أعمال الشجاعة، ورغم أن هذا

170- Mark Diedrich ، 1998، ص 71.

171- Paula Mitchell Marks، 1998، ص 189.

التتويج بمنصب عام لم يكن مألوفاً عند الهنود فإنهم شعروا بضرورته لمواجهة التحديات الاستثنائية التي طرحها العدوان الأمريكي على أرضهم، ورغم أنه لم يعترف به في البداية عامة القبيلة فإن "الثور الجالس" تمكن من إثبات جدارته في الأحداث المقبلة وحصل على اعتراف الجميع وعمل بمساعدة أنصاره من الزعماء الصاعدين على غرس روح الوحدة والانضباط في قبيلته لاسيما بعدما تعزز موقفه الشخصي المناوئ للحضارة الأمريكية عندما رأى الانحطاط الذي تسببت فيه لعدد كبير من الهنود الذين احتكوا بها فأصبحوا مرضى أو سكارى [172].

استمر حضور الهنود المقاومين بزعامة "الثور الجالس" ضد الوجود الأمريكي في أعالي نهر الميسوري في داكوتا، وقد وصفهم قائد حصن بافورد بأنهم بلاء المنطقة، وأن أعدادهم الكبيرة تسمح لهم بالاعتداء على جيرانهم (حجة حماية الجيران قديمة ولم تبدأ في أزمة الخليج 1990)، ولما حاول مكتب الشئون الهندية التفاهم مع المقاومة (1871) ودعوة زعمائها لزيارة واشنطن كان مطلب "الثور الجالس" سحب السكك الحديدية وإخلاء الحصون العسكرية، واستمر في شن الهجمات على الجنود الأمريكيين (1872) وأخبرهم أن مطلبه هو إيقاف السكك التي تهدد قومه بالفناء، وأنه أرسل إلى بقية القبائل يستنصرها للقضاء على الجيش الأمريكي في بلاد الهنود، كما أرسل رسالة إلى مساعد وزير الداخلية تضمنت التحدي والإهانة، إذ طلب إلى زوج أخته أن يبلغ مساعد الوزير بأنه

172- Robert M. Utley، 1994، ص 84-88.
-Howard R. Lamar، 1977، ص 1119.
-Benjamin Capps، 1982، ص 196.

"إن كان لديهم في واشنطن رجل واحد يتكلم الصدق فليرسلوه إليّ وسأستمع إلى ما يقوله"، وقد أبلغ المساعد حكومته أن زعماء الاعتدال المتعاونين مع الحكومة والذين يعيشون في الوكالة يتحدثون عن "الثور الجالس" بصفته نظيراً لا يراعي الآخرين وهو بلا نفوذ بين قومه، أما الحقيقة التي يراها المساعد وفقاً للهنود الذين قابلهم فهو القائد لشعبهم[173].

مواجهة الأخطار المحدقة بالتلال السوداء

اختار جميع أفراد القبيلة في السنين التي تلت توقيع المعاهدة البقاء في "الأراضي التي لم يتم التنازل عنها" وليس في المحمية الكبرى (الخريطة رقم 12-ب)، سواء الذين التزموا بالمعاهدة أم الذين لم يوقعوها[174]، والسبب واضح في هذا الاختيار إذ كانت قطعان الجاموس في هذه الأجزاء وهو ما دفع إلى عدم التخلي عن هذه الأراضي في المعاهدة في الأساس، وقد حاولت الحكومة الأمريكية انتزاع الموافقة من "الثور الجالس" بتوسط "الغيمة الحمراء" لديه للإقرار بالمعاهدة بنفس المنطق الذي يواجه المقاومة في جميع العصور: "أطيعوني وأنقذوا بلدكم، كونوا أصدقاء (للرئيس الأمريكي) وسيزودكم بما تحتاجونه، ولن يجوع كبار السن فيكم ولا أطفالكم، شدوا على يديه بقوة" ورد "الثور الجالس" بأن من يصبح عبداً لقطعة من اللحم والبسكويت وبعض القهوة والسكر فهو غبي، وضرب مثلاً

173- Mark Diedrich، 1998، ص 72.

174- Benjamin Capps، 1982، ص 197.

بالوفرة التي يعيش فيها دون الاعتماد على الحكومة[175]، وعلى كل حال فقد ثبت أن أماني السلام التي عرضها "الغيمة الحمراء" لن تتحقق، واكتشف الجميع فيما بعد أن معاهدة لارامي لم تكن التنازل النهائي المطلوب منهم كما تم إيهامهم وأن الجشع الأمريكي لن يتوقف عند حدها[176].

وبعدما كانت أراضي "السو" مجرد عقبة في طريق المهاجرين إلى الجنات العقارية والذهبية في غرب الولايات المتحدة ووسطها، أصبحت بعد معاهدة لارامي 1868 محل طمع هي نفسها، ففي سنة 1872 قامت الحكومة الأمريكية بانتهاك جديد لمعاهدة لارامي، فقد قرر مساحو شركة سكة حديد شمال الباسيفيك أن أفضل طريق يربط بين مينيسوتا (التي أخليت من سكانها الأصليين عقب ثورتهم سنة 1862) والمحيط الهادئ يمر بموازاة الضفة الجنوبية لنهر الصخرة الصفراء Yellowstone الذي يقع في أرض الهنود، فلم تتعب الحكومة نفسها باستئذان الهنود للمرور في أراضيهم كما نصت على ذلك معاهدة 1868، وذلك رغم ادعاء مؤرخ شهير أن موافقة الهنود كانت مطلوبة فقط داخل المحمية الكبرى وحدها وليس داخل الأراضي الأخرى "غير المتنازل عنها" والمخصصة لحقوق الصيد[177]، وهي محاولة غير ناجحة لغسل خطايا الماضي، وذلك لأن إذن السكان الأصليين كان مطلوباً حتى لعبور البيض الأراضي غير المتنازل عنها والإقامة فيها وسيتم إخلاء المرافق الأمريكية المتواجدة وقت التوقيع كما نصت على ذلك المعاهدة

175- Edward Lazarus، 1999، ص 64.

176- Benjamin Capps ، 1982، ص 197 و199.

177- Robert M. Utley، 1994، ص 92.

في بند 16 [178]، بل إن الحكومة زودت الشركة بجنود لحماية عملية بناء الخط الحديدي، فلم تعجب هذه الطريقة الهنود بالطبع، فقاموا بعدة غارات على الجنود وموظفي الشركة، ورأى قائد الجيش الجنرال شيرمان ترك الأمور إلى أن يقوم الهنود بأعمال كبرى تبرر شن الحرب الشاملة عليهم[179] (فكرة الاستدراج التي اتبعها الأمريكيون بعد ذلك في مواقف عديدة نذكر منها أزمة الخليج 1990)، وكان من الممكن أن تندلع الحرب لولا الأزمة الاقتصادية التي أصابت الاقتصاد الأمريكي في سنة 1873 فلم تتمكن شركة الباسيفيك من تنفيذ مشروعها[180].

كان "للثور الجالس" موقف من أحد الاشتباكات بين محاربيه والجنود، فتعززت مكانته بين قومه وأظهر شجاعته الواضحة بينهم، إذ بينما كان إطلاق النار على أشده بين الفريقين، تقدم "الثور الجالس" للجلوس بين الصفين وسط وابل من النيران المنهمرة من حوله، وقام بتعبئة غليونه وتدخينه حتى فرغ نهائياً ثم غادر المكان[181].

وقد قال الزعيم في هذه الأثناء لأحد اصدقائه معبراً عن موقفه من التهديد الأمريكي لطريقة قومه في الحياة:"لماذا يجب علينا الذهاب إلى المحمية وفلاحة الأرض الصلبة في الوقت الذي ينتظرنا الجاموس في البرية؟ لسنا مدينين للرجل الأبيض

---

178 -Francis Paul Prucha، 2000، ص 113.
-Edward Lazarus، 1999، ص 447-448.
179 -Edward Lazarus، 1999، ص 69.
180 -Benjamin Capps، 1982، ص 199.
-Edward Lazarus، 1999، ص 69.
181 -Jason Hook، 1986، ص 11.

بشيء، يمكننا أن نعتني بأنفسنا، وعندما نشتري البنادق والذخائر، فإننا ندفع ثمناً جيداً لها، نحن نعيش على الأرض التي منحها إيانا "الروح العظمى" (أي الخالق) منذ البداية، وثمارها وأخشابها وأعشابها لنا، فليحافظ البيض على بلدهم، لماذا يزعجوننا؟ هل يظنون أن "الروح العظمى" غبياً وخلق البشر بلا سبب؟"[182].

وفي السنة التالية (1874) قرر الجيش بناء حصن في المنطقة لحماية عمال الشركة عند استئناف بناء الخط، واختار لهذا الحصن موقعاً هو التلال السوداء نفسها، فالمنطقة غنية بالماء والأخشاب والوقود وكثير من المزايا الأخرى، وهي فكرة تعود إلى ما قبل الأزمة الاقتصادية وكان الجنرال شيرمان يستهدف منها السيطرة على هنود المنطقة[183]، عيبها الوحيد أنها أرض هندية خالصة، بل ومقدسة، ضمنت للهنود في معاهدة لارامي[184]، وهو ما يجعل المراقب يعجب من تصرفات الحكومة ويتساءل هل كانت دوافعها اقتصادية أم أنها تعمدت إثارة الهنود وإغاظتهم؟ ولكن المؤكد أن الحكومة كانت تسعى لتطبيق مصالحها دون أي اهتمام بتبعات ذلك على مصالح الآخرين أو حتى على تعهداتها هي، وما يؤكد ذلك أن الجنرال شيرمان كان يدرك مخالفة الفكرة لبنود المعاهدة التي لا قيمة لها في نظره ولتحل اللعنة عليها[185]، وقد مضى الجيش في تنفيذ مشروعه وأرسل حملة بقيادة الليفتينانت كولونيل جورج

---

[182] -Mark Diedrich، 1998، ص 72.
[183] -Edward Lazarus، 1999، ص 69.
[184] -Ralph E. Andrist، 1993، ص 244.
[185] -Edward Lazarus، 1999، ص 69.

أرمسترونج كاستر الذي قاد مجزرة واشيتا سنة 1868 ضد قرية "الشايان" بقيادة الزعيم المسالم "الإبريق الأسود"، وهو الذي كان يحرس امتداد السكة الحديدية في أرض الهنود[186]، وكان هدف الحملة الآن اختيار موقع ملائم للحصن، ولكن هذا الهدف تحقق في حملة عسكرية سابقة سنة 1859-1860، وكان ما يهم الآن هو ثروات التلال السوداء من الإمكانات المعدنية والخشبية والزراعية[187]، إلا أن هناك سبباً غير رسمي ومع ذلك لم يكن سراً وهو التحقق من الإشاعات التي سرت عن وجود الذهب في التلال السوداء[188]، ومما يؤكد ذلك اصطحاب بعض الجيولوجيين والمنقبين ضمن طاقم الحملة[189]، وبذلك يزول العجب من اختيار هذا الموقع لإرسال هذه الحملة الاستكشافية.

كانت أخبار الذهب في التلال معروفة على نطاق سطحي فيما سبق، وقد اتخذ اجتماع قبيلة "سو" (1857) الذي وصف بكونه أضخم اجتماع للقبيلة حتى ذلك الوقت، قراراً بكتمان وجود الذهب والحكم على من يفشي السر إلى الرجل الأبيض بالموت[190]، وذلك لإدراك الهنود العواقب الوخيمة التي ستنجم عن هذا العمل، ولكن في نفس العام أرسلت الحكومة الأمريكية حملة عسكرية متجهة للتلال ولكن الهنود أجبروها على

[186] -Mark Diedrich، 1998، ص 72.
[187] -George E. Hyde، 1975، ص 218.
-Jeffrey Ostler، 2010، ص 80.
[188] -Geoffrey C. Ward، 1996، ص 292.
[189] -Charles M. Robinson III، 1996، ص 33.
-Ralph E. Andrist، 1993، ص 245.
[190] -Jeffrey Ostler، 2010، ص 47.
-Edgar I. Stewart، 1987، ص 61.

التراجع، وفي ذلك خاطب "الثور الجالس" قبيلته بقوله:" أيها الأصدقاء، إن التلال السوداء تخصني، انظروا إليّ وإلى الأرض، من الأقدم فيما تظنون؟ إنها الأرض، وأنا ولدت عليها، كم عمرها؟ أنا لا أعلم، وسأخبركم بما أعتقده: إنها أقدم كثيراً منا، إنها لا تخصنا وحدنا فقط: لقد كانت لآبائنا، ويجب أن تكون لأبنائنا من بعدنا، وعندما تسلمتها، كانت قطعة واحدة، وهكذا احتفظت بها، وإذا استولى الرجل الأبيض على بلدي، أين سأذهب؟ لا أملك مكاناً لأذهب إليه، وأنا أحب أرضي كثيراً ولا أستطيع التخلي عنها، لقد وعدونا في المعاهدة (في حصن لارامي سنة 1851) أن يتركوننا وشأننا، ماذا يفعل الجنود البيض هنا؟ ولماذا أتوا؟ ليتجسسوا على الأرض، وليجدوا مكاناً مناسباً لبناء حصن وطريق، ولينقبوا عن الذهب، الرجل الأبيض يفكر في شن الحرب القادمة بعدما تكلم عن السلام وطلب إلينا أن نعقد سلاماً مع جميع القبائل وألا نشن حرباً أخرى أبداً، الرجل الأبيض يطلب إلينا إقامة سلام ولكن أعداءنا لن يحافظوا عليه، علينا أن نشن الحرب فهي لهونا، لقد جاءنا زعيم الجنود ذو اللحية البيضاء (الجنرال هارني سنة 1855) وطلب إلينا أن نعقد سلاماً، وأن نشد على أيدي كل القبائل وان ندخن معاً (علامة على السلام)، ولكنه بعدما غادرنا شن هو بنفسه حرباً في الجنوب (فلوريدا) والآن ضد المورمون، إنه يقول شيئاً ويفعل غيره، أيها الأصدقاء، إن التلال السوداء تخصني وهذا الرجل الأبيض (الليفتينانت وارن قائد الحملة الاستكشافية سنة 1857) يجب أن يتوقف هنا وأن يرجع أدراجه"[191].

[191] -Mark Diedrich، 1998، ص 63.

وبعد سنتين أرسلت حملة أخرى قامت بتهديد الهنود بالفناء لو اعترضوها وعثرت على الذهب في التلال ولكن ستمر 15 سنة قبل أن يتوافد المنقبون على المنطقة بعدما غطت أنباء الاكتشافات الذهبية الأخرى في كولورادو (1858-1859) ومونتانا (1862) على ذهب التلال لفترة من الزمن[192]، وعلم المستوطنون بوجود الذهب في المنطقة منذ تنظيم مقاطعة داكوتا في عهد الرئيس "المحرر" أبراهام لنكولن (1861)، وتألفت لذلك جمعية الاستكشاف والتنقيب في التلال السوداء، ولم تفعل شيئاً أكثر من نشر الإشاعات حتى سنة 1866 حين نظمت رحلة "علمية" لبحث الأمر (كما بدأ غزو فلسطين برحلات الاستكشاف التي نظمتها الجمعيات "العلمية" تماماً)، فأعلنت عن وجود الذهب بكميات كبيرة، ولكن الحكومة ظلت تمانع دخول المنطقة، ليس احتراماً لحق الهنود فيها بل انتظاراً لنزع ملكيتها منهم[193] حتى قامت هي بالانتهاك سنة 1872 كما مر، وكان حاكم داكوتا قد طالب بنقل المحمية الهندية شمال التلال[194].

وبالفعل وجد الجيولوجيون أثناء رحلة الاستكشاف التي قادها كاستر عروقاً من الذهب في التلال، ورغم أن الكمية لم تكن كبيرة، فإنه لم يكن هناك أسوأ من قائد الحملة الكولونيل كاستر ليستغل هذه الفرصة ويجعل من نفسه حديث الساعة حين يدعي أنه وجد الذهب "بين جذور الأعشاب"، وتحقق هدفه عندما بدأت الصحف تبشر الجمهور بأيام "مليئة بالعمل والنشاط" و"بسداد

192 -Jeffrey Ostler، 2010، ص 46-51.

193 -نفس المرجع، ص 68-69.

194 -Robert W. Larson، 1997، ص 127.

الديْن القومي عندما يعود كاستر"[195]، وبعيداً عن الذهب ذهل كاستر بمشاهد التلال السوداء الخلابة وشرب فيها نخب الجنرال هارني مرتكب مجزرة وادي الرماد (1855) وأعلن أنه إن لم يكن الذهب كثيراً في التلال فإنها مكان صمم بوضوح لاستقرار الأمريكيين حيث يبنون بيوتهم ويزرعون محاصيلهم ويرعون ماشيتهم ويتمتعون بوفرة الموارد الطبيعية فيها[196].



حملة كاستر تستعد للانطلاق

دفعت حمى الذهب المنقبين لاقتحام أرض الهنود بلا حياء، وبلغوا في السنة الأولى أكثر من ألف، فغضب الهنود من هذا السلوك غير المسئول وأما الطريق الذي سلكه كاستر والمنقبون والمقاتلون والمسلحون من كل الأصناف وسموه "درب الحرية" احتفالاً بمئوية الاستقلال الأمريكي وبإنشاء ميليشيا كاستر على غرار ميليشيا الثورة الأمريكية قبل مائة عام، فأطلق عليه الهنود

---

[195] -David Nevin، 1981، ص 200.

[196] -Jeffrey Ostler، 2010، ص 83-84.

اسم "درب اللصوص"[197] كما أطلقوا على كاستر لقب "زعيم اللصوص"[198] (الأسماء الأمريكية في ذلك الزمن تشبه تماماً الأسماء التي يطلقونها في يومنا هذا على عمليات العدوان "كاستعادة الأمل" و"تحرير العراق" وهي أسماء براقة لا نشعر إلا بعكسها)، ووقعت اشتباكات بين الطرفين ورصدت الأموال لقتل الهنود، ودفع المنقبون الأثرياء مبلغ 200 دولار لفروة رأس الهندي[199]، ووصل المبلغ إلى 300 دولار في المزادات[200]، وعلى الرغم من التصريحات العنترية التي أطلقها الرئيس الأمريكي غرانت في بداية الأزمة وأعلن فيها عن عزمه على منع غزو المنطقة من قبل المتطفلين مادامت مخصصة للهنود وفقاً للقانون والمعاهدة[201]، فإن هذا التصريح كان متبوعاً بتشجيع غير مباشر بوعد البيض بالعمل على نقل ملكية التلال قانونياً[202]، فالقضية منذ البداية بدت محسومة في الجانب الأمريكي لصالح نقض المعاهدة، وتلخص "الخلاف" حول السرعة والطريقة في إنجاز ذلك، هل يكون ذلك باقتحام سريع دون الالتفات لضرورات السياسة والدبلوماسية أم بمراعاة هذه الشكليات التي ستؤدي إلى نفس النتيجة وهي سلب الأراضي الهندية، ورغم المسرحيات الهزلية التي مثلتها الحكومة "لفرض القانون" حين أرسلت الجنرال جورج كروك ليخبر المنقبين "بأدب" أنهم يخالفون القانون وعليهم المغادرة

---

[197] -Edward Lazarus، 1999، ص 86.

[198] -Edgar I. Stewart، 1987، ص 64.

[199] -Jennifer and Martin Tucker، 1996، ص 45.

[200] -Edward Lazarus، 1999، ص 86.

[201] -دي براون، 1982، ص 209.

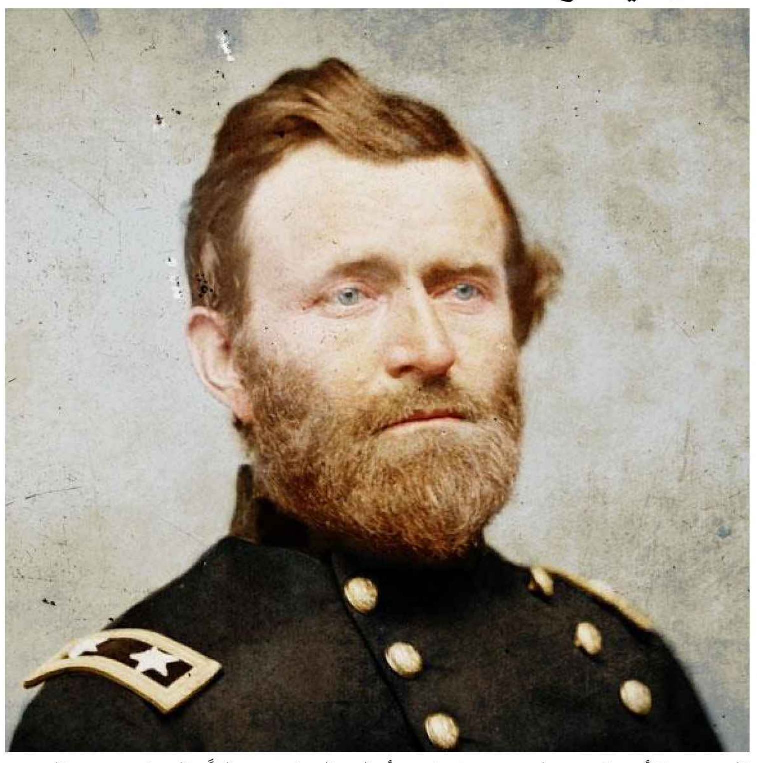
[202] -Charles M. Robinson III، 1996، ص 35-36.

دون اتخاذ أي إجراء عملي ضدهم، بل كان يشجع مطالبهم[203]، ويروي المؤرخون أن جيشه كان يعسكر بسلام إلى جانب المنقبين غير القانونيين[204]، بل إن بعض جنود الجيش انضموا لعملية التنقيب بحثاً عن الذهب وطمعاً به[205]، أو كذلك حين اعتقل الجنود بعض المنقبين وأبعدوهم عن التلال ثم أطلقوا سراحهم ليعودوا إليها مرة أخرى[206]، فإنها لم تستطع الاسترسال في مثل هذه الأعمال التي لم يفت على المؤرخين أنها جهود رمزية دون فاعلية[207]، فوقفت تتفرج على الانتهاكات، غير راغبة في التدخل وإن لم تكن عاجزة عن ذلك[208] وكانت غير متجرئة على التدخل لإجبار مواطنيها على الانضباط[209]، ولم يكن ذلك بسبب نقص في الرجال أو السلاح أو الذخيرة، بل لأن الحكومة الديمقراطية خاضعة للرأي العام وليس لديها الإرادة أو الانضباط الذاتي للوقوف في وجه مواطنيها، وهو ما ينطبق على أية دولة ديمقراطية[210]، ولهذا رأينا الاقتران بين الديمقراطية والاستعمار في كل تاريخه الحديث، ثم كشفت الحكومة الأمريكية عن موقفها الحقيقي عندما

---

[203] -دي براون، ص 211.
-Edward Lazarus، 1999، ص 79.
[204] -George E. Hyde، 1975، ص 240.
[205] -Edward Lazarus، 1999، ص 79.
[206] -دي براون، ص 210-211.
[207] -Robert M. Utley، 2002، ص 180.
-Robert M. Utley، 1994، ص 127.
-Ralph K. Andrist، 2001، ص 245.
[208] -Edgar I. Stewart، 1987، ص 53.
[209] -George E. Hyde، 1975، ص 161.
[210] -Edward Lazarus، 1999، ص 79.

أرسلت حملة عسكرية أخرى في صيف العام التالي (1875) للتحقيق في نتائج حملة كاستر.



الرئيس الأمريكي يوليسيس غرانت أعلن التزامه عملياً بالمعاهدة مع الهنود ثم تراجع عن ذلك وأعلن الالتزام النظري دون التطبيق العملي (!)

حاول الزعماء المسالمون التدخل سياسياً لحماية مصالح قومهم وأراضيهم، وظنت الحكومة أن إطعام الهنود في السنوات السابقة استأصل المقاومة منهم وجعلهم قابلين للموافقة على البيع

بشيء من الترهيب[211] (وهو ما يدل على هدف المساعدات التي تقدم لمن يتخلى عن أرضه)، فقام "الغيمة الحمراء" و"الذيل المرقط" وعدد كبير من الزعماء الآخرين بزيارة إلى واشنطن في مايو/ أيار/ ماي 1875 لإجراء المفاوضات مع الرئاسة الأمريكية على التلال السوداء، وكان اهتمام "الغيمة الحمراء" بصراعه مع الوكيل الحكومي في المحمية هو الذي دفعه للزيارة أكثر من قضية التلال السوداء، ولكن الرئيس يوليسيس غرانت أعلن أنه لن يتفاوض معهم وسيحيل القضايا الهندية إلى وزير الداخلية ومفوض الشئون الهندية لأن مشاغله أكبر من ذلك[212]، وعرض على الهنود مبلغ 25 ألف دولار فقط مقابل أرضهم ونقلهم إلى المقاطعة الهندية في أوكلاهوما الحالية، ولكنهم رفضوا ذلك، وعلق "الذيل المرقط" على حل الترحيل بالقول إنه إذا كانت الأرض الموعودة في المقاطعة الهندية جيدة فأرسلوا إليها البيض الذين يقتحمون أرضنا ودعونا وشأننا[213]، كما رفض الزعماء محاولة الحكومة الأمريكية استخدامهم للتأثير على زعماء المقاومة الرافضين فكرة البيع[214]، وفي الوقت الذي كانت فيه الولايات المتحدة تفاوض زعماء السلام، كانت الحملة العسكرية تجوب التلال السوداء تمهيداً للاستيلاء عليها.

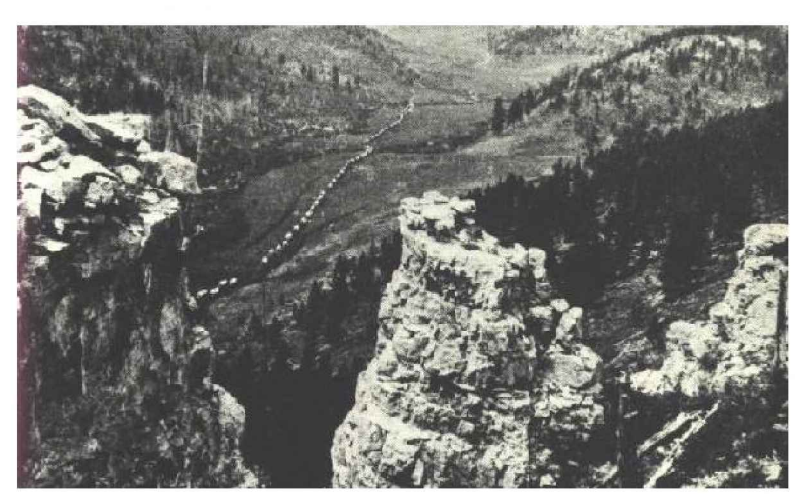
---

[211] -Edward Lazarus، 1999، ص 77.

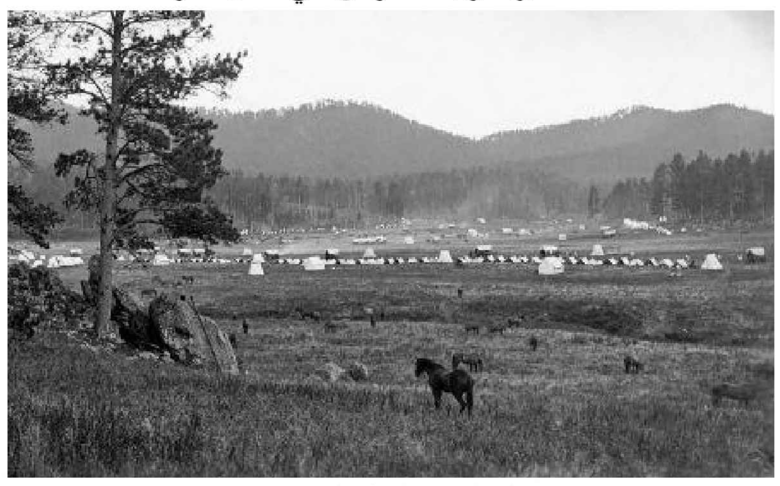
[212] -Robert W. Larson، 1997، ص 163-164.

[213] - http://en.wikipedia.org/wiki/Red_Cloud

[214] -Jeffrey Ostler، 2010، ص 91.



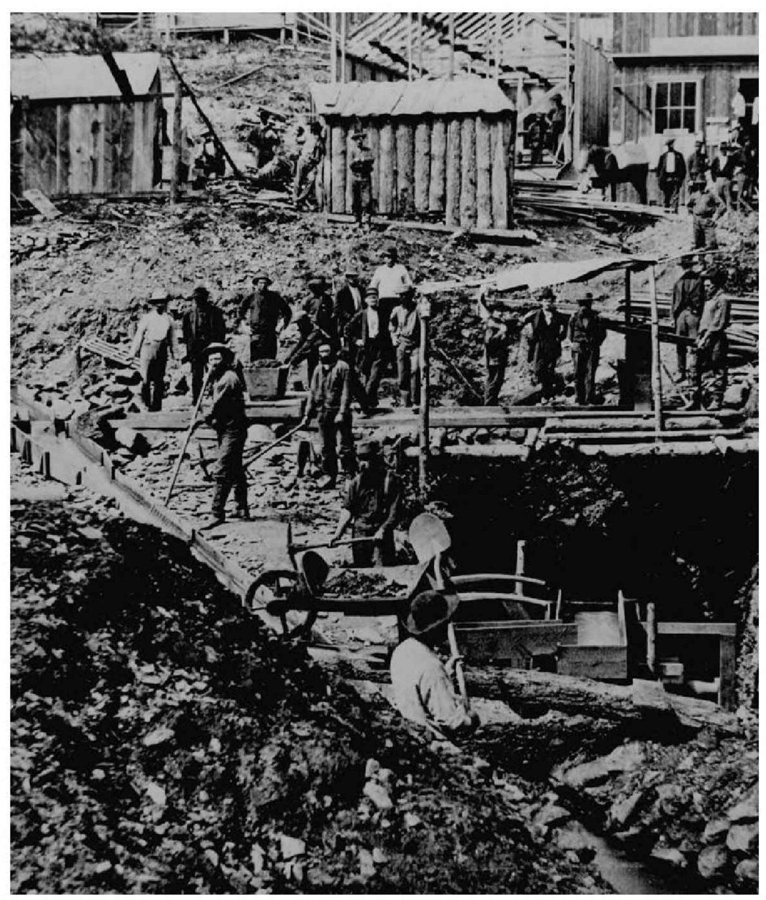
الحملة تعبر "درب اللصوص" في التلال السوداء



موقع معسكر الحملة في التلال السوداء (1874/8)



اكتشاف كاستر كما ظهر في إعلام ذلك الزمن



التنقيب عن الذهب في مدينة ديد وود Deadwood التي نشأت في التلال السوداء مع حمى الاستيطان (1876)

كانت حملة صيف 1875 حملة "علمية" بحراسة وقيادة الكولونيل ريتشارد إيرفنج دودج، وقد خلص المشرف العلمي عليها وهو عالم الجيولوجيا والتر جيني في تقريره النهائي إلى وجود الذهب في ستة مواقع من التلال السوداء ولكن "مقارنة

ببعض المناطق الشهيرة في العالم كأستراليا وكاليفورنيا، فإن الرواسب التي عُثر عليها في هذه المنطقة ليست غنية جداً، ولكن هناك بعض قطع الأرض التي افتتحتها المنقبون وعملوا بها منحت عوائد مجزية لهم...إن هناك من الذهب ما يكفي لاستيطان وتطوير المنطقة، وبعد استنزاف المخزون، سيكون رعي الماشية مشروعاً عظيماً للسكان الذين يستطيعون الحصول على ثروة كبرى من إمكانات الرعي الممتازة فيها"[215].

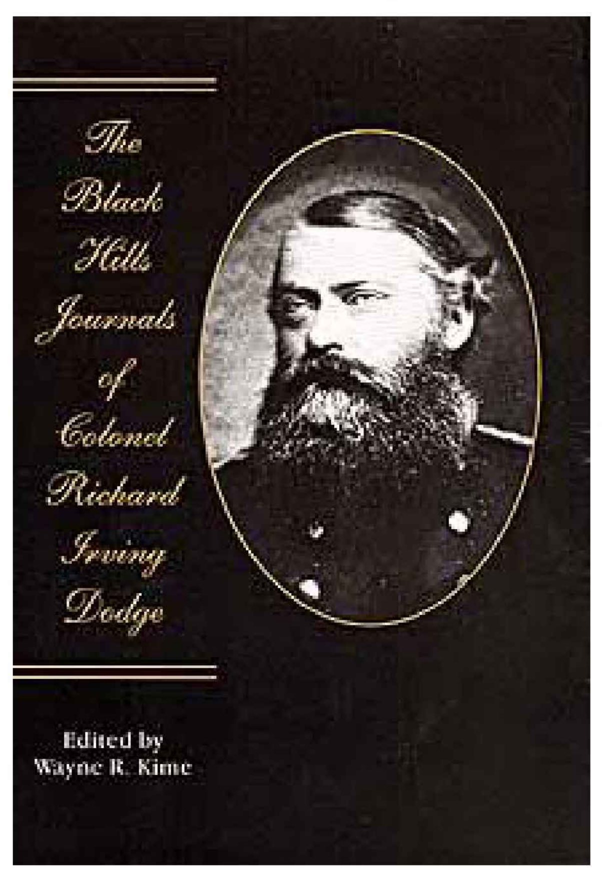
أما الكولونيل دودج فقال في تقاريره لرؤسائه إن التلال السوداء تحوي ذهباً ولكن ليس بكميات كبيرة، وأنها "من أجمل المناطق التي رأيتها"، بالإضافة إلى تفاصيل عن الطقس والخلو من الغبار وتوافر المراعي بحيث أنه "ليس هناك مكان أفضل منه في العالم لتربية الماشية"، أما الماء فليس هناك أفضل منه "نقي وبارد ومتوفر"، أما الأخشاب فمتفاوتة الجودة، والأزهار كثيرة....[216]، وتبع هذه الحملة إرسال لجنة في سبتمبر / أيلول 1875 لإقناع الهنود بالتخلي عن التلال السوداء، وكانت هذه اللجنة كالعادة تمثل السياسيين والعسكريين والمبشرين والمصالح التجارية[217]، بعد التأكد من ادعاءات الحملة السابقة رغم أن كمية الذهب المكتشف لم تكن كبيرة.

---

[215] -William H. Goetzmann، 2006، ص 422-423.

[216] -Wayne R. Kime، 1996، ص 136-138.

[217] -دي براون، 1982، ص 211.



غلاف يوميات الكولونيل ريتشارد إيرفنج دودج (1827-1895) أثناء حملته الاستكشافية في التلال السوداء (1875)

يقودنا هذا إلى الحديث عن أهمية التلال السوداء عند هنود شمال السهول عامة وهنود قبيلة "سو" خاصة، فقد كانت قبيلة "الغراب" هي أول من سكن التلال فيما هو معروف، وذلك في بداية القرن الثامن عشر، أما التاريخ المسجل فيروي أن قبيلة الكيوا هي التي كانت تقطن التلال في منتصف القرن نفسه، ثم

دخلت في صراع مع قبيلتين قويتين هما "السو" و"الشايان" اللتان حلتا محلها[218].

وعن أهمية التلال يتحدث أحد المؤرخين قائلاً إن الهنود كانوا يطلقون عليها "باها سابا" Paha Sapa، أي التلال التي هي سوداء، وهي جبال ترتفع أربعة آلاف قدم فوق السهول المحيطة، وكانت قيمتها من كونها غنية بلحوم الصيد، وتكثر فيها الوديان وتعج بخشب الوقود اللازم لمخيمات الشتاء، وتغطيها أشجار الصنوبر التي تؤخذ منها أعمدة الخيام، وفوق فوائدها العملية، كانت للتلال مكانة صوفية مقدسة[219]، ويقول مؤرخ آخر إن التلال اتخذت بعد سكنى "السو" فيها معنى خاصاً، فقد كانت مصدراً لمياه الجبال وأعواد الخيام والأدوية النباتية، كما كانت موطناً مقدساً حيث الروح العظمى منبع القوة والقداسة في الكون، وهو المكان الذي يقصده المحارب للحصول على رؤى الإرشاد والحماية[220]، ويقول مؤرخ ثالث إن التلال السوداء كانت أهم من كونها مجرد جزء من محمية "السو" الكبرى، فقد كانت مشحونة بالمعاني العميقة والصوفية عند الهنود لأنها كانت مكاناً مقدساً حيث تقطن الأرواح، وفي هذا المكان ارتفعت قشرة الأرض في العصور الجيولوجية الماضية مساحة 40 × 120 ميلاً لتصبح جزيرة وسط بحر السهول، مدى من الجبال الصغيرة التي تقطعها الوديان وتضفي عليها التكوينات الصخرية مظهراً جليلاً وتزودها ظلال

[218] -Charles M. Robinson III، 1996، ص 4.

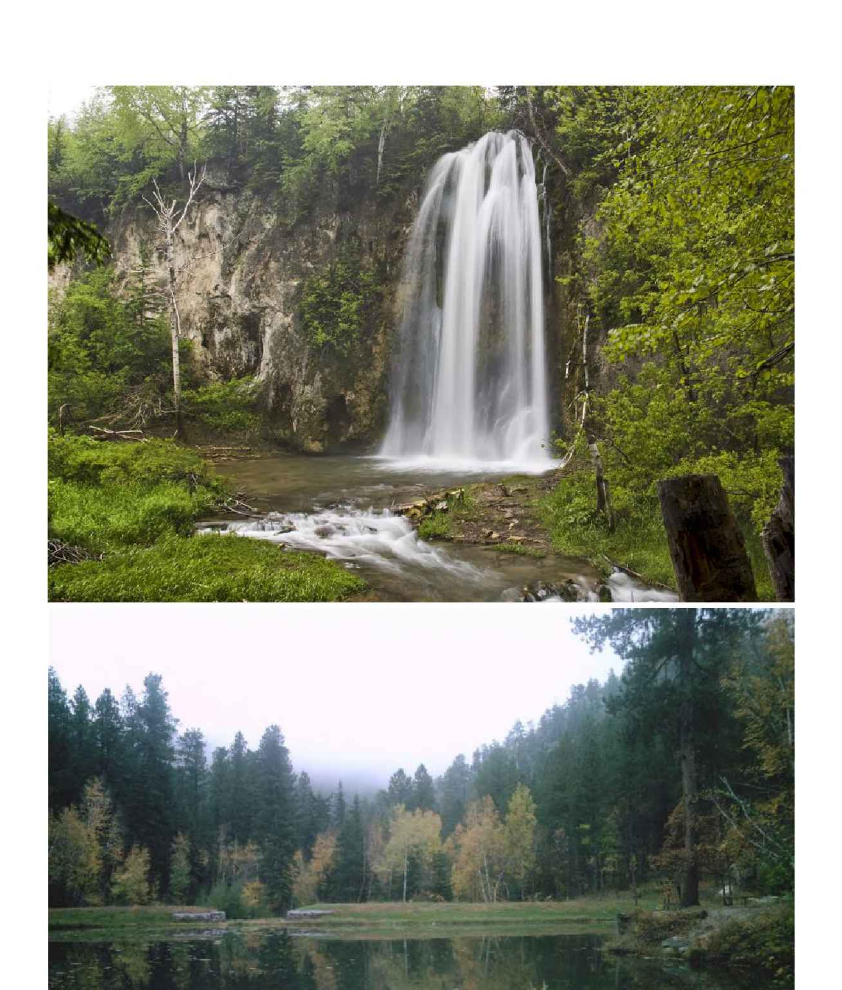
[219] -Robert M. Utley، 1994، ص 115.

[220] -Edward Lazarus، 1999، ص 7.

الصنوبر بالبرودة، والجداول المتدفقة بالمياه، وحتى المناخ مختلف هنا، إذ تغزر الأمطار وسط السهول الجافة والقلوية[221]، ويقول مؤرخ رابع إن وصف هذه المنطقة بالتلال مضلل لأنها أعلى قمم شرق جبال روكي وهي أعلى من جبال الآبالاش نفسها، وفيها كثير من الموارد الطبيعية، فالغزلان بأنواعها توفر اللحوم، وتتوفر الجلود والفراء من حيوانات أخرى كالثعالب والقنادس، وتوفر التربة الأعشاب للرعي، وحجارة المكان ممتازة للبناء، وهناك أيضاً الكوارتز والذهب الذي عرف الناس عن وجوده منذ زمن طويل ولكنه لم يكتسب أهمية إلا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر إذ لم يكن هاماً عند الهنود[222].



[221] -Ralph K. Andrist، 2001، ص 244.
[222] -Charles M. Robinson III، 1996، ص 3-4.





مشاهد من التلال السوداء

لهذه الأسباب رفض الهنود بيع بلادهم، ولكن يلاحظ أحد المؤرخين أن رغبة الولايات المتحدة في الحصول على التلال السوداء رافقتها عملية تبرير لتسويغ الاستيلاء عليها، وهي عملية استمدت رؤاها من الاستئصال الاستشراقي الذي سبق الحديث عنه في الجزء الأول والذي كان ينكر المحسوس تمهيداً لفرض مصالح الرجل الأبيض على ضحاياه، ومن ذلك في حالة التلال القول إن الهنود لا يقطنونها، وهي مقولة بدأها الجنرال كاستر في رحلته الاستكشافية الأولى (1874) وحاول أحد العلماء عقلنتها بالقول إن التلال مجرد أرض صيد متقطع للهنود مستنتجاً بشكل صريح أن هذا الفردوس يجب ألا يترك بأيدي قوم فاسدين إلى درجة يتعذر إصلاحها، واستمرت بعد ذلك مقولة إن هذه الأرض لا يسكنها الهنود والتي أكدها الجنرال دودج في رحلته الاستكشافية الثانية (1875) منحياً الدلائل

المعاكسة (كعادة الاستشراق ورديفه الاستئصال) ومؤكداً أن الهنود لا يريدون هذه التلال وعلى استعداد للتخلي عنها، ومستعملاً أدلة عن عدم سكناها لا تصلح إلا في أعراف الرجل الأبيض ومدنيته كالقول إنه لا يوجد طرق مستقيمة بها مع أن الهنود لا يسيرون في الطرق المباشرة في بيئاتهم[223]، وهكذا دائما تكون أدلة الاستشراق مستندة إلى بيئة البيض لتستنتج تخلف الآخرين وتصل إلى تبرير استئصالهم.

انزعج الهنود جميعاً من الاعتداء على أرضهم، وتساءل حتى المسالمين منهم والمخلصين لمعاهدة السلام كيف يتوقع "الأب الأعظم" من الهنود الوفاء بالتزاماتهم في المعاهدة وهو لا يكبح جماح مواطنيه عن انتهاك شروطها[224]، ولكن بينما كان الهنود المسالمون منخرطين في النقاش على مكان الوكالة التي يتسلمون المساعدات الأمريكية منها، كان "الثور الجالس" يحض قومه على التمسك بالتلال السوداء كونها صرة طعامهم، وهو يعني بذلك امتلاءها بالماء والسمك وحيوانات الصيد، ورغم أن الهنود يطوفون حولها، فإنهم عندما يكونون في حاجة يذهبون إليها ويحصلون على ما يريدون، ولهذا وصفها الزعيم بأنها كنز يستطيع الفقير أن يلجأ إليه عندما يفتقد الطعام.

وقد كانت هذه الأهمية في تزايد مع اتجاه الثروة الحيوانية المتمثلة في البيسون إلى النضوب في سبعينيات القرن التاسع عشر، فأصبحت التلال السوداء بذلك أكثر حيوية لأن هذا الجاموس استمر بالعيش فيها، كما استمرت مواردها وفيرة ومتنوعة أكثر من أية منطقة أخرى من بلاد قبيلة "سو" التي

---

[223] -Jeffrey Ostler، 2010، ص 88-90.

[224] -نفس المرجع، ص 90.

كانت في ذلك الوقت تصارع الظروف العصيبة للبقاء، هذا مع كون الهنود لا يفصلون بين حاجاتهم الاقتصادية ومعتقداتهم الروحية مما جعل مكانة التلال الدينية غير قابلة للتخلي عنها[225].

رفض الهنود كلهم الاعتداء الاستيطاني والتنقيبي على التلال السوداء، وفي الوقت الذي ساءت فيه هذه الاعتداءات "الغيمة الحمراء" و"السو" الجنوبيين، كان "الثور الجالس" والفروع الشمالية يتخذون موقفاً مقاوماً عملياً ضد المعتدين، فقد كانت التلال الجميلة، المغطاة بوفرة بأشجار الصنوبر المستخدم في أعمدة الخيام، والتي تمنح خشب الوقود الوفير والملجأ لحيوانات الصيد المتوافرة، كانت مورداً لكثير من اللحم "للسو" وحلفائهم، وعلى عكس "السو" الجنوبيين الذين ناقشوا فكرة بيع التلال وإن بسعر باهظ جداً، رفض "الثور الجالس" أية مفاوضات للتخلي عن أرضه في أية ظروف مما جعله وحلفاءه "كالحصان المجنون" مصدر قلق جدي للحكومة الأمريكية[226]، في الوقت الذي أصبحت فيه زعامة "الغيمة الحمراء"، المقاومة سابقاً، تتجه للتسويات السياسية حتى في القضايا المصيرية للقبيلة.

وقد أحجم الهنود المقاومون عن الاعتداء على الدخلاء على أرضهم لإعطاء فرصة للحكومة الأمريكية للالتزام بتعهداتها، ولكن الأمريكيين كعادتهم في كل زمان ومكان أحجموا عن تقديم شيء لتشجيع الميول السلمية وأتباعها بين جميع ضحاياها ومنهم الهنود أو لدعم الزعامات المهادنة، وتريد منها تقديم الخدمات المجانية دون الحصول على أي مكاسب في المقابل وكانت

---

225 -نفس المرجع، ص 74-75.

226 -Robert W. Larson، 1997، ص 195-196.

تصرفاتها المتغطرسة تدعم التوجه للمقاومة وتجعل السكان الأصليين لا يرغبون في التعاطي السلمي مع السياسة الأمريكية[227].

تصاعد التوتر في الأراضي الهندية، وتجمع أكثر من عشرين ألف هندي من قبائل "سو" و"شايان" و"أراباهو" بين نهري الميسوري والقرن الكبير وتوجه الآلاف منهم بأزياء الحرب إلى مكان الاجتماع باللجنة الأمريكية المرسلة لشراء التلال السوداء (لجنة أليسون)، لاستعراض قوتهم لتأخذها اللجنة ومن ورائها الحكومة الأمريكية في الحسبان[228]، ولم تكن هناك نقطة لقاء بين الهنود وأعضاء هذه اللجنة التي حاولت إقناعهم بالتخلي عن التلال السوداء، سواء بالبيع أو بتأجير حقوق التنقيب، واستهلت الاجتماعات بالحديث عن صعوبة منع المواطنين البيض من الوصول إلى التلال السوداء وعدم قدرة الحكومة على القيام بهذه المهمة[229] (كما يجابهنا الصهاينة في زمننا بالقول إن أي انسحاب من الأراضي العربية المحتلة يجب أن يوافق عليه الشعب الإسرائيلي، وذلك رغم كون الاحتلال غير شرعي)، وأن على الهنود الانصياع لرغبة الحكومة التي تقوم بمساعدتهم في الوقت الذي ليس للذهب قيمة عند الهنود[230] (تماماً كما يرى الغرب اليوم أن وجود النفط في أرض المشرق خطأ جيولوجي عليه تصحيحه ولو بالقوة)، ثم عرضت استئجار التلال وشراء حقوق التنقيب عن الذهب فيها مقابل 400 ألف

---

[227] [227] -Jeffrey Ostler، 2010، ص 91.

[228] -دي براون، 1982، ص 212.

[229] -نفس المرجع، ص 212.

[230] -Edward Lazarus، 1999، ص 81.

دولار سنوياً، أو شراءها بستة ملايين دولار، وهو ثمن بخس جداً مقارنة بأن أحد مناجم التلال السوداء أعطى بعد التنقيب ما قيمته 500 مليون دولار من الذهب[231] (وهذه هي نفس العادة التي دأب الأمريكيون والغربيون على استغلال ثروات الآخرين بها، إذ كانوا يدفعون مبالغ ضئيلة جداً مقابل امتيازات النفط واستخراجه).

أما الهنود الذين يقدسون هذه البقعة، بالإضافة إلى أنه لم يعد لديهم من الأراضي ما يمكن التخلي عنه، فقد انقسموا إلى رأيين كما سبق ذكره: بعضهم رفض فكرة البيع من أساسها مهما بلغ الثمن المعروض، وفي ذلك اشتهرت عبارة "الحصان المجنون" :"إن الإنسان لا يبيع الأرض التي يسير عليها الناس"[232]، أما "الثور الجالس" فقد أبلغ اللجنة بوساطة أحد المولدين أنه لا ينوي بيع ولا حفنة تراب من أرضه[233]، ورفض فكرة الاجتماع بها ورد على استدعائه للوكالة قائلاً:"هل أنت الروح العظمى الذي خلقني؟ أو هل إن الروح العظمى الذي خلقني هو الذي أرسلك؟ إذا سألني القدوم سآتي إليه، نعم سأذهب، ولكن زعيم البيض الأكبر عليه أن يأتي إليّ، أنا لن أذهب إلى المحمية، وليس لدي أرض للبيع، هناك الكثير من الصيد لنا، وعندنا ذخيرة كافية، ولا نريد رجالاً بيضاً هنا"[234]، وكان الهنود الذين لا يقبلون بحياة المحميات على هذا الرأي المستقى من معتقداتهم التقليدية التي تضع الأرض في منزلة واحدة مع الهواء والبحر

---

231 -دي براون، 1982، ص 214.

232 -Frank Humphris، 1976، ص 13.

233 -دي براون، 1982، ص 211.

234 -Mark Diedrich، 1998، ص 73.

والغيوم، أي لا يمكن التفرد بملكيتها ولهذا استنكر الزعيم تكومسيه في بداية القرن التاسع عشر بيع الأرض وشبهه ببيع الهواء والبحر.

أما الهنود المسالمون الذين أصبحوا معتمدين على المساعدات الأمريكية فقد قبلوا بفكرة البيع ولكن حتى هؤلاء لم يكن هناك مجال للاتفاق معهم لأن الأسعار التي عرضوا القبول بها لم تكن هناك فرصة لحل وسط بينها وبين سعر الحكومة إذ طالب "الغيمة الحمراء" بستمائة مليون دولار، أي أكثر من ضعفي ميزانية الحكومة في السنة الكاملة[235]، وطلب غيره سبعين مليون دولار، وحتى أقل الأسعار المقبولة وهو عشرون مليون دولار لم يكن في نية الحكومة مجرد التفكير في دفعه[236]، كما طالب "الغيمة الحمراء" بدعم حكومي لسبعة أجيال قادمة، ورد على غطرسة اللجنة وتخرصاتها عن وجوب إذعان الهنود للحكومة التي تطعمهم بخطبة عصماء كشف فيها حقيقة النفاق الحكومي الذي يتحدث عن التمدين دون تقديم مستلزماته بقوله إن التلال السوداء هي مركز الأرض التي كان ينوي أن يعتمد عليها قومه في معيشتهم وهو يريد أن يظل قومه على هذا المستوى، ولهذا فهو يريد أن تودع أموالها لدى البيض ليشتري الهنود بفوائدها مستلزمات الحضارة كالماشية والعربات، وهو يريد من "الأب الأعظم" في واشنطن أن يزود الهنود بعجول تكساس للطعام، بالإضافة إلى طلبه إلى الحكومة أن تمونهم بالسكر والقهوة والشاي والطحين واللحم، من أفضل الأنواع، والحبوب والفواكه المجففة والتبغ، والحساء والملح والفلفل لأجل

235- Benjamin Capps، 1982، ص 199.

236- Frank Humphris، 1976، ص 13.

كبار السن، وهو يريد أيضاً ذكراً وأنثى من كل من البقر والخنازير والدواجن لكل عائلة، أليس البيض يريدون جعله رجلاً أبيض؟ وهذا يستلزم بيوتاً كبيوت البيض تبنى للهنود في المحمية، وأخبرهم أنه دخل بعض بيوت البيض وشاهد فيها من الأثاث الجميل كالأسرة والكراسي ما يطمح بمثله للهنود، ومطحنة وحصادة ومنجل، وإذا كان البيض يظنون أنه يطالب بالكثير فإن هذه التلال ترتفع عالياً جداً وهذا هو السبب فيما يطلبه[237]، وقد كانت هذه المطالب هي الشروط التي لا يمكن أن يصبح الهنود كالبيض دونها، وفشل الحكومة الأمريكية في توفيرها بالإضافة إلى البؤس الذي قذفت به الهنود بعد الاستيلاء على أراضيهم ما يؤكد أن التمدين لم يكن إلا ذريعة وقحة للتمدد على حساب الآخرين وليس لضمهم في العالم الذي يدعي الرجل الأبيض بناءه للخير العام.

وقال "الذيل المرقط" زعيم عشيرة البرول المسالم إنه مهما كان الثمن المدفوع فيجب أن تكفي فوائده لدعم الهنود إلى الأبد[238]، وقد سأل اللجنة في أحد الاجتماعات إن كانوا مستعدين لتأجير زوجاً من البغال بنفس الشروط التي يعرضونها لتأجير التلال السوداء، ثم اتفق "الغيمة الحمراء" و"الذيل المرقط"، رغم الخلافات بينهما، على مطلب الأجيال السبعة وأضاف "الغيمة الحمراء طلبه بمنع الخمور، وإرسال مبشرين كاثوليك بدلاً من الأسقفيين الموجودين في المحمية وكان ذلك إهانة لهؤلاء[239]، وقال "الذيل المرقط" رداً على العرض الأمريكي

---

[237] -Geoffrey C. Ward ، 1996، ص 295-297.

[238] -Jeffrey Ostler، 2010، ص 92.

[239] -Robert W. Larson، 1997، ص 192.

البخس في الاجتماع النهائي الذي لم يحضره "الغيمة الحمراء" إن التلال ليست للبيع ولا للإيجار (يبدو أن مسالمي الهنود كانوا أكثر صلابة من مسالمي العرب الذين يعرضون أراضيهم اليوم للتنازل المجاني)، ولذلك عادت اللجنة إلى واشنطن ونصحت الحكومة بشراء المنطقة إجبارياً "بسعر عادل" وتجاهل رغبات الهنود[240]، وإذا رفض الهنود فستمنع عنهم المساعدات ولن يكون أمامهم سوى البيع أو الجوع[241]، وبالفعل هدد الكونجرس بقطع الطعام عن الهنود ما لم يذعنوا[242] (نظير سياسة الحصار الاقتصادي في الزمن المعاصر)، وذلك رغم أن معاهدة لارامي تتطلب موافقة ثلاثة أرباع رجال القبيلة قبل التوقيع على أية عملية بيع مستقبلية[243]، وهذا مثل على احترام الولايات المتحدة للديمقراطية التي تدعي أنها تحمل رسالتها إلى العالم.

تجمع الهنود الرافضون حول زعماء المقاومة من شجعان المقاتلين "كالحصان المجنون" و"مرارة" و"مطر في الوجه" و"النسر الأسود" و"القمر الأسود" و"الحصان الأمريكي" و"القرون الأربعة" و"ملك الغراب"، ولكن الجميع بمن فيهم هؤلاء القادة كانوا يستمدون الإرشاد من "الثور الجالس" المقاتل ذي السيرة التي لا تبارى في الشجاعة والرؤى الصادقة والذي كرس حياته لأجل توفير ما يكفي لإطعام قومه[244]، وقد وصف

---

[240] -دي براون، 1982، ص 212 و214.

[241] -Jeffrey Ostler، 2010، ص 92-93.

[242] -Geoffrey C. Ward ، 1996، ص 297.

[243] -دي براون، 1982، ص 211.

[244] -Geoffrey C. Ward ، 1996، ص 294.

بكونه شخصية غير اعتيادية كانت آنذاك في اواسط الأربيعينيات وجمعت بين القتال والزعامة والطب والرؤى[245].

الطريق إلى الصدام والنصر الكبير

بعد فشل مهمة لجنة أليسون في انتزاع تخلي الهنود عن التلال السوداء، لم يعد بالإمكان القيام بمحاولة جديدة، وذلك بسبب متطلبات الأوضاع السياسية، "فشرف" الأمة أصبح بين خيارين: إما الحفاظ على التعهدات أو تبرير خرقها[246]، فعقد الرئيس الأمريكي اجتماعاً سرياً في 3 نوفمبر / تشرين الثاني 1875 في البيت الأبيض شمل وزير الداخلية ومفوض الشئون الهندية ووزير الحرب ومتعهد الجيش[247] والجنرال فيليب شيريدان والجنرال جورج كروك[248]، وكان الاجتماع للإجابة عن السؤال التالي: كيف يمكن قمع المعارضة الهندية دون الظهور بمظهر انتهاك معاهدة لارامي 1868؟ وقد خرج الاجتماع بقرارين:الإبقاء على حظر دخول المنقبين للتلال السوداء ولكن دون اتخاذ الإجراءات العملية لتفعيله (!) (كما أقرت الولايات المتحدة حق العودة الفلسطيني لعشرات السنين دون تفعيله أيضاً) وذلك في الوقت الذي وصل فيه عدد الدخلاء البيض في التلال إلى أربعة آلاف[249]، وتقول مراجع أخرى إن

---

[245] -Jon Manchip White، 1979، ص 233.
[246] -Robert M. Utley، 1994، ص 127.
[247] -Stanley Vestal، 1980، ص 138-139.
[248] -John D. McDermott، 1998، ص 158.
[249] -Jeffrey Ostler، 2010، ص 94.

العدد وصل 15 ألفاً[250]، والقرار الثاني هو إجبار الجماعات الهندية على العودة إلى المحمية وترك الأراضي غير المتنازل عنها، وإثبات وجودها في الوكالات التي تتبعها[251].

وبعد أيام من المؤتمر السري قدم المحقق الحكومي في الشئون الهندية إ. واتكينز، تقريراً أعطى المبرر المعلن لشن الحرب على الهنود حين ادعى بعد جولة بين الوكالات في محمية الهنود أن "الثور الجالس" وزعماء أقل أهمية ولكن ليسوا أقل جموحاً ومقاومة، يشنون هجمات على القبائل المسالمة وصديقة الولايات المتحدة (دائماً تشن الولايات المتحدة حروبها "لحماية أصدقائها" !)، وهم يتعاملون بمواقف ولغة مستقلة ومتغطرسة مع مسئولي الحكومة الأمريكية، وألقى التقرير عبء فشل الحكومة في "تمدين" أصدقائها على مواقف "الثور الجالس" المتطرفة منهم (أي "ديكتاتوريته" بالمصطلح المعاصر !)، وهي مواقف لا تخرج عما تريد أن تفعله الحكومة مع جميع الهنود كجمع الأسلحة والجياد والتخلي عن أراضي الصيد، ومن ثم فإن واجب الحكومة هو تطبيق المعاهدة بالتدخل المسلح ضد "السو" ![252]، وفي المحصلة لم يكن تبرير الحرب على الهنود ذا صلة بالاستيلاء على التلال السوداء[253] وتحول انتهاك المعاهدة، بالشعوذة السياسية والقانونية، إلى التزام بها ! (وبهذا نرى نموذجاً لنفور الولايات المتحدة من النماذج المستقلة وذات الكبرياء بالإضافة إلى طريقة التملص من الاتفاقات المعقودة،

250- Geoffrey C. Ward ، 1996، ص 295.

251- Robert W. Larson، 1997، ص 197.

252- Stanley Vestal، 1980، ص 138.

253- Robert M. Utley، 1994، ص 127.

مع محاولة المحافظة على الشكليات التافهة وإخفاء نوايا العدوان مع إعلان مبررات كاذبة تقلب الحقائق، تماماً مثل الحروب التي شنتها الولايات المتحدة في الخليج وعلى ما أسمته الإرهاب والديكتاتورية، وهي أمور طالما عانينا من سياسات الغرب فيها في بلادنا).

تسارعت الحوادث بعد ذلك في طريق الصدام الذي أصبح حتمياً، ففي 3 ديسمبر/ كانون الأول 1875 أصدر مفوض الشئون الهندية بتوجيه من وزير الداخلية أمراً بإعلام "السو" و"الشايان" باسم الأب الأعظم (الرئيس الأمريكي) بأنه عليهم التوجه نحو المحمية وإثبات وجودهم في وكالاتهم قبل نهاية العام ومن يتأخر عن هذا الموعد سوف تعده الحكومة معادياً وتعلن الحرب عليه ويعاد إلى المحمية بالقوة[254].

لم يكن تنفيذ هذا الأمر صعباً فقط بل كان مستحيلاً فالوقت منتصف الشتاء والبرد شديد جداً والثلج مرتفع والعواصف قوية، وحتى لو أراد الهنود تنفيذ القرار لما تمكنوا من الوصول في هذا الموعد، بل إن الرسل الذين أرسلتهم الحكومة لإعلام الهنود بالقرار لم يتمكن بعضهم من العودة إلا بعد الموعد المقرر بأسابيع، فكيف يمكن نقل أسر كاملة فيها الأطفال والنساء وكبار السن وسط زمهرير البرد هذا؟[255]، كما أن منطق الهنود أنهم كانوا في أرضهم ولا يسببون ضرراً لأحد[256].

---

[254] -دي براون، 1982، ص 214.
-Benjamin Capps، 1982، ص 199.
-Edgar I. Stewart، 1987، ص 76.
[255] -Frank Humphris، 1976، ص 14.
-Stanley Vestal، 1980، ص 139.
-دي براون، 1982، ص 215.

وإضافة إلى ذلك، فإنه مع انتهاء الشتاء قل الطعام في الوكالات إلى درجة أن الموجودين فيها خرج كثير منهم شمالاً بحثاً عن الصيد، أي أن رجوع الهنود إلى الوكالات كان يعني تعرضهم للجوع[257]، وهم في جميع الأحوال لم يكونوا خارج إطار الصلاحيات التي منحتها لهم معاهدة لارامي 1868 التي سمحت بالصيد في الأراضي غير المتنازل عنها خارج المحمية الكبرى، ولهذا لم تصل الرسالة الحكومية كما كانت نيتها، فبعض الهنود فهموا أن الإنذار مجرد دعوة، وبعضهم نوى العودة بعد انقضاء البرد ولم يفهم معنى الموعد النهائي، وقلة هي التي فهمت المراد الحقيقي من الإنذار وأنه سيترتب عليه إرسال الجنود ضدهم، ويرى بعض المؤرخين أن السبب الحقيقي لعدم تجاوب الهنود مع الإنذار هو أنهم لم يأخذوه على محمل الجد[258]، ورغم الخلاف بين الهنود الملتزمين بالمعاهدة والمقاومين، وأن الإنذار كان موجهاً للمقاومين، فقد رفض الملتزمون تدخل الحكومة في الخلافات العائلية للقبيلة[259].

ولم يكن موقف الوكلاء الحكوميين متشدداً كموقف الحكومة، فقد أدركوا الصعوبات المعيشية التي تواجه الحياة في المحمية كقلة الطعام والمؤن التي ترسلها الحكومة، مما أدى بالهنود إلى مغادرة وكالاتهم والانضمام إلى "الثور الجالس"[260]، كما أن

-Edward Lazarus، 1999، ص 84-85.

[256] -Paula Mitchell Marks، 1998، ص 194.

-John G. Neihardt، 1998، ص 90.

[257] -Stanley Vestal، 1980، ص 139-140.

[258] -Edgar I. Stewart، 1987، ص 77.

-Robert M. Utley، 1994، ص 130.

[259] -Robert W. Larson، 1997، ص 198-199.

[260] -Charles M. Robenson III، 1996، ص 44.

سنة 1875 شهدت انتشار الميول السلمية بين المحاربين مما أدى إلى انخفاض عدد المحاربين المتشددين، وأدركوا كذلك أن الموعد المضروب لعودة الهنود في نهاية العام غير واقعي ولهذا طالبوا بتمديده[261].

بعد مرور المدة المحددة للهنود خولت وزارة الحرب الجنرال فيليب شيريدان قائد قطاع الميسوري (الخريطتان المرجعيتان 1 و2) بالقيام بالعمليات العسكرية ضد "الهنود العدائيين"، فأمر شيريدان الجنرال جورج كروك بالانطلاق من حصن فترمان باتجاه الشمال، والجنرال ألفرد تيري بالانطلاق من حصن أبراهام لنكولن في داكوتا باتجاه الغرب، والكولونيل جون جيبون بالانطلاق من حصن أليس في مونتانا باتجاه الشرق، ليتوجه الجميع نحو منابع أنهار "البارود" و"اللسان" و"القرن الكبير" للإطباق على الهنود المعادين بزعامة "الثور الجالس" (خريطة رقم 13)، ولم يكن هناك خطة لالتقاء الطوابير بل كان من المتوقع أن يحصر الهنود فيما بينها وتتم هزيمتهم على أيدي جنود أي من هذه الطوابير منفردين دون الحاجة إلى الاستعانة ببقية الأجنحة الأخرى[262].

والجدير بالذكر أنه كان من المقرر أن يقود الجنرال جورج أرمسترونج كاستر قائد الحملة الاستكشافية سنة 1874، الطابور المتجه غرباً من حصن أبراهام لنكولن، ولكن استدعائه للشهادة في فضيحة فساد سياسي اتهم فيها وزير الحرب، جعل الرئيس يوليسيس غرانت ينتهز هذه الفرصة ليعفيه من المسئولية بعد قيام كاستر بالشهادة ضد الأخ الأصغر للرئيس في

---

[261]- Edward Lazarus، 1999، ص 85.

[262]- John D. McDermott، 1998، ص 158.

التحقيقات، وهو ما كان مصيبة للجنرال الذي كان يحلم بتجديد أمجاده العسكرية التي شيدها منذ الحرب الأهلية والحرب ضد الهنود ومجزرة واشيتا (1868) وربما وصلت أحلامه إلى منصب الرئاسة الذي كان ينتظر الانتخابات في ذلك العام (1876)، ولكن الرئيس سيقبل مشاركته في الحملة بعد محاولاته الحثيثة للعودة ولكنه سيكون هذه المرة تحت إمرة غيره وليس قائداً عاماً[263].

[263] -David Nevin، 1981، ص 202.



الجنرال فيليب شيريدان قائد قطاع الميسوري كان يعاني من الغربة بسبب انتمائه لخلفية إيرلندية كاثوليكية في المجتمع الأمريكي البروتستانتي[264]، وقد استندت فلسفته العسكرية التي بدأ بممارستها في الحرب الأهلية الأمريكية على توجيه ما يمكن من الضربات لجيش العدو، ثم دفع المدنيين إلى المعاناة الشديدة التي تجعلهم يجبرون حكومتهم على طلب السلام وذلك

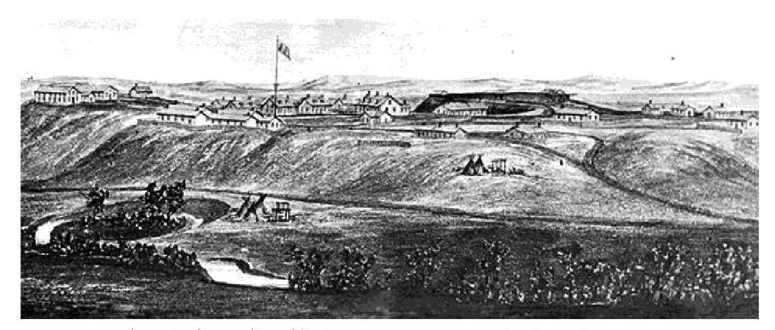
[264] -Charles M. Robinson III، 1996، ص 32.

بعدم الإبقاء على أي شيء من ممتلكاتهم سوى عيونهم التي تذرف الدموع من الحرب، وكان يتبعها بأنه جعل الغربان المحلقة فوق الميدان تجد مئونتها، ورغم كونه أقل مشاعر من رئيسه الجنرال وليام شيرمان، فقد طلب إليه هذه الأخير أن يطبق سياسته على الهنود المقاومين بعد نهاية الحرب الأهلية، فقال:"عليّ اختيار الموسم المناسب للقبض على الشياطين، وإذا قمنا بالهجوم على قرية وقتل النساء والأطفال، فإن المسئولية تقع على عاتق من جعلت جرائمهم هذا الهجوم ضرورياً وليس على الجنود أنفسهم"[265]، وهذه الحيلة التي تلقي مسئولية الضحية على القتيل وليس على القاتل وتحاول تبرئة المجرم وجدناها تتكرر في التاريخ البشري.

[265] -Geoffrey C. Ward، 1996، ص 250.



الجنرال جورج كروك



حصن فترمان في وايومنج حيث انطلق الجنرال كروك



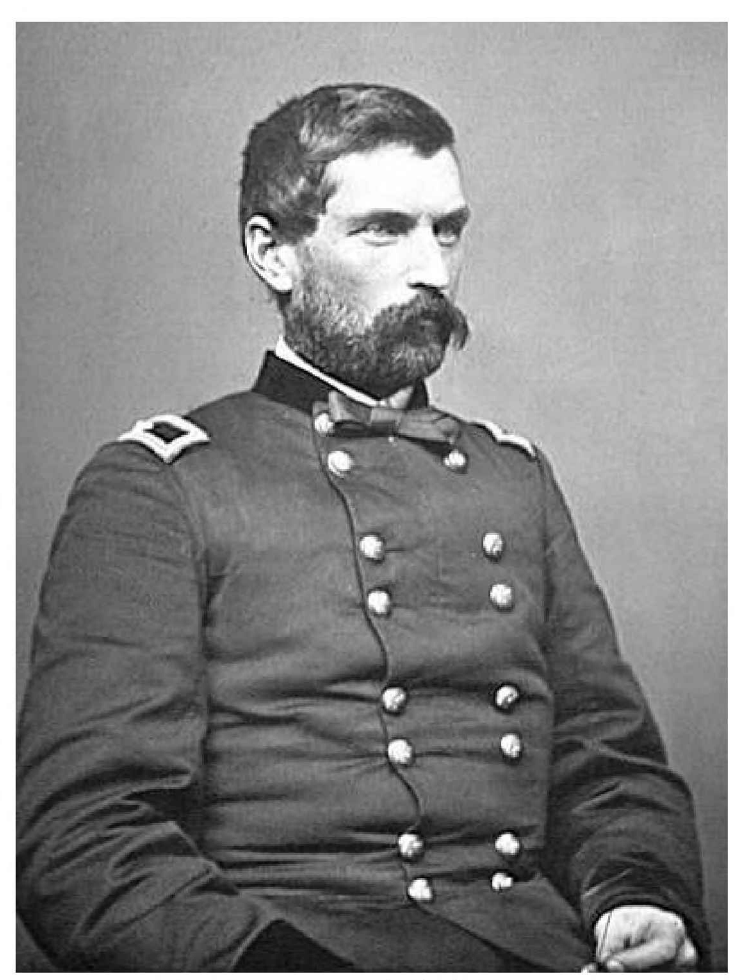
الجنرال ألفرد تيري: حل محل كاستر في قيادة الطابور الشرقي



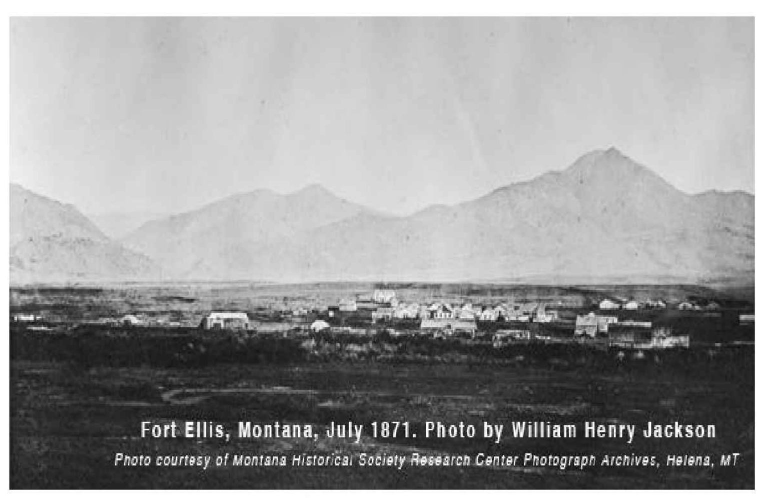
حصن أبراهام لنكولن حيث انطلق تيري وكاستر



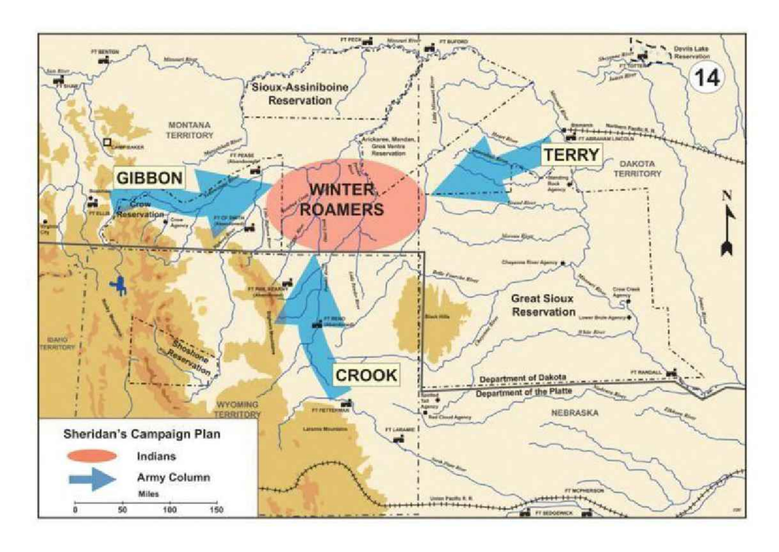
الجنرال جورج أرمسترونج كاستر (الثالث من الشمال) مع زوجته (الثالثة من اليمين) في حصن أبراهام لنكولن مع أفراد من فرقة الخيالة السابعة قبل الانطلاق في الحملة ضد الهنود سنة 1876



الكولونيل جون جيبون



حصن إليس حيث انطلق جيبون



خريطة رقم (13) خطة الجنرال شيريدان لتطويق المقاومة الهندية بزعامة "الثور الجالس"[266]

266 - https://suite.io/kraig-myers/5ngm2ch

أدرك الهنود الخطر المحدق بهم من قبل الجنود القادمين فجاب مبعوثوهم القرى والوكالات لتجنيد المحاربين للدفاع عن أرضهم، وبالفعل توافد المئات على تجمع المقاومة بما معهم من المؤن والأسلحة بروح يملؤها تحدي المعتدين، ورغم أن "الغيمة الحمراء" وزعماء الاعتدال والمعاهدات لم ينضموا إلى التجمع أو يؤيدونه علناً فإنهم منحوا تأييداً ضمنياً لمن يريد الانضمام إلى المقاومة المسلحة، ويذكر أن ابن "الغيمة الحمراء"، جاك، انضم إلى المحاربين برضا من والده[267]، وتجمع نتيجة هذا التوافد في النهاية قرية عملاقة تكونت من ستة تجمعات قبلية، خمسة من "السو" وواحدة من "الشايان" بالإضافة إلى وافدين من قبائل وعشائر أخرى لم تكن أعداد أفرادها ضخمة فانضمت إلى التجمعات الرئيسة[268]، ولم تكن هذه القرية، التي وصفت بأنها أكبر تجمع هندي يشهده تاريخ الولايات المتحدة[269]، تستقر في مكان أكثر من خمسة أيام ثم تضطر للرحيل للبحث عن مزيد من الكلأ وصيد جديد[270].

ظلت التجمعات القبلية تكبر وحجم القرية في زيادة مع وصول المزيد من التعزيزات، ووصل في النهاية عرض القرية إلى ميل أو ميلين وطولها إلى ثلاثة أميال[271]، وقدر عدد سكانها

---

[267] --Jeffrey Ostler، 2010، ص 95.

[268] -Edgar I. Stewart، 1987، ص 183-189.

-Stanley Vestal، 1980، ص 143.

[269] -Angie Debo، 1983، ص 238.

-Bill Yenne، 1986، ص 38.

[270] -Robert W. Larson، 1997، ص 200.

[271] -Edgar I. Stewart، 1987، ص 192.

-Charles M. Robinson III، 1996، ص 154.

بما لا يقل عن عشرة آلاف بينهم من حوالي الألف إلى ثلاثة أو أربعة آلاف من المحاربين[272]، وكان "الثور الجالس" هو الزعيم الأكبر في هذا المخيم[273] وكانت عشيرته هي بؤرة التجمع ومركزه لأن هؤلاء الهنكبابا هم الأكثر عدداً والأقوى والأغنى والأشد مقاومة بين الهنود وزعيمها هو الأبرز بين زعماء الهنود والأشد دفاعاً عن حرية قومه وطريقة حياتهم وتجنباً لحضارة البيض ورذائلها[274]، وقد أنيطت بالهنكبابا مهمة حماية مؤخرة المخيم[275].

لم يكن هدف التجمع الهندي هو البحث عن القتال أو السعي إلى الحرب، فقد كان الزعيم الأكبر "الثور الجالس" يعتقد أنه غير مدين للبيض بأي شيء، فهو لم يخرق أية معاهدة معهم لأنه بكل بساطة لم يوقع أية معاهدة، ومنذ توقيع الغيمة الحمراء معاهدة لارامي سنة 1868 حدث الانفصال بين الزعيمين، ولم يقبل "الثور الجالس" الحياة في الوكالات ولم يتلق أية مساعدات أو هدايا من الحكومة، كان هدف الهنود من تجمعهم هو الدفاع عن أنفسهم وطريقة حياتهم ضد هجوم البيض عليهم، لم يلاحقوا

---

[272] -دي براون، 1982، ص 219.
-David Nevin، 1981، ص 204.
-Edward Lazarus، 1999، ص 87.
-George E. Hyde، 1975، ص 274.
-Robert W. Larson، 1997، ص 203.
-Stanley Vestal، 1980، ص 154.
-Robert M. Utley، 1994، ص 133.
-Charles M. Robinson III، 1996، ص 166.
[273] --Charles M. Robinson III، 1996، ص 153.
[274] -Edgar I Stewart، 1987، ص 184.
[275] -Robert W. Larson، 1997، ص 200.

الجنود ولم يهربوا منهم، حاولوا تجنب الصدام ما أمكن ذلك[276]، كانوا يريدون أن يُتركوا وشأنهم[277]، وكانت إجراءاتهم دفاعية فقط[278]، وكما عبر عن حالهم أحد المؤرخين بقوله إن هؤلاء الهنود لم يكونوا يتطلعون للقتال، ولكنهم كانوا فخورين وواثقين وفي قمة قوتهم بشكل لم يحدث قبل ذلك قط[279]، وكان بعضهم يبحث عن الصيد في ظل خواء الوكالات، وبعضهم موجود مع الأقارب ليس إلا، وبعضهم يهمه قتال القبائل المعادية "كالغراب" و"الشوشون"، وكان هناك من يخشون أن تعاقبهم الحكومة على أخطاء غيرهم كما كانت تفعل دائماً، ففضلوا الانضمام للمقاومة[280]، ولكن هيهات أن يتركهم العدو وهو الذي يلاحقهم ويسعى إلى الإطباق عليهم.

وفي 17 مارس / آذار 1876 هاجم جنود الجنرال كروك قرية لقبيلة "الشايان" على نهر البارود (الخريطة المرجعية رقم 5) ظانين أنها قرية "الحصان المجنون"[281]، ودمروا كل ممتلكاتها وسرقوا جيادها، إلا أنه تم استعادتها قبل الصباح التالي، واضطروا سكانها إلى الهروب وسط الجليد مدة ثلاثة أيام حتى وصلوا قرية "الحصان المجنون" الذي رحب بهم

---

276 -Edgar I Stewart، 1987، ص 153- 154 و184-188.
-George E. Hyde، 1975، ص 267.
-Robert M. Utley، 1994، ص 133-134 و140.
277 -Paula Mitchell Marks، 1998، ص 206.
278 -Stanley Vestal، 1980، ص 155.
279 -Robert M. Utley، 2002، ص 180.
280 -Stanley Vestal، 1980، ص 142.
-Jerome A. Greene، 1994، ص 14.
281 -Edward Lazarus، 1999، ص 86.
-Jeffrey Ostler، 2010، ص 94.

وآواهم، ثم انطلقوا جميعاً نحو مخيم "الثور الجالس" وعشيرته عند مصب نهر البارود، ولما علم الزعيم بما حدث "للشايان" قال:"يجب علينا أن نتحد وإلا سوف يقتلوننا كلاً على حدة، هؤلاء الجنود جاءوا يطلقون النار، إنهم يريدون الحرب، حسناً، سوف نعطيها لهم"[282]، وتحدث للصيقين به بعدما أسعف اللاجئين :"لماذا يفعل البيض ذلك؟ إنني لست في حرب معهم، إنهم ليسوا طعاماً جيداً، أنا أقتل فقط الحيوانات التي نحتاجها للأكل، أنا مع السلام دائماً، ومن يعرفونني سيشهدون بأنني أسعد بكوني محباً للسلام، وأنني أسوي الخلافات بسرور، وسأعطي إشارة لكوننا لا نأبه بالقتال، إذ سأحرك المخيم نحو أعماق الغرب حيث التربة غير صالحة للزراعة وبعيداً عن الرجل الأبيض، لنعيش هناك بسلام، إنها أرض للصيادين، ولن يأتي إليها من يزرعون الأرض لسلبها منا"، ولكن كعادة المعتدين دائماً لا يعتمد موقفهم على موقف الضحايا المستهدفين، ولهذا أصر الجيش على ملاحقة هؤلاء الهنود وعدم الاكتراث بميولهم السلمية[283]، وقد نفد صبر الزعيم وأرسل رسلاً إلى قرى "السو" و"الشايان" و"الأراباهو" يدعوهم إلى التجمع عند نهير البرعم Rosebud Creek للدفاع عن أنفسهم فسرت دعوته في المخيمات والوكالات كسريان النار في الهشيم[284]، وانضمت العشائر إليه تباعاً كما سبق ذكره.

وقبل التوجه إلى ذلك الموعد أقام الزعيم في شهر إبريل/ نيسان/ أفريل 1876 مخيماً عند نهر اللسان Tongue مع

---

[282] -Benjamin Capps، 1982، ص 199.

[283] -Mark Diedrich، 1998، ص 74.

[284] -Stanley Vestal، 1980، ص 141.

جمع من هنود القبائل الأخرى :"السو" الشرقيون والأواسط والغربيون بعشائرهم وزعمائهم، فخطب فيهم خطبة انتقد فيها ثقافة البيض وحضارتهم وجاء فيها: " أنظروا يا إخواني، لقد جاء الربيع، لقد عانقت الشمس الأرض وسنرى قريباً نتائج هذا الحب، لقد استيقظت كل بذرة وكذلك كل حياة الحيوان، ومن هذه القوة الخفية نستمد نحن أيضاً حياتنا ونحن نمنح جيراننا، حتى الحيوانات منهم، نفس حقوقنا في سكنى هذه الأرض الواسعة، ولكن اسمعوني يا أصدقائي، نحن الآن نتعامل مع قوم آخرين، كانوا قلائل وضعفاء عندما قابلهم أسلافنا في البداية، ولكنهم الآن كثيرون ومتغطرسون، ومن الغريب أنهم يحرثون التربة، وحب الامتلاك مرض فيهم، هؤلاء الناس عندهم قواعد كثيرة يمكن للغني أن ينتهكها ولكن الفقير لا يستطيع ذلك، ولديهم دين يقدسه الفقير ولكن الغني لا يفعل، كما أنهم يأخذون الضريبة من الفقير لدعم الأغنياء ومن يحكمون، ويطالبون بأمنا الأرض لاستعمالهم الخاص، فيسيجونها لإبعاد جيرانهم ويشوهون وجهها بالأبنية والقمامة، ويجبرونها على الإنتاج في غير موسمها، وعندما لا تنتج تُعطى دواء لتنتج ثانية، كل هذه التصرفات تدنيس للمقدسات وانتهاك للحرمات، وهذه الأمة كسيل الربيع، تجتاح ضفافها وتدمر كل شيء في طريقها، ونحن لا نستطيع الإقامة جنباً إلى جنب، فقبل سبع سنوات فقط عقدنا معهم معاهدة تم التأكيد فيها على أن أرض الجاموس ستبقى لنا إلى الأبد، والآن هم يهددون بأخذ هذه الأرض منا أيضاً،

إخواني، هل سنستسلم؟ أم سنقول لهم: اقتلني أولاً قبل أن تتمكن من سلب أرض آبائي؟"[285].

وفي شهر مايو / أيار/ ماي 1876 أخبر أحد زوار مخيمه من عشيرة البرول أنه سيدافع عن التلال السوداء ما دام حياً، وأنه لا يريد قتال البيض، وأنه يسرقهم فقط كما يفعلون هم، وأنه سيتوقف عن الأعمال الوضيعة ضد البيض عندما تتوقف نذالتهم في التلال السوداء، وقد وعدت الحكومة الأمريكية هنود الوكالات وعوداً كثيراً لم تف بها، وقد سمع أن هنود الوكالات مُنعوا من زيارة مخيمه، ومن يفعل ذلك يُمنع من العودة إلى وكالته، ولهذا فقد أصدر هو قانوناً بمنع العبور بين مخيمه والوكالات سواء للهنود أو البيض، وأنه سيقاتل الجنود إذا جاءوا إليه، وإذا لم يهجموا فسيذهب هو إلى الوكالات وينصح قومه بالجنوح نحو السلام. كما قال لأحد الكتاب البيض (J. W. Buel): "لست بحاجة لأخبرك كيف خدعَنا البيض،...لقد أفردت الحكومة التلال السوداء لنا، فكانت لنا باتفاق رسمي، وجعلنا هذا الإقليم موطناً لنا، لقد أدركنا كيف سُلبت أراضينا، وكيف طوقت محمياتنا، لقد سيق قومي كالحيوانات المتوحشة نحو مركز ليتم إطلاق النار عليهم من قبل الجنود المحيطين، وقد غزيت بيوتنا في التلال السوداء عندما اكتشف الذهب هناك، فطلبنا الحماية ووُعدنا بها، ورغم إلحاحنا رفضت الحكومة القدوم لمساعدتنا، إن اللصوص البيض يقترفون السلب والنهب ثم يتهمون قومي بارتكاب هذه الأفعال"[286] (ألا يشبه هذا الوضع توزيع الولايات المتحدة تهم الديكتاتورية والإرهاب على من لا يعجبها في

[285] -Mark Diedrich، 1998، ص 75.

[286] -نفس المرجع، ص 76.

الوقت الذي تدعم فيه هي نفس هذه الممارسات في سبيل مصالحها؟). وفي بداية الصيف (14 يونيو/ حزيران/ جوان 1876) قام "الثور الجالس" بأداء رقصة الشمس في تجمع القبائل عند نهر البرعم حيث استمر في أدائها لمدة يوم ونصف بلا طعام ولا شراب، يصعد ويهبط على أطراف أصابع قدميه في إيقاع منتظم وهو يحدق من حين لآخر في الشمس حتى أنهكت قواه في ظهر اليوم التالي وسقط مغشياً عليه في "وفاة مؤقتة"، وحين أفاق أخبر قومه أنه رأى جنوداً من البيض يتساقطون داخل مخيم الهنود، وأنه سمع صوتاً يقول له إن هؤلاء لا آذان لهم[287]، إذن سيكون هناك نصر كبير، ولكنه حذر قومه من سلب الجنود القتلى، "هؤلاء الجنود هدية من واكنتانكا (الخالق)، اقتلوهم، ولكن لا تأخذوا بنادقهم وجيادهم، إذا مالت قلوبكم نحو ممتلكات الرجل الأبيض، ستحل لعنة بهذه الأمة"[288].



صخور سحر الغزال Deer Medicine Rocks في ولاية مونتانا حيث رأى الثور الجالس هزيمة الجنود الأمريكيين في رؤياه قبل المعركة بقليل.

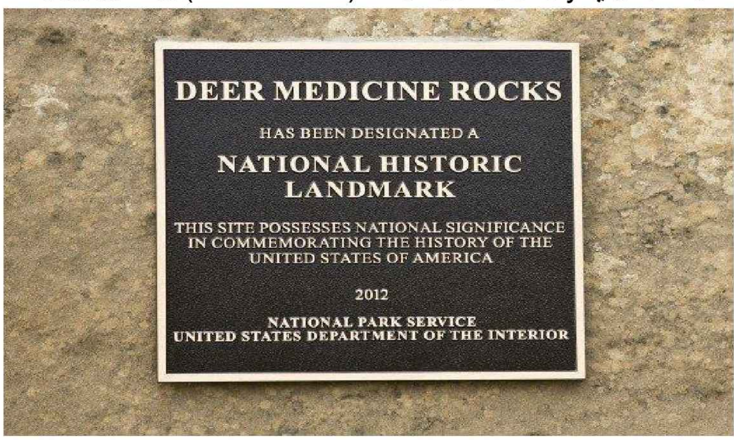
---

[287] -دي براون، 1982، ص 218.

[288] -Benjamin Capps، 1982، ص 201.



"الثور الجالس" يقص نبوءته على قومه بعد رؤياه وذلك كما تخيله الفنان مايكل جنتري Michael Gentry (1940-1994) وفقاً لويكيبيديا[289]



كالعادة، الولايات المتحدة "تكرم" ضحاياها ولكن بعد فوات الأوان كثيراً: الموقع يصبح معلماً تاريخياً سنة 2012

---

[289] http://indiancountrytodaymedianetwork.com/2015/06/12/sitting-bull-life-photos-160705

كما قام بكثير من الصلوات والتضرع إلى الخالق أن يرحمه ويرحم قبيلته، ويحرسهم من النكبات والمصائب، وأن يرزق قومه الصيد الوفير، وأن يمكن للشرفاء في الأرض لتكون جميع الأمم قوية ومزدهرة، وأن يمنحهم القلوب الطيبة لتعيش قبيلته سعيدة[290]. وفي هذه الأثناء كانت طوابير الجنود الثلاثة تقترب من الهنود، الجنرال ألفرد تيري على رأس 925 جندياً من الشرق، الكولونيل جون جيبون على رأس 450 جندياً من الغرب، والجنرال جورج كروك على رأس 1040 جندياً من الجنوب مع 262 من هنود "الغراب" و"الشوشون" المعادين "للسو"[291].

كان طابور الجنرال جورج كروك من الجنوب هو أقرب الطوابير الثلاثة للهنود، وكان قد عسكر في الأسبوع الأول من يونيو/ حزيران/ جوان 1876 بالقرب من الحد الفاصل بين وايومنج ومونتانا على نهر الأوزة Goose Creek، وهو فرع من نهر اللسان، وتلقى رسالة من "الحصان المجنون" يعلمه فيها أن أي جندي يجتاز نهر اللسان سوف يُقتل.

كان كروك قد طلب مساعدة قبيلتي "الغراب" و"الشوشون" لقتال "السو" و"الشايان" و"الأراباهو"، وذلك بسبب العداوة التي كانت قائمة بين الطرفين، ورغم الخلافات التي كانت بين "الغراب" و"الشوشون" فإن القبيلتين تناست ذلك الآن، وفي 14 يونيو/ حزيران/ جوان وصله 176 محارباً من قبيلة "الغراب" بقيادة "الغراب السحري" وآخرين، كما وصل في نفس اليوم

---

[290] -Mark Diedrich، 1998، ص 78 و80.

[291] -Benjamin Capps، 1982، ص 199 و201.

86 محارباً من "الشوشون" تحت قيادة الزعيم واشاكي Washakie.



"الغراب السحري"[292]

---

292 - http://poulosstudios.com/Medicine%20Crow.htm



"واشاكي" زعيم الشوشون

وفي صباح يوم 16 عبر الجنرال كروك وجنوده نهر اللسان فدخل أرض "السو" وتحدى بذلك تهديدات "الحصان المجنون"، وعند الظهر جاء كشافته بخبر عن اكتشافهم آثار قوة كبيرة من

"السو"، فعسكر الجنود في تلك الليلة عند منبع نهير البرعم Rosebud وقبل فجر يوم 17 واصلوا المسير بمحاذاة النهر، وفي الثامنة صباحاً أصدر كروك أمراً بالتوقف مع عدم الترجل، وقام حلفاؤه الهنود باتخاذ مواقع لهم على حواف الوادي الشمالية وأرسلوا كشافتهم لتتبع آثار "السو"، ولكن لم يمض وقت طويل حتى عاد أحدهم وهو مصاب ويصيح :"السو، السو، كثير من السو".

ظهر محاربو "السو" وحلفاؤهم "الشايان" من جهتي الشمال والغرب، ولم يكن مستعداً لهم سوى حلفاء كروك من الهنود "الشوشون" و"الغراب"، الذين قاموا بصد الهجوم الأول المكون من 500 محارب في الوقت الذي بقي فيه آخرون بين التلال لتوجيه الضربة التالية للجنود غير المستعدين وغير المنتظمين.

أفسد استعداد الهنود من حلفاء كروك عنصر المفاجأة في هجوم "الحصان المجنون"، وإن لم يكن ذلك بصورة كاملة، ولكنه على الأقل أعطى فرصة للجنود للتأهب، وبهذا انتهى الهجوم الأول.

قام "السو" وحلفاؤهم بالهجوم الثاني بشكل مخادع، إذ بعد اندفاعهم بقوة انسحبوا بشكل أغرى حلفاء كروك بمطاردتهم ولكنهم ابتعدوا عن الجنود أكثر من اللازم واضطروا للعودة ثانية.

حاول كروك لفت انتباه الهنود بإصدار أمر إلى إحدى كتائبه بمغادرة أرض المعركة والتوجه للهجوم على قريتهم لعلهم يلحقون بالكتيبة لحماية عائلاتهم فيقوم هو بضربهم من الخلف، ولكن الخطة لم تنجح إذ بدلاً من اللحاق بالكتيبة المتوجهة للقرية هاجم الهنود نقطة الضعف التي نشأت عن انسحابها من الجبهة

فأدرك كروك حجم الخطر الذي أوقع نفسه فيه وأمر الكتيبة بالعودة في الوقت الذي كانت فيه جهود حلفائه الهنود هي التي أنقذته مرة أخرى[293]، والهدف من ذكر ذلك هو بيان مدى الخسارة التي يخسرها أي مجتمع حين ينقسم على نفسه ويعين الأجنبي على بعضه البعض، وسنجد أن قبيلة "الشوشون" ستكون فيما بعد ممن ينتظرون معجزة الخلاص من الرجل الأبيض وفق النبوءات التي عرضها مؤسس "رقصة الأرواح" سنة 1890، وذلك بعدما خانت الجميع، أعداء البيض وأصدقاءهم، وعود البيض وأمانيهم (كما حدث في تاريخنا تماماً وذلك منذ تدخل الغرب وشق الصفوف واصطنع عملاء ليضرب بهم الآخرين فخسر الجميع وربح وحده).

تحلى الهنود من "السو" و"الشايان" بروح جديدة ومبادرة غير مسبوقة في هذه المعركة، فلم يتبعوا خططهم التقليدية في الحرب والتي تعتمد على الدوران من مسافة آمنة وإطلاق الرصاص والسهام على العدو[294]، في هذه المعركة خاض الهنود القتال بضراوة شديدة واقتحموا الأخطار بلا وجل، وبدلاً من الاندفاع أمام النيران، التفوا على أجنحة الجنود وضربوهم من النقاط الضعيفة وشتتوا انتباههم حتى جعلوهم يقاتلون في ثلاث جبهات منفصلة في الوقت الذي كان الجنود معتادين فيه على القتال في جبهات قوية مما جعلهم هنا يرتبكون ارتباكاً شديداً وصارت جبهتهم مفككة وفي حالة دفاع مستمرة والهنود يندفعون بشن الهجمات الجريئة حتى إذا حمى الوطيس تراجعوا

293- Benjamin Capps، 1982، ص 154-157.

294- George E. Hyde، 1975، ص 264.

لإغراء الجنود بملاحقتهم ثم ينقضون عليهم بكل ضراوة[295]، وكان "الثور الجالس" حاضراً في المعركة ولكنه كان متعباً من الآثار المرهقة لرقصة الشمس قبلها بأسبوع ولهذا لم يقاتل واكتفى بتخلل الصفوف لحض المقاتلين على الشجاعة[296].

قُتل في هذه المعركة 13 من "السو" و 28 من جيش كروك وجرح 56 منه، وبالرغم من الهلع الذي أصاب كروك وجعله يعود ثانية إلى نهر الأوزة ويتوقف عن أي تقدم لتنفيذ الخطة الأصلية بالإطباق على الهنود المقاومين بزعامة "الثور الجالس" مما شل جناحاً كاملاً من الأجنحة الثلاثة التي تعتمد عليها الخطة، وبالرغم من الحالة البائسة التي سادت بين جنوده من فوضى وارتباك وعدم قدرة على ملاحقة الهنود، فقد ادعى الجنرال أنه انتصر في هذه المعركة[297]، ولكن المؤرخين كانت لهم آراء مخالفة للجنرال تراوحت بين عدم إقراره على ادعائه الانتصار كما وصفه هو ظاهرياً خلافاً لقناعته الداخلية، ووصف المعركة بالهزيمة الساحقة له وهي أول هزيمة يتعرض لها[298]، وذلك رغم مكانته بصفته أبرز مقاتل ضد الهنود في

---

[295] -دي براون، 1982، ص 218-219.

[296] -Robert M. Utley، 1994، ص 141.

[297] -Benjamin Capps، 1982، ص 157.

[298] -نفس المرجع، ص 157.

-Charles M. Robinson III، 1996، ص 151.

-Edgar I. Stewart، 1987، ص 208.

-Edward Lazarus، 1999، ص 87.

-Jeffrey Ostler، 2010، ص 76.

-Howard R. Lamar، 1998، ص 988.

-Ralph K. Andrist، 1993، ص 266.

-Robert W. Larson، 1997، ص 202.

جيش الولايات المتحدة[299]، بشهادة قائد الجيش الأمريكي الجنرال وليام شيرمان[300].



صورة أخرى للجنرال جورج كروك الذي كان منقسماً بين قلبه وسيفه، يقسو على الهنود في أرض المعركة وهو يعلم أنهم مظلومون[301]، ثم يحاول الحصول على أفضل ظروف الاستسلام لهم، استخدم طريقة مبتكرة لقهر السكان الأصليين باستعمالهم ضد بعضهم البعض، وذلك لأنه ليس

---

[299] -Angie Debo، 1983، ص 237.
-Benjamin Capps، 1981، ص 64.
[300] -Ralph K. Andrist، 1993، ص 249.
[301] -Angie Debo، 1983، ص 211.

هناك أثر ضار بهم كأثر استخدام إخوتهم ضدهم في الوقت الذي لا يقيمون وزناً للجندي الأمريكي الذي يتفوقون عليه، والمسألة ليست مجرد كفاءة الهندي الحليف في معرفة أساليب ووطن الهندي المعادي ومن ثم القبض عليه بل في تفتيتهم وتحطيمهم [302]، (تماماً كما تحطم الفلسطينيون والعرب والمسلمون بأيدي إخوتهم)، مات كروك تأثراً بنقض الحكومة لتعهداته للهنود[303]

وبعد المعركة تدفق الهنود من الوكالات على المخيم المقاوم نتيجة لسوء الأحوال في المحمية الهندية، وفي غضون ستة أيام تضاعف حجم القرية العملاقة من 450 خيمة إلى 1000 خيمة، وهو ما نظر إليه المسئولون العسكريون على أنه تواطؤ بين الزعماء المسالمين والمقاومين[304] (كما كان الصهاينة يفعلون عندما يتهمون شركاء السلام بالتواطؤ في عمليات المقاومة في الوقت الذي لا يقدمون هم شيئاً لدعم هؤلاء الشركاء و"عملية السلام").

هذا عن طابور الجنرال كروك من الجنوب، أما عن الطابورين الآخرين القادمين من الشرق والغرب واللذين قادهما تيري وجيبون، فقد التقيا في أوائل يونيو/ حزيران/ جوان 1876 على نهر الصخرة الصفراء Yellowstone River، وتلقيا في يوم 14 تقريراً من الميجور ماركوس رينو قائد الفرقة الاستكشافية يفيد بأن قافلة كبيرة من الهنود تتجه نحو نهير البرعم، وكان ذلك قبل المعركة هناك مع الجنرال كروك بثلاثة أيام.

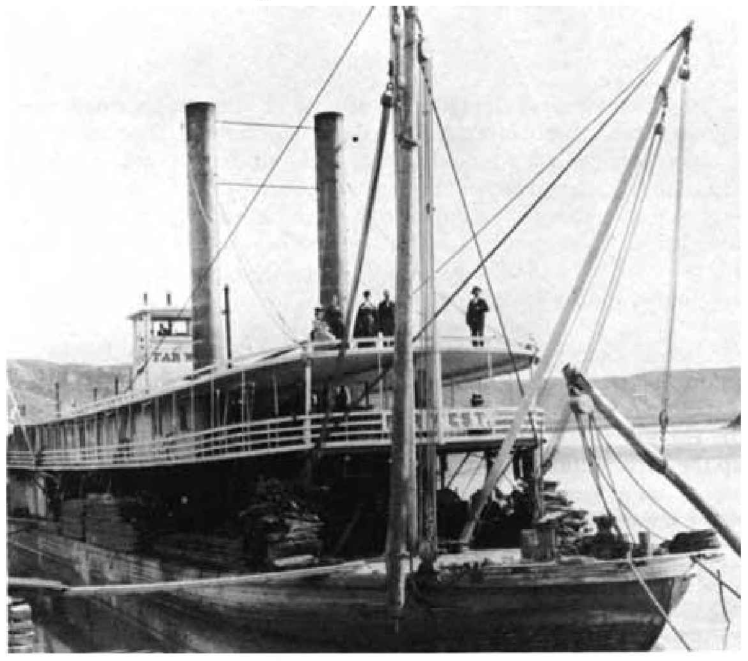
---

[302] -John D. McDermott، 1998، ص 61.

[303] -George E. Hyde، 1993، ص 280.

[304] -Robert W. Larson، 1997، ص 202-203.

وفي يوم 21 عقد اجتماع على متن سفينة "الغرب البعيد" Far West ضم الجنرال ألفرد تيري والكولونيل جون جيبون والليفتنانت كولونيل جورج كاستر قائد مجزرة واشيتا ضد هنود "الشايان" وزعيمهم المسالم "الإبريق الأسود" سنة 1868، وقائد الحملة الاستكشافية في التلال السوداء سنة 1874 والذي عبر "طريق اللصوص"، فأطلق عليه الهنود لقب "زعيم اللصوص" أو "الشعر الطويل" بسبب طول شعره خلافاً للجنود العاديين، وكان هذه المرة تحت قيادة تيري.



سفينة "الغرب البعيد" حيث عقدت قيادة الحملة على الهنود اجتماعها ثم نقل جرحى معركة القرن الكبير على متنها إلى حصن أبراهام لنكولن

تم الاتفاق بين القادة الثلاثة على خطة اعتمدت على فكرة سيطرت على الجميع وهي أن الهنود سيهربون، ولهذا يجب منعهم من الهرب والإطباق عليهم، وكان على كاستر قيادة فرقته السابعة جنوباً وملاحقة القافلة الهندية التي وجدها رينو والتي يتوقع أن تواصل سيرها نحو الفرع الأصغر لنهر القرن الكبير Little Big Horn (الخريطة المرجعية رقم 5) والذي يطلق عليه الهنود اسم "نهر العشب الدهني" (خريطة رقم 15)، وسيقوم تيري وجيبون بالتوجه نحو النهر نفسه مباشرة، وتحدد يوم 26 يونيو/ حزيران/ جوان 1876 للالتقاء بكاستر حيث يتم حصر الهنود في الفخ والإطباق عليهم من قبل جميع الجنود.

كانت مهمة كاستر هي قطع طريق الفرار على الهنود وليس مهاجمتهم، وقبل أن ينفصل بفرقته ويتوجه جنوباً، حذره جيبون فيما يشبه المزاح من التهور لاحتكار النصر: "والآن يا كاستر، لا تكن جشعاً، انتظرنا"، فأجابه كاستر بنفس الطريقة: "كلا، لن أفعل"، وذهب، ليكون هذا آخر لقاءاته بهما[305].

طرفا النزاع

قبل الاسترسال في سرد الأحداث التالية سأعرج قليلاً على كاستر وفرقة الخيالة السابعة التي كان يقودها، والطرف الهندي المقابل، فقد كانت مشاركة كاستر في الحملة ضد الهنود قد ألغيت بأمر من الرئيس يوليسيس غرانت نفسه كما مر واستبدل غيره به بسبب خلاف شخصي يتعلق بشهادة كاستر في فضيحة

---

[305] -Frank Humphris، 1976، ص 16.

الفساد التي قضت على المستقبل السياسي للرئيس، وبعد محاولات عديدة بذلها كاستر تضمنت التوسل والركوع والبكاء أمام الجنرال تيري تمت موافقة الرئيس على إعادته ولكن تحت إمرة تيري نفسه في الحملة، مما جعل هم كاستر هو تحقيق الانتصار منفرداً وكسب النصر دونه واحتكار المجد، فجاء في بعض أقواله إن الحرب على الهنود هي حرب الفرقة السابعة وحدها[306].

أما عن هذه الفرقة السابعة التي قادها كاستر فقد كان أفرادها الأكثر فخراً وتجهيزاً في الغرب كله[307]، وربما كانت ذات سمعة مدوية أكبر من حقيقتها[308]، والطريف أنها قاتلت الهنود وارتكبت مجزرة واشيتا (1868) وحملت أيضاً أعباء حماية العبيد السابقين في الجنوب الأمريكي بالإضافة إلى ضبط الولايات الجنوبية وقمع شغب عصابة الكو كلاكس كلان التي كانت تلاحقهم وتضطهدهم[309]، أي أنها كانت تحمي "الحرية" في جهة، وأوكل إليها القضاء على حرية السكان الأصليين من جهة أخرى، وسيكون لها تاريخ دموي في هذا المجال.

كان كاستر الذي عارض قمع إرهاب منظمة الكلان[310]، يتباهى بأن فرقة الخيالة السابعة يمكنها أن تهزم قبيلة "السو" بأكملها[311]، بل هنود السهول بل وأي عدد من الهنود[312]،

---

306 -Edgar I. Stewart، 1987، ص 120-139 و246.

307 -Edward Lazarus، 1999، ص 89.

308 -Edgar I. Stewart، 1987، ص 178.

309 -نفس المرجع، ص 162-166.

-Ralph K. Andrist، 1993، 241.

310 -Richard Slotkin، 1998، ص 407.

311 -Angie Debo، 1983، ص 238.

312 -Ralph K. Andrist، 1993، 268.

وعندما خرجت الحملة ضد المقاومة الهندية سنة 1876 كان أفراد الفرقة يعتقدون أنهم في رحلة لصيد الأوز ولم يكن هذا الغرور خاصاً بفرد أو جنود بل كان اعتقاداً منتشراً أدى فيما سبق إلى حتف كل من جراتان وجنوده (1854) وفترمان وجنوده (1866)، وسيؤدي إلى نفس النتيجة في حالة كاستر أيضاً، وكان الاعتقاد الرسمي في الجيش أن أي طابور من الطوابير الثلاثة التي انطلقت من الشرق والغرب والجنوب للإطباق على الهنود، كاف بمفرده لهزيمتهم[313]، وسيطر على الرسميين اعتقاد أن الهنود سيفرون[314]، ولهذا أرسلت الطوابير الثلاثة من جميع الجهات لحصرهم.

-Edgar I. Stewart، 1987، ص 246.
-Charles M. Robinson III، 1996، ص 166.
[313] -Edgar I. Stewart، 1987، ص 243.
-John D. McDermott، 1998، ص 158.
[314] -Angie Debo، 1983، ص 238.
-Edgar I. Stewart، 1987، ص 243 -244.
-John D. McDermott، 1998، ص 159.
-George E. Hyde، 1975، ص 266.
-David Nevin، 1981، ص 204.

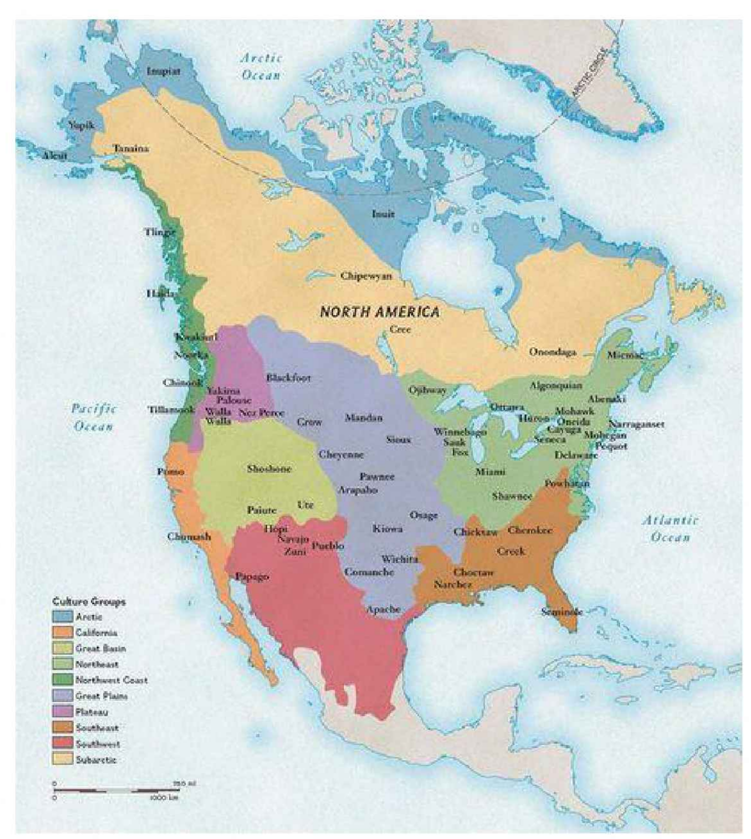


الجنرال جورج أرمسترونج كاستر قائد فرقة الخيالة السابعة للفنان آرثر ميلر، وقد عرف الجنرال بغروره حتى أنه ابتكر لنفسه زياً خاصاً مختلفاً عن الزي العسكري في الميدان، بنى مجده العسكري من مشاركته في الحرب الأهلية الأمريكية، ساهمت قيادته لمجزرة "واشيتا" التي قتل فيها زعيم "الشايان" المسالم "الإبريق الأسود" في لمعان اسمه بصفتها

"معركة" وبصفته أشهر مقاتل ضد الهنود[315]، كما كانت المعارك ضد الهنود على الدوام من المصادر الرئيسة لبناء مستقبل سياسي لأصحابها في الحياة السياسية الأمريكية وهو ما حاوله الكولونيل جون تشيفنجتون في مجزرة نهير الرمل (1864)[316] قبل كاستر وما حاوله عسكريون آخرون أيضاً منذ أيام وليم هنري هاريسون وأندرو جاكسون في النصف الأول من القرن التاسع عشر واللذان وصلا إلى منصب الرئاسة، وسيحاول الجنرال كاستر دعم سجله العسكري وسمعته السياسية بمشاركته في الحملة على الهنود في سنة 1876 ولكنه سيلقى حتفه بدلاً من جني مجده في أكثر هزيمة مدوية للجيش الأمريكي على أيدي الهنود[317]

---

315 -Bill Yenne، 1986، ص 38.
-John D. McDermott، 1998، ص 149-150.
-Geoffrey C. Ward، 1996، ص 292.
316 -Geoffrey C. Ward، 1996، ص 199-200.
-Robert M. Utley، 2002، ص 87 و89.
317 -Bill Yenne، 1986، ص 38-39.



خريطة رقم (6)-د: توزيع مواطن القبائل الهندية[318] وتبدو فيها القبائل الرئيسة في السهول والتي تحالفت ضد الأمريكيين سنة 1876 وهي "السو" و"الشايان" و"الأراباهو"

بلغ التجمع الهندي المقاوم حجماً كبيراً وضم عشائر "السو" الغربيين (لاكوتا) ومن "السو" الشرقيين (داكوتا) و"السو"

---

318 _ http://blog.education.nationalgeographic.com/2012/11/20/native_american_heritage_month/

الأواسط (ناكوتا) بالإضافة إلى "الشايان" الشماليين والجنوبيين و"الأراباهو" وغيرهم (يمكن النظر في خريطة توزيع القبائل لمعرفة الامتداد الذي غطته تلك الأحداث والنفوذ الذي تمتع به الزعيم الأكبر وهو "الثور الجالس")، وقد وُصف هذا التجمع بأنه أكبر تجمع للهنود ظهر في تاريخ السهول الشمالية[319]، أو في تاريخ السهول كلها[320]، كانوا في قمة الغنى والسعادة والوفرة والسلام، كانوا أغنياء من كل شيء يمثل الغنى في السهول: الخيام والغذاء واللباس والجياد التي ملأت البرية كالغطاء[321]، وقد عبر أحد المؤرخين عن حالهم بالقول إن ذلك الصيف كان أعظم صيف في حياتهم[322]، وكان كل زعماء الحرب الكبار موجودين[323]، ولكن أهمهم كان "الثور الجالس"، وفي ذلك يقول أحد شهود العيان من الهنود الذين حضروا الأحداث إن هناك قادة ترأسوا القبائل المختلفة داخل التجمع "ولكن القائد الأعظم للجميع كان زعيم الهنكبابا : "الثور الجالس"، طوال الفترة التي خيمنا فيها مع بعضنا البعض كنا ننظر إليه كقائد أكبر، كنا جميعاً نجتمع حوله، لأنه وقف من أجل طريقتنا في الحياة والحرية التي عرفناها دائماً"[324]، وقال آخر:"كان الزعماء من مختلف القبائل يجتمعون كأشخاص متساوين، وكان هناك واحد يعد فوق الجميع وذاك هو "الثور

---

[319] -Jerome A. Greene، 1994، ص 31.
[320] -Bill Yenne، 1986، ص 157.
[321] -Angie Debo، 1983، ص 238.
[322] -George E. Hyde، 1975، ص 273.
[323] -Angie Debo، 1983، ص 238.
[324] -Leslie Tillett، 1976، ص 93.

الجالس"، الذي كان زعيماً لكافة المخيمات مجتمعة"[325]، وقال ثالث:"كلما كان الزعماء يعقدون مجلساً كانوا يذهبون إلى معسكر "الثور الجالس" لأنه كان رجل دين عظيم"[326].

وكالعادة في كل أمكنة الحضارة الغربية وأزمنتها، كانت صورة هذا الزعيم سلبية لدى أعدائه، فقد وصفه الكولونيل جون جيبون بأنه هندي سيء السمعة، يتباهى بموقفه المتحفظ من البيض في الوقت الذي يمارس التجارة بشكل غير مباشر مع الوكالات، أما الجنرال فيليب شيريدان فإنه نفى وجود دليل على أن "الثور الجالس" هو زعيم القبائل المقاومة، بل إنه على العكس من ذلك فنفوذه غير هام وسببه الرئيس هو اسمه غير الاعتيادي (Sitting Bull) والخلط بينه وبين كلمة معاد (hostile)، وأن الرأي العام مزج بينه وبين المقاومين بسبب هذا الاضطراب، وأن الزعيم نفسه لا يدرك حقيقة شهرته لأنه لم يفعل أي شيء ليستحقها، وأنه لم يكن يوماً أكثر من محارب لا أهمية له يقود عصابة من اللصوص[327] (هل نذكر أوصافاً انتقاصية مشابهة أطلقت على المقاومة ضد الكيان الصهيوني في زمننا المعاصر؟).

ولتبيان مدى دقة هذه التحليلات "العلمية" التي تواجهنا في كل أزمات الحضارة الغربية مع أعدائها فتتجه لمعين الاستئصال الاستشراقي لتشويه صور مخالفيها وانتقاصهم لتبرير القضاء عليهم، يورد أحد المؤرخين أن اسم الزعيم "الثور الجالس" كان أوضح دليل على مكانته بين قومه، إذ

---

[325] -دي براون، 1982، ص 220.

[326] -Jerome A. Greene، 1994، ص 54.

[327] -Edgar I. Stewart، 1987، ص 187.

كانت ترجمته الحرفية لهذا الاسم هو (ثور الجاموس القاعد) Buffalo Bull Sitting Down، ولما كان الثور يعد لدى الهنود الأكثر حكمة وقوة بين الحيوانات، والحيوان المفضل بعد الإنسان، فإنه كان المفضل كذلك لدى "الروح العظمى الحاضرة في كل مكان"، أما تعبير "الجالس" أو "القاعد" فهو دال على المكوث الدائم، مما يؤدي إلى أن معنى الاسم في المحصلة هو كون أكثر الحيوانات تقديراً يمكث دائماً بينهم، فأين هذا من الاستنتاجات "العلمية" لقائد الجيش الأمريكي؟ ولكن كون الزعيم مقاوماً للأمريكيين والأداة الأعظم لتوحيد القبائل الهندية ضدهم فإن هذا جعله على رأس القائمة السوداء[328]، كما هي العادة في كل زمان ومكان في حضارة الغرب.

قبل المعركة الكبرى[329]

بعد مغادرة كاستر وجنوده مكان الاجتماع الذي عقد يوم 21 يونيو/ حزيران/ جوان 1876 على متن سفينة "الغرب البعيد"، سار مع جنوده في يوم 23 لمسافة 30 ميلاً عانوا أثناءها من قلة العشب لطعام جيادهم، بالإضافة إلى الماء والرمال القلوية التي أوجعت عيونهم وآذت أنفاسهم، وفي اليوم التالي ساروا 28 ميلاً ووصلوا مكاناً كان الهنود معسكرين فيه منذ مدة قصيرة، وعند غروب شمس ذلك اليوم توقفوا عند نهر البرعم.

---

[328] -نفس المرجع، ص 185-186.

[329] -الوصف الميداني حتى نهاية المعركة تلخيص لما ورد في المرجع التالي ما لم ينص على غير ذلك:

-David Nevin، 1981، ص 209-220.

أما كشافة كاستر، ومعظمهم من الهنود، فقد رأوا آثاراً حيرتهم في البداية ولكن الحيرة تحولت سريعاً إلى قلق وانزعاج، فقد لاحظوا آثاراً متتالية لعدة مخيمات كانت قريبة جداً من بعضها البعض وتسير في نفس الاتجاه، ولكنهم أدركوا بعد ذلك أنها ليست مخيمات عديدة بل مخيم واحد كبير، ولما عادوا إلى كاستر في الساعة التاسعة مساء أخبروه أن المخيم يتجه غرباً نحو الفرع الأصغر لنهر"القرن الكبير" Little Big Horn، أو "القرن الصغير".

توالت التحذيرات على كاستر من حجم القوة الهندية التي يواجهها الجنود، وقد صرح له "السكين الملطخة" بأن هناك من الهنود ما يفوق عدد الرصاص في مسدسات جميع جنوده، ولكن كاستر لم يستوعب حقيقة الخطر المحدق به، فقد سيطر عليه هاجس واحد هو تحقيق النصر على الهنود وأن يصبح بطلاً قومياً تصفق له الجماهير وتكتب الصحف اسمه بخط عريض، والشيء الوحيد الذي كان يخشاه هو هروب الهنود وإفلاتهم منه وعدم تمكنه من الإطباق عليهم، ولعل تحذيرات الكشافة كانت مريحة له لأنه كلما كثر عدد الهنود كان نصره أكبر وكتب اسمه بخط أعرض، ولهذا اصطحب معه مراسلاً صحفياً خلافاً لأوامر قائد الجيش الجنرال شيرمان نفسه، أما احتمال أن يكون عدد الهنود في صالحهم وأن يساعدهم على النصر فهو احتمال غير وارد عنده قط، لأن كاستر كان يؤمن بأن فرقته السابعة يمكنها هزيمة أي عدد من الهنود كما سبق ذكره.



كاستر أثناء حملة 1874 الاستكشافية داخل التلال السوداء بين كشافته الهنود محيطين به كالمريدين وجالسين على الأرض ككلابه الأوفياء، الجالس على يمينه هو "السكين الملطخة" الذي وصف بأنه أفضل كشاف هندي خدم الجيش الأمريكي وأنه المفضل لدى كاستر وسيرافقه في حملة 1876 ويموت معه[330].

وفي الحادية عشرة مساء واصل طابوره السير وقام كاستر هنا بفعل متهور جديد ضمن خطته نحو الشهرة، فكما سبق القول إن كاستر أراد أن يهاجم الهنود وحده وينتصر عليهم وحده فيحتكر المجد وحده، ولم يكن يريد أن يسجل النصر باسمه إلى جانب تيري وجيبون وكروك، وهي أسماء ربما ستغطي اسمه، ولهذا لم يصل كاستر إلى النقطة التي حددت له

330 - http://en.wikipedia.org/wiki/Bloody_Knife

جنوباً في اتفاقه مع تيري وجيبون، وقبل أن يصلها، اندفع غرباً مع جنوده بسرعة كبيرة ليقوم بالهجوم المنفرد، وحتى لا يلتقي مع كروك الذي كان يعلم هو أنه آت من الجنوب ولم يصله خبر أن "الحصان المجنون" هزمه ورده على أعقابه عند نهر البرعم قبل أسبوع.

في الساعة الثانية صباحاً من يوم 25 توقف الفوج للاستراحة مدة ست ساعات ثم استأنف السير وأرسل كاستر في أثناء الليل مجموعة من الكشافة بقيادة الليفتينانت فارنوم Varnum لاستطلاع وادي نهر "القرن الصغير"، ولم يكن الهنود غافلين عن تحركات كاستر، وكان كشافتهم يراقبونه باستمرار، كما أن كشافته علموا أن الهنود يراقبونهم وذلك من الآثار الحديثة حول خط سير الجنود.

بعد طلوع الفجر رأى الكشافة الهنود الذين أرسلهم كاستر ليلاً أن هناك شيئاً غريباً على بعد أميال واستطاعوا بشيء من التدقيق وبزيادة نور الصباح أن يتعرفوا على أكبر قطيع خيول شاهدوه في حياتهم إذ كان فيه 20 ألف حصان، فأرسل الليفتينانت فارنوم رسالة تحذير إلى كاستر الذي جاء بنفسه إلى الهضبة التي يقف عليها كشافته ليرى تلك "السجادة الداكنة" التي تكلم عنها كشافته الهنود، ولكنه لم يستطع أن يرى بالمنظار ما رآه هنوده بعيونهم المجردة.

أعاد "السكين الملطخة" تحذيره لكاستر:"سنجد من الهنود ما يكفي لاستمرار القتال يومين أو ثلاثة"، فرد عليه كاستر بالقول :"سننتصر عليهم في يوم واحد"، كان الجنرال مؤمناً بحظه ذي الشهرة والسمعة Custer Luck فجعل من كثرة عدد الهنود دليلاً على حسن طالعه إذ منح الفرصة ليواجه "أكبر مخيم هندي

في القارة الأمريكية"، ولم يستوعب تحذيرات كشافته الهنود الخبراء لأن أحلامه وطموحاته حلقت به بعيداً جداً عن الواقع، وصار يرى أن كثرة الهنود سلم لأمجاده وليست حفرة لهلاكه، وكان متعطشاً للمعركة حيث سيهاجم الهنود، فيهربون، وعندما يسد الطرق في وجوههم ويطبق عليهم سيتمكن من قتلهم، وكلما زاد عدد قتلاهم، ارتفع صيته وزاد مجده[331]، وبعد نزوله من الهضبة رأى فارنوم مجموعة من الهنود تبتعد بسرعة بموازاة النهر فأرسل لكاستر يحذره من هروب الهنود، ولم يكن في ذلك الوقت أفضل من هذا التحذير لإثارة أعصاب كاستر ودفعه لعمل طائش يودي بجميع جنوده إلى الهلاك.

كان قد سبق لكاستر أن تلقى تحذيرات مشابهة قبل قيامه بمجزرة واشيتا (1868)، وكان رده على تلك التحذيرات من كثرة عدد الهنود أنه لا يوجد في كل الإقليم من الهنود ما يكفي للتغلب على فرقة الخيالة السابعة[332]، كما أن حياة جنوده لم تكن من أولوياته عندما يتعلق الأمر ببناء أمجاده[333]، ويبدو أن هذا الغرور دُعم "بالانتصار" الذي حققه في "واشيتا" فأصبح يظن أنه سيكرر نفس المشهد مهما بلغت المخاطر.

ولما وصل الفوج منبع نهير الرماد Ash Creek، والذي سمي فيما بعد نهير رينو، توقف الجنود وقسمهم كاستر إلى ثلاثة أقسام: الأول تحت قيادة الكولونيل فردريك بنتين ويضم ثلاث سرايا أي 125 جندياً، والثاني تحت قيادة الميجور ماركوس رينو ويضم ثلاث سرايا أخرى، أما القسم الثالث وهو

---

331 -Stanley Vestal، 1980، ص 157-158.

332 -Geoffrey C. Ward، 1996، ص 250-251.

333 -نفس المرجع، ص 253.

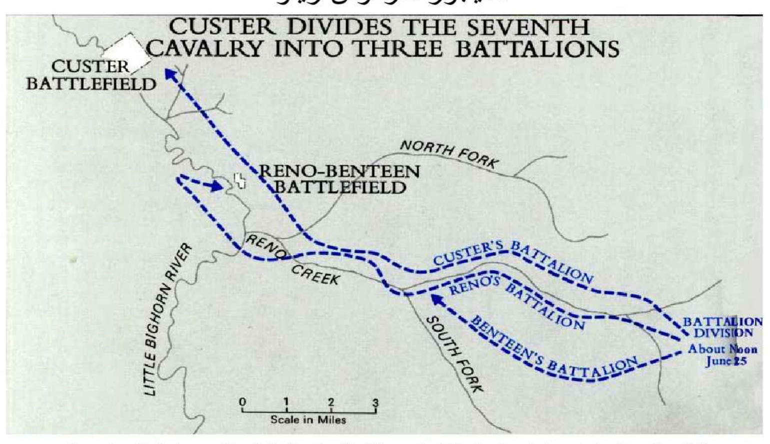
الأكبر فكان يضم خمس سرايا (215 جندياً) وظل مع كاستر نفسه، وكان الهدف من ذلك هو توزيع القوة في شتى الجهات وحصر الهنود بين الأقسام الثلاثة وسد طريق الهرب عليهم.



الكولونيل فردريك بنتين



الميجور ماركوس رينو



خريطة رقم (14) : انقسام فرقة الخيالة السابعة قبل المعركة الحاسمة يوم 25 / 6 للإحاطة بالهنود ومنعهم من الهرب[334]

---

334 - http://www.cr.nps.gov/history/online_books/hh/1b/hh1l1.htm

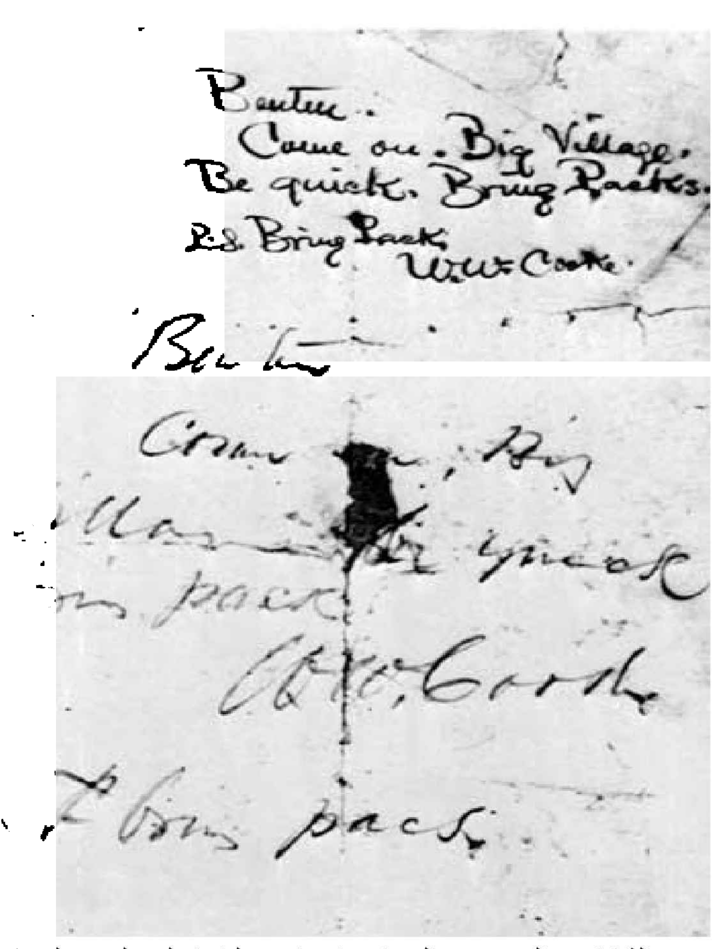
استمر كاستر خلف رينو فترة من الزمن ثم انحرف يميناً وسلك طريقاً آخر ورينو يظن أنه ما يزال خلفه ليدعم هجومه في الوقت الذي كان فيه كاستر يقصد أنه سيساعده بالهجوم على المخيم من جهة أخرى للإطباق على الهنود، وفي طريقه نحو المخيم صعد كاستر على تلة ليرى مخيم الهنود، وقد سر جداً لأنه رآهم لا يستعدون للرحيل فظن أنه سيأخذهم على حين غرة ولوح بقبعته صارخا: "هذا هو حسن حظي"[335]... "لقد أمسكنا بهم هذه المرة"، ويعلق أحد الصحفيين فيما بعد بالقول إن الحظ تخلى في ذلك اليوم عن صاحب الستين إنجازاً عسكرياً[336]، أما كشافته الهنود فكانوا يودعون الحياة على طريقتهم، وأرسل هو لبنتين رسالة مع جندي كتبها معاونه كوك يقول فيها:"بنتين، قرية كبيرة، أسرع، أحضر الذخائر".

Benteen
Come on. Big Village.
Be quick. Bring packs.
W. W. Cooke
P.S. Bring Packs.

---

[335] Jennifer and Martin Tucker- ،1996، ص 49.

[336] -نفس المرجع، ص 49.


Benteen.
Come on. Big Village.
Be quick. Bring Packs.
P.S. Bring Pacs.
W.W. Cooke.

رسالة كاستر إلى بنتين والتي كتبها معاونه وليام كوك على عجل وفي الأعلى كتابة أوضح للمضمون بخط بنتين



الليفتينانت وليام كوك مساعد كاستر الذي كتب الرسالة إلى بنتين، أصله من كندا.



حامل البوق السيرجنت جون مارتن وأصله من صربيا واسمه الحقيقي جيوفاني مارتيني، حمل رسالة كاستر إلى بنتين وكان آخر الأحياء الذين شاهدوا كاستر حياً من جنوده

كان مارتن هو آخر من رأى كاستر من جنوده، وانفصل عنه عند نهير الذيل السحري (الخريطة رقم 15)، وقد أفاد بأنه رأى الهنود يهاجمونه من جهتين من بين الأدغال، حتى أنه أصيب هو نفسه، وكل الذين أكملوا السير مع كاستر بعد ذلك لم يبق منهم واحد على قيد الحياة ليقول ماذا حدث بالضبط.

المعركة

أما عن رينو الذي كان يظن أن كاستر لا يزال خلفه فقد عبر وادي الفرع الأصغر لنهر القرن الكبير بسرعة وقطع النهر وتوجه نحو المخيم، ولكن قبل أن يصله بثلاثة أميال رأى سحابة ضخمة من الغبار لم يلبث أن ظهر منها عدد كبير جداً من المحاربين الهنود لم يسبق له أن واجهه أو حتى رآه[337]، وبرغم ارتباكه فقد أصدر أمراً لجنوده بالترجل والقتال وقوفاً على الأقدام وأمر كل جندي رابع بجمع أربعة جياد والتراجع نحو الأشجار، وكوّن خطاً دفاعياً يفصل بين كل رجل من رجاله 9 أقدام، ولكن الجنود أطلقوا النار بقوة والهنود مازالوا بعيدين.

ازداد وضع الجنود سوءاً بانسحاب الكشافة من حلفائهم الهنود وانكشاف جناحهم الأيسر مما ساعد "السو" وحلفاءهم على اقتحام ذلك الجنب ومحاولة الالتفاف على الجنود الذين تدفقت سيول النيران عليهم من أكثر من جهة وبدءوا بالاقتراب من بعضهم البعض مما زاد من فرص الإصابات بينهم، ونتيجة للارتباك الذي ساد بينهم أمر رينو بالتراجع نحو الغابة، ولكن بعض جنوده لم يسمعوه، وبعضهم وصل به اليأس درجة التوقف عن إطلاق النار مما شجع الهنود على مزيد من الاقتراب.

ولم يكن الحال في الغابة أفضل، فقد استعان الهنود بإشعال النيران فيها لمحاصرة الجنود، وكانوا يزحفون تحت غطائها ثم يقفون ويطلقون النار على الجنود وينسحبون، وهنا استعد رينو

---

337 -Frank Humphris، 1976، ص 24.

لإصدار أمر جديد بالانسحاب من الغابة نحو الهضاب على الضفة الأخرى من النهر.

انطلق الجنود بأقصى سرعة خارج الغابة وساروا بموازاة النهر وعندما وصلوا إلى النقطة المواجهة للهضاب عبروا النهر وكانوا يطلقون النار خلفهم لإشغال الهنود، ومع ذلك لم يتوقف هؤلاء عن مطاردتهم بل لقد نجحوا في إدراكهم وسحبوا بعضهم من فوق جيادهم وأغرقوهم في النهر، ولما وصل الجنود إلى الهضاب وحاولوا تسلقها لم ينجح جميعهم في ذلك لكونها شديدة الانحدار ولما حاول بعض الجياد تسلقها ارتدت إلى الخلف وسقطت في النهر.

أما الذين نجحوا في الوصول إلى القمة فلم تكن هذه هي نهاية متاعبهم لأن مجموعة من الهنود نجحت في الوصول إلى الهضاب المحيطة وأطلقت عليهم النار بكثافة، وفي هذه الأثناء سمع بعض الجنود صوت إطلاق نار قادم من المخيم، كان ذلك كاستر يعطيهم الإشارة، ولكن أحداً لم يتحرك ملبياً النداء.

بعد نصف ساعة وصل بنتين إلى الهضبة بعد عملية الاستكشاف التي قام بها دون أن يجد هندياً واحداً، وبعد تلقيه رسالة كاستر كما سبق ذكره، ولم يكن رينو مسروراً من موقف كاستر لأنه كان يعتقد طوال الوقت أنه سيكون في نجدته ليدعمه فور وقوع الهجوم ولكنه لم يجد له أثراً، وأصر على البقاء في مكانه وعدم التحرك حتى تصل الإمدادات، وكان الجميع يتوقعون وقتئذ هجوماً هندياً في أية لحظة، وبتوقف بنتين لمساعدة رجال رينو، فقد كاستر احتمالاً آخر لمساعدته في الورطة التي حشر نفسه فيها.

لم يتحرك الجنود نحو كاستر كما طلب في رسالته إلى بنتين، ورغم سماعهم صوت إطلاق الرصاص من بعيد، لم يطبقوا القاعدة العسكرية بأنه في غياب الأوامر على الجنود التوجه إلى حيث إطلاق النار، فقام ضابط صغير هو توماس وير من المجموعة بقيادة سريته إلى الأمام للتحقق من الموقف دون حصوله على الإذن، وتمكن من نقطة مرتفعة من رؤية المخيم الهندي ولكنه لم ير كاستر، ولم ير سوى سحب من الغبار والدخان حيث كانت المعركة في نهايتها.

لحق بقية الجنود سرية وير في هذه الأثناء وبدأ بنتين يدرك الموقف على حقيقته حين رأى 1800 خيمة هندية وسحب الغبار والدخان، ولما رأى الهنود تجمع جنود بنتين ورينو تحركوا باتجاههم وبدءوا بإطلاق النيران عليهم، فتراجع الجنود نحو هضبة مخلفين وراءهم عدداً من القتلى والجرحى أيضاً، وعلى الهضبة الجديدة استمر القتال ثلاث ساعات ولم يوقفه إلا حلول الظلام.

وطوال الليل ساد جو من الخوف والحيرة بين الجنود، لا أحد يدري ماذا حدث، وما الذي سيحدث، وما الذي يجب فعله، وجعلهم تطور الأحداث والأصوات الصادرة من المخيم يعيشون كابوساً مخيفاً، فقد رأوا أجساماً ترقص أمام النيران الضخمة وسمعوا أصوات دق طبول سريعة تصاحبها أناشيد نصر (هذا ما ظنه الجنود مخطئين[338]) ونواح ونحيب على القتلى (وهذا ما فعله الهنود فقط[339]) حمله هواء الليل البارد فأصابتهم القشعريرة

[338] -Jerome A. Greene، 1993، ص 54.
-Angie Debo، 1983، ص 239.
[339] -Jerome A. Greene، 1994، ص 46.

والرعب إذ يمكن أن يتكرر هذا المشهد في الليلة القادمة لو تمكن الهنود من هزيمتهم والقضاء عليهم هم أيضاً[340].

فما الذي جرى بالضبط؟

كان الهنود يعلمون منذ مدة طويلة أن الجنود يطاردونهم، ولكنهم لم يكونوا يريدون القتال لو تمكنوا من ذلك، هذا ما قاله "الثور الجالس" فيما بعد، وعندما هجم رينو على مخيمهم أعطى الزعيم درعه لابن أخته "ثور واحد" One Bull وأمره أن يحاول التفاوض مع الجنود إن رغبوا في ذلك، ولكن "ثوراً واحداً" وجد أنهم غير راغبين في التفاوض فاتجه مع المحاربين للتجمع ورد النيران على الجنود، وكان الزعيم "مرارة" هو الذي جمع جهود المحاربين للتصدي لرينو وإعادته إلى الخلف وشل فاعليته في الوقت الذي بدأ فيه هجوم كاستر من الجهة الأخرى للمخيم.

340- Edgar I. Stewart، 1987، ص 420-421.



"الثور الجالس" مع ابن اخته "ثور واحد" في سنة 1884



Left to right: One Bull (Tatanka Wajina), White Bull (Tatanka Ska).
Both only living nephews of Sitting Bull - Little Eagle, S.D. July 28th, 1934

"ثور واحد" و"الثور الأبيض" ابنا أخت "الثور الجالس" في سنة 1934

وبعدما انفصل رسول كاستر، مارتن، عنه وتوجه لبنتين في حوالي الساعة الثالثة عصراً من يوم 25 يونيو/ حزيران/ جوان، رآه يتعرض لهجوم الهنود المدافعين عن القرية الكبرى، وليس هناك يقين عن الطريق الذي سلكه كاستر بعد ذلك في طريقه نحو القرية، وهناك احتمالان يظهران على الخريطة حيث يتبين توجهه نحو أرض المعركة.

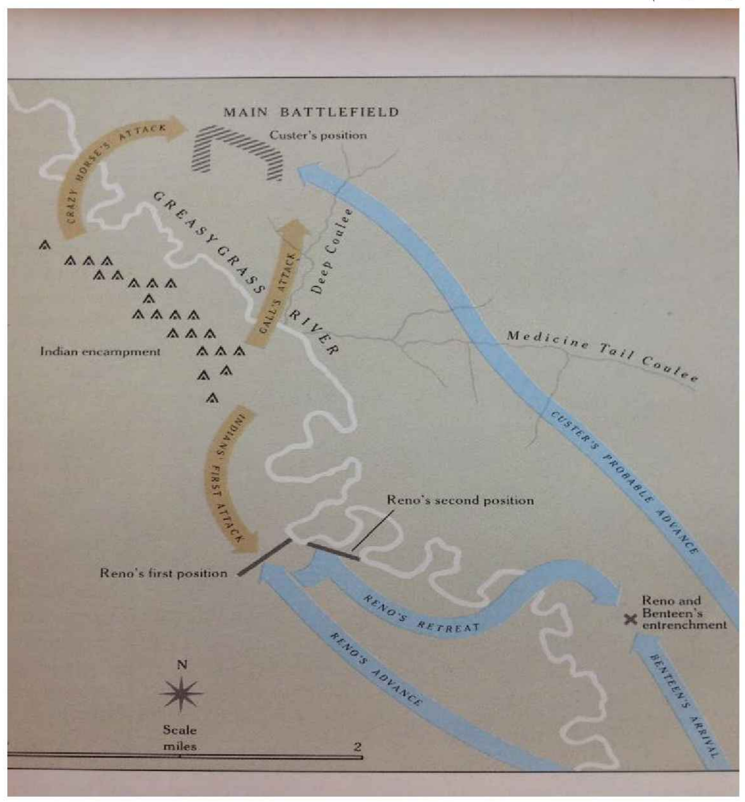
لم ينتظر الهنود كاستر ليعبر النهر ويقتحم المخيم، بل أخذوا زمام المبادرة وعبروا النهر وأحاطوا به من جميع الجهات، وكانوا منذ البداية يفوقون الجنود بأعداد كبيرة، فمقابل مئتين من الجنود كان هناك ألف من الهنود في الهجوم الأول.

حاول كاستر تنظيم دفاعاته والصعود نحو تلة يكون فيها موقعه أفضل، ورتب عملية انسحاب نحو التلة بوضع فرقتين في مؤخرته لتعطيل الهنود وقاد هو المقدمة نحو تلك التلة.

في هذه الأثناء كان "مرارة" يقود عملية صد رينو التي كانت في نهايتها، ولما سمع إطلاق الرصاص في المخيم توجه نحوه وقاد الهجوم على كاستر من المؤخرة، أما "الحصان المجنون" فقد صعد التلة التي كان كاستر يصعد عليها، ولكن من الجهة المقابلة لهجوم "مرارة" من الخلف، وقاد الهجوم على الجنود من المقدمة مع "قمران" الذي قاد "الشايان" من نفس الجهة، وقد تمكن محاربو "مرارة" من سحق إحدى الفرقتين في مؤخرة كاستر بالكامل في الوقت الذي كان كاستر فيه يتخذ وضعاً أفضل على رأس التلة في اشتباكه مع "الحصان المجنون" ومحاربيه، ثم تم اجتياح الفرقة الثانية المدافعة عن مؤخرة كاستر.

وبالطبع لم يكن هناك أدنى أمل لكاستر بالنصر أمام هذا التفوق العددي الكاسح، وليس من المعلوم هل صحح الجنرال قبل مقتله نظريته الشهيرة عن قدرة جنود الفرقة السابعة على هزيمة أي عدد من الهنود أم أنه ظل يؤمن بقدراته السحرية، وعلى كل حال فإن هزيمته كانت مؤكدة تحت ضربات الهنود المستمرة، وفي النهاية حسم "الحصان المجنون" الموقف وقاد هجوماً صاعقاً اكتسح فيه الجنود كلهم فلم يبق أحد منهم على قيد

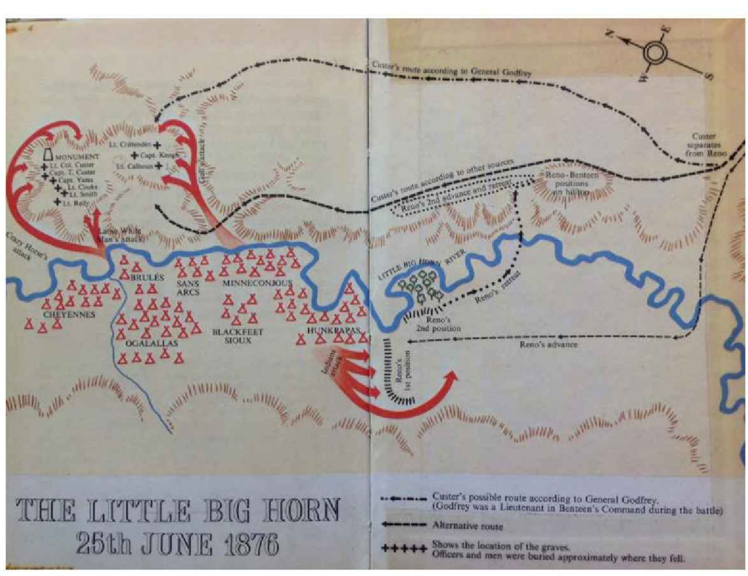
الحياة، ومنهم شقيقا كاستر، بوسطن وتوماس، وزوج أخته جيمس كالهون وابن أخته هنري ريد، وحاولت فلولهم الهرب باتجاه الأشجار على ضفاف النهر ولكن الهنود لحقوا بالجميع وقتلوهم.



خريطة رقم (15): التحركات العسكرية لأقسام الفرقة السابعة بعد انقسامها والتي أدت إلى هجمات الهنود المضادة واندلاع المعركة الكبرى يوم 1876/6/25[341]

---

[341] -Benjamin Capps، 1981، ص 223.



خريطة رقم (16): وهي خريطة أخرى لسير العمليات العسكرية بعد انفصال قوات كاستر عن بعضها البعض ويبدو فيها المخيم الهندي العملاق بالتفصيل وكيف خرجت منه القوات المدافعة عنه وقياداتها[342]

[342] -Frank Humphris، 1976، ص 52-53.

لوحات فنية تصور المعركة كما تخيلها الفنانون







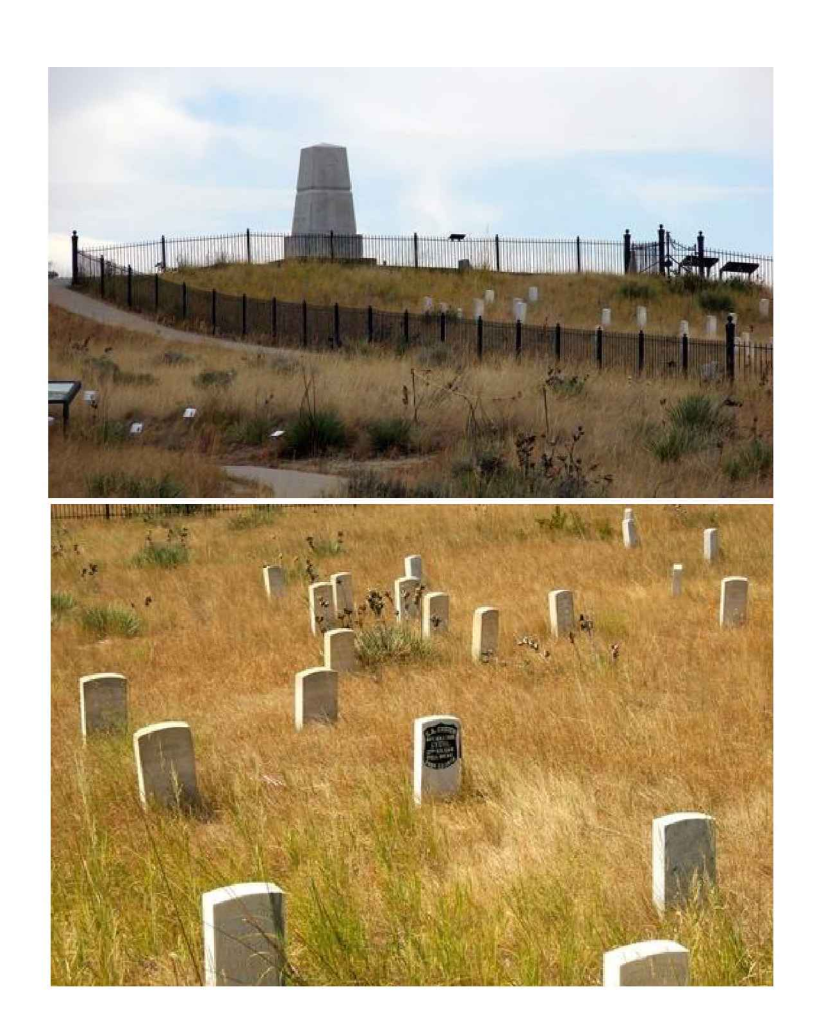




مشاهد من موقع المعركة والنصب التذكاري الذي أقيم حيث وقعت المواجهة الأخيرة ومواقع سقوط الجنود









شهادة "الثور الجالس" عن المعركة

بعد أكثر من عام على وقوع المعركة الكبرى عند الفرع الصغير لنهر القرن الكبير، قام أحد الصحفيين بإجراء مقابلة مع "الثور الجالس" في كندا حيث لجأ مع أتباعه، وفي المقابلة أفاد الزعيم بمعلومات عن دوره في المعركة وأجاب عن أسئلة كثيرة مما وضع استفهامات عديدة عن ذلك اليوم الكبير[343]:

"س: هل تعرف الزعيم "الشعر الطويل"؟ (هو لقب الجنرال كاستر عند الهنود).

ج: لا.

س: ماذا؟ لم تره قط؟

ج: لا، ولكن زعماء آخرين كثيرين يعرفونه.

---

[343] -هذا الحوار مترجم عما ورد في :

-Leslie Tillett، 1976، ص 66-72.

س: ما هي فكرتك عنه؟

ج: كان محارباً عظيماً.

س: هل كان شجاعاً؟

ج: كان زعيماً قوياً.

س: والآن، أخبرني، هناك شيء أتمنى أن أعرفه، فقد رُويت أكاذيب كثيرة عن القتال الذي قُتل فيه الزعيم "الشعر الطويل"، لقد كان صديقاً لي، ولم يرجع أحد من المعركة ليخبر الحقيقة عنه أو عن القتال، لقد كنت أنت هناك فأنت تعلم والزعماء يعلمون، أريد أن أسمع ما لم تقله الألسنة الكاذبة، الحقيقة.

ج: هذا جيد.

يقول الصحفي هنا: "وهنا رسمت خريطة لأرض المعركة ووضعتها عند ركبتي "الثور الجالس"، وشرحت له الأسماء والحالات عليها، فابتسم.

ج: كنا نعتقد أننا هُزمنا.

س: نعم، هل ظننتم أن الجنود كانوا يفوقونكم عدداً؟

ج: ليس في البداية، ولكن بعد قليل نعم، وفي النهاية لا.

س: أخبرني عن القتال، أين كان المخيم الهندي الذي هوجم أولاً.

ج: هنا (وأشار على الخريطة إلى المنطقة التي عبرها رينو).

س: في أي وقت من اليوم كان ذلك؟

ج: كان ذلك بعد ساعتين تقريباً من الوقت الذي تكون فيه الشمس وسط السماء.

س: من هو الزعيم الأبيض الذي كان هناك ضد محاربيك؟

ج: الشعر الطويل (كان الهنود يعتقدون أن كاستر الملقب بالشعر الطويل هو الذي قام بهجوم رينو، ولما صدوه نحو الهضبة التف وهاجم هو أيضاً المخيم من ناحية أخرى، ولم يكونوا يعلمون أن الهجومين منفصلان).

س: هل أنت متأكد؟

ج: الشعر الطويل كان هو القائد.

س: ولكنك لم تره.

ج: لقد قلت إنني لم أره قط.

س: هل رآه أحد من الزعماء؟

ج: ليس هنا (أي لم يره أحد حيث بدأ هجوم رينو)، ولكن هناك (وأشار بيده إلى المكان الذي هاجم منه كاستر وتم صده على الضفة الشمالية للقرن الصغير).

س: لماذا تظن أن الشعر الطويل هو الذي عبر أولاً وهاجمكم على الجانب الأيمن من الخريطة؟

ج: الزعيم هو الذي يقود محاربيه.

س: هل كان هناك قتال شديد على الجانب الأيمن للخريطة؟ اشرح لي.

ج: كان كذلك (قال الثور الجالس هذا ورفع يديه)، كنت مستلقياً في خيمتي، وجرى بعض الشباب نحوي قائلين: الشعر الطويل في المخيم، انهض، إنهم يطلقون النار في المخيم، قلت: حسناً، وقفزت وخرجت من خيمتي.

س: أين كانت خيمتك؟

ج: هنا، مع قومي (وأشار إلى مجموعة خيام الهنكبابا).

س: إذن فالهجمة الأولى تمت على الناحية اليمنى من الخريطة على مخيم الهنكبابا؟

ج: نعم.
س: هل هنا كانت الخيام التي تم إخلاؤها؟
ج: العجائز والنساء والأطفال أسرعوا بالهرب.
س: نحو الطرف الآخر للمخيم؟
ج: نعم، وبعض نساء وأطفال عشيرة المينيكونجو تركوا خيامهم أيضاً عند بدء الهجوم.
س: هل انسحبتم في البداية؟
ج: هل تعني المحاربين؟
س: نعم، المحاربون.
ج: أوه، تراجعنا، ولكن لكسب الوقت لا للانسحاب، الشعر الطويل هو الذي انسحب (كان رينو في الحقيقة هو المنسحب وليس الشعر الطويل كاستر)، وقومي حاربوه هنا في الغابة (وأشار إلى الأشجار التي دفع الهنود رينو إليها) ثم تراجع عبر هذا الطريق (ووضع إصبعاً على خط انسحاب رينو للهضاب الشمالية).
س: إذن فأنت تعتقد أن الذي قاتله قومك عند الشجر والذي انسحب بعد ذلك إلى الهضاب هو الشعر الطويل؟
ج: بالطبع.
س: ماذا حدث بعد ذلك؟ هل وقع قتال شديد بعد انسحاب الهنود إلى الهضاب؟
ج: ليس في ذلك الوقت، ولا في ذلك المكان.
س: فأين إذن؟
ج: هنا (وأشار الثور الجالس إلى المكان الذي وصل إليه كاستر وأشرف على النهر، وأضاف:) هنا كان القتال الشديد بعد ذلك، بعد أن انسحب الشعر الطويل إلى الهضاب، أخذ هذا

الطريق (وأشار بإصبعه إلى طريق سير كاستر على الخريطة) وجاء ليحاول هزيمتنا هنا.

س: (وسألته وأنا أشير إلى النقطة التي تقدم كاستر نحوها: ماذا حدث لما بدأ القتال هنا؟).

ج: جحيم.

س: أعتقد أنك تعني قتالاً عنيفا؟

ج: أنا أعني ألفاً من الشياطين.

س: لا بد أن القرية كلها تنبهت في هذه الفترة؟

ج: كانت النساء مثل الطيور المحلقة والرصاص كالنحل الطنان.

س: قلت إنه عندما وقع الهجوم الأول على الجانب الأيمن من الخريطة (يعني هجوم رينو)، اتجه العجائز والنساء والأطفال بسرعة نحو الوادي إلى اليسار، فماذا فعلوا عندما وقع الهجوم على جهتهم؟

ج: أسرعوا نحو اليمين، هنا وهناك (ووضع أصابعه السمراء على كلمة "الخيام المتروكة").

س: وإلى أين أسرع المحاربون؟

ج: أسرعوا إلى القتال، القتال الكبير.

س: إذن فبعد الظهر وبعد القتال الأول على الجهة اليمنى للخريطة وبعد بداية القتال على الجهة اليسرى للخريطة، رجع النساء والأطفال ثانية إلى الجهة اليمنى وأسرع المقاتلون نحو القتال الكبير، كما قلت؟

ج: نعم.

س: ولماذا حدث هذا؟ لماذا لم يبق بعض المحاربين في مواجهة أولئك المحصنين على الهضاب عند يمين الخريطة، ألم

تفكروا أن ذلك مهم؟ ألم يفكر زعماؤكم الحربيون أن إبقاء بعض شبابكم هنا لمقاتلة الجنود الذين انسحبوا إلى تلك التحصينات (يقصد جنود رينو)؟

ج: لا.

س: لماذا؟

ج: لقد نسيت أنت.

س: كيف؟

ج: لقد نسيت أن مجموعة صغيرة فقط من الجنود تركها الشعر الطويل على تلك الهضاب، وقد أخذ الغالبية معه نحو القتال الكبير هنا على اليسار (كان هذا اعتقاداً خاطئاً عند الهنود).

س: إذن لم يكن هناك جنود تُركوا للقتال في التحصينات على الهضاب اليمنى؟

ج: لقد قلت، وهذا يكفي، النساء يمكنهن مواجهتهم، ولم يكن أمامهم في ذلك العصر سوى النساء والأطفال.

(يقول الصحفي: هذا التأكيد المخيف "للثور الجالس" تضمن أكثر الاتهامات فظاعة لرينو، والذي بلغ حد التأكيد على أن رينو بعد قيامه بهجومه وهزيمته وانسحابه، بقي على الهضاب دون بحث عن هجوم الجنرال كاستر الذي كان في ذلك الوقت مع فرسانه في مؤخرة المخيم من الشمال، والذي ترقب عبثاً، فيا لقلة حظه).

س: حسن، وبعد، هل قامت الفرقة التي وقع عندها قتال عنيف، بالقتال؟

ج: (ابتسم "الثور الجالس" ثانية) لقد قاتلوا، كثير من شبابنا فُقدوا من خيامنا، ولكن هل هناك امرأة أمريكية واحدة تُرك زوجها حياً؟ هل تُرك أمريكي واحد حياً ليخبر قصة ذلك اليوم؟

س: لا، فكيف بدأ الهجوم؟

ج: لقد سمعت بأن هناك أشجاراً ترتجف.

س: هل تعني الأشجار ذات الأوراق المرتجفة؟

ج: نعم.

س: إنهم يسمونها في بعض أجزاء الإقليم الغربي الأفاعي الصغيرة السامة، وفي الأجزاء الشرقية يسمونها الحور الرجراج الفضي.

ج: ماذا؟ لقد قال هذه الكلمات زعيم أبيض كبير قابلته مرة، الحور الرجراج الفضي، أشجار تهتز، هكذا كان جنود "الشعر الطويل".

س: ولكنك لا تعني أنهم كانوا يرتجفون من الخوف من قومك؟

ج: لقد كانوا شجعاناً، وكانوا متعبين، متعبين جداً.

س: كيف تصرفوا؟ وما هو سلوكهم؟

(قام "الثور الجالس"، وقمت أنا من مجلسي، وقام كذلك بقية الجالسن في الغرفة، إلا كاتب الاختزال)

ج: (قال "الثور الجالس" وهو يمد يده اليمنى:) قومك قُتلوا وأنا لا أقول أكاذيب عن الموتى، أولئك الرجال الذين جاءوا مع "الشعر الطويل" أفضل رجال قاتلوا، عندما قادوا جيادهم كانت متعبة، وكانوا هم متعبين، وعندما ترجلوا عنها لم يستطيعوا الوقوف بثبات على أقدامهم، كانوا يترنحون جيئة وذهاباً كما أخبرني كثير جداً من الشباب، كانوا كفروع أشجار السرو في

العاصفة القوية، بعضهم كان يتمايل تحت تأثير وزن بندقيته، ولكنهم بدءوا القتال في الحال، وفي هذا الوقت كان مخيمنا قد تنبه وكان هناك كثير من المحاربين لمواجهتهم، لقد أطلق الجنود النار من بنادق الإبرة، ورددنا عليهم بالبنادق المخزنة، البنادق التكرارية (الأكثر تطوراً)، كان الحال كذلك (وضرب "الثور الجالس" راحتي يديه بعضهما ببعض ضربات سريعة وخفيفة بسرعة وابل الطلقات)، وأمطر شبابنا الجنود بالرصاص عند النهر وأجبروهم على التراجع.

س: وبعد ذلك؟

ج: وبعد ذلك اندفعوا وتخللوا صفوفهم بأنفسهم.

س: وبعد ذلك؟

ج: وبعد ذلك وجدوا أن أمامهم دوراً كبيراً ليقوموا به.

س: هل كان هنك شك في ذلك الوقت بإمكان هزيمة "الشعر الطويل"، أم لا؟

ج: كان هناك شك كبير، إلى حد أنني اتجهت نحو الأسفل (وأشار مرة أخرى إلى الخريطة) لأمر النساء بجمع الخيام والاستعداد للرحيل.

س: إذن فقد كنت تقوم بذلك وبهذه السرعة عندما بدأ القتال فعلاً؟

ج: نعم.

س: أي أنك لم تشهد بقية القتال الكبير بنفسك، ولم تدخل فيه؟

ج: لا، ولكني سمعت عنه من المحاربين.

س: لما عبرت جموع محاربيك النهر في مواجهة "الشعر الطويل"، ماذا فعلوا، هل حاولوا مهاجمته رأساً في مقدمته؟

ج: في البداية نعم، ولكن بعد ذلك وجدوا أنه من الأفضل الالتفاف حوله، فنظموا أنفسهم وأحاطوا بجميع الجهات حوله، إلا من خلفه.

س: كم احتاجوا من الوقت ليحيطوا بأجنحته؟

ج: كما احتاجت الشمس لتتحرك من هنا إلى هنا (وأشار "الثور الجالس" إلى تغير الظل الذي تصنعه الشمس في نصف ساعة تقريباً)، المشكلة كانت عند الجنود، لقد كانوا مرهقين جداً، وخيولهم أزعجتهم كثيراً فلم يتمكنوا من تحديد أهدافهم، وبعض خيولهم هربت منهم وتركتهم يقفون ويسقطون ويموتون، ولما وجد "الشعر الطويل"، الجنرال، أنه يواجه أعداداً أكبر من عدد جنوده، وأنه مهدد من أجنحته، صنع أفضل ما كان يمكنه، نفخ البوق، كان هذا أمراً بالتراجع، كل الجنود تراجعوا، يقاتلون ويسقطون، لم يكن باستطاعتهم إطلاق النار بالسرعة الكافية، ولكن حالنا لم يكن مثلهم (وصفق "الثور الجالس" مرتين أو ثلاث في الثانية ليوضح السرعة والاستمرارية التي كانت قذائف الهنود تنهمر بهما من بنادق هنري وونشستر التي يحملونها)، لم يكن باستطاعة الجنود الصمود في مواجهة مثل هذه النيران,

س: هل ظهرت بعض الفنون الحربية؟ هل قام "الشعر الطويل" بترتيب جنوده أم ظهرت الفوضى أثناء تراجعهم كما وأنهم يقاتلون لإنقاذ أنفسهم فقط؟

ج: لقد احتفظوا بترتيب جيد إلى حد بعيد، لا بد أن الذي كان يقودهم طوال تلك الفترة زعيم عظيم، لقد عبروا الوادي وقاموا بوقفة جديدة على نقطة أعلى، الخريطة صحيحة إلى حد بعيد، إنها توضح أين وقف الرجال البيض وقاتلوا قبل أن يُقتلوا، أعتقد أن الصحيح أنهم وقفوا هنا على اليسار فوق نهر "القرن

الصغير" رأساً، فرقة واحدة تم استدراجها هنا بعيداً عن البقية وهناك تم قتل الكثيرين، المكان المحدد على الخريطة هو المكان الذي قُتل فيه الجميع.

س: هل استمر جميع الجنود بالقتال حتى النهاية؟

ج: كل من شاهده قومي، لم يكن هناك جبناء في أي من الطرفين.

س: جبناء؟ لا يمكن التفكير بهذا الأمر، فكم استمر هذا القتال الكبير؟

ج: كانت الشمس هناك (وأشار إلى موقع الشمس قبل الغروب بساعتين).

س: إذن لقد استمر القتال الكبير ثلاث ساعات؟

ج: أكثر الوقت الذي استغرقته الشمس للغروب.

س: أين كان "الشعر الطويل" معظم الوقت؟

ج: لقد تكلمت مع قومي، لم أستطع أن أجد أحداً شاهده إلا قبل موته بقليل، لم يكن شعره طويلاً كما كان في السابق، شعره كان مثل شعرك (ولمس جبهتي بإصبعيه في حركة مازحة)، كان قصيراً، ولكن لونه كان كلون العشب عندما يأتي الصقيع.

س: هل سمعت من أحد من قومك كيف مات؟ هل مات على ظهر جواده؟

ج: كلا، لم يمت أحد على ظهر جواده.

س: الجميع كانوا مترجلين؟

ج: نعم.

س: وكاستر، "الشعر الطويل"؟

ج: حسن، لقد فهمت أنه كان هناك كثير جداً من الرجال الشجعان في المعركة، وأنه من وقت لآخر، وأثناء استمرار

القتال، كانوا يُقتلون كالخنازير، لم يستطيعوا مساعدة أنفسهم، وواحداً بعد واحد كان الضباط يتساقطون، وأعتقد أن "الشعر الطويل" نزل من هذا المكان إلى هذا المكان (حيث سقط)، ولكني لست متأكداً، وعلى كل حال لقد قيل إنه على النقطة الأخيرة التي جرى فيها القتال الأخير وحدثت الوقفة الأخيرة، وقف "الشعر الطويل" كحزمة من القمح تساقطت جميع سنابلها حولها.

س: بغير جروح؟

ج: لا.

س: كم عدد الذين وقفوا إلى جانبه؟

ج: قليل.

س: متى سقط؟

ج: لقد قتل رجلاً عندما سقط، وضحك.

س: تعني أنه صرخ؟

ج: لا، لقد ضحك، لقد أطلق رصاصته الأخيرة.

س: من بندقيته الصغيرة؟

ج: لا، من مسدس.

س: هل وقف ثانية بعد سقوطه؟

ج: وقف على يديه وحاول إطلاق النار ثانية، ولكن مسدسه لم يعمل.

س: هل كان رجل آخر واقفاً عندما سقط؟

ج: رجل واحد كان راكعاً، هذا كل ما في الأمر، ولكنه مات قبل "الشعر الطويل"، كل ذلك كان بعيداً، على الهضبة، بعيداً عن مخيم "السو"، أنا لم أر ذلك، ولكني أُخبرت عنه، وهي الحقيقة.

س: ألم تُنزع فروة رأس "الشعر الطويل"؟

ج: لا، لم يرد قومي فروة رأسه.

س: لماذا؟

ج: لقد قلت لك إنه كان زعيماً كبيراً.

س: (وأصررت على السؤال): هل اعتقدت في أي وقت أثناء وقوع القتال أن قومك سوف يُهزمون فيه؟

ج: في وقت ما، كما أخبرتك، طلبت من النساء تجميع الخيام، وبعد ذلك اتجهت نحو يمين المخيم حيث وقع الهجوم الأول، ولكن قبل أن أصل نهايته حيث كانت نساء (عشيرتي) الهنكبابا و(عشيرة) المينيكونجو وأطفالهن ونساء أخريات من (قبيلة) "الشايان" و(عشيرة) الأوغلالا, أدركني محارب شاب جاء لتوه من القتال وناداني وقال: لا فائدة من مغادرة المخيم، جميع الرجال البيض قُتلوا، ولهذا توقفت ولم أذهب بعد ذلك وعدت، وفيما بعد قابلت المحاربين العائدين.

س: ولكن في هذه الثناء، ألم يكن هناك محاربون متواجدون على الطرف الأيمن للمخيم؟ ألم يُترك أحد غير النساء والأطفال والعجائز لحراسة ذلك الطرف من المخيم؟ ألم يكن هناك أحد مستعد للدفاع ضد الجنود المتواجدين في التحصينات فوق؟

ج: لم يكن هناك حاجة لإضاعة المحاربين في ذلك الاتجاه، كان هناك قلة من الجنود في تلك التحصينات، وكنا نعلم أنهم ما كانوا ليجرءون على الظهور".

انتهت شهادة "الثور الجالس" وقد جاء في شهادة "ثور واحد" مزيد من الحديث عن دور الزعيم في المعركة:

"كان الوقت هو الذي تسمن فيه الخيول، وأثناء رقصة الشمس التي أقمناها عند نهير البرعم قبل عشرة أيام عرض

خالي "الثور الجالس" مائة قطعة من جسده لواكنتانكا (الروح العظمى أو الخالق) وتلقى رؤيا لجنود بيض بلا آذان يقعون داخل المخيم، لقد أخبرني أن الرؤيا كانت وعداً بنصر عظيم سيأتي قريباً، بعد ثلاثة أيام هزمنا "الثعلب الرمادي" –وهو الجنرال كروك- في قتال على البرعم، ولكن خالي قال إن نصراً أكبر سيأتي.

في الليلة السابقة للقتال مع "الشعر الطويل"، ذهب "الثور الجالس" إلى القمة التي يقف عليها النصب التذكاري اليوم (1938)، لقد أنشد أنشودة الرعد، ثم صلى ليعلم الأحداث الآتية، وكما أخبرني فيما بعد أنه تضرع بصوت مرتفع وهو يحمل غليوناً ممتلئاً"[344].

ولما رأى "الثور الجالس" "ثور واحد" وهو يطارد مجموعة من الجنود ليقتلهم قال له: "اتركهم يذهبون، اتركهم يعيشون ليحكوا الحقيقة عن هذا القتال"، ولما استعر القتل بالجنود، وبقيت منهم قلة مهزومة وأصر المحاربون على إفنائهم جميعاً قال الزعيم لهم:"يكفي هذا، هؤلاء الجنود يحاولون البقاء أحياء، دعوهم يذهبون، إذا قتلتموهم جميعاً سيزحف لنا جيش أكبر"[345].

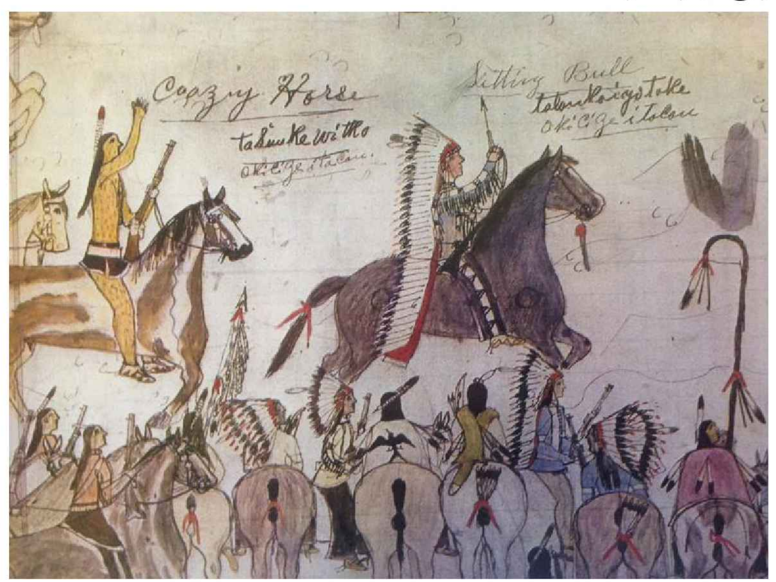
وكان "الثور الجالس" قد حذر قومه من سلب الجنود ولكنهم أهملوا نصيحته وجمعوا أفراسهم وسروجهم، فأنبهم قائلاً: "لأجل عدم امتثالكم لما قلته، ستصبحون في توق دائم لممتلكات

---

[344] -نفس المرجع، ص 60.

[345] -نفس المرجع، ص 62.

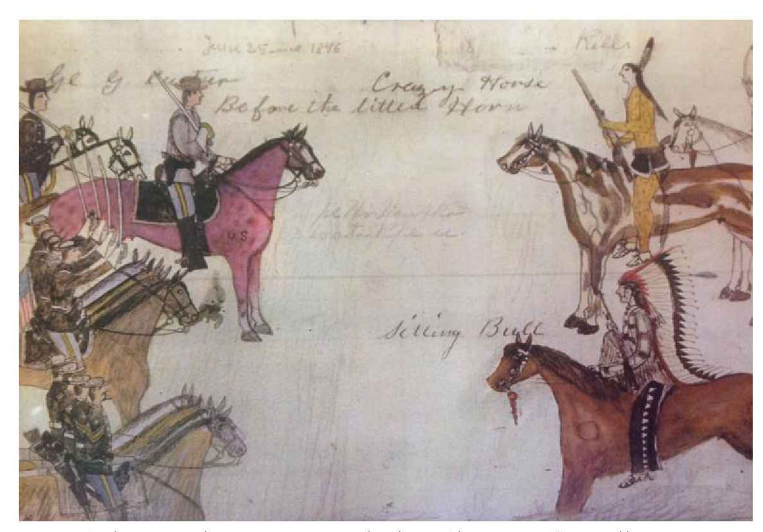
هؤلاء الناس"، وسيظل شبح اعتماد قومه على البيض يؤرقه إلى نهاية حياته[346].



لوحة تصور "الثور الجالس" و"الحصان المجنون" وسط قومهما قبل المعركة من رسم أحد الحضور

346- Robert M. Utley، 1994، ص 161.

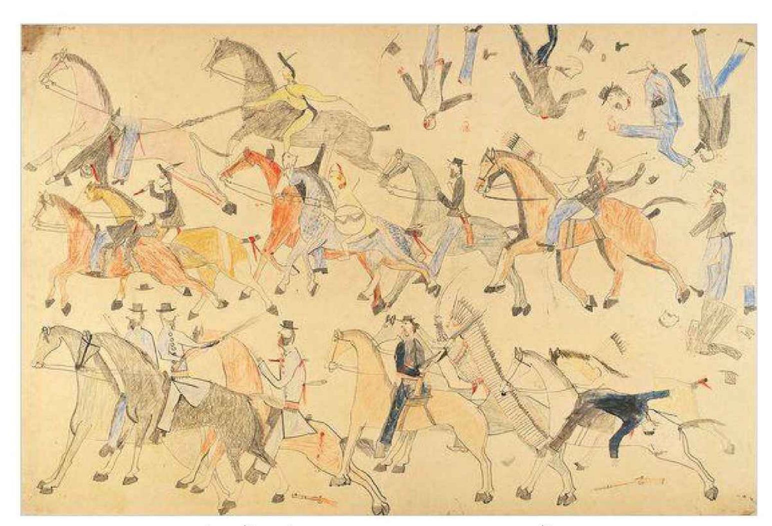
وفيما يلي رسوم سجل بها الهنود الذين عاصروا المعركة الأحداث من ذكرياتهم ويتضح فيها هزيمة الجنود الأمريكيين.



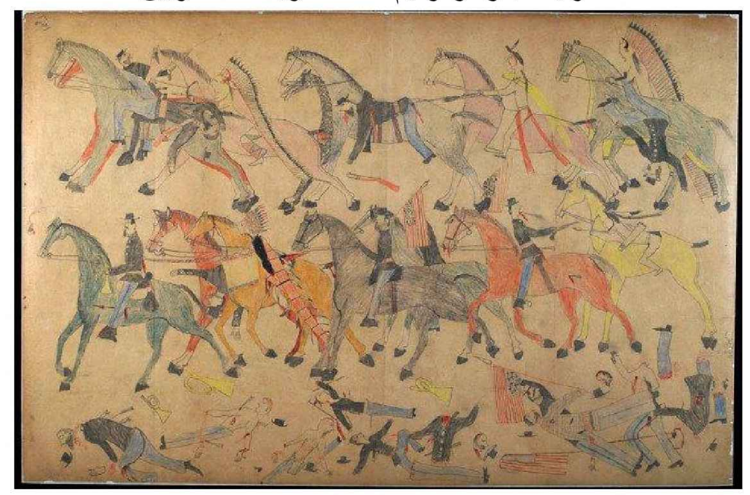
الاستعداد للمعركة ويبدو "الثور الجالس" (تحت) و"الحصان المجنون" (فوق) في وقفة تحد رمزية



غرق الجنود في النهر



هرب الجنود وموتهم تحت ضربات المحاربين



هروب الجنود



غنائم الهنود من جياد الجنود



أرض المعركة مغطاة بالجثث

ويبدو "الثور الجالس" في الوسط الأول من اليمين



(Smithsonian Institution)

استئناف القتال بعد المعركة الكبرى

بعد فراغ الهنود من كاستر وجنوده اتجهوا لقتال جنود رينو وبنتين على الطرف الآخر الذي يبعد أربعة أميال، واستمر القتال الذي سقط فيه مزيد من القتلى والجرحى إلى حلول الليل، وفي صباح السادس والعشرين من يونيو/ حزيران/ جوان 1876 استؤنف القتال بين الهنود والجنود، وقد اشتد ضغط الهنود عليهم إلى درجة أنهم اضطروا للقيام بهجمتين معاكستين لتخفيف الضغط[347]، ولكن قبل غروب ذلك اليوم انسحب المحاربون للانضمام إلى المخيم الذي استعد للرحيل بعد ورود

[347] -Mark Humphris، 1976، ص 44-45.

أنباء عن مجيء أعداد أخرى من الجنود، وفي هذه الأثناء، انفصلت العشائر عن بعضها البعض واتخذت كل مجموعة مساراً مختلفاً[348].

كان "الثور الجالس" حزيناً لما حدث ويتوقع رد فعل عنيف من جانب الحكومة الأمريكية، وكان يعارض الإجهاز الكلي على جنود رينو وبنتين، لأن القتال لم يكن عن أمرهم بل عن أمر قائدهم وهم مأمورون بذلك وقد تم قتله هو لأنه لو تُرك لقتل النساء والأطفال، لقد كان أعمى وأحمق إذ توجه إلى الموت بنفسه، ولهذا فعلى المحاربين ترك بقية الجنود يذهبون، إن الهنود لم يريدوا القتال وكل ما فعلوه هو دفاع عن النفس والأسر والعيال، وكان القتال عادلاً، ولكنه لا قبل لهم بقتال كل الجنود البيض، كما توقع أن تتجمع جهود البيض ضد الهنود ولهذا فإن عليهم مغادرة المكان إلى أعماق الغرب كما كان يفعل أسلافهم[349]، فليس هناك فائدة ترجى من قتال جموع غفيرة من الجنود، ومن الأفضل تركها تلاحق الهنود حتى تصاب جيادها بالإرهاق[350]، وكل ما كان يريده الزعيم هو أن يتمكن من الصيد في سلام[351]، وفي كل ما سبق ما يكشف حقيقة تهم التوحش والدموية التي كانت تلصق بزعيم هو أحرص ما يكون سلامة قومه وتجنيبهم العنف.

---

[348] -دي براون، 1982، ص 224.

[349] -Mark Diedrich، 1998، ص 85-86.

[350] -Jerome A. Greene، 1994، ص 86.

[351] -نفس المرجع، ص 96.

وصول بقية الطوابير أرض المعركة

وفي صباح السابع والعشرين وصلت قوات تيري وجيبون إلى مسرح المعركة، وكان الكشافة قد حملوا أنباء الهزيمة لقيادة الطابور، ولكن أحداً لم يصدق ادعاءات أولئك الهنود بوقوع مثل تلك الكارثة، إلا أن الجميع عندما وصلوا إلى مكان المعركة أدركوا أن "جحيماً" اشتعل في هذه المنطقة، بالضبط كما وصفه "الثور الجالس".

صعق رينو وبنتين وجنودهما، وكانوا حتى هذه اللحظة لا يعلمون ما حدث، لدى سماعهم بالكارثة التي حلت بقائدهم، ولا شك أن الواقعة أخذت في أذهانهم بعداً خاصاً لأنهم سمعوا نيرانها، فكيف سيتلقون الأمر عندما يعلمون ما الذي كانوا يسمعونه؟

وبعد التقاء الجميع، تيري وجيبون برينو وبنتين، قام بعض الجنود بدفن قتلى المعركة، كل حيث سقط، ولم يتم العثور على أي حي من جنود كاستر، سوى جواد واحد كان في حالة يائسة جداً.

كانت خسائر المعركة صدمة كبيرة للأمريكيين الذين كانوا بصدد احتفالاتهم بالذكرى المئوية للاستقلال (4 يوليو/ تموز/ جويلية 1876)، وقد وصل عدد القتلى إلى 262 قتيلاً إضافة إلى تسعة وخمسين جريحاً من جنود رينو مات سبعة منهم فيما بعد[352]، ويعزو مؤرخون انتصار الهنود إلى أن تسليحهم كان أفضل من تسليح الجيش الأمريكي[353]، كما استعان الهنود أيضاً

352- Frank Humphris، 1976، ص 46.

353- John McDermott، 1998، ص 57-58.

بالأسلحة التي غنموها من رينو في بداية المعركة لاستعمالها ضد كاستر[354].

حُمل الجرحى من أرض المعركة إلى ملتقى نهر "القرن الكبير" بفرعه الأصغر حيث كانت تنتظر سفينة "الغرب البعيد" التي عقد فيها اجتماع قيادة الحملة ضد الهنود فيما سبق، ونقل الجرحى إلى حصن أبراهام لنكولن، حيث كانت بداية انطلاقهم، ووصلوا في الخامس من يوليو/ تموز/ جويلية.

صُدم الرأي العام أيضاً من قدرة الهنود على الانتصار على جيش من البيض، وغلب عليه تكذيب الخبر ابتداء لأنه لا يمكن لمجرد هنود يحملون أسماء غريبة أن يهزموا جنرالاً شهيراً، وزعم الجنرال فيليب شيريدان مهندس هذه الحملة الفاشلة أنه لا وجود لقائد هندي اسمه "الثور الجالس"، وما هذا الاسم سوى تحريف لصفة الهندي المعادي "hostile Indians" كما سبق ذكره، وأنكر بيض آخرون أن يكون "الثور الجالس" هندياً لأن الهندي ببساطة لا يمكنه أن يهزم جنرالاً أبيض في زعمهم[355]، واخترع آخرون سيرة خيالية لهذا الزعيم سنأتي على ذكرها فيما بعد.

المهم أنه عم شعور بالغضب الشديد داخل الولايات المتحدة، فمن هو الذي أفسد فرحة الأمة بعيد استقلالها وسبب هذه الكارثة؟

البعض لام رينو: لماذا أوقف هجومه على المخيم عندما ظهرت جموع المحاربين؟ فرد عليهم آخرون بأنه لو استمر في هجومه فإنه كان سيُسحق تماماً مع جميع جنوده، وتساءل

354- Jerome A. Greene، 1994، ص 65.

355- Geoffrey C. Ward، 1996، ص 303.

البعض لماذا لم يتحرك رينو لدعم كاستر لما سمع إطلاق الرصاص في المخيم؟

ولام آخرون كاستر لتسرعه ومحاولة احتكاره النصر، وعدم اتباعه الطريق الذي اتفق مع قادة بقية الطوابير (تيري وجيبون) عليه، وعدم تقديره القوة الهندية، ودافع عنه غيرهم بالقول إنه وقع في فخ نصبه "الثور الجالس"، الموصوف بالمكر والخداع والهمجية والتوحش، ولام غيرهم "سياسة السلام" التي اتبعتها الحكومة وكانت تطعم فيها عائلات المحاربين الهنود الذين يقتلون الجنود الأمريكيين[356]، ووُصفت هذه المعركة بأنها"مجزرة"[357]، ومازال التاريخ الأمريكي يصر على ذلك[358] وفقاً للاستئصال الاستشراقي الذي يحور الحقائق لصالح العدوان الأبيض، متناسياً أنه لم يكن هناك فخ ولا شرك، فقد كان كل ما يريده الهنود أن يُتركوا وشأنهم كما جاء على لسان زعيمهم "الحصان المجنون"[359]، ولم يبحث الهنود أصلاً عن الجنود لقتالهم، بل إن الجنود هم الذين بحثوا عن الهنود، ولم يبدأ الهنود بقتال الجنود بل لما جاء الجنود وبدءوا هجومهم رد الهنود عليهم[360]، ولهذا لم يكن الهنود يعتقدون بما قاله البيض بل رأوا أن الواقعة كانت معركة حامية بين جيشين مسلحين[361].

---

[356] -نفس المرجع، ص 303.

[357] -Frank Humphris، 1976، ص 48-49.

-Edward Lazarus، 1999، ص 89.

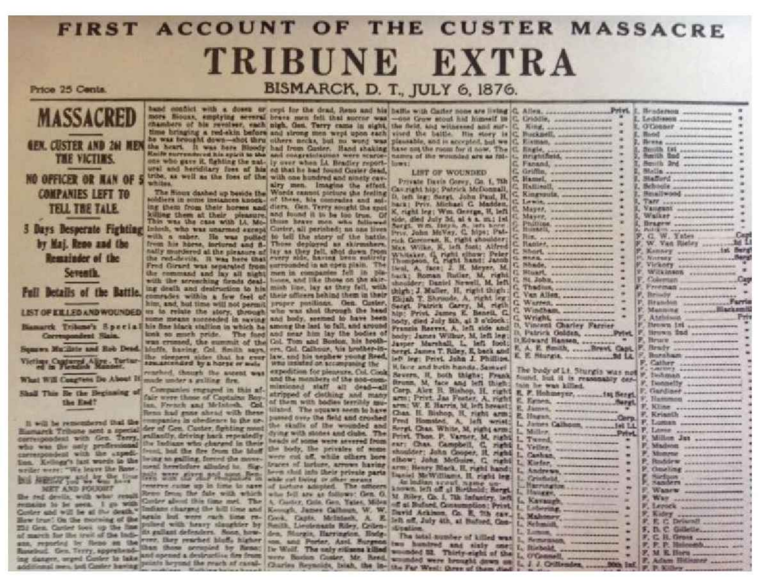
-Jerome A. Greene، 1993، ص 168.

[358] -Joy Hakim، 2003، ج 7 ص 82.

[359] -نفس المرجع، ص 85.

[360] -Frank Humphris، 1976، ص 49.

[361] -Jerome A. Greene، 1994، ص 45.



FIRST ACCOUNT OF THE CUSTER MASSACRE

TRIBUNE EXTRA

Price 25 Cents. BISMARCK, D. T., JULY 6, 1876.

MASSACRED

GEN. CUSTER AND 261 MEN THE VICTIMS.

NO OFFICER OR MAN OF 5 COMPANIES LEFT TO TELL THE TALE.

3 Days Desperate Fighting by Maj. Reno and the Remainder of the Seventh.

Full Details of the Battle.

LIST OF KILLED AND WOUNDED

Bismarck Tribune's Special Correspondent Slain.

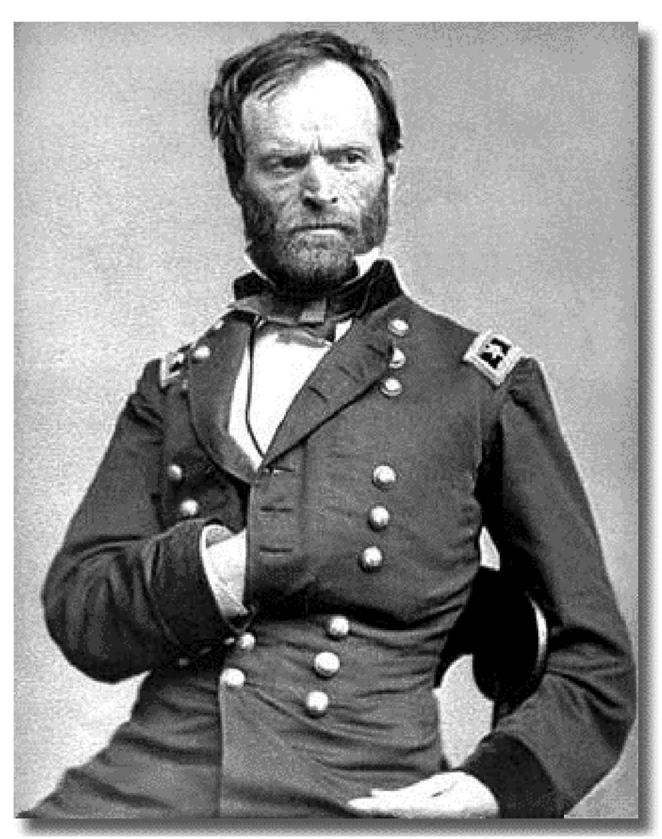
What Will Congress Do About It

Shall This Be the Beginning of the End?

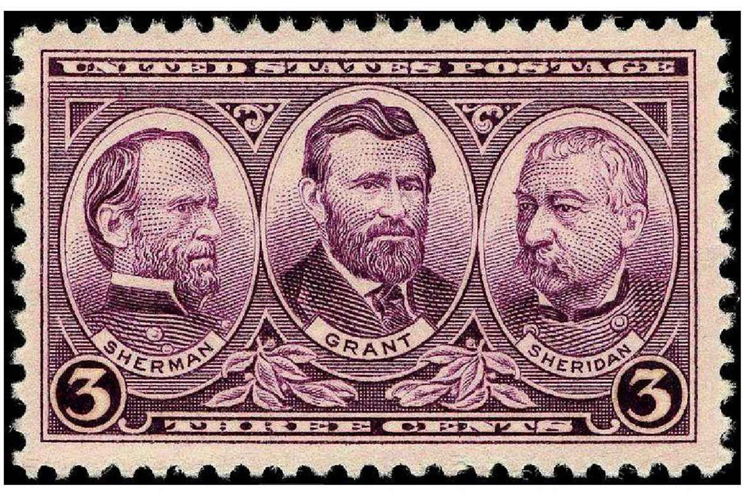
LIST OF WOUNDED

الأنباء الأولى عن "المجزرة" مع أسماء "الضحايا"
في صحيفة تريبيون في مقاطعة داكوتا

استثمرت الحكومة رياح الحقد الأعمى التي عصفت بالولايات الأمريكية لتصفي حساباتها القديمة والجديدة مع "السو"، ولتحقق جميع أطماعها الجارفة في أراضيهم، وفي 22 يوليو/ تموز/ جويلية 1876 فُوض الجنرال وليام تكومسيه شيرمان قائد الجيش الأمريكي بالسيطرة العسكرية على جميع محميات "السو" ومعاملتهم كأسرى حرب، كما أصدر الكونجرس قانوناً يطالب فيه الهنود بالتخلي عن أراضيهم في منطقة نهر البارود بما في ذلك التلال السوداء السبب الرئيس لهذه الحرب، وذلك بزعم أنهم خرقوا معاهدتهم مع الولايات المتحدة.



الجنرال وليام تكومسيه شيرمان (1820-1891) قائد الجيش الأمريكي اشتهر بمثل هذه اللقطة التي تحاكي نابليون بونابرت، ولكن هل كان الجنرال يطمح بالوصول إلى هذه المكانة بالانتقام من الهنود المسالمين؟



طابع تذكاري (1937) يحمل صور الرئيس غرانت والجنرالين شيرمان وشيريدان الذين ثقلت وطأتهم على السكان الأصليين، وكان شيرمان أكثرهم حضوراً في الطوابع التذكارية وأكثر حتى من معظم الرؤساء الأمريكيين، وظل الاحتفاء به إلى الزمن المعاصر[362]

ولكن من الذي بحث عن الآخر ليقاتله؟ ومن الذي بدأ القتال؟ لقد كان من الصعب على الهنود في المحميات فهم أنهم خرقوا المعاهدة، وحتى أتباع "الثور الجالس" لم يهاجموا الجيش إلى أن كان هو البادئ بالهجوم عليهم[363].

وإذا قبلنا بأن "الثور الجالس" وأتباعه قد خرقوا المعاهدة، فما هو ذنب بقية الهنود الذين لم يشتركوا في هذه الحرب أصلاً ليعامَلوا كأسرى حرب وهم لم يدخلوها؟ وتهاجَم قراهم وتدمَر ويجبروا على التوقيع على التخلي عن أراضيهم؟ ألا يدل ذلك على أن كون المرء هندياً وليس من العرق الأبيض يعد في حد

[362] - http://en.wikipedia.org/wiki/William_Tecumseh_Sherman
[363] -دي براون، 1982، ص 225.

ذاته "خرقاً" في عرف هؤلاء البيض؟ ويلاحظ مؤرخ أن "الخرق" الذي قام به الهنود هو دفاعهم عن أنفسهم ضد هجوم استهدفهم في عقر دارهم[364] (كما هو دأب الصهاينة في زمننا حين يمعنون في العدوان على ضحاياهم بعد تفاهمات التهدئة فإذا تجرأ أحد على الرد على العدوان أصبح هو الذي يخترق الاتفاق في عرف المعتدين ويستحق نتيجة ذلك هجوماً كاسحاً مدعوماً من الولايات المتحدة التي مارست هذه اللعبة في تاريخها كما نرى هنا).

عمليات الانتقام

انقلب الرأي العام الأمريكي ضد السكان الأصليين بعد معركة القرن الصغير وأصبح المزاج العام متشدداً فصور كاستر بصورة الفارس المسيحي الذي سقط شهيداً بأيدي الهمج، وأصبحت الهضبة التي قُتل فوقها كالموقع الذي يعتقد أن السيد المسيح صلب فوقه، ولكن خلافاً للمعتقد المسيحي لم تستدع الخطيئة الغفران بل الانتقام[365]، أي أن الرأي العام انتقل من الحزن إلى الغضب إلى المطالبة بالانتقام (كحالة الرأي العام في كل المجتمعات الغربية التي تظهر "الحزن" و"التعاطف" و"البكاء" على ضحاياها ما داموا في خانة "الضحايا"، فإذا قاموا لاسترداد حقوقهم أو حققوا أي انتصار على العدوان انقلبت المشاعر ضدهم رأساً على عقب، وهذا ما حدث مع الرأي العام الأمريكي بعد معركة القرن الصغير حيث وضع

---

364 -Frank Humphris، 1976، ص 50.

365 -Jeffrey Ostler، 2010، ص 98.

الهنود جميعاً في سلة واحدة ولم يعد يفرق بين المسالم والمقاوم[366]، ولعل هذا التقلب واضح في كثير من المواقف المتباينة كالمجازر والانتصارات)، وعمت الهستيريا والتطوع كل مدينة في كل ولاية في كل منطقة، وتعالت أصوات تطالب بإبادة الهنود، أما السياسة الأكثر "تعقلاً" فقد خيرت الهنود بين الموت جوعاً بعد وقف المساعدات لهم، والموت في القتال، أو الاستسلام المطلق والتنازل بلا شروط عن جميع ممتلكاتهم ذات القيمة تحت شعار "البيع أو الجوع"[367]، وعقدت محاكمة عسكرية للميجور ماركوس رينو الذي اتهم بالتخلي عن قائده في ساعة المحنة، ولكن بعد 26 يوماً من جلسات الاستماع، و1300 صفحة من الشهادات، تمت تبرئة رينو فاعترض أنصار كاستر بكون المحاكمة شكلية بهدف التبرئة[368]، وأصبح السياسيون والعسكريون ملتزمين بتحطيم المقاومة الهندية إلى الأبد، وتمت زيادة أعداد الجنود، وهرع المتطوعون للانضمام إلى "المنتقمين لكاستر" الذين كان كثير منهم من المجرمين الذين واجهوا المحاكمات العسكرية[369]، وشارك في الحملة الجنرال جورج كروك الذي أراد التعويض عن الهزيمة التي تعرض لها في معركة نهير البرعم (17 يونيو/ حزيران/ جوان 1876) فأدخل جنوده هذه المرة في محنة جديدة في مسيرة الجوع التي طارد فيها الهنود في صيف وخريف ذلك العام نفسه في وايومنج ومونتانا وداكوتا فلم يعثر عليهم ونفدت مؤن جنوده

---

[366] -Charles M. Robinson III، 1996، ص 337.

[367] -Edward Lazarus، 1999، ص 89-90.

[368] -David Nevin، 1981، ص 221.

[369] -Charles M. Robinson III، 1996، ص 337.

بعدما تخلصوا من أحمالهم لأجل سرعة السير، ثم أراد الجنرال حفظ ماء وجهه من هذا الفشل بنزع سلاح هنود المحميات[370].

كان أشهر عمليات كروك هو الهجوم على قرية هندية عند الهضاب الرشيقة Slim Buttes في يوم 9 من شهر سبتمبر/ أيلول (الخريطتان المرجعيتان 1 و3)، وكان ذلك بعد انقسام المخيم الهندي الأكبر إلى قرى صغيرة بحثاً عن صيد الجواميس، وبعد انفصال كروك عن الجنرال ألفرد تيري متجنباً لتحكمه ومتذرعاً بحماية المستوطنين في المنطقة، وذلك بعد التقاء القوتين في 10 أغسطس/ آب/ أوت [371]، ولم يكن الهجوم بعيداً عن قرية "الثور الجالس" الذي هرع إلى نجدة قومه مع ستمائة من محاربيه[372] ولكنه وصل بعد فوات الأوان ليجد المخيم مدمراً كلياً وكثيراً من جثث الشباب والكهول والنساء والأطفال وحتى الرضع[373]، وكانت هذه المجزرة كما رآها الهنود[374] هي "الانتصار" الأمريكي الأول في هذه الحرب[375]، وتم إنقاذ بعض الناجين ودفن الموتى، وجاءه أسرى كروك برسالة تهديد بوجوب الاستسلام لتجنب مزيد من الخسائر، من الجنرال الذي كان يدعي أن الرجل الأبيض لا يشن حروباً على النساء والأطفال، وكانت تلك نكتة سمجة (كنكتة طهارة السلاح الصهيوني) في ذلك الوقت حيث تبكي

---

370 -نفس المرجع، ص 110.

371 -Jerome A. Greene، 1993، ص 96.

372 -دي براون، 1982، ص 228.

373 -Benjamin Capps، 1982، ص 208-209.

374 -Jerome A. Greene، 1994، ص 88 و92.

375 -Jerome A. Greene، 1993، ص 96.

دموع الزعيم الضحايا الأبرياء وهم بأوضاع محزنة[376]، وتساءل "الثور الجالس":"ما الذي فعلناه حتى يريد منا البيض التوقف؟ نحن نركض عبر هذه البلاد كلها، ولكنهم يتبعوننا من مكان إلى آخر"[377]، وأرسل إلى زعماء الهنود في المحمية يعرض عليهم ألفاً من الجياد لو تمكنوا من مساعدته في إنقاذ أسرى كروك من هذا الهجوم[378]، وكان مما فت في عضد الزعيم علمه بأن الذي دل الجنود على مخيم الهضاب الرشيقة أحد المولدين العاملين في البريد والذي كان الزعيم قد أنقذ حياته سنة 1869 وتبناه داخل أسرته وسمح له بالعيش معه سنوات ثم انقلب هذا الرجل عليه، وهو أمر لم يكن خاصاً به إذ منذ مجزرة التلال الرشيقة بدأت شعبية الزعيم بالتضاؤل حتى بين قومه وتخلى عنه كثير من الأنصار بل صاروا ضده تحت وطأة الضغوط التي مارسها الجيش الأمريكي عليهم[379].

ومن أكبر العمليات التي قام بها جنود كروك ضد الهنود الهجوم على قرية زعيم "الشايان" "السكين المثلمة" Dull Knife و"الذئب الصغير" Little Wolf في يوم 26 نوفمبر / تشرين الثاني 1876، وذلك رغم أنهما لم يشاركا في معركة القرن الصغير، وكان الهجوم بقيادة الجنرال رانالد ماكينزي وبمشاركة هنود من المتعاونين مع الأمريكيين، فأظهر "الشايان" مقاومة باسلة ولكن الجيش تمكن من اكتساح القرية وإحراقها

[376] -Stanley Vestal، 1980، ص 187-189.
[377] -دي براون، 1982، ص 228.
[378] -Mark Diedrich، 1998، ص 89.
[379] -Stanley Vestal، 1980، ص 189.

وتفرق الهنود بين الجبال بعد مقتل 40 منهم الابن الأكبر "للسكين المثلمة" وإصابة أكثر من هذا العدد[380].



الزعيمان "السكين المثلمة" (جالساً) و"الذئب الصغير" (واقفاً)، كانت قبيلة "السو" تطلق على "السكين المثلمة" هذا الاسم، اسمه بلغة قومه "الشايان" "نجمة الصباح" Morning Star، كانت الولايات المتحدة تريد ترحيل

---

[380] -Jerome A. Greene، 1993، ص 167 و182.
-Paula Mitchell Marks، 1998، ص 195.
-دي براون، 1982، ص 230.

القبيلة منذ سنة 1873 من الشمال إلى المقاطعة الهندية في الجنوب (أوكلاهوما فيما بعد) رغم أن معاهدة حصن لارامي 1868 وعدتهم بمحمية في موطنهم، ولكن الزعماء رفضوا وأصروا على موقفهم رغم محاولة الرئيس الأمريكي يوليسيس غرانت إقناعهم بصورة شخصية في لقاء خاص معهم (14 نوفمبر/ تشرين الثاني 1873) ورغم قيام الحكومة بعد ذلك بقطع المؤن عنهم بذريعة "دعوتهم" للمغادرة، ولما اندلعت حرب "السو" الكبرى، لم يشارك الزعيمان في معركة القرن الصغير، ومع ذلك تعرضت قريتهما للانتقام الذي أعقب المعركة، ونتج عن هجوم الجنرال ماكنزي عليها بجنود عددهم 2.500 مقتل وجرح 100 من سكانها وتشرد البقية في البراري في شتاء قارس وصلت الحرارة فيها إلى 30 درجة تحت الصفر دون مأوى أو مؤن كافية وبأغطية وجلود قديمة وبلا أدوات طبخ حتى تجمدت أطراف كثير منهم، ومات الرجال من الجراح والنساء والأطفال من التجمد، وروى شاهد عيان تجمد 11 طفلاً بين أيدي أمهاتهم في ليلة الهجوم، حتى أن بعضهم قتل جياده ليحفظ الأطفال داخل الجثث، ثم لجئوا إلى قرى ووكالات حلفائهم "السو"، واستسلموا مع استسلام "الحصان المجنون" في مايو/ أيار/ ماي 1877، وكانت الحكومة آنذاك مصممة على ترحيلهم جنوباً، وفهم "الشايان" حينئذ أن الجنرالين كروك وماكنزي يعرضان عليهم البقاء في موطنهم ريثما تقرر الحكومة مصيرهم ولكن العسكريين غيرا أقوالهما فيما بعد وأصبح على الهنود المغادرة الفورية إلى المقاطعة الهندية جنوباً، وهذه الظاهرة التي تعتمد الخداع للتسكين لم تكن فريدة في هذه الملحمة، ولما رفض الهنود قطعت المؤن عنهم ثانية، وكالعادة استفادت الحكومة من الانقسام بين زعماء الهنود وجعلت من توقيع بعضهم على الموافقة على الرحيل ملزماً للجميع، وغادر ما يقارب الألف من "الشايان" حصن روبنسون في نبراسكا (الخريطة المرجعية رقم 1) نحو الجنوب مسافة ألف ميل في رحلة امتدت سبعين يوماً ظناً منهم أنها مجرد تجربة وافقوا عليها نتيجة الضغوط، فمات قليل من المسنين وتمكن بعض المهجرين من الفرار أثناء المسير، والعودة إلى الشمال، ووصل المرحلون في 5 أغسطس/ آب/ أوت 1877 ولم يتمكنوا من احتمال الظروف القاسية في المقاطعة الهندية حيث مات الكثيرون منهم

نتيجة تفشي الأمراض كالملاريا والحمى والتي أصابت ثلثيهم، بالإضافة إلى قلة الطعام والمناخ الحار كما عانوا من الحنين إلى وطنهم ولم يتلقوا الرعاية التي وعدهم بها الرئيس غرانت، ونتيجة لنقص الرعاية الطبية مات 41 من "الشايان" في شتاء 1877-1878، وقد اعترض على سوء أحوالهم حتى المسئولين الأمريكيين وتساءلوا كيف يمكن المحافظة على سلوكهم في ظل انتهاك الاتفاقات معهم وإساءة معاملتهم؟ وفي النهاية قرر ما يقارب 350 منهم التمرد والعودة إلى الشمال، وفي 9 سبتمبر/ أيلول 1878 انطلقوا عائدين عبر المقاطعة الهندية ثم كانساس ثم نبراسكا في ملحمة وقعت فيها الكثير من المعارك وسفكت فيها الدماء وكانت صورة الهنود أثناءها مشوهة كالمخربين الذين يزرعون الرعب بين المستوطنين الآمنين وذلك وفقاً لصحافة التخوم (تماماً كما صورت الدعاية الصهيونية اللاجئين الفلسطينيين الذين حاولوا العودة إلى أراضيهم متسللين بعد نكبة 1948)، وقد أصدر الجنرال فيليب شيريدان قائد قطاع الميسوري أوامره للجنرال جورج كروك بعدم ترك أي إجراء لقتل أو أسر "الشايان" الهاربين، وفي نبراسكا انقسمت المجموعة إلى مجموعتين واحدة بقيادة "السكين المثلمة" والتي استسلمت في حصن روبنسون وهي في حالة يرثى لها من الهزال والثياب الرثة بانتظار قرار الحكومة، والأخرى بقيادة "الذئب الصغير" والتي واصلت المسير شمالاً إلى إقليم نهر البارود حيث اختبأ زمناً ثم حصل على محمية في مونتانا، أما من ظل في حصن روبنسون تحت قيادة "السكين المثلمة" فقد تمتعوا بفترة قصيرة من الهدوء الذي يسبق العاصفة وجيء "بالغيمة الحمراء" زعيم "السو" الذي كانوا يبحثون عن وكالته للجوء إليها، فأخبرهم أنه حزين لما أصابهم ويأمل أن يسمح لهم "الأب الأعظم" بالعيش مع قومه، وسيقاسمهم الرزق ولكنه لا يستطيع الآن مساعدتهم وعليهم طاعة الأوامر الحكومية (هكذا مصير أنصار الحلول السياسية دائماً في ظل اختلال موازين القوى)، فصدرت الأوامر من العاصمة بإعادتهم إلى الجنوب وقطعت عنهم المؤن للمرة الثالثة بالإضافة إلى المياه فتمردوا ثانية وحاولوا مغادرة الحصن بالقوة في البرد الشديد (9 يناير/ كانون الثاني/ جانفي 1879) ولكن الجيش لحق بهم وظل يطاردهم لمدة أسبوعين وقتل العديد منهم وتجمد كثير آخرون وكانت

الحصيلة مقتل 14 هندياً برصاص الجنود وتجمد 50 آخرين وأسر 78 غيرهم، كما قتل 11 جندياً وجرح 10 آخرون، وتعاطف الرأي العام الأمريكي في الشرق مع محنة الهنود، وكتبت بعض الأقلام الجريئة في الغرب والتخوم تأييداً لقضيتهم، وقد لجأ الناجون إلى حلفائهم "السو" حيث كان "السكين المثلمة" قد اختبأ منذ هروبه، وفي الشهر التالي من العام نفسه، سمح لما يقارب ستين من أتباع "السكين المثلمة" بالاستقرار مع حلفائهم "السو" في وكالة سلسلة جبال الصنوبر حيث يعيش "الغيمة الحمراء"، وفي نوفمبر / تشرين الثاني من العام نفسه سمح لهم بالانضمام إلى محمية أشقائهم في مونتانا قرب حصن كيوف (الخريطة المرجعية رقم 1)، وبطلب من الجنرال نلسون مايلز والذي يدل على التوقيت عديم الفائدة لظهور التعاطف والمشاعر "الإنسانية"، سمح "للسكين المثلمة" بالعودة إلى موطنه في وادي نهر البرعم، وفي سنة 1884 تأسست رسمياً محمية خاصة بقبيلة "الشايان" الشمالية في جنوب مونتانا، ورغم استياء الجيش من هذا التنازل البسيط بعد المعاناة الشديدة التي مر بها الهنود والتضحيات الكبرى التي قدموها ورأي قائده وليم شيرمان بوجوب عدم المساس بالنظام الذي يحكم الهنود، فإنه لم يعترض أحد لا شيرمان ولا شيريدان على إنشاء المحمية نتيجة عدم ملاءمة ذلك الاعتراض لمزاج الرأي العام[381]، وبهذا يتبين مدى المعاناة التي مر بها السكان الأصليون ليتم قبولهم في معازل ضيقة من أراضيهم الأصلية وهذا دليل على المدى الأقصى الذي يمكن للضحية الحصول عليها من مجتمع معاد في أكثر حالاته تعاطفاً.

---

[381] -John H. Monnett، 2001، ص xxix-xxv و3-5 و9 و19-25.
-Frank Humphris، 1973، ص 28-33.
-Stan Hoig، 1990، ص 123-137.
-Bill Yenne، 1986، ص 39-40.
-Paula Mitchell Marks، 1998، ص 195.
-Angie Debo، 1983، ص 241-242.
-Donald J. Berthrong، 1992، ص 34 و38.
-Robert M. Utley، 2002، ص 184.
-John D. McDermott، 1998، ص 165.
-Ralph K. Andrist، 2001، ص 324 و330.
-دي براون، 1982، ص 230 و247-260.



مجزرة "الحفرة" التي وقعت بعد أسبوعين من ثورة "السكين المثلمة" وقومه في حصن روبنسون وكان الضحايا ممن تمكنوا من الهرب في هذه الفترة إلى أن تم القضاء على المحاربين وأسر البقية، واللوحة من رسم الفنان فريدريك ريمنجتون (1897) [382]

كما شارك الجنرال ألفرد تيري قائد الجنرال القتيل كاستر والكولونيل نلسون مايلز في عمليات الانتقام، وكان مايلز يبحث عن "الثور الجالس" منذ الصيف، ولما وجد الزعيم الجنود يعيثون الفساد في الأرض ويعملون على بناء حصن جديد هو حصن كيوف Fort Keogh (الخريطتان المرجعيتان 1 و3) على اسم أحد قتلى معركة القرن الصغير، أرسل إليهم رسالة قائلاً:"أريد أن أعرف ما تفعلونه على هذا الطريق، أنتم تخيفون الجاموس فيهرب من هنا، أريد أن أصيد في هذا المكان، أريدكم

[382] - http://en.wikipedia.org/wiki/File:FortRobinsonPit006.jpg

أن تعودوا من حيث جيئتم، وإذا لم تفعلوا ذلك فسأقاتلكم من جديد، أريدكم أن تتركوا ما أنتم بصدده هنا، وتعودوا، أنا صديق لكم"، فرد قائد القافلة عليه بأنهم ذاهبون إلى الحصن الجديد وسيأتي مزيد من الجنود وإذا رغب "الثور الجالس" في القتال فإنهم سيقاتلونه[383]، ومال بعض الزعماء إلى الاستسلام نتيجة شدة المطاردات فعنفهم "الثور الجالس"[384] بقوله:"هل أنتم ذئاب؟ هل سننسل في الحفرة وننتحب؟ لقد أكلتم كثيراً من خبز الرجل البيض فاقتلع قلوبكم، هل تريدون أن تكونوا لهواً لأعدائنا؟ إذن عودوا إلى الوكالات واسمنوا من الفتات الذي سيلقونه إليكم، أما أنا، فمن الهنكبابا، ولن أستسلم، ولا أدين للبيض بشيء سوى الكراهية، أنا لم أسع إلى الحرب ضد مايلز، ولكنه إذا طاردني فسأقاتل، إن قلبي مشتعل من كونكم جبناء، ولن أشترك في مباحثات الاستسلام، وهذا ما لدي"[385].

ولكون الزعيم ليس مغرماً بالحرب كما عبر عن ذلك في أكثر من مناسبة ولم يكن يحاول الاحتكاك بالجنود وكان يتركهم يعودون لو أرادوا ذلك، وكل ما كان الهنود يريدونه أن يُتركوا وشأنهم[386]، فإنه قبِل تحت إلحاح الزعماء الباقين التحدث مع قائد الجنود[387]، وقبل الكولونيل نلسون مايلز كذلك بعد التحاقه بالقافلة بعقد هذه المباحثات التي بدأت في 22 أكتوبر/ تشرين أول 1876 واستمرت لمدة يومين ولم تصل إلى نتيجة واقتصرت على عرض وجهات النظر التي تميز الجانب

---

[383] -دي براون، 1982، ص 228-229.

[384] -Jerome A. Greene، 1993، ص 137.

[385] -Mark Diedrich، 1998، ص 92.

[386] -Jerome A. Greene، 1994، ص 94-100.

[387] -نفس المرجع، ص 105.

الأمريكي فيها بالغطرسة والحماقة التي لا يفيد فيها إظهار النوايا السلمية من جانب الطرف المعتدى عليه.

بدأ مايلز باتهام الزعيم بكونه معادياً للبيض وأساليبهم، فوافق "الثور الجالس" على أنه ليس مع البيض ولكنه لا يعاديهم إذا تركوه وشأنه، فسأله مايلز سؤالاً يدل على الحماقة وهو ما الذي يفعله في منطقة "الصخرة الصفراء"، ورغم غرابة الاستفهام أجاب الزعيم بأدب أنه يصيد الجواميس لإطعام قومه وكسوتهم، ولما وصل الحديث إلى موضوع الحياة في المحمية غير الزعيم مجرى الحديث وقال إنه سيمضي الشتاء في التلال السوداء، وفي اللقاء الثاني أكد "الثور الجالس" أنه لم يقاتل الجنود حتى بدءوا هم بذلك، وإذا انسحب الجيش من أرض الهنود فلن يكون هناك قتال، فلما قال مايلز إنه لا سلام قبل انتقال الهنود إلى المحمية غضب الزعيم ورد بالقول إن الروح العظمى خلقته هندياً وليس هندي وكالات، وليس في نيته أن يغير هذا الواقع[388]، وكان مما قاله أيضاً إنه ليس هناك هندي على وجه الأرض يحب الرجل الأبيض، وليس هناك رجل أبيض على وجه الأرض يحب الهندي[389]، وانتهت المباحثات إلى لا شيء[390]، ثم بدأ الجنود بإطلاق الرصاص وتحول الموقف إلى معركة امتدت يومين ومطاردة وصلت إلى أكثر من أربعين ميلاً خسر الهنود فيها كثيراً من المؤن والجياد ومعدات التخييم[391].

---

388 -دي براون، 1982، ص 228-229.

389 -Benjamin Capps، 1982، ص 209.

390 -دي براون، ص 229.

391 -Benjamin Capps، 1982، ص 209-210.

كان هدف الكولونيل مايلز من الموافقة على المباحثات هو التعرف على قدرات الهنود وأسلحتهم وعددهم وطبيعة زعيمهم الذي كان لغزاً حتى ذلك الوقت، بالإضافة إلى تيسير عملية الاستسلام لمن يريد[392]، وكان تقويم مايلز "للثور الجالس" أنه قوي وذو بنية متناسقة وملامحه تدل على القوة والعزيمة، لا يتحدث كثيراً وحذر في تعبيره، يفكر مرتين قبل أن ينطق، متأن في حركاته ومتحفظ في سلوكه، في البداية كان مجاملاً ولكنه يخلو من أي احترام للعرق الأبيض، ورغم أنه أخفى مشاعره فإن سلوكه دل على عدائه لمن اضطر لمقابلتهم[393]، وكتب إلى الجنرال ألفرد تيري أنه إذا أمكن الإبقاء على الهنود منقسمين والقضاء على نفوذ "الثور الجالس" فإنه يمكن إنهاء المتاعب فوراً (نفس برنامج الصهاينة والاستعمار في كل مكان وزمان: فرق تسد، وتحطيم الزعامات المحلية المقاومة)، وأن "الثور الجالس" سيكون سعيداً بالسلام، ولكنه يخشى كونه مرتكباً لتجاوزات غير قابلة للغفران[394].

أما تقويم الجنرال تيري لنفس الزعيم فقد وافق على ذلك وانصب على سياسته العامة إذ قال إنه لم يدخل وكالة قط ولم يأخذ مؤناً من الحكومة ولم يرد ذلك قط، وسلوكه منسجم في هذا الموضوع، وقد كان دائماً أكثر أعداء البيض عناداً كما كان معارضاً بشدة لأية سياسة غير إعادة البيض إلى البحر الذي قدموا منه (ادعى الصهاينة كذلك أن العرب يريدون قذفهم في البحر مع أن ما قيل هو إعادتهم عبر البحر الذي جاءوا منه)،

---

392 -Jerome A. Greene، 1993، ص 134-135.

393 -Mark Diedrich، 1998، ص 87.

394 -نفس المرجع، ص 92.

وكان يرفض دائماً حضور المباحثات، والتوقيع على المعاهدات، ويعتقد أن أية مماطلة مع البيض هي علامة ضعف حقير لا يليق بقومه، وباختصار هو متمرد حتى بين قومه (إظهار الحرص المزيف على السكان الأصليين من تهور قادتهم صفة ملازمة للاستعمار)، وأنا أعتقد أنه إذا أُزيح من الطريق سيكون لدينا متاعب أقل بكثير مع "السو" بعد ذلك[395] (اعتقد الصهاينة دائماً أن مشاكلهم مع العرب وأهل فلسطين نابعة من تطرف بعض القادة وليس من العدوان على هذه الشعوب، ولهذا كانوا يمارسون اغتيال هؤلاء القادة باستمرار).

وأكد قائد الجيش الأمريكي الجنرال وليام تكومسيه شيرمان ذلك في نوفمبر/ تشرين الثاني 1876 عندما قال إن العلاقات السلمية مع الهنود لن تبدأ قبل استسلام "الثور الجالس" وتحوله إلى سجين حرب[396]، وهذا هو توضيح لمعنى "السلام" الذي ينشده الرجل الأبيض دائماً بناء على استسلام الآخرين وسجنهم.

---

[395] -نفس المرجع، ص 87.

[396] -نفس المرجع، ص 93.



الجنرال نلسون مايلز (1839-1925) شارك في الحرب الأهلية الأمريكية لأجل "تحرير" الرقيق ثم شارك في الحروب الهندية للقضاء على حرية السكان الأصليين

ظن الجيش أن مكانة "الثور الجالس" لدى قومه تحطمت نتيجة عمليات الهجوم التي تعرض لها الهنود من قبل مايلز وجنوده قبل مباحثاته مع الزعيم وبعدها[397]، ولكن هذا كان حكماً مبكراً في ذلك الوقت، واستمرت حملة مايلز في شتاء 1876-1877، وانتشر الجنود في أرض الهنود الذين نفدت

397- Jerome A. Greene، 1993، ص 142-147.

ذخائرهم، وحوصروا من جميع الجهات، فقُتل محاربوهم، ودُمرت قراهم، وأُحرقت مؤنهم، وتركت نساؤهم وأطفالهم بلا مأوى في أجواء البرد القارس[398].



الكولونيل نلسون مايلز (أقصى اليسار) في حملة 1877
يطارد الهنود في مونتانا في درجة حرارة 20 تحت الصفر

الاستيلاء على التلال السوداء

وكما سبق ذكره ترافقت القوة مع السياسة "العقلانية" بوضع الهنود بين خيارات مرة، وأصدر الكونجرس في غمرة العمليات العسكرية قراراً (15 أغسطس/ آب/ أوت 1876) يطالب الهنود بالتنازل عن أراضيهم، وأصبح المطلوب منهم لينجوا أن يتنازلوا على التلال السوداء وجميع أراضي الصيد خارج

[398] -David Nevin، 1981، ص 220.

المحمية الكبرى، ورغم إلغاء فكرة المعاهدات الهندية منذ سنة 1871، فإن الساسة رأوا أن الاستيلاء على أرض الهنود يجب أن يكون "قانونياً" ويستكمل الشكليات البروتوكولية (كعادة الغرب الحريص جداً على إخراج عمليات العدوان بصورة مقبولة، ولهذا كان الكاتب الفرنسي الشهير أليكسيس دي توكفيل يؤكد قبل أربعين عاماً من ذلك أن الولايات المتحدة حققت ما حققته وحشية الإسبان من إبادة واضطهاد، ولكن دون انتهاك القوانين الإنسانية)، ومرة أخرى ساير الإنسانيون السياسات العدوانية لأنهم وجدوا أن معاقبة الهنود بهذا الشكل هي الوسيلة الوحيدة لتجنيبهم الإبادة[399]، كما أنها أيضاً وسيلة لجعل الهنود يتقبلون بركات الحضارة المسيحية بتنازلهم عن أراضيهم[400] (هكذا صور الغرب دائماً مشاريعه الجشعة كطريق وحيد لتنمية الآخرين) وذلك رغم قناعتهم بأن الولايات المتحدة هي التي خرقت معاهدة 1868 مع الهنود، ولهذا كان الإنسانيون على رأس اللجنة التي أرسلت للحصول على إقرار الهنود بتنازلهم عن حقوقهم المطلوبة، في الوقت الذي كان "الثور الجالس" منهمكاً فيه بحملة الكولونيل مايلز عليه وعلى أتباعه المقاومين، ولقاءاته معه، وهذه اللجنة هي لجنة جورج مانيبيني George W. Manypenny الذي كان أحد الناطقين المعروفين بلسان التوجه المسيحي الإنساني الأمريكي مع ستة أعضاء آخرين[401].

كانت مقترحات اللجنة "لإنقاذ" الهنود بعدما وصلت إلى محمية داكوتا (سبتمبر / أيلول 1876) وبدأت اجتماعاتها

---

[399] -Edward Lazarus، 1999، ص 90.

[400] -Jeffrey Ostler، 2010، ص 98-99.

[401] -نفس المرجع، ص 98-99.

بالصلاة، تتلخص في إعادة بذل الوعود غير المنجزة في معاهدة 1868 بخصوص التعليم والزراعة وتوزيع الأراضي وتزويدهم بالنجارين والحدادين ومساعدات إلى أن يتمكنوا من الاعتماد على أنفسهم، وعليهم التخلي عن أكثر من سبعة ملايين فدان هي مساحة التلال السوداء من المحمية المفردة لهم بموجب معاهدة لارامي 1868، بالإضافة إلى تخليهم أيضاً عن كل الأراضي التي صنفت للصيد خارج المحمية الكبرى (حوالي 40 مليون فدان)، وسيحصلون في المقابل على أقل من مليون فدان صالحة للرعي في شمال المحمية، وسيكون على الهنود أيضاً الموافقة على اختراق الطرق لأراضيهم، وتسلم المساعدات في منطقة نهر الميسوري البغيضة عندهم بسبب قفر المكان والمفضلة عند الحكومة بسبب قلة الكلفة الاقتصادية[402]، إذ أن نقل المساعدات والمؤن إلى شمال غرب نبراسكا يكلف الحكومة دولاراً واحداً لكل 100 رطل (45 كيلوغراماً) تعبر 100 ميل (160 كيلومتراً)[403]، أما شرقاً على نهر الميسوري حيث يمكن تزويدهم بالمؤن بنفقة أقل بالسفن البخارية ويمكن أيضاً السيطرة عليهم من جانب الجنود بسهولة، كما يمكن أن يكون هذا العدد الكبير من الهنود مصدر ربح للمدن الأمريكية المحيطة[404]، كما أن على "السو" دراسة اقتراح انتقالهم للمقاطعة الهندية في أوكلاهوما الحالية والتخلي عن جميع أراضيهم في داكوتا، وستقرر المصالح فيما بعد مصير هذا الاقتراح.

---

[402] -Edward Lazarus، 1999، ص 90-93.

[403] -George E. Hyde، 1993، ص 8.

[404] -Charles M. Robinson III، 1996، ص 337.

لم تكن اللجنة نفسها التي عرضت هذه الشروط بعيدة من القناعة بأنها ليست شروطاً عادلة ولكنه لا بديل لإنقاذ مستقبل الهنود[405]، واستاء الهنود أنفسهم من هذه العروض وهذه الطريقة "لإنقاذهم"، وألقوا خطباً تساءل فيها الغيمة الحمراء مثلاً عن أي إله تصلي له اللجنة وهل هو نفس الإله الذي خُدع الهنود باسمه مرتين سابقاً (1851 و 1868)؟ فكان جواب الأسقف هنري ويبل الذي تدخل في الماضي لمنع إعدام ثوار "السو" الشرقيين "السانتي" في عهد لنكولن إن هذه المرة تختلف عن سابقاتها ولم يكن "الأب الأعظم" الأمريكي أكثر منه وداً وحرصاً من اليوم، وسيصبح الهنود نتيجة ذلك "شعباً قوياً وعظيماً" كالبيض تماماً (متى صدقت وطبقت أي من وعود التنمية الغربية للعالم الثالث منذ ذلك الوقت؟)، وكرر الزعماء الوعود المنكوثة منذ معاهدة لارامي الأولى سنة 1851 واعترضوا على مطالبتهم دائماً بالموافقة على كل ما يملى عليهم، وعلى نقل وكالاتهم إلى حيث يموت أبناؤهم ويكثر الرجال الأشرار ويتوفر الخمر الشرير، وتهكموا على استمرار نقلهم من مكان إلى آخر خمس مرات مع سبق الوعد بأن النقل سيكون نهائياً منذ البداية (كم مرة نُقل اللاجئون الفلسطينيون نتيجة استمرار شن الحروب الصهيونية العلنية والمستترة ضدهم (1948، 1967......2014)؟)، وقالوا إنه من الأفضل وضعهم على عجلات ليتمكن البيض من نقلهم متى شاءوا، وطالبوا بوجوب دفع ثمن التلال السوداء بما يساوي

---

[405] -Paula Mitchel Marks، 1998، ص 195.

حجم الثروات المستخرجة منها (هل دفع الغرب يوماً للعرب الثمن المكافئ لاستغلاله ثرواتهم؟).

ولكن اللجنة فرضت عليهم الخيار الآتي : التوقيع أو الموت Sign or die، إذ لو أنهم رفضوا التوقيع ستتوقف المساعدات التي يعتمدون عليها كلياً للبقاء على قيد الحياة بعد القضاء على اقتصادهم المستقل المعتمد على الصيد، ومن الوسائل التي استخدمت "للإقناع" التهديد بالقوة التي مثلها حضور الجنود وإشهارهم أسلحتهم، والتهديد بمصادرة الأسلحة والجياد، والتهديد أيضاً بالترحيل الإجباري إلى أوكلاهوما، والرشوة بتوزيع الأموال على من يوقع (20 دولاراً) بالإضافة إلى توزيع الخمور (ماذا يعتزم الصهاينة توزيعه على الفلسطينيين للتخلي عن وطنهم؟)، ومع ذلك لم توقع النسبة المطلوبة لتكون المعاهدة شرعية والتنازل نافذاً (ثلاثة أرباع الرجال وفقاً لمعاهدة لارامي 1868)، ولم تتعب اللجنة نفسها لتحقيق هذا الشرط، إذ لم يوقع سوى 10% من الرجال المتواجدين في المحمية كان من ضمنهم الزعماء المسالمون وأبرزهم "الغيمة الحمراء" و"الذيل المرقط"، ولم يكن الهنود يعلمون حقيقة ما وقعوا عليه وتفاصيله، فمنهم مثلاً من اعتقد أن الحكومة ستستمر في تقديم المساعدات لمدة مائة سنة قادمة أو أكثر، بناء على وعود شفوية بمساعدتهم إلى أن يتمكنوا من الاعتماد على أنفسهم، في الوقت الذي كانوا يعدون فيه الكلمتين المنطوقة والمكتوبة سواء وهو ما لم يكن وارداً عند البيض.

عادت اللجنة إلى واشنطن وهي تشكر الرب على توفيقه إياها بإنجاز أوامره، وأرضت ضميرها عندما قدمت تقريرها النهائي بإدانة المعاملة الحكومية السابقة للهنود، ولكن ذلك لم

يكن له أي أثر عملي، ورغم عدم قانونية الإنجاز فقد قدمه الرئيس يوليسيس غرانت للكونجرس في 22 ديسمبر/ كانون أول 1876 ثم صادق الكونغرس على الاتفاق في 28 فبراير/ شباط/ فيفري 1877 [406]، وبهذا يتبين مدى المساعدة التي كان التوجه الديني والإنساني يقدمها للعدوان على أرض الهنود بذرائع مختلفة تتأرجح بين محاولة تجنيب السكان الأصليين المصير الأسوأ (وهو اعتراف بأن المد الأبيض لا يرحمهم) ومحاولة منحهم بركات الحضارة والمسيحية، وهي في النهاية أعذار لم يتحقق شيء من أهدافها الهندية في المعادلة ولم يجر سوى سلب الهندي من أرضه الصالحة للزراعة اللازمة لتمدينه وفقاً لمقاييس البيض أنفسهم[407]، مع تركه نهباً للإبادة أو الفقر والمرض والبؤس والحرمان، أي أن الهندي لم يحصل على نصيبه (الحضارة) في معادلة (الحضارة مقابل الأرض) في الوقت الذي حصل الأبيض على كل شيء (الأرض كاملة)، (فهل سيحصل الفلسطيني على نصيبه (الأرض) من معادلة عملية السلام (الأرض مقابل السلام) أم أن الصهيوني سيحصل على نصيبه كاملاً (السلام الشامل) دون أن يقدم أي تنازل مقابل)؟

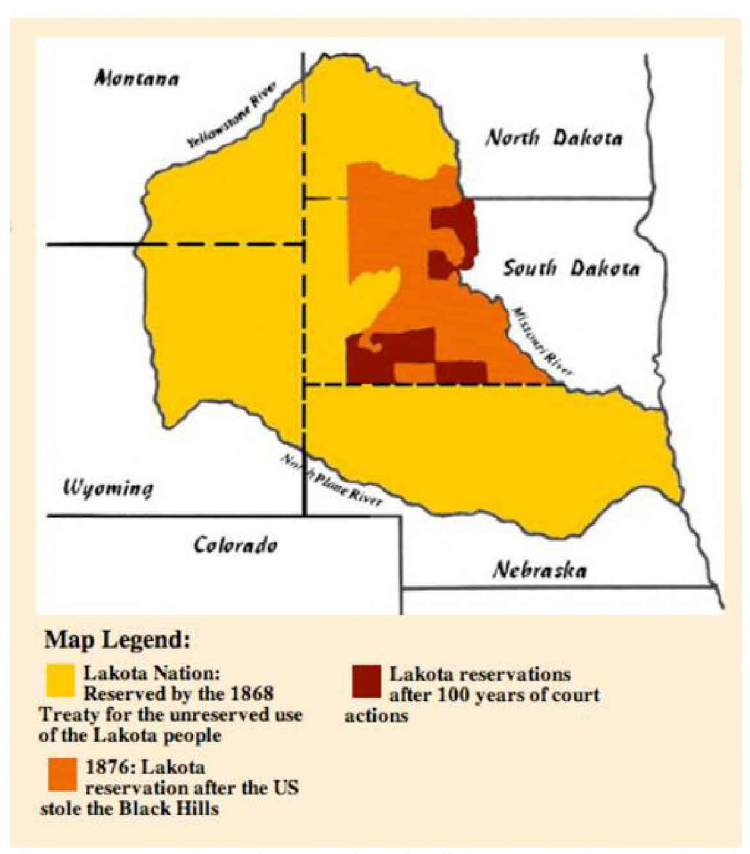
كانت المساعدات التي حصل عليها الهنود مقابل الاستيلاء على أقدس مقدساتهم كميات محددة من اللحم والطحين والذرة والقهوة والسكر والفاصوليا[408]، وقد فهم الهنود أنهم سيستمرون

---

[406] -Edward Lazarus، 1999، ص 91-93.
-Jeffrey Ostler، 2010، ص 99-101.
-دي براون، 1982، ص 225-226.
[407] -Edward Lazarus، 1999، ص 92.
[408] -Jeffrey Ostler، 2010، ص 111.

دوماً بالحصول على هذه المساعدات غير مضطرين إلى العمل وذلك بصفتها تعويضاً دائماً عما سلب منهم، أما الحكومة الأمريكية فكانت تخطط لجعل المساعدات مؤقتة ريثما يتمكن الهنود من الاعتماد على أنفسهم والحصول على طعامهم وقوتهم من عملهم[409]، وستثبت الأيام أن الحكومة لن تكون جادة في توصيلهم إلى الدرجة اللازمة للاعتماد على النفس وذلك بعدما حصلت على مرادها منهم، وبدا ذلك في التأخير المستمر في وصول المساعدات وإنقاص كميات المؤن عما هو متفق عليه[410]، وكذلك في عدم الاهتمام بتزويد الهنود بلوازم الزراعة بدءاً من الأرض إلى الماشية إلى الأدوات[411] (وهذا هو ما سيكون عليه مصير أهل فلسطين لو قبلوا بالتنازل عن حقهم وسيكون الثمن هو كميات غير صالحة للاستخدام الآدمي من الطحين والحبوب والسكر والشاي، وسيتم حساب كل ما حصلوا عليه منذ بداية النكبة واللجوء ليخصم من الثمن الكلي للتعويض وربما خرجوا بعد هذه المعادلة غارقين في الديون التي عليهم تسديدها للصهاينة والغربيين مقابل "الكرم" الذي أطعمهم وآواهم عشرات السنين في مخيمات اللجوء !).

[409] -Edward Lazarus، 1999، ص 103.
[410] -Jeffrey Ostler، 2010، ص 111.
[411] -Paula Mitchell Marks، 1998، ص 205.
-William K. Powers، 1989، ص 114.



خريطة رقم (17) : تضاؤل أملاك قبيلة "سو" الغربية (لاكوتا) بعد عملية الانتقام التي أعقبت انتصارها في معركة القرن الكبير

ظل "السو" في داكوتا ولم يتم ترحيلهم إلى المقاطعة الهندية في أوكلاهوما الحالية، لا رأفة بهم بل لأن شركات السكك الحديدية كانت تريد تلك الأراضي التي كانوا سيرحّلون إليها، ولم يؤد النقد اللاذع الذي وجهته لجنة مانيبيني للسياسات الحكومية تجاه الهنود إلى أي تحسن عملي، وبعد شهر من توقيع "الغيمة

الحمراء" على التنازل عن التلال السوداء أصدرت وزارة الحرب الأمريكية الأوامر للجيش للاستيلاء على أسلحة وجياد هنود الوكالات، واعتقال جميع الذكور، فصحا الهنود في الوكالات على إطباق الجنود عليهم رغم أنه قد سبق وعدهم أثناء الاتفاق بالحفاظ على أنفسهم وممتلكاتهم ولم توجه ضدهم أية تهمة بارتكاب جريمة، فصودرت البنادق التي لم يكن منها سوى عدد قليل من النوع الجيد، وهو ما كشف كذب الفكرة التي تبناها الجيش عن كون هنود الوكالات هم مصدر أسلحة المقاومين[412]، بالإضافة إلى أربعة آلاف حصان لا يمكن للهنود العيش دونها، وشُرع في سوق هنود "الغيمة الحمراء" إلى الاعتقال، وسُمح للنساء باستعمال الجياد لنقل الأمتعة ولكبار السن والضعفاء فقط بالركوب وأُجبر الرجال بما فيهم الزعماء بالإضافة إلى جميع القادرين على السير على الأقدام نحو حصن روبنسون (الخرائط المرجعية 1 و2 و3) حيث ستعتقل القبيلة تحت فوهات البنادق، ولمزيد من إذلال "السو" منح الجيش كثيراً من جيادهم لأعدائهم من كشافة قبيلة الباوني وقبيلة الغراب ثم سيقت البقية للبيع[413]، وسمح للهنود بالعودة في اليوم التالي، ليقوم كروك بتعيين مئات من المحاربين التواقين لجيادهم وأسلحتهم في وظيفة كشافة للجيش (كما أصبح الفدائي الفلسطيني بعد نزع سلاحه شرطياً للحفاظ على أمن الكيان الصهيوني).

---

[412] -Robert W. Larson، 1997، ص 208.

[413] -دي براون، 1982، ص 226-227.

-Edward Lazarus، 1999، ص 93.

-Robert W. Larson، 1997، ص 206-208.

ولكن الإهانة لن تتوقف هنا إذ سيبلغ الجنرال جورج كروك "الغيمة الحمراء" أنه لن يظل زعيماً لقبيلته وسيتولى هذا المنصب منافسه "الذيل المرقط"، وهو أكثر ليونة مع البيض منه، (كم مرة غيّر الأمريكيون والصهاينة في بلادنا زعامات غير متعاونة معهم لصالح عملاء جدد؟)، ومع ذلك سيواجه "الذيل المرقط" تهماً بأنه لم يصبح زعيماً بإرادة قومه فقط بل بمساعدة الحراب الأمريكية (كم من زعمائنا العرب تنطبق عليهم هذه التهمة أيضاً؟) وبأنه حصل على تقدير من البيض أكثر من تقدير قومه[414]، (ولكنه الزعيم الوحيد في قبيلة "السو" الذي ينطبق عليه ذلك، أما زعماؤنا فليس لهم حصر)، وسيصدم "الغيمة الحمراء" المسالم من هذه الإهانة التي لم يستغلها منافسه (على عكس زعاماتنا التي تتوق للمناصب برضا الرجل الأبيض)، وتساءل "الغيمة الحمراء" ما الذي فعله ولماذا يتلقى هذه المعاملة من "الأب الأعظم" الذي ظنه "صديقاً" له؟ وستصبح محاولاته لاسترداد مكانته متوقفة كثيراً على موافقة البيض، مثل تحدثه قبل جميع الزعماء في حضرة "الأب الأعظم"، ومصافحته إياه أولاً، وتطور علاقته بجنرالات الجيش، ومراعاة الرأي العام الأمريكي المعادي منذ "مجزرة كاستر"، وسيصبح همه بعد ترحيل قومه إلى حيث يكرهون على نهر الميسوري أن يتصدر الموقف ويتفاوض مع "الأب الأعظم" على مكان أفضل لاستقرار قومه المتعبين[415]، الذين أُجبروا على الرحيل قسراً وقضوا شهور الشتاء معرضين للأنواء وجائعين فمات كثيرون منهم وأصبحوا يصرخون طلباً

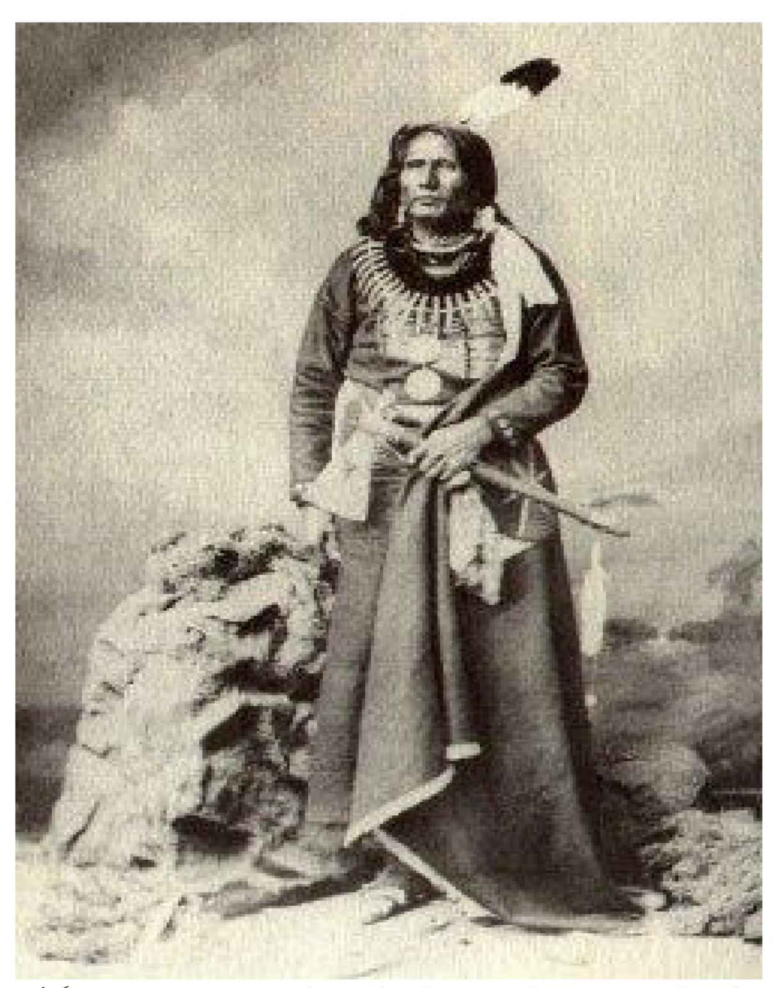
414- Charles A. Eastman ، 1997، ص 18.

415- Robert W. Larson، 1997، ص 208-209 و 218-219.

للنجدة[416] حتى أذن لهم "الأب الأعظم" بعد مفاوضات عسيرة[417] بالعودة إلى محيطهم عودة تقتصر على الإقامة وليس فيها من حرية وكرامة واستقلالية الماضي أي شيء[418] (وهو درس لكل من يفكر بالتنازل عن سلاحه وحقه في السيادة على فلسطين مختاراً هذه المرة وليس كما حدث مع الهنود، وماذا كان مصير الذين وقعوا تنازلهم عن ثلاثة أرباع فلسطين وماذا سيكون مصير الذين يتنازلون عن حق العودة إلى بلادهم عودة كريمة وليست تحت هيمنة الأغراب الذين يرفضون كل أنواع التسوية؟).

---

[416] -Edward Lazarus، 1999، ص 96.
[417] -Robert W. Larson، 1997، ص 218-224.
[418] -Edward Lazarus، 1999، ص 96.
-Robert W. Larson، 1997، ص 217-218.



"الدب الواقف" زعيم البونكا حصل على تعاطف عدوه وانتصر قانونياً بأن اعتُرف بكونه "شخصاً" ولكن كل هذه المزايا لم تؤد إلى تطور ملموس في قضية السكان الأصليين وظلت محصورة "بشخصه" فدلت على مدى فاعلية التعاطف من العدو والرأي العام وضعف أهمية الانتصارات على الورق

مشروع الوطن البديل "للسو" على حساب هنود آخرين

عندما رسمت الحكومة الأمريكية حدود محمية "السو" الكبرى في معاهدة حصن لارامي 1868، ضمت إليها بشكل "غير متعمد" محمية قبيلة البونكا Ponca الزراعية الصغيرة التي أصبحت في جنوب محمية "السو" (كما كان مندوبو الغرب يرسمون حدود بلادنا بتحكم عبثي في مجالس شرابهم)، وفي سنة 1876 طلب مكتب الشئون الهندية من الكونجرس ترحيل البونكا إلى محمية قبيلة الأوماها Omaha ذات الصلة الوثيقة بها وذلك تمهيداً لنقل الهنود "السو" إلى أراضيها الخالية حيث تسهل السيطرة قريباً من نهر الميسوري على هؤلاء المحاربين الشرسين تحت قيادة "الغيمة الحمراء" و"الذيل المرقط"، ولكن الكونجرس ذهب أبعد من طلب مكتب الشئون الهندية وقرر ترحيل قبيلة البونكا إلى المقاطعة الهندية بعيداً إلى الجنوب (يشبه هذا المشروع مشاريع الوطن البديل التي حاول الغرب والأمريكيون خاصة إخلاء مناطق عربية لصالح توطين الفلسطينيين المطرودين أيضاً من أرضهم، وأشهر هذه المشاريع محاولة ترحيل الموارنة من لبنان لهذا الغرض الدنيء).

عندما ذهب الزعماء في رحلة استطلاع لم يبدوا إعجابهم بالأرض التي عرضت عليهم، فتركهم المرافق الرسمي يعودون تلك المسافة الطويلة سيراً على الأقدام (500 ميل)، سيقت قبيلة البونكا (حوالي 700 فرد) بالقوة رغم قرار الكونجرس الذي أكد على وجوب موافقتهم على الانتقال، وانطلقت المسيرة في شهر مايو/ أيار/ ماي 1877 واستغرقت خمسين يوماً شاقاً تعرض الهنود فيه للبرد والأمطار والزوابع والسيول والأمراض

وكانت بنت زعيم القبيلة "الدب الواقف" من ضمن الضحايا بسبب السل، وتوقع الوكيل الحكومي أن الهنود سيموتون نتيجة الاختلاف بين مناخ الشمال البارد ومناخ الجنوب الحار، وأدت الظروف السيئة كالحرارة والأمراض كالإنفلونزا والاسقربوط و الزحار والملاريا إلى وفاة ربع أفراد القبيلة في العام الأول من الإقامة في المقاطعة الهندية، طالب الهنود في شهر أغسطس / آب / أوت 1877 بالعودة إلى وطنهم وكان ذلك ممكناً لأن قبيلة "السو" لم تمكث فيه إلا قليلاً ثم رحلت، ولكن النظام السياسي خشي أن تكون هذه سابقة يحق بموجبها لمن يريد من الهنود أن يترك محميته ويعود إلى وطنه (كما يحرص الصهاينة اليوم على عدم إعادة أي فلسطيني حتى لا تكون سابقة يُبنى عليها)، فلما نُقلوا مرة أخرى داخل المقاطعة الهندية إلى محمية جديدة مسافة 150 ميلاً على الأقدام كانت المؤن والعناية الطبية قليلة مما أدى إلى كثير من الوفيات أيضاً ومن ضمنهم ابن "الدب الواقف"،وهو ما دفع بعضهم ومنهم الزعيم الذي فقد ابنه أيضاً إلى بدء رحلة العودة شمالاً في شهر يناير / كانون الثاني من عام 1879 فأمر الجيش الجنرال جورج كروك بتعقبهم والقبض عليهم وإعادتهم للمقاطعة الهندية، وقد ساعد البيض الهنود في طريق العودة (وهي إشارة إلى البؤس الذي يجب أن تصل إليه الضحية لتحصل على تعاطف من عدوها)، ولما تم حبسهم على يد الجنرال المتعاطف معهم والحائر بين قلبه وسيفه، تطوع بعض المحامين لرفع دعوى تطالب بإنصاف الهنود والسماح لهم بالعودة، ولكن الادعاء الرسمي رد ذلك بأن الهنود ليسوا "أشخاصاً" ولا يتمتعون بالحقوق المنصوص عليها في الدستور الأمريكي، وهنا تحولت القضية إلى دعوى أن "الدب الواقف"

انسحب من قبيلته وصار يريد الحياة كالبيض ومن ثم ينطبق عليه صفة "الشخص" المتمتع بالحقوق الدستورية، وطارت القضية في الآفاق وأصبح الرأي العام إلى جانب الزعيم الهندي وحكم القاضي بأنه "شخص" ينطبق عليه ما ينطبق على أي أبيض مادام قد اختار الانسحاب من قبيلته ولهذا فلا يحق للحكومة نقله من مكان إلى آخر دون موافقته أو حجزه في مكان ضد إرادته، فأصبح "الدب الواقف" بطلاً إعلامياً جاب الشرق الأمريكي ودفع نحو فكرة إصلاح الشئون الهندية، وكسب زعيم "السو" "الغيمة الحمراء" سمعة إعلامية مدوية من موقفه المؤيد للبونكا وعودتهم وعودة "الشايان" كذلك في نفس الفترة وتدخله لدى الرئاسة الأمريكية في هذا الشأن، ولكن هذا الحكم كان مجرد إسكات لوخز ضمير الرجل الأبيض الذي منح "الدب الواقف" محمية في وطنه (1880) دون أن يتم تعميمه على قبيلته نفسها فضلاً عن تعميمه على مجموع السكان الأصليين وظل محدوداً في دائرة ضيقة من الذين ينطبق عليهم، وبسبب تهديد هذا القرار للنظام السياسي فقد أوضح قائد الجيش الجنرال وليام شيرمان إن حكم المحكمة لا ينطبق إلا على حالة "الدب الواقف" وأتباعه القلة، وهو ما يؤكد محدودية أي انتصار قانوني يحرزه الضحية في مجتمع الأقوياء، وفي النهاية ستقع أراضي المحمية التي ناضل البونكا لأجلها تحت طائلة قانون التحصيص وستتسرب أراضيها إلى البيض وسيتم إنهاء وجود القبيلة في نبراسكا بعد ذلك[419].

---

[419] -دي براون، 1982، ص 261-272.

-Paula Mitchell Marks، 1998، ص 146-147 و160-162.

-David J. Wishart، 1994، ص 202-216.

مقتل "الحصان المجنون" ولجوء "الثور الجالس" إلى كندا

واستمرت في هذه الأثناء مطاردة الجيش الأمريكي للجموع الهندية الرافضة وزعمائها المقاومين، وتحت ضغط المطاردة الساخنة (التي يطالب الصهاينة بمثلها داخل الأراضي الفلسطينية ضد عناصر المقاومة) لم يتحمل كثير من الهنود ضغوط عمليات الانتقام ولم يستطيعوا البقاء في حالة هروب مستمر، فاستسلم الزعماء واحداً تلو الآخر، وبعدما حاصر الجوع عشيرة "الحصان المجنون" الذي قاد الانتصار العسكري في القرن الصغير، استسلم قرب حصن روبنسون (الخريطتان المرجعيتان رقما 1 و2) في 7 مايو/ أيار/ ماي 1877 بعدما وعده الجنرال جورج كروك بمحمية في أراضي الهنود المفضلة حول نهر البارود، ورغم اعتقاد الجيش أنه انتصر على الهنود، فإن استسلامهم لم يبن إلا على الوعود الخلابة وغير المرخصة التي بذلها كروك ومايلز "للسو" و"الشايان" عن إمكان تخصيص محميات لهم بالقرب من التلال السوداء[420]، وستستمر عملية إغداق الوعود غير المرخصة في المستقبل، لاسيما من هذين الجنرالين نفسيهما، لاستدراج موافقة الهنود على مشاريع الرجل الأبيض كما سنرى، ولكن هذه الوعود لم تتحقق وراقب "الحصان المجنون" بغم قومه يرحّلون شرقاً نحو الميسوري[421]، ويروي التاريخ أن زعماء السلام والصداقة مع

-Robert W. Larson، 1997، ص 231-232.
-Carl Waldman، 2006، ص 233-234.
-Angie Debo، 1983، ص 210-212.
[420] -Jeffrey Ostler، 2010، ص 102.
[421] -Edward Lazarus، 1999، ص 94.

الولايات المتحدة تنافسوا في اللعب بورقة استسلام "الحصان المجنون" للتقرب من السادة البيض[422]، فقد قام "الذيل المرقط" زعيم البرول بإقناع ذلك المحارب الشرس بالاستسلام بناء على وعد من كروك "للذيل المرقط" بعدم ترحيل "السو" إلى منطقة الميسوري[423]، وهو وعد كذلك لم يتحقق، ولما دخل "الحصان المجنون" وأتباعه وكالة "الغيمة الحمراء" كان هذا الزعيم هو الذي حظي "بشرف" مرافقته نحو الاستسلام[424] بعدما تدخل هو الآخر للإقناع[425]، ويقال بأن "الغيمة الحمراء" كان يطمح من ذلك استرداد زعامته بالحصول على رضا الجنرال جورج كروك الذي سحب منه الزعامة فيما سبق[426].

لم يكن "الحصان المجنون" متعاوناً مع السلطة بعد استسلامه، إذ رفض زيارة واشنطن لمقابلة "الأب الأعظم" والتفاوض معه، وكان يعتبر بما حدث للزعماء المسالمين الذين سلكوا هذا الطريق فعادوا من واشنطن وقد أصبحوا بدينين فاقدي الصلابة، وكان زعماء السلام يدركون رأيه فيهم ولم يكن يعجبهم ذلك[427]، كما رفض التوقيع على تسلم المساعدات الحكومية، مما أدى إلى اتهام الوكيل الحكومي له بالصمت والتجهم والغطرسة والديكتاتورية حتى مع شعبه (التهمة التي لا يكف الأمريكيون عن اللعب بورقتها منذ تلك الأيام)، ولما حاول الجنرال كروك تجنيد الكشافة لمطاردة الزعيم جوزيف وقبيلة

---

422 -Charles M. Robinson III، 1996، ص 330.

423 -دي براون، 1982، ص 231-232.

424 -Robert W. Larson، 1997، ص 211.

425 -Charles M. Robinson III، 1996، ص 330.

426 -Robert W. Larson، 1997، ص 211.

427 -دي براون، 1982، ص 232.

"الأنوف المخرومة" التي كانت تقاوم في تلك الفترة، استنتج "الحصان المجنون" أن الهدف كان ملاحقة "الثور الجالس" اللاجئ إلى كندا، وهدد بترك الوكالة والتوجه بعيداً إلى الشمال[428]، ويروي بعض المؤرخين أنه وافق على خدمة الجيش لملاحقة "الأنوف المخرومة" إلا أن خطأ قاتلاً في الترجمة تسبب في سوء تفاهم أدى إلى مزيد من الاتهامات وتدهور مكانة "الحصان المجنون" لدى البيض[429].

ولأن الحكومة لم تكن واثقة من نواياه، فقد كان كروك يبيت له نية الاعتقال والنفي إلى فلوريدا حيث يُسجن الزعماء غير المرغوب فيهم[430]، وفي مواجهة نجمه الصاعد كان "الغيمة الحمراء" يحذر الوكيل الحكومي في المحمية من ميول "الحصان المجنون" المتطرفة، ولما حاول الجنود اعتقاله لجأ إلى محمية "الذيل المرقط" الذي طالبه بالاعتراف بزعامته وأقنع هذا المنافس المحتمل بالعودة وإثبات براءته، ولما عاد إلى محمية "الغيمة الحمراء" ووجه بالعداء والكراهية ورفض الضابط المسئول التفاوض معه وأمر باعتقاله[431]، ولكن عندما رفض أن يزج به في سجن حقير وقاوم بشراسة قام شرطيان بتقييده وكان أحدهما رفيق طفولته الذي طالما قاتل إلى جانبه ووقف يوماً يهدد كل من يتحدث عن بيع التلال السوداء بالقتل (1875) حتى اشتراه البيض وعينوه شرطياً، ثم انتهى العراك

---

[428] -Robert W. Larson، 1997، ص 213.

[429] -Charles M. Robinson III، 1996، ص 338.

[430] -Robert W. Larson، 1997، ص 212.

-Charles M. Robinson III، 1996، ص 338.

[431] -Robert W. Larson، 1997، ص 212-214.

بطعنه على يد جندي ببندقية فأدت الطعنة إلى مقتله[432]، وكانت آخر كلماته تتعلق بنيته الانضمام "للثور الجالس"[433]، وذلك في حصن روبنسون في يوم 5 سبتمبر / أيلول 1877، وبذلك مضى رمز المقاومة الذي لم يوقع معاهدة مع الرجل الأبيض ولم يقف أمام مصور ولم يحرث الأرض وكان يعيش حراً إلى يوم موته في سن الخامسة والثلاثين على بعد مائة ميل جنوب مسقط رأسه قرب التلال السوداء[434].

وبعد موت "الحصان المجنون" صدرت الأوامر بترحيل "السو" في محمية "الذيل المرقط" إلى نهر الميسوري حيث كانوا قد حصلوا على وعود بعدم إجبارهم على الذهاب إلى تلك الأرض المقفرة، وفي طريق الرحيل هربت جماعات مصممة على الانضمام إلى الملجأ الوحيد الذي بقي للأحرار تحت زعامة "الثور الجالس" في كندا، وكان من ضمن الهاربين والدا "الحصان المجنون" اللذان حملا رفات ابنهما البطل ليدفناها في مكان لم يعلم به سواهما قرب نهير "الركبة الجريحة"[435] الذي سيشهد آخر مواجهات المقاومة الهندية بعد ذلك في سنة 1890.

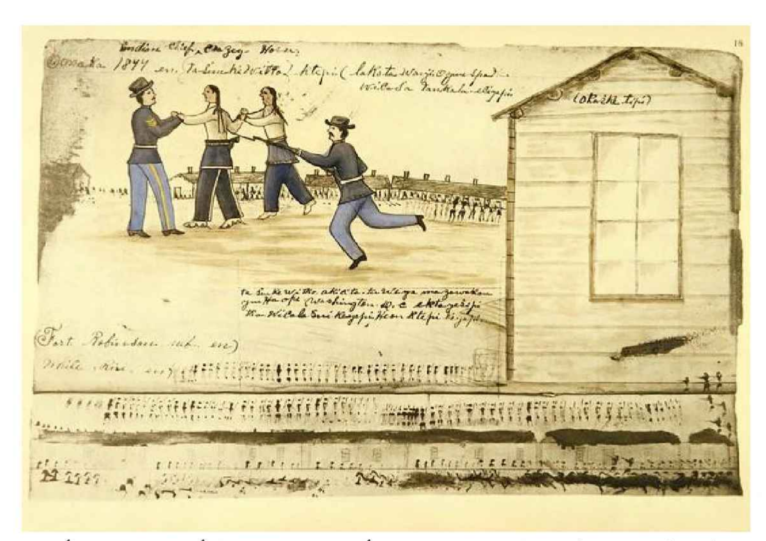
---

[432] -دي براون، 1982، ص 233.
-Edward Lazarus، 1999، ص 94.

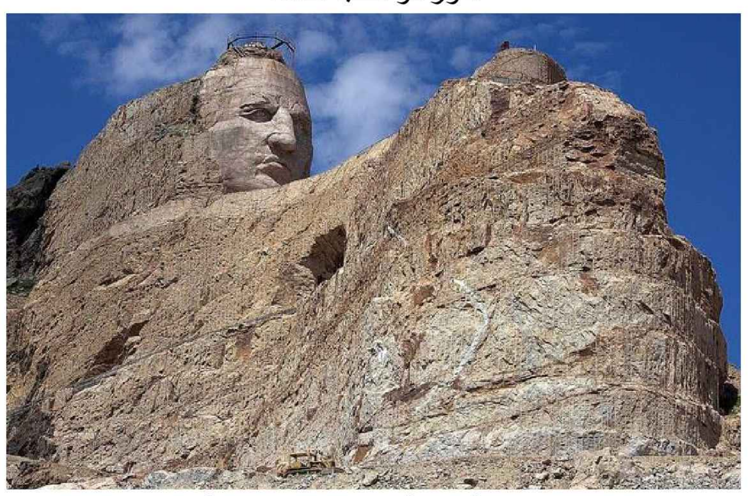
[433] -Mark Diedrich، 1998، ص 112.

[434] -Edward Lazarus، 1999، ص 94.

[435] -دي براون، 1982، ص 233-234.



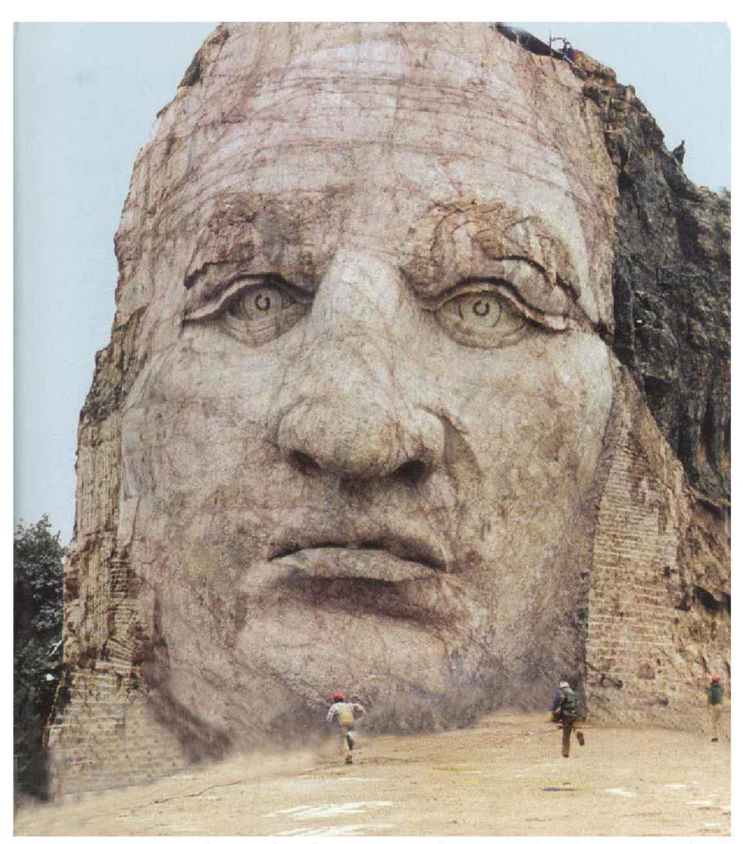
مقتل "الحصان المجنون" كما صوره أحد معاصري الأحداث وهو "أموس الثور ذو القلب الفاسد"



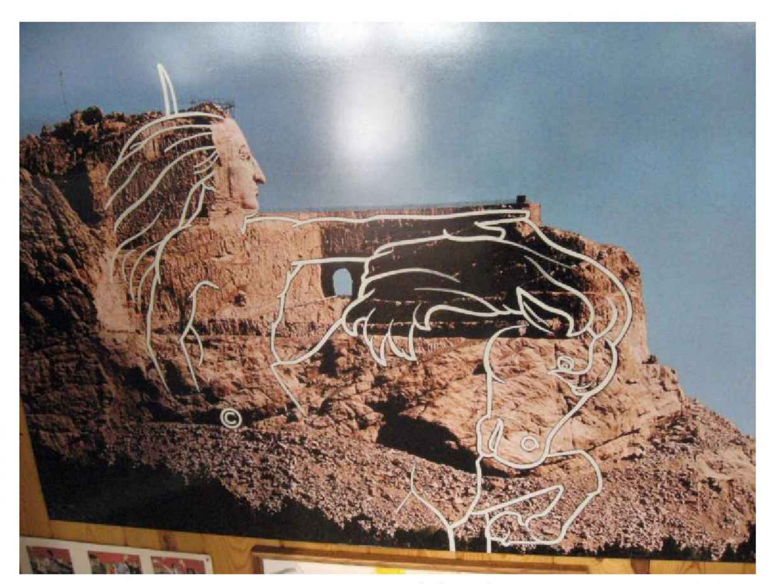
كعادة البكاء بعد فوات الأوان، أمريكا تسمح ببناء أكبر تمثال في العالم قاطبة "للحصان المجنون" بعدما قتلته بيديها، التمثال ينحت اليوم منذ سنة 1948 في التلال السوداء التي حارب من أجلها هذا المحارب وما تزال

الحكومة الأمريكية تصر على اغتصابها وجعلها مرفقاً سياحياً، ولا مانع من أن يكون الهندي أحد واجهاتها لجذب السياح الذين يملئون خزينة الرجل الأبيض، ويعترض السكان الأصليون وسلالة المحارب العظيم على فكرة التمثال بصفتها تناقض تقاليدهم من عدة وجوه، وستكون أبعاد التمثال 195 متراً عرضاً و172 متراً ارتفاعاً، مع العلم أن وجه الزعيم سيكون ارتفاعه 27 متراً مقارنة ب 18 متراً لكل وجه من وجوه الرؤساء الأمريكيين الأربعة على نصب جبل راشمور الذي يبعد 27 كيلومتراً عن التمثال كما تقول موسوعة ويكيبيديا[436]

[436] - http://en.wikipedia.org/wiki/Crazy_Horse_Memorial#



المنجز من التمثال حتى الآن وتبدو ضآلة الجسم البشري مقارنة به



المخطط كما يراد نحته



نموذج مصغر للتمثال

عندما كان الجميع يطارَدون ويستسلمون ويوقّعون كان الزعيم الأكبر "الثور الجالس" يحاول استئناف حياته الحرة قدر الإمكان، ولم يكن الاستسلام في جدوله ولم يستطع القيام بذلك لأن الاستسلام ليس من أساليبه في الحياة كما يعبر عن ذلك أحد المؤرخين[437]، بل إنه حاول جمع كلمة الهنود في الولايات المتحدة وكندا لمواجهة البيض، ولكن زعيم قبيلة القدم السوداء في كندا "قدم الغراب" لم يقبل بذلك وعرض على خيالة الشرطة الكندية تزويدهم بألفي محارب لقتال "السو"[438]، وبعدما فرغ الزعيم من لقاءاته التي انتهت بالصدام مع جنود الكولونيل نلسون مايلز، ظل الهنود يتراجعون ويجولون حتى تعبوا فقرر "الثور الجالس" عبور الحدود إلى الممتلكات البريطانية في كندا وكان بالإمكان أن يصلها في غضون أسبوع واحد ولكنه حاول أولاً أن يجد "الحصان المجنون" ولما لم يعثر عليه عبر الحدود إلى أرض "الأم العظمى" أو "الجدة"، الملكة فكتوريا، بعد سبعة أشهر (مايو / أيار/ ماي 1877)[439] في نفس الأسبوع الذي كان صديقه المحارب العنيد يستسلم فيه في حصن روبنسون كما مر[440]، وكان هذان الحدثان هما اللذين ختما الصراع المسلح[441] الذي وُصف بكونه أكبر حرب هندية في التاريخ الأمريكي[442].

---

[437] -Benjamin Capps، 1982، ص 209.
[438] -Mark Diedrich، 1998، ص 88.
[439] -Stanley Vestal، 1980، ص 206-207.
-Benjamin Capps، 1982، ص 211.
[440] -Charles M. Robinson III، 1996، ص 332.
[441] -Jerome A. Greene، 1994، ص 148.
[442] -نفس المرجع، ص xxi.



"قدم الغراب" Crowfoot زعيم قبيلة القدم السوداء، كان موالياً للحكومة الكندية ورفض أن يساند عملاً عسكرياً ضد البيض، ولكنه سيتراجع عن هذا الولاء فيما بعد نتيجة الوعود المنكوثة، إذ كان ولاؤه الوحيد لقبيلته، ولكن لن يكون في متناوله خيارات عملية أخرى حينذاك[443]

[443] -Hugh A. Dempsey ، 1972، ص 145 و157 و161 و164-165 و191 و193.

آثار معركة نهر القرن الصغير

أدى انتصار الهنود الساحق يوم 25 يونيو/ حزيران/ جوان 1876 إلى هزيمتهم على المدى البعيد، ورغم كون المعركة عند القرن الصغير هي أكبر انتصارات الهنود في حروب السهول، فقد كانت كذلك وقفتهم الأخيرة كما كانت وقفة كاستر الأخيرة[444]، إذ أُجبروا على التخلي عن أرضهم المقدسة في التلال السوداء بطريقة غير شرعية مازالت موضع مقاومتهم إلى اليوم، ومازال المجتمع الأمريكي الذي يتغنى بالتعددية ويغزو بلاد الآخرين لفرضها على مجتمعاتهم يضيق بطريقة أخرى في الحياة غير طريقته ويرفض حتى احترام رموز أخرى انتهكها ظلماً ويصر على فرض رؤيته الخاصة لهذه الرموز منزوعة عن حقوق أصحابها، ومع قداسة التلال السوداء رحلت طريقة السكان الأصليين في الحياة وحريتهم واستقلالهم أيضاً، فأصبحوا يعتمدون على المساعدات الحكومية للبقاء على قيد الحياة.

لقد كانت المعركة هي الهزيمة الأكثر حسماً للجيش الأمريكي في تاريخ الحروب الهندية، ولكنها كانت أيضاً الهزيمة النهائية للهنود والتي قضت على ما تبقى من فرص لذوي الميول الخيرية في جسر الهوة بين الهنود والبيض، وبعد انتهاء المعركة تصلب الرأي العام الأمريكي والمسئولون السياسيون والعسكريون، واندفعت سيول المنتقمين تجتاح أرض الهنود تطاردهم من كل الجوانب تقتل وتدمر وتحرق وتشرد،

[444] -Geoffrey C. Ward، 1996، ص 302-303.

ورغم استمرار القتال المتقطع إلى سنة 1890 فإنه لم تقع معركة بحجم معركة القرن الصغير التي كان موت كاستر فيها علامة على نهاية حقبة من الزمن، وبدأت من ثم خطوط السكك الحديدية الجديدة تجتاح الغرب، فانبثقت المدن والبلدات الجديدة، وملأ المستوطنون الأرض، وكما تبدل الإقليم، تغيرت وظيفة الجندي فيه وإن لم تخف الأعباء عنه وظلت الأعمال الأثقل من نصيبه[445].

كانت حرب "السو" الكبرى (1876/2-1877/12) الأكثر كلفة ونفقة في الحروب الهندية، فقد قتل فيها 283 جندياً معظمهم في معركة القرن الصغير، وجرح 125 آخرون، وهذه الأرقام تخص الجنود وحدهم ولا تشمل المدنيين والمرتزقة الهنود الذين عملوا في خدمة الحكومة الأمريكية، ولم يحص أحد عدد المستوطنين والمنقبين وغيرهم من البيض الذين قتلهم الهنود في تلك الفترة[446]، وفي الفترة الممتدة بين 1876/3 و 1877/5 وقع 15 اشتباك مسلح بمعدل اشتباك كل شهر على رقعة واسعة من الأرض مساحتها 120 ألف ميل مربع غطت مساحات متفاوتة من ولايات داكوتا الجنوبية ونبراسكا ومونتانا ووايومنج الحالية[447]، وكان ثلثا القوة المقاتلة للجيش الأمريكي منهمكين في حراسة حصون التخوم ومطاردة الهنود[448]، وقد وصفت سنة 1876 بأنها أسوأ سنة مرت بالجيش الأمريكي منذ نهاية الحرب الأهلية الأمريكية[449]، ولاحظ الجنرال فيليب

---

[445] -David Nevin، 1982، ص 220.

[446] -Charles M. Robinson III، 1996، ص 336.

[447] -Jerome A. Greene، 1993، ص xv.

[448] -David Nevin، 1982، ص 160.

[449] -Charles M. Robinson III، 1996، ص xxiii.

شيريدان في تقريره أن نسبة المصابين من الجنود إلى عدد المشاركين في هذه الحرب أكبر من النسبة نفسها في الحرب الأهلية الأمريكية والحرب العثمانية الروسية التي كانت مشتعلة في نفس الفترة (1877-1878)، وذلك رغم أهوال الحربين المذكورتين، ولهذا أطلق على حروب السهول الهندية وصف حرب طروادة الأمريكية لأنها مواجهات عنيفة اندلعت على مسرح واسع ومتباين من الأرض[450]، ودلت على الشجاعة والتصميم والحيوية، كما أطلق عليها إلياذة أمريكا التي غنيت بالألحان الخشنة لهجوم "السو"، وهي شعر نظم بالدم كالشعر الحقيقي وليس بالزهور، وستعيش طويلاً كالشعر الخالد ولن تموت أبداً[451]، وقد أدت نهاية هذه الحرب وفراغ الجيش الأمريكي من مقاومة "السو" إلى تفرغه لبقية القبائل التي كانت تنذر بالمقاومة مثل "الآباتشي" و"الأنوف المخرومة".

وأما نفقة الحرب فقد ناهزت مليونين ونصف المليون دولار، وذلك لدى حكومة مثقلة بأعباء الحرب الاهلية (1861-1865) والأزمة الاقتصادية (1873)، ويمكن قياس أهمية هذا المبلغ من حقيقة أنه كان بالإمكان أن يبنى به تسعة سفن بخارية حربية كبيرة مسلحة ومجهزة جيداً ومستعدة للإبحار فوراً، أما خسائر الهنود فلم ولن تقدر بدقة، وقد شملت خسائر المعركة المحاربين وغيرهم، ومات غيرهم كثير من التعرض للجوع والأنواء بعدما

---

[450] -John McDermott، 1998، ص 28.

[451] -William Brandon، 1985، ص 340.

-Edgar I. Stewart، 1987، ص vii.

دمرت قراهم، أما الخسائر الاقتصادية فكانت عالية جداً، فقد تم القضاء على طريقتهم في الحياة[452].

لقد انقضى عالم "السو" وهنود السهول عموماً رغم علامات الصداقة الكثيرة التي حصلوا عليها من الرجل الأبيض كالكلام المعسول والميداليات والرسائل التي تؤكد العلاقات الودية بين الطرفين، ورغم ذلك فقد تم القضاء على عالمهم كله، إذ أبيد ملايين الجواميس التي كانوا يعتمدون عليها في معيشتهم، وسلبت منهم السهول الشاسعة، وحل محلهم المنقبون، والأكواخ، والطرق، والسكك الحديدية وجموع المستوطنين على متنها، وقد قُتل ألفان من المحاربين في المعارك، أما البقية الذين ظلوا أحياء فقد فقدوا صحتهم وسعادتهم وحريتهم وطريقة حياتهم، وأدى الاستيلاء على التلال السوداء المقدسة ومنح نهر البارود الوفيرة وحشر الهنود في المحميات إلى تركهم في حالة من العوز والبؤس والحرمان وأصبحوا مجتمعاً من الصيادين بلا صيد ولا طرائد، وبدواً منكمشين في زوايا مقفرة من السهول الواسعة، ولا يحملون سوى ذكريات الكوارث والمآسي[453].

---

[452] -Charles M. Robinson III، 1996، ص 336.

[453] -Edward Lazarus، 1999، ص 94.



"الثور الجالس" من رسم كينيث فيرغسون Kenneth Ferguson

أسطورة التخوم ومكانة كاستر المركزية فيها

يقول أحد المؤرخين إن حرب "السو" الكبرى تلخص الصدام الثقافي الذي طبع العلاقات بين البيض والسكان الأصليين في

أمريكا لمدة أربعة قرون، ففيما يتعلق بالهنود مثلت أحداث فترة الحرب أسوأ عناصر السياسة الأمريكية التي طبقت على أحوالهم الهشة بصفتهم كيانات قائمة بذاتها، أما فيما يتعلق بالبيض فقد كانت الحرب هي الحملة الأكبر منذ نهاية الحرب الأهلية الأمريكية (1865) وواحدة من أكبر الحملات ضد الهنود في التاريخ الأمريكي كله، وفي وقت المعركة الكبرى عند القرن الصغير، تجاوز الاهتمام بها أي حدث آخر لدى الرأي العام، وما زالت إلى اليوم تؤلف جوهر وخلاصة جميع الحروب الهندية وليس لحرب "السو" الكبرى وحدها[454].

ولم تقتصر آثار معركة القرن الصغير في الجانب الأمريكي على الانفعالات الأمريكية التي صدرت في الذكرى المئوية الأولى للاستقلال، ولم تنته بإخضاع "السو" وحلفائهم لحياة المحميات والوكالات أو حتى بالانتقام من المنتصرين على الجنرال جورج كاستر الذي وصف بكونه فارس الجيش الأمريكي الوسيم[455]، كما شُبه عدوه "الثور الجالس" بكونه دموياً ومتوحشاً ومتخلفاً ومعادياً لأمريكا وقيمها كالسلطان العثماني عبد العزيز الذي كان الغرب في ذروة عدائه له أثناء حوادث بلغاريا في نفس الوقت الذي وقعت فيه معركة القرن الصغير سنة 1876[456]، وقد ظلت ذكرى المعركة حية في الوجدان الأمريكي وأصبحت أكثر الحوادث ذكراً وتأليفاً في التاريخ الأمريكي[457]، رغم أن أحداثاً أخرى كانت أكثر حسماً

[454] -[454]- Jerome A. Greene، 1993، ص xix-xv.

[455] -Edgar I. Stewart، 1987، ص 5.

[456] -Richard Slotkin، 1994، ص 460.

[457] -نفس المرجع، ص 14.

في زمنها[458]، ومعارك أخرى فاقتها خسائر وضحايا حتى ضمن الحروب الهندية[459]، وهو ما يؤكد أن العقل الأمريكي لم يتعامل مع الحدث وفقاً للرقم وحده بل لما يمثله هذا الحدث من معاني ضمن مجريات أحداث التاريخ، وقد ظل الجمهور الأمريكي يعتقد بأنه تعرض للخديعة في هذه الخسارة القومية ولم تلب المحاكمة العسكرية التي عقدت لرينو طموحات الجمهور المكلوم[460].

يقول المؤرخ البارز ريتشارد سلوتكين إن المواقف والتقاليد التي كونت الثقافة الأمريكية نبعت من المشاغل الاجتماعية والنفسية (الاهتمامات والأماني والمخاوف والعنف والتبرير الذاتي) للمستوطنين الأوائل وصراعهم في العالم الجديد لتملك الأرض والاستيلاء عليها من السكان الأصليين، وإن هذه التفاعلات هي التي كونت "أسطورة التخوم" التي طبعت التاريخ الأمريكي بطابعها[461]، وأصبحت الحرب ضد الهنود هي الحدث المميز في التاريخ الأمريكي[462] الذي بناه المستوطنون الأوائل على العنف والحرب[463] لفرض بقائهم في البرية الموحشة، ورفض الهندي بصفته (أي الرفض) وسيلة لتعريف المجتمع الجديد[464]، وصارت هذه الحرب هي الموضوع الرئيس للكتابة الأدبية والوسيط الرئيس للدعاية[465]، واستخدمت كمجاز متعدد

---

458 -نفس المرجع، ص 13.

459 -Wiley Sword، 1993، ص xiii و195.

460 -David Nevin، 1982، ص 221.

461 -Richard Slotkin، 2000، الغلاف الخارجي الخلفي وص 4.

462 -نفس المرجع، ص 78.

463 -نفس المرجع، ص 56.

464 -نفس المرجع، ص 68-69.

465 -نفس المرجع، ص 56 و67.

الاستعمالات في سياق هذا التاريخ لتبرير أوضاع معينة أمام الجمهور، فمن الوعاظ إلى المضاربين إلى ممثلي التوجهات الاجتماعية والطوائف الدينية والأحزاب السياسية، ومن أهل المدن إلى سكان التخوم، استخدم الجميع مجاز الحرب مع الهنود بصفتها مسلّمة لا شك فيها لدعم آرائهم وقضاياهم حيث يكون المتحدث على الجانب الأبيض "المحق" ومقابله هو العدو الهندي المعتدي أو "الباطل" [466] (كما استعملت قصة موسى عليه السلام وفرعون أو قصة رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم مع عتاة قريش في سياق التاريخ الإسلامي للتمييز بين معسكر الحق ومعسكر الباطل وذلك مع الفارق في القياس إذ المهم هو مركزية الحدث).

إن الأسطورة هنا هي قصة حقيقية ولكنها منسقة بطريقة غير تاريخية وتجعل الماضي معادلاً للحاضر مما يجعلها تفقد ذاكرة اختلاقها[467]، والأسطورة المركزية في أي مجتمع تحدد القضايا التي تهمه أكثر من غيرها[468]، وقد أصبحت "أسطورة التخوم" لغة مشحونة بالعبر ووجهات النظر لنقلها إلى أجيال تحدد لأبنائها المواقف[469] وترشدهم إلى ما يجب فعله تجاه الأحداث المتجددة، وكانت الوظيفة الرئيسة لأسطورة الحدود هي تبرير الحرب على الهنود وتدمير ثقافتهم لصالح الاستيطان الأوروبي[470]، إن هزيمة كاستر في معركة القرن الصغير ظلت حية بعد انقضاء زمنها وأصبحت أكثر اللحظات حضوراً

[466] -نفس المرجع، ص 22-23.
[467] -Richard Slotkin، 1994، ص 24.
[468] -نفس المرجع، ص 23.
[469] -نفس المرجع، ص 16.
[470] -نفس المرجع، ص 65.

مصوراً في التاريخ الأمريكي، ولكن معناها لدى الجمهور لم يكن له علاقة بالحدث الحقيقي نفسه مثل كل الأساطير[471]، ورغم وقوع أحداث هامة أخرى بل أكثر أهمية في تلك المرحلة فإن المعركة جذبت الاهتمام أكثر من غيرها واستمر الاحتفاء بها إلى زمننا الحاضر[472]، وأصبحت جزءاً من أسطورة التخوم التي نشأت مع تكوين الاستيطان الأمريكي ثم منحت التفسير للمعركة واستمر تأثيرها في تكوين الثقافة إلى يومنا هذا[473]، وكما فرضت أسطورة التخوم نفسها على كاستر وزمنه، ستفرض نسخة كاستر من الأسطورة نفسها على الأجيال التالية بصورتها الصناعية والإمبريالية والتي مازالت حاضرة في الخطاب السياسي عن التقدم والريادة، وهي مرئية في ناطحات السحاب، والكازينوهات، والطرق السريعة، والرافعات وخطوط الأنابيب[474].

وكانت المعركة ورموزها تحيلنا إلى الأسطورة التقليدية حيث يكون التاريخ الامريكي والغربي كله مجرد حرب هندية على نطاق واسع[475]، حيث أن الحروب الهندية هي التي صار التاريخ يفسر بها[476]، وصارت توظف في تعريف المعارضة للطبقة الوسطى كالتخلف والوحشية سواء من الطبقات الأدنى او القوميات المختلفة، وأصبح الصراع بين كاستر و"الثور الجالس" دليلاً لتفسير الصراعات الأخرى داخل المجتمع

471 -نفس المرجع، ص 13.
472 -نفس المرجع، ص 14.
473 -نفس المرجع، ص 15
474 -نفس المرجع، ص 12.
475 -نفس المرجع، ص 477 و531.
476 -نفس المرجع، ص 8.

الأمريكي بين الطبقات والقوميات، وخارجه بين الحضارة الغربية والآخرين لاسيما المسلمين وهو صراع واحد ممتد بين من يحكمون ومن هم غير ملائمين لحكم نفسهم[477].

وإن الاساس الاقتصادي لهذه الاسطورة هو تبرير البحث عن الموارد سواء الارض او المواد الأولية أو قوة العمل، وخلف الحرب مع الهنود تقف فكرة العلاقات الاجتماعية الطبقية والعرقية حيث لا بد من استمرار الصراع حتى الإخضاع أو الإبادة وهو ما ينطبق على العلاقات بالأمم الأخرى فيما وراء البحار، وتنطبق أسطورة كاستر على الماضي البيوريتاني وعلى المستقبل الشيوعي حيث تؤكد على وظيفة المتحضرين التي إذا تخلوا عنها ستدمَّر الحضارة، ولم يكن كاستر سوى التضحية اللازمة لهذا الدرس[478]، وقد انتشرت أسطورة "الوقفة الأخيرة لكاستر" لشبهها بأساطير التضحية القديمة[479].

وما تزال لغة هذه الأسطورة العامة عن التخوم والخاصة عن كاستر مصدر تكوين وجهات النظر وتقويم الأحداث بصفتها حاجة أيديولوجية للمجتمع الصناعي الذي نجح في تبنيها منذ زمن بداية ظهوره ثم طبقت على جميع التوترات التي شهدها المجتمع الأمريكي مثل الحرب المكسيكية والتوسع القاري والحرب الأهلية وامتداد الخطوط الحديدية والتوترات العمالية ثم التوسع الخارجي في كوبا والفلبين واستمرت بعد انتهاء أحداثها إلى الزمن المعاصر في حرب فيتنام وسياسة الحدود الجديدة لكنيدي وسياسات ريغان الإمبريالية التي أحيت الاهتمام بنهاية

---

[477] -نفس المرجع، ص 468 و478.

[478] -نفس المرجع، ص 531.

[479] -نفس المرجع، ص 27.

العالم ومعركة هرمجدون التي كان المستوطنون ينتظرونها منذ حربهم ضد الهنود المسماة حرب الملك فيليب (1675) ويجب أن تستعد لهذه النهايات الأجيال القادمة للانتصار على الوثنية والكاثوليكية والإسلام والشيطان[480]، ومنذ ذلك الوقت إلى زمن الحرب على العراق والإرهاب والإسلام، ولسنا بحاجة للتذكير بدور هذه الأسطورة في تجييش الدعم للكيان الصهيوني الذي وصف دوماً بالريادة على غرار رواد الاستيطان الأمريكي وشُبه الفلسطينيون فيها بسكان أمريكا الأصليين وما انطبق في الحالة الأمريكية يجب أن ينطبق على الحالة الفلسطينية من أوصاف ومواقف.

---

[480] -نفس المرجع، ص 57-58.



"الثور الجالس" في رسم معاصر لروان مانينغ Ruane Manning من موقع Paper Tole Supply Center [481]

_ 481 http://www.papertolesupply.com/chiefsittingbull3dkit16x20.aspx

كانت مجموعة من "السو" قد سبقت الثور الجالس إلى كندا في ديسمبر/ كانون الأول 1876، إذ وصل ما يقارب ثلاثة آلاف منهم إلى جبل الخشب Wood Mountain وأقاموا معسكراً قرب مركز تجاري وأبلغتهم الحكومة أنها يمكنها قبول إقامتهم بشرط ألا يقوموا بأي غارات وراء الحدود، فوافق الزعماء، وفي مطلع سنة 1877 وصلت مجموعة أخرى من "السو" الغربيين "لاكوتا" والأواسط "ناكوتا"، وقد وصفهم المفتش جيمس وولش بأنهم "هادئون ووقورون" ورق لهم قلبه فقال بأسى:"لقد جعلت الحرب الأطفال ينسون كيف يلعبون".

سيرت خيالة الشرطة الكندية دوريات لمراقبة تحركات الهنود الذين لم يلتفتوا إلى الشرطة نتيجة تعلق قلوبهم بما هو أهم:"إن خيالة الشرطة لا يخيفون قط، إن مجموعات مكونة من رجلين أو ثلاثة تستطلع الحدود بطولها تنتظر عبور "الثور الجالس""، وفي شهر مايو/ أيار/ ماي 1877 وصل الزعيم على رأس مجموعة كبيرة من قومه.

ذهب المفتش وولش لزيارته وإعلامه بشروط قبول إقامته، فرد عليه "الثور الجالس" بشجب الجيش الأمريكي، وإبلاغه بأنه لن يرتكب خطأ في كندا وأنه "دفن سلاحه في الجانب الأمريكي من الحدود"، ومع ذلك لم تكن الحكومة الكندية مرتاحة للجوء "السو" لأراضيها، ولاسيما "الثور الجاس"، فإضافة إلى توتر العلاقات مع الولايات المتحدة، هناك احتمال اصطدام "السو" مع قبيلة "القدم السوداء"، ووضع ضغطهم المفاجئ على قطعان الجواميس حال الهنود عموماً في كندا أمام

خيارين: إما التعرض للمجاعة أو الاصطدام بين الصيادين من الهنود الكنديين والآتين من الولايات المتحدة، ومع ذلك لم يكن "السو" يفكرون بالعودة إلى الولايات المتحدة أبداً[482].

ومرة أخرى يتورط التبشير في مشروع الاستعمار فيزور الأب مارتن مارتي مخيم "الثور الجالس" في يوم 26 مايو/ أيار/ ماي لإقناعه بالعودة إلى الولايات المتحدة والاستسلام وتسليم سلاحه وجياده، فرفض الزعيم الحديث إلى أن وصل وولش وزميل له هو الكولونيل أتشيسون إيرفين في 31 من الشهر نفسه، فأجاب الزعيم الوفد الأمريكي جواباً طويلاً جاء فيه:"لو أطعت ما يقوله الأمريكيون لي فإنني كنت سأصبح لا شيء اليوم، إن النساء يريدون تنشئة أبنائهن، ولو ظللنا مع الأمريكيين لأصبحنا لا شيء"، رافضاً طلب العودة ومؤكداً على تمسكه بالبقاء مع البريطانيين:"لماذا عليّ العودة؟ لتؤخذ مني جيادي وأسلحتي؟ ماذا عند الأمريكيين ليعطوه لي؟ لن يعطونني أرضاً، لقد كنت يوماً غنياً ولدي مال وفير ولكن الأمريكيين سرقوه كله في التلال السوداء، لقد جئت للبقاء مع أبناء الجدة (الملكة فكتوريا)".

وفي تقويمه لشخصية "الثور الجالس" قال إيرفين:"لقد فُتنت به بشكل مميز، إنه رجل ذو قامة قصيرة بعض الشيء، ولكنه ذو وجه لطيف، وفم يدل على الإصرار، وجبهة عالية رائعة، وعندما يبتسم، وهو كثيراً ما يفعل ذلك، فإن وجهه يشرق بشكل بديع، ويتحدث كرجل يدرك موضوعه جيداً وقام بوزن كلامه

---

[482] -Ogden Tanner، 1981، ص 178.

كله قبل أن ينطق به، وحديثه يظهر رجلاً ذا إمكانات مدهشة"[483].

وبعد هذا الاجتماع ذهب "الثور الجالس" جنوباً للصيد، فقابل أحد التجار من ذوي الدماء المختلطة، وعلم منه أن "الحصان المجنون" قد استسلم، فأبدى عزمه على قتال الأمريكيين، فسأله التاجر ألا يخشى من الجنود، فأجابه بلغة إنجليزية ممتازة:"أنا لا أخشى شيئاً، "الحصان المجنون" امرأة وسأجعل نساءه ينحن قبل حلول الشتاء، وسأقاتل الجنود ما دام لدي محاربون، إن شبابي ليسوا أطفالاً، إنهم يتذكرون معركة القرن الكبير، وعلى مايلز ألا يخشى من هروبنا منه، وعندما أكون مستعداً سأصيده وأمنح الذئاب وليمة من لحمه، أنا لا أريد القتال ولكنهم أرسلوا الجنود ورائي وسأريهم أن الهنكبابا ليس امرأة".

ثم رحل إلى مكان آخر حيث زار تاجراً آخر سأله عن مدى رؤيته لمستقبل الجاموس المتلاشي، فأجابه الزعيم :"أنا لم أغادر التلال السوداء بإرادتي، لقد أجبرني الجنود على ذلك ودفعوني دفعاً، أنا أحب موطني، ولكن الرجل الأبيض جاء وتغير كل شيء قديم بمجيئه، لقد تنحيت من طريقه، أنا لم أبحث عن قتاله ولكنه لم ينم قبل أن يدفعني بين "المعاطف الحمراء" (أي فرسان الشرطة الكندية)، إنهم لا يتحدثون إلينا كثيراً ولكن كلامهم عادل ومستقيم، ما دامت الحيوانات الصغيرة موجودة في السهول سأظل فيها وأقاتل، لقد كنت طوال حياتي رجل سلام ولكنهم دفعوني وجعلوا ظهري إلى الصخرة، لن أهرب بعد ذلك، أنا لا أخشى الموت، ومحاربيّي على نفس الموقف".

[483] -Mark Diedrich، 1998، ص 97-100.

فسأله التاجر عن سبب عدم استسلامه "للأب الأعظم" (أي الرئيس الأمريكي)، فأجابه الزعيم بقوة وحماس:"لأنني رجل أحمر، لو أراد الخالق جعلي أبيض لخلقني كذلك منذ البداية، لقد وضع في قلبك خططاً وأماني خاصة، ولكنه وضع في قلبي رغبات مختلفة، إن كل إنسان راض عن نفسه، وليس من الضروري للنسور أن تكون غرباناً، نحن الآن فقراء، ولكننا أحرار، وليس هناك رجل أبيض يتحكم بخطواتنا، وإذا كان علينا أن نموت، فإننا سنموت مدافعين عن حقوقنا، ونحن جميعاً متفقون على ذلك، وهذا ما يمكنك قوله "للأب الأعظم" على لساني"، فأخبره التاجر أنه ليس جميع البيض ضده (نفس الحجة التي تتحدث عن كسب الرأي العام الغربي والتوجهات الإنسانية المناصرة لقضايانا)، فأجابه الزعيم:"لا أستطيع الثقة بهم (ولكن ما زال في بلادنا من يثق بهم إلى اليوم !)، قبل أشهر قليلة جاء بعض الرجال يعرضون صداقتهم، وعرضوا عليّ أرضاً وبيتاً، ولكنني أخشى كل الذين يأتون محملين بالهدايا، أنا أريد التجارة، ولن أتسلم هدايا، أنا لا أشن الحروب، ولكني أدافع عن نسائي وأطفالي فقط"[484].

حاول "الثور الجالس" في صيف 1877 تكوين جبهة هندية ضد البيض وذلك بالاتصال بزعماء بعض القبائل المحيطة مثل القدم السوداء Blackfoot والكري Cree بالإضافة إلى المولدين ذوي الدماء المختلطة الذين كان يطلق عليهم ميتيس Metis والذين سبق للزعيم أن قيل إنه اتصل بهم في الوقت الذي ثاروا فيه سنة 1869 ضد كندا طالباً إليهم تكوين مقاطعة

[484] -نفس المرجع، ص 101.

هندية خلاسية مشتركة في كندا، ولكن زعيمهم لويس ريل لم يتجاوب مع هذا الطلب لأن الكنيسة الكاثوليكية التي ينتمي إليها آباء المولدين، الفرنسيون، ترفض أن يتولى الهنود مناصب سياسية وفقاً لاقتراح "الثور الجالس".

وكانت أهم اتصالات "الثور الجالس" قد تمت بزعيم قبيلة القدم السوداء "قدم الغراب"، إذ زاره عدة مرات[485]، وأدت زياراته إلى إقامة سلام بين الطرفين بعد العداوة السابقة، وإكراماً لصديقه الجديد أطلق "الثور الجالس" اسمه على ابنه الذي ولد قبل ذلك بعام، أي عشية معركة القرن الصغير[486].

---

[485] - Hugh A. Dempsey ، 1972، ص 91 و108 و123.

[486] - Robert M. Utley، 1994، ص 202.

- Hugh A. Dempsey ، 1972، ص 123.



"قدم الغراب" ابن "الثور الجالس" الذي حمل اسم زعيم قبيلة القدم السوداء، قُتل مع أبيه سنة 1890 في نفس العام الذي مات فيه "قدم الغراب" الكبير

ولما رفضت قبيلة "الأنوف المخرومة" في أوريغون بالولايات المتحدة الحياة في محمية وهربت عبر جبال مونتانا حاولت الحصول على دعم من "الثور الجالس" الذي كان في

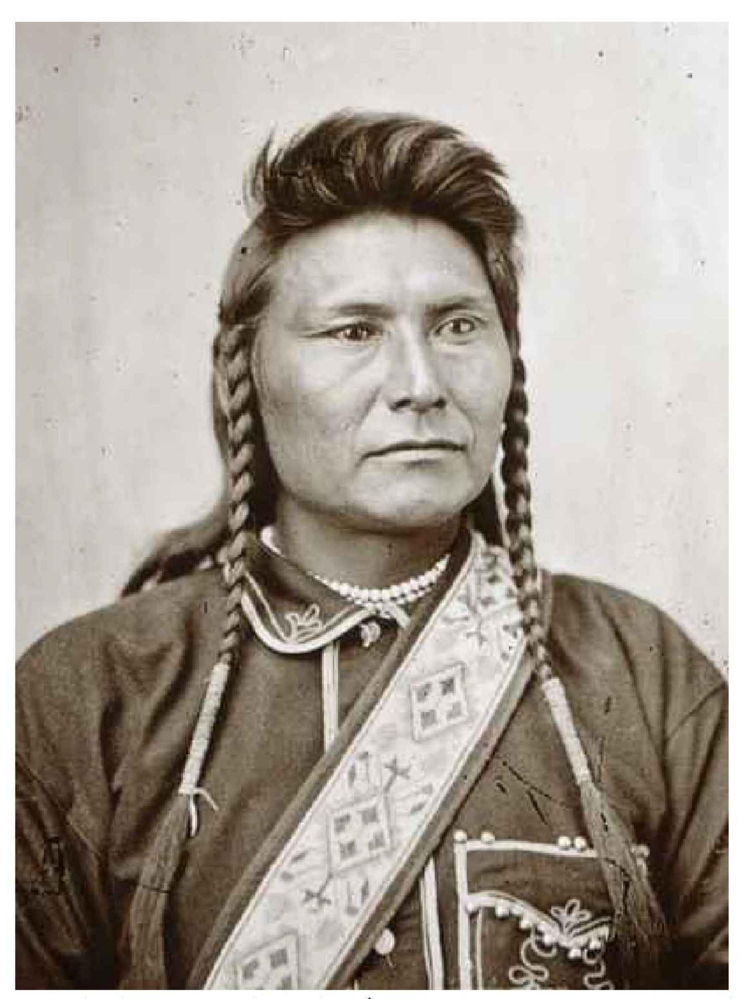
ذلك الوقت تحت مراقبة فرسان الشرطة الكندية فأحجم في البداية عن التدخل ولكنه غيّر رأيه فيما بعد ولكن الوقت كان قد فات باستسلام الزعيم جوزيف غير أن مجموعة من "الأنوف المخرومة" تمكنت من الإفلات من هذا المصير ووجدت ملجأ لدى "الثور الجالس" الذي قرر تجاوز تاريخ العداء مع هذه القبيلة والدخول في مرحلة صداقة جديدة بين الطرفين أقام فيها الناجون وزعيمهم "الطير الأبيض" علاقة وثيقة بزعيم "السو" لمدة سنوات قادمة.

بعد عودة "الثور الجالس" من رحلة إنقاذ "الأنوف المخرومة" قابل المفتش وولش وصدم عندما علم منه أن الحكومة الأمريكية سترسل وفداً لإقناعه بالاستسلام، وقد حاول وولش إقناعه أن يجتمع بهم، ولأن مأساة "الأنوف المخرومة" كانت ما تزال جديدة، فإن مشاعر الزعيم كانت ثائرة وأجاب المفتش بسخط إنه لا يصدق أن تقوم الحكومة الأمريكية بعروض سلمية مباشرة بعد تدميرها قبيلة "الأنوف المخرومة" وترك أفرادها في العراء والجوع وهي التي كان يعدها كالبيض تماماً بسبب تبنيها لحضارة الرجل الأبيض، وكيف يمكن أن يعرض عليه الأمريكيون بيتاً بعدما أخذوا بيوت تلك القبيلة التي عاشت فيها لمدة قرنين؟

"ماذا فعل "جوزيف" ليُعامَل بهذه الطريقة؟ إن "جوزيف" و"الطير الأبيض" وقومهما كانوا دائماً أصدقاء للبيض، لقد كنت أعدهم دائماً بيضاً، لقد كانوا يعيشون في بيوت خشبية، ولديهم مدارس وكنائس، ويؤمنون بإله الرجل الأبيض، لقد طرد البيض "جوزيف" اليوم وسألوني في اليوم التالي أن آتي ليعطونني وقومي بيتاً وملابس وطعاماً، وذلك مع أنهم يتهمونني بالتوحش

والعداوة وقتل البيض وكراهية الأمريكيين (خلافاً لوضع صديقهم جوزيف نفسه)، وبهذا الدليل أمامي، هل يمكنني غير الشك في أهداف هؤلاء البيض؟...ما الفائدة؟ لقد سمعنا كثيراً من أكاذيب حملة السيوف (الجيش الأمريكي)، إنهم لن يغفروا لنا هزيمتنا إياهم في المعركة، لقد أخذوا منا كل ما نملكه، والآن لما لم يتبق لنا شيء، سيأخذون حياتنا"[487].

[487] -Mark Diedrich، 1998، ص 102-103.



الزعيم "جوزيف" (1840-1904) أو "الرعد المدوي فوق الجبال" زعيم قبيلة الأنوف المخرومة التي كانت على صداقة مستمرة مع البيض، ومن بين كل قبائل الغرب الأمريكي، لم يكن هناك قبيلة لديها سجل من الصداقة المستمرة مع البيض كهذه القبيلة، فقد أنقذت حملة لويس وكلارك من الجوع في خريف 1805، ودخل كثير من أفرادها في المسيحية التي جلبها

المبشرون منذ الثلاثينيات[488]، ورفضت الانضمام إلى ثورة جيرانها ضد البيض سنة 1847، وقعت معهم معاهدة في سنة 1855 منحتها أرضاً تبلغ مساحتها 7.5 مليون فدان مع حقوق الصيد خارجها، ولما احتشد المنقبون المستوطنون ابتداء من سنة 1860 بحثاً عن الذهب في الأراضي التي ضمنت للقبيلة ظل أفرادها مسالمين ولم تحاول الحكومة صد المعتدين، بل لقد طالبت الحكومة الهنود في سنة 1863 بالتخلي عن تسعة أعشار أراضيهم المتبقية والرحيل إلى محمية صغيرة وافق كثيرون على مضض، وكثير منهم ممن اعتنق المسيحية[489] وارتدوا ملابس البيض وامتهنوا الزراعة وتربية الماشية، ولكن لم يوافق الجميع على ذلك فقد رفض الزعيم "جوزيف الكبير" ومزق الكتاب المقدس وعاد مع كثير من قومه إلى ديانتهم الأصلية بعدما خاب أملهم في الرجل الأبيض[490]، وأصبحت القبيلة منقسمة على نفسها بين مؤيدين للمعاهدات ومعارضين إياها، أو مسيحيين ووثنيين، ورفض المقاومون ما وقعه المسيحيون من تنازلات (وهي إشارة إلى جدوى التبشير وكونه ليس مجرد إبلاغ كلمة الرب للوثنيين)، وأكد الرئيس يوليسيس غرانت أنه لا يمكن إجبار الأنوف المخرومة على الحياة في المحمية دون إرادتهم، ولكن ضغط المستوطنين ألغى هذا القرار (وهي إشارة إلى أن النفوذ في المجتمع الاستيطاني للأطماع وليس للحقوق والمبادئ)، وتعدى المستوطنون على الهنود في أراضيهم ولكن جرائمهم مرت دون عقاب، ومع ذلك ضبط الهنود أنفسهم ولم ينتقموا[491]، ثم انتقلت الزعامة إلى "جوزيف الأصغر" من أبيه وطالبتهم الحكومة الأمريكية بعد عشرين عاماً من المعاهدة الأولى بالحياة في محمية صغيرة فرفض الهنود ذلك ورفض الجيش الأمريكي على لسان قائده "التقي" و"المتعاطف" مع الهنود ولكن القاسي أيضاً (نموذج متكرر في الحروب الهندية) أوليفر هاوارد تبريراتهم بأن الأرض أمهم وسخر من ذلك بقوله إنه يريد الحديث عن أشياء عملية وليس سماع هذا الكلام، رغم

488- Benjamin Capps، 1982، ص 165.

489- John D. McDermott، 1998، ص 122.

490- Benjamin Capps، 1982، ص 166.

491- Geoffrey C. Ward، 1996، ص 310.

أنه كان يعلم وفقاً لدراسة قانونية أنه لا يمكن إجبار الهنود على الالتزام بمعاهدة 1863 التي لم يوقعوا عليها، فقد كانت دوافع المسئولين تتراوح بين الرغبة في إخلاء الأرض "للحضارة" كما كان حاكم أوريغون يريد، والرغبة في السيطرة على القبيلة في المحمية كما كان الوكيل الحكومي يريد، وفي بداية 1877 طلب مفوض الشئون الهندية من قائد الجيش الجنرال وليام شيرمان استعمال القوة لإجبار الهنود على الرحيل إلى المحمية، ولم ينفع حديث "جوزيف" عن المعيشة المشتركة على أرض الهنود[492] (كما لم تفد الفلسطينيين موافقتهم على مشاركة المعتدين الصهاينة في الأرض الفلسطينية لأن اليهود كانوا مصرين على احتكار الأرض) واشتبكوا مع الجيش الأمريكي وحاولوا الحصول على مساعدة قبيلة "الغراب" Crow وهي صديقة أخرى للبيض ولذلك رفضت تقديم العون بل شاركت الجيش في مطاردة الأنوف المخرومة رغم الحلف القديم بين القبيلتين، كما ساعد الجيش في مطاردتهم هنود من "السو" و"الشايان" رغم أنهم كانوا قد قاتلوا البيض قبل فترة وجيزة في معركة القرن الصغير ولكنهم غلبوا عداوتهم للأنوف المخرومة على عداوتهم ضد البيض[493] (آفة الشعوب التي تعرضت للغزو الأبيض وهي ممارسة شهدتها فلسطين منذ الثورة الكبرى سنة 1936)، وقاد "جوزيف" قبيلته ألفي كيلومتر تقريباً خاض أثناءها عدة اشتباكات تفوق فيها الهنود ببراعة على الجيش (في معركة قتل الهنود 33 جندياً مقابل جرح ثلاثة هنود فقط، وفي أخرى قتلوا 29 وجرحوا 40 آخرين مقابل مقتل 12 محارباً ولكن بالإضافة إلى 77 من كبار السن والنساء والأطفال)، وكان الزعيم "جوزيف" يقاتل كبقية المحاربين[494]، وحاول الوصول إلى كندا ولكنه لم يتمكن تحت وطأة الملاحقة والأنواء والجوع والإنهاك، فاستسلم ومعظم قومه (418) بعدما قطع 1700 ميل وهو على مرمى حجر من الحدود الكندية (60 كيلومتراً) وتمكن 200 منهم من الوصول إلى مقصدهم في مخيم "الثور الجالس"،

---

[492] -نفس المرجع، ص 310-312.

-Benjamin Capps، 1982، ص 167-168.

[493] -Geoffrey C. Ward ، 1996 ، ص 313-320.

[494] -John D. McDermott، 1998، ص 123.

وأسفرت ملحمة "الأنوف المخرومة" عن 11 اشتباكاً مسلحاً صد أثناءها 350 محارباً حوالي ألفي جندي من الجيش الأمريكي[495]، وقتل فيها وجرح 150 من أفراد القبيلة البالغ عددها 750، واستسلم حوالي 400، وتمكن الباقون من الوصول إلى كندا، أما الجيش الأمريكي الذي شارك في المطاردة من جنوده 1500-2000 قُتل منهم 125 وجُرح حوالي 150، وأرسل الأنوف المخرومة إلى حصن أبراهام لنكولن (رمز الحرية !) حيث أطلقت المدفعية ترحيباً بهم (!) وصفر قطار شمال الباسيفيك ثلاث مرات لنفس الغرض (!) ولكن القرار العملي أتى عندما أمر قائد الجيش الجنرال وليام شيرمان بإرسال الهنود إلى كانساس رغم اعتراضات الرتب الأدنى وتعاطف الرأي العام مع الضحايا، وفي تبريره لقراره اعترف شيرمان بفضائل الأنوف المخرومة ولكنه أحجم عن الرفق بهم فقال إن حربهم:"من أكثر الحروب الهندية المعروفة استثنائية وروعة، لقد أظهر الهنود فيها شجاعة ومهارة انتزعا الإعجاب العام، لقد امتنعوا عن سلخ فروات الرءوس، وحرروا الأسرى من النساء، ولم يرتكبوا قتلاً بلا تمييز ضد العائلات المسالمة، وهو أمر غير عادي، ولكنهم لن يستقروا في أراض تخصص لهم، وعندما تقودهم قيادة ملائمة، يبدءون المقاومة وقتل أفراد بطريقة لا صلة لها بشكاواهم المزعومة (يردد الاستشراق الحديث أن العنف الذي يمارسه العرب والمسلمون تعبير عن ميول متأصلة ولا علاقة له بسياسات الغرب الظالمة)، يجب ألا يسمح لهم بالعودة إلى أوريغون (موطنهم) أبداً"[496] (هل نأمل بعد ذلك من أي إنصاف مهما بلغت اخلاقنا مع هؤلاء البيض؟)، وكتب الجنرال نلسون مايلز إلى وزير الحربية:"لقد ظل هؤلاء القوم موالين للحكومة وأصدقاء للبيض منذ استكشاف إقليمهم، وفي حملتهم التي اتسمت بالمهارة، أنقذوا كثيراً من الأرواح كان يمكنهم قتلها ووفروا ممتلكات تقدر بآلاف من الدولارات كان يمكنهم تدميرها، وفي رأيي أنهم قد تعرضوا لكثير من الأذى في السنوات الماضية، ولهذا أتشرف بالتوصية بأن تخصص لتمدينهم مخصصات وافرة"، ولكن الوزير

---

[495] - Frank Waters، 1998، ص 177.

[496] - Geoffrey C. Ward، 1996، ص 321-322.

رفض تنفيذ وعود مايلز تحت تأثير الجنرال شيرمان[497]، وتم إرسال الهنود إلى كانساس، وهناك في كانساس عانوا من المستنقعات وسوء الأحوال والأمراض ومات ربعهم، فحاول الزعيم "جوزيف" في سنة 1879 القيام بمساع دبلوماسية في واشنطن للعودة إلى الوطن ورغم ترحيب الرئاسة والكونغرس فإن المستوطنين في آيداهو منعوا الهنود من العودة مما أدى إلى نقلهم دون موافقتهم إلى أوكلاهوما حيث لم تكن ظروفهم أفضل من كانساس وظلوا يتوفون من البؤس والملاريا بالعشرات، فأطلقوا على المكان اسم "الجحيم" أو "المكان الحار"، وكان المسئولون وأصحاب التوجهات الإنسانية والمسيحية يزورونهم في محنتهم ويتعاطفون معهم ويحاولون مساعدتهم بكتابة التقارير، وواصل الجنرال نلسون مايلز حملته لأجل الهنود[498]، وفي ذلك قال "جوزيف": "لقد قالوا جميعاً إنهم أصدقائي (كما يسمع الشعب الفلسطيني هذه النغمة منذ البداية)، وإني سأعامل بعدل، ولكن بينما كانت أفواههم تنطق بالحق، لا أفهم لماذا لا يتم فعل شيء ما لصالح قومي، لقد وعدنا الجنرال مايلز بأننا قد نعود إلى وطننا، وقد صدقته، وإلا لما كنت لأستسلم أبداً...لقد سمعت كلاماً إثر كلام، ولكن لم يتم فعل شيء (كالحالة الفلسطينية تماماً)، الكلمات الطيبة لا تدوم طويلاً إلا إذا بلغت شيئاً ما، الكلمات لا تعوضني عن موتاي، وعن بلدي، التي اجتاحها البيض الآن..لن تعطي الكلمات الطيبة إلى شعبي الصحة الجيدة وتمنع موتهم، لن تعطي الكلمات الطيبة لشعبي وطناً يستطيع فيه العيش بسلام والاعتناء بنفسه، لقد تعبت من الحديث الذي لا ينتهي إلى شيء (ولم يتعب العرب حتى الآن)، إنه يمرض قلبي أن أتذكر كل الكلمات الطيبة والوعود التي نكثت...قد تتوقعون من الأنهار أن تعود القهقرى ولكن لا تتوقعوا من رجل ولد حراً أن يقتنع بأن يوضع في مكان واحد وتتكر عليه حريته في الذهاب حيثما يريد...لقد سألت بعض الزعماء البيض العظام من أين جلبوا السلطة التي تخولهم أن يأمروا الهندي بالبقاء في مكان واحد، في الوقت الذي يرى البيض فيه يذهبون حيث يريدون،

---

[497] -Frank Waters، 1998، ص 178.

[498] -Geoffrey C. Ward، 1996، ص 322.

وهم لا يستطيعون إجابتي"[499]، وتساءل في خطاب له أمام جمع من أعضاء الحكومة والكونجرس ورجال الأعمال كيف يمكن أن تنتهك الحكومة كلام الرجل الذي أرسلته لقتالنا ثم وعدنا وعوداً لم تنفذ؟ وقال إن الرجل الأبيض يمكنه أن يعيش بسلام مع الهنود لو أراد ذلك[500] (وهي مسئولية القوي دائماً أن يحدد علاقته الأخلاقية بمن هم أضعف منه)، ثم أطلق كلماته الخالدة في التاريخ الأمريكي والتي كانت فضيحة إذ طالب أدعياء الحرية والمساواة في مبنى الكابيتول في العاصمة الأمريكية وفي قاعة سميت باسم الرئيس لنكولن بتطبيق مبادئهم ومبادئ ادعاها لنكولن نفسه، ومنحه الحرية والمساواة:"إن كل ما نريده هو منحنا فرصة عادلة لنعيش كما يعيش بقية الناس..نطالب بأن يطبق نفس القانون على الجميع...دعوني أكون رجلاً حراً، حراً في أن أسافر، أن أتوقف، أن أعمل، أن أتاجر حيث أريد، حراً في اختيار معلمي، حراً في اتباع دين آبائي، حراً في التفكير والكلام والتصرف بشأن نفسي"[501]، (نفس معضلة "الآخر" الذي يطالب الغربي دائماً بتطبيق ما ينادي به، على الجميع، وعدم احتكار الامتيازات)، ولكن لم يكن لكلماته من أثر عملي في مواجهة إغواء النفوذ والأرض والمال وأطماع البيض بهم[502]، ولم يتغير شيء رغم أن كلماته أثارت الإطراء والتعاطف في طول البلاد وعرضها[503] (وهو درس بليغ لمن يظنون أن تعاطف العدو يجلب النصر)، وفي سنة 1885 سمح لجوزيف والناجين الذين بلغ عددهم 268 من أصل أكثر من 700 من القبيلة بالعودة إلى الشمال الغربي، ولكن 118 فقط عادوا إلى ما تبقى من أرضهم في آيداهو وكان "جوزيف" مع القسم الآخر (150) الذي عُد أخطر من السماح له بالعودة وأرسل إلى ما سيصبح ولاية واشنطن بعيداً عن موطنه، فكرر محاولته سنة 1897 ولكن الأمريكيين رغم تعاطفهم

---

[499] -دي براون، 1982، ص 246.

-Dee Brown، 2009، ص 384-385.

[500] -Geoffrey C. Ward، 1996، ص 322-323.

[501] -Benjamin Capps، 1982، ص 183.

[502] -David Lavender، 1992، ص 339.

[503] -Geoffrey C. Ward، 1996، ص 323.

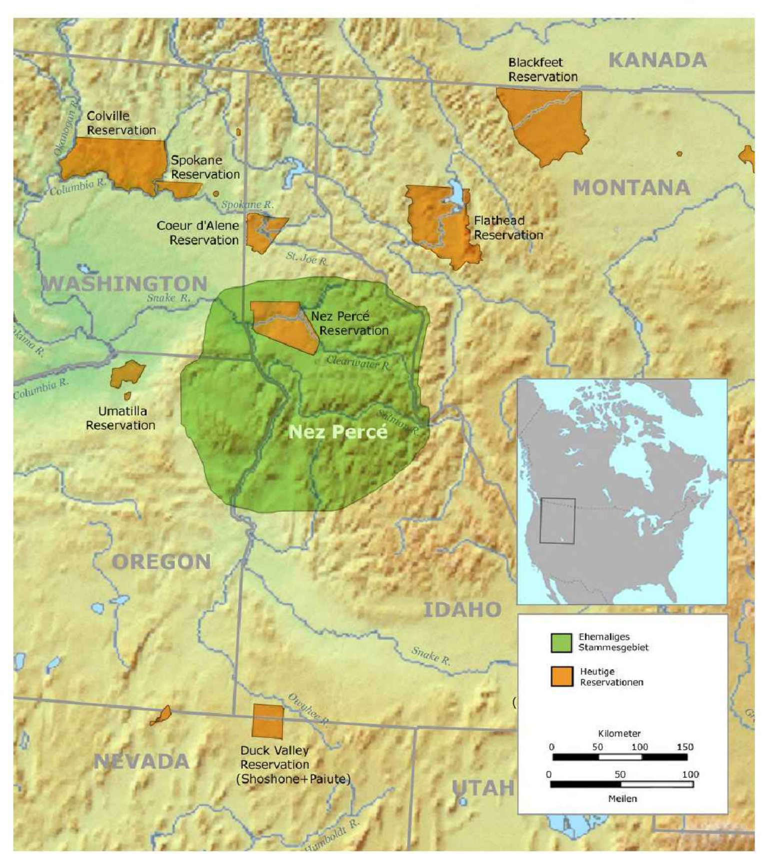
كانوا مغرمين بزيه وريشه أكثر من مطالبه (كما كان مؤتمر الصلح في باريس 1919 مغرماً بزي الأمير فيصل بن الحسين أكثر من مطالبه)، وظل الهنود في واشنطن حيث سيموت الزعيم في سنة 1904 بسبب "قلبه المحطم" وفقاً لإفادة الطبيب، وهكذا رأينا الرأي العام يكرر الظاهرة المستمرة وهي التعاطف مع الضحية وقت هزيمتها واضطهادها دون القدرة على إنصافها في مواجهة الأطماع الجارفة ولو من فئة محدودة من المستوطنين[504] وكل ما ناله جوزيف هو التعاطف القلبي والتصفيق الرعدي، ليصبح بعد فوات الأوان، إن كان قد أصبح فعلاً، بطلاً أسطورياً معترفاً بتضحياته التي وقعت في أمريكا ولكن هذه الأسطورة التي كانت في مراحلها الأولية آنذاك بنيت على مشاعر أقدم من أوديسة هوميروس نفسها[505].

---

[504] -يمكن مراجعة موسوعة ويكيبيديا لمعلومات عن "الأنوف المخرومة" والزعيم "جوزيف":

- http://en.wikipedia.org/wiki/Chief_Joseph
- http://en.wikipedia.org/wiki/Nez_Perce_War

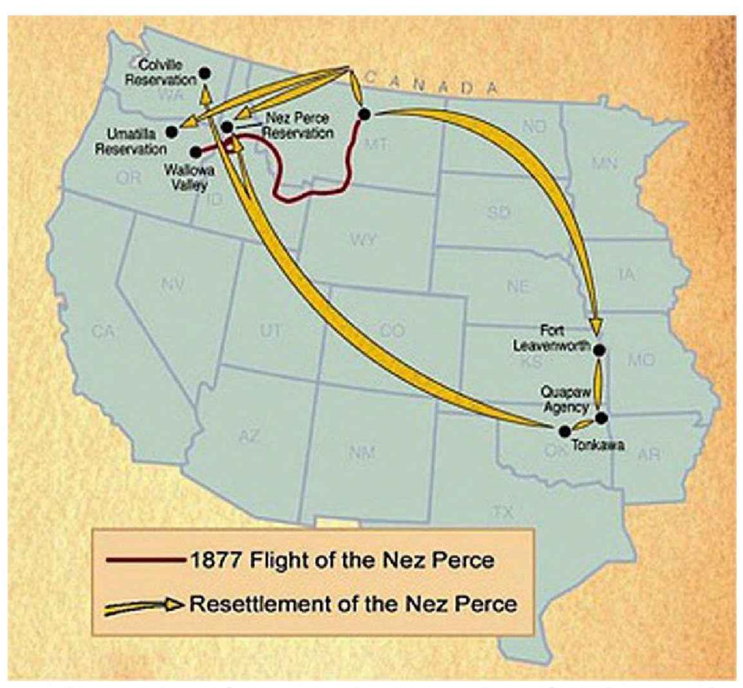
[505] -David Lavender، 1992، ص 339-340.



موطن "الأنوف المخرومة" وموقع المحمية التي طلب إليهم الاستقرار فيها ومساحتها مقارنة بالموطن الأصلي، وموقع المحمية التي رُحل إليها الزعيم "جوزيف" وأتباعه في ولاية واشنطن (كولفيل في أعلى اليسار) بالإضافة إلى محمية يوماتيلا (يسار) التي رُحل إليها القادمون من المنفى الكندي[506]

---

[506] http://upload.wikimedia.org/wikipedia/commons/a/a4/Nezperce01.png



ملخص رحلة "الأنوف المخرومة": المطاردة من أوريغون حيث الوطن في وادي والووا إلى مونتانا (الخط الأحمر) حيث انتقل منها الغالبية إلى كانساس وتمكنت البقية من اللجوء إلى كندا، من سجن في كانساس نقل بعدها إلى أوكلاهوما مرتين ثم سمح للبعض بالعودة إلى المحمية في آيداهو وهي جزء من الموطن الأصلي وهُجر الباقون بمن فيهم الزعيم "جوزيف" بعيداً إلى واشنطن، أما من لجئوا إلى كندا فقد وزعوا بعد ذلك على محمية آيداهو حيث وطنهم الأول ومحمية أخرى في أوريغون[507]، ورحلة الشتات هذه تشبه شتات الشعب الفلسطيني في مسافاتها البعيدة وبُعد أماكن الاستقرار عن الوطن

[507] - http://nezpercetrail.net/i/maps-large/JPEG/2sign2_2.jpg

كانت كندا تريد التخلص من الهنود وغير جاهزة بالنفقات والرجال لتنفيذ ذلك، ولهذا حاولت سلوك الطرق الدبلوماسية وسبيل الإقناع مادام ذلك ممكناً، وأما الحكومة الأمريكية فكانت مترددة بين الشعور بالارتياح من التخلص من خمسة آلاف هندي يرأسهم "الثور الجالس" [508]، والشعور بالخوف من قرب هذا الخطر من حدودها لاسيما بعدما قدم الجنرال ألفرد تيري تقريراً بعد زيارته لكندا جاء فيه:"إن وجود هذه الجماعة الكبيرة من الهنود والمعادية بشدة لنا، والقريبة إلى هذا الحد من الحدود، يؤلف تهديداً مستمراً لسلام مناطقنا الهندية"، وقد تمت هذه الزيارة في شهر أكتوبر / تشرين الأول 1877 وحدد يوم 17 لعقد الاجتماع بين تيري و"الثور الجالس" في حصن وولش، وظل الزعيم رافضاً الاجتماع بالوفد الأمريكي وقال للمفوض جيمس ماك لويد من خيالة الشرطة الكندية:"لا فائدة من التحدث مع هؤلاء الأمريكيين، كلهم كاذبون، لا تستطيع أن تصدق أي شيء يقولونه، ولا يهم ما الذي يعرضونه، نحن نرفضه لأننا لا نثق بوعودهم" (كم يجب أن يمر من الوقت ليصل العرب إلى نفس النتيجة فيما يتعلق بقضية فلسطين؟)، ولكنه وافق على الاجتماع بعد إلحاح المفوض الذي كان راغباً في التخلص من الهنود[509].

---

[508] -Ogden Tanner، 1981، ص 178.

[509] -Stanley Vestal، 1980، ص 215.

-دي براون، 1982، ص 306-307.



حصن وولش في كندا حيث جرت المباحثات
بين "الثور الجالس" والجنرال تيري

دخل "الثور الجالس" غرفة الاجتماع فألقى نظرة احتقار لتيري متجاوزاً إياه ومن معه، وتوجه ليصافح المسئولين الكنديين المفتش وولش والمفوض ماك لويد بحرارة[510]، ثم تكلم تيري في البداية وأعاد كلاماً مكرراً: رغبة "الأب الأعظم" في سلام دائم، وجوب تسليم الهنود أسلحتهم واستقرارهم في المحميات وتسلم مؤنهم من الوكالات بالإضافة إلى ملابس وطعام وأبقار بما يساوي ما سلموه من أسلحة وجياد، منح العفو عن المستسلمين....إلخ، وقال: "لقد سبق وسفك من الدماء البيضاء والهندية الكثير، وقد حان الوقت للتوقف عن سفك المزيد من هذه الدماء" (تماماً كما حان وقت التوقف عن سفك الدماء منذ اتفاقية أوسلو 1993 ولكن الدماء استمرت أنهاراً بعدها)، فأجابه "الثور الجالس": " لمدة 64 عاماً وأنتم تضطهدون قومي...ما الذي فعلناه حتى تريد منا أن نتوقف؟ لم

[510] -Ogden Tanner، 1981، ص 179.

نفعل شيئاً، إن جماعتك هم الذين جعلونا نرتكب كل تلك الأعمال، لم نستطع الذهاب إلى أي مكان آخر، ولذا التجأنا إلى هذا البلد....أود معرفة سبب مجيئكم إلى هنا...أنا لم أعطكم أرضي...إذا كنت تظنني مغفلاً فأنت مغفل أكبر مني...لقد جئت لتقول لنا الأكاذيب، ولكننا لا نريد سماعها، لا أريد أن أسمع أية لغة من هذا النوع....لا تقل حتى ولو كلمتين أخريين....عودوا من حيث جئتم...سأبقى هنا لتنشئة شعب يملأ هذا المكان... إننا نملك البلد الذي جئنا منه، وأنتم طردتموني منه.. لقد جئت إلى هنا حيث أنوي البقاء...." ثم قدم غيره من الزعماء للحديث وكان ملخص الرسالة التي عبرت عن موقفه مما قاله غيره:"نحن لم نعطكم بلدنا، أنتم سرقتموه منا...لقد جئتم هنا لتقولوا أكاذيب، وعندما تعودون خذوا أكاذيبكم معكم..."، وقد أحضر "الثور الجالس" معه امرأة لتمثيل الأمهات والتي كانت من أمهر المتحدثين فقالت:"لقد كنت هناك في دولتكم، وكنت أريد تنشئة أبنائي، ولكنكم لم تتركوا لي فرصة، لقد جئت إلى هنا لأربي عائلتي وأحصل على قليل من السلام، هذا كل ما عليّ قوله، إذهبوا من حيث جئتم، إن المعاطف الحمراء (أي خيالة الشرطة الكندية) هم الناس الذين سأبقى معهم، وأربي أطفالي عندهم"[511]، وكانت هذه الكلمات في صميم الرد على من كانوا يتباكون على "عبودية" المرأة الهندية في المجتمع الهندي في نفس الوقت الذي يوقعون أشد المعاناة بها (كما يعير الصهاينة المجتمع الفلسطيني باضطهاد المرأة ثم يوقعون بها

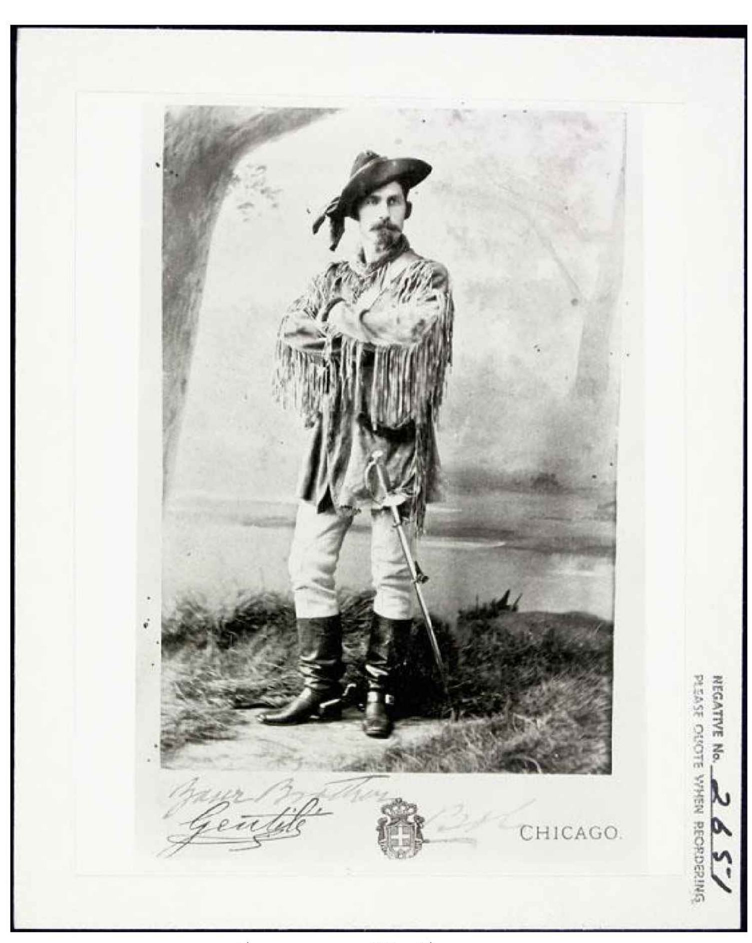
[511] Stanley Vestal- ،1980 ،ص 216-217.

أشد المعاناة وأضخم الخسائر نتيجة ممارساتهم وهو ما يدل على أن الشعارات ليست سوى ذرائع للاستعمار).

انتهى الاجتماع بالفشل، وعاد تيري في اليوم التالي إلى الولايات المتحدة وقدم تقريره الذي أشار فيه إلى خطر "الثور الجالس" وأتباعه كما مر، أما الزعماء الهنود فبقوا في حصن وولش عدة أيام بعد الاجتماع، وحضروا حفلة موسيقية عسكرية وقدمت لهم كمية من الفطائر[512].

---

[512] - Ogden Tanner، 1981، ص 179.



جيمس وولش قائد حصن وولش

وفي نفس مساء يوم الاجتماع بالأمريكيين زار مفوض الشرطة ماك لويد "الثور الجالس" ليذكره بوجوب الخلود إلى السلم وبأن الجواميس التي يعيش قومه عليها لن تستمر إلى الأبد وستختفي يوماً ما ولهذا عليه مراجعة نفسه لأجل نسائه وأطفاله،

فأجابه الزعيم:"سأخبرك بالحقيقة، أنا لم أرتكب فعلاً سيئاً، لقد حاول الأمريكيون الاستيلاء على أرضنا، وكانوا يعلمون بوجود الذهب فيها، ولكننا لم نكن نرغب بالتخلي عنها...كما لم تكن أنت لتتخلى عنها لو كانت ملكاً لك، لقد عانى قومي من الأمريكيين..إن الأمريكيين يقتلون عشراً أو عشرين منا كل يوم بلا سبب...لقد أعطونا كلاماً معسولاً اليوم، إذ وعدوا بمنحنا الطحين والماشية، ولكنني لو عدت سيقاتلونني...لقد سألناهم إرسال التجار إلينا، ولكنهم أطلقوا علينا الرصاص بدلاً من ذلك....جميعهم نهبونا وغشونا وسخروا منا، لا أستطيع العيش هناك ثانية، إنهم لا يقولون الحقيقة مطلقاً، يقولون إنهم لم يرغبوا في القتال، ولكنهم هم الذين بدءوه، كل شيء سيء يبدأ منهم، لم أتلق منهم كلمة حسنة، ولكنى لم أتلق كلمة سيئة هنا، فإذا كانوا يحبونني لماذا إذن طاردوني؟...سنعيش بسلام هنا مع أبناء "الجدة" الهنود...نحن نحبك ونحب الشرطة كثيراً، ولهذا السبب وحده جئنا لمقابلة الأمريكيين"[513].

---

[513] -Mark Diedrich، 1998، ص 106.



مفوض الشرطة جيمس ماكلويد كان يسعى لإعادة "الثور الجالس"
وقومه إلى الولايات المتحدة

وفي حديث آخر قارن فيه بين قسوة الأمريكيين ومعاملة البريطانيين في كندا للهنود قال فيه:"لقد جئت إليكم في المقام الأول بسبب قيام الأمريكيين بدفعي بقوة، لقد نقضوا معاهداتهم مع قومي، وعندما قمت لأقاتل، ليس ضدهم بل للدفاع عن حقوقنا بصفتنا من وجد أولاً على هذا الجزء من الأرض، قاموا بمطاردتي كالكلب وكانوا سيعلقونني على شجرة، إنهم ليسوا عادلين، يدفعوننا نحو الحرب ثم يريدون معاقبتنا لأننا نقاتل (نفس تصرف الغربيين والصهاينة في زمننا حين يعتدون على الآخرين، فإذا حاولوا صد العدوان اتهموهم بالإرهاب)،....إن حياتي عزيزة عليّ، ولكني لم أكن أقدرها عندما قاتلت الأمريكيين، وأقدر حياة قومي، ولهذا جئت بهم إلى هنا وأشكركم على ما قدمتموه لهم....سأعيش في سلام في كندا، ولكن جنوداً مثلكم شجعان ولا ينتهكون المعاهدات وليسوا لصوصاً ولا قتلة سيرونني جباناً لو لم أمت وأنا أقاتل الأمريكيين، سأغادر الآن إلى مكان آخر وأعود عندما يصبح محاربيّ أقوياء، وإذا لم يأتوا معي، سآتي وحدي وأقاتل الأمريكيين حتى الموت، أحبكم وأحترمكم، ولكني أكرههم، إن جنود الملكة سيحتقرونني لو لم أكره الأمريكيين.."[514].

وفي حديث مع صحفي أمريكي بعد نهاية الاجتماع بالوفد الأمريكي ومغادرة الجنرال تيري سرد الزعيم أسباب شعوره بالمرارة من الأمريكيين:"لم أعلّم قومي يوماً أن يثقوا بالبيض، وكنت دائماً أخبرهم الحقيقة، وهي أن البيض كاذبون، لم أتعامل مع البيض يوماً، ولماذا عليّ التعامل معهم؟ إن الأرض ملك

---

[514] -نفس المرجع، ص 107.

لقومي، وعندما أقول إنني لم أتعامل معهم، فهذا يعني أنني لم أسلّم حقوق قومي، لقد تاجرت معهم، ولكني كنت أعطيهم قيمة كل ما آخذه، لم أطلب إلى الحكومة الأمريكية أن تمنحني هدايا أو ملابس أو أي شيء آخر، وأخبرت كل تاجر دخل قرانا أنني لا أطلب أي مزايا منه...كنت أريد التجارة العادلة والمتكافئة، أي منحه القيمة الكاملة لما أحصل عليه منه، ولكن التجار كانوا يريدون منح القليل مقابل الكثير الذي يحصلون عليه، وكانوا يخبرونني أنني إذا لم أقبل بما يعطوه لي سيجعلون الحكومة تقاتلني (أليس هذا هو حال التجارة مع أمريكا والغرب منذ ذلك الوقت إلى اليوم؟)، وقد أخبرتهم أنني لا أريد القتال، وحاولت جاهداً منع القتال ولكن الحكومة تريد كل شيء نملكه (أليس هذا هو حال الحكومات الاستعمارية والأمريكية خاصة إلى اليوم؟)، فكان علينا القتال... لقد سرقت الحكومة الأمريكية كل ما نملكه، وبالإضافة إلى ذلك قتلت نساءنا وأطفالنا أينما تسلل الجيش إليهم، إن الأرض ممتلئة بالجنود اليوم، وإذا لم يكن بمقدور الجيش قتلنا، فإنه يسوق قطعان الجواميس بعيداً لنجوع حتى الموت (قطع مصادر الرزق كما يفعل الصهاينة ببحر غزة وزيتون الضفة وبضائع تجار فلسطين)، لم نكن نريد القتال، ولكننا لم يكن بإمكاننا الاختفاء عن أعين الجيش وتوجب علينا القتال، والآن يريدون منا تسليم جيادنا، ولكن الجياد ليست ملكاً للحكومة، وكذلك البنادق ملك لي، لقد اشتريتها ودفعت أثمانها، وإذا استولوا عليها فهي سرقة، وما دام لدينا وفرة من الجواميس كان يمكننا العيش، ولكن الجواميس انقضت كلها تقريباً، لم يعد لدينا ما نأكله ولا أرض لنصب خيامنا عليها، سيكون علينا الاستسلام، وإذا جعنا، ستنتهي معاناتنا، ولو كنت حاكم قبيلتي

في أيام أجدادي، لكنت زينت غابات ساحل الأطلسي بفروات رءوس الأوروبيين فور قدومهم إلى هذه القارة، والان مات مقاتليّ، وذُبح قومي، لقد تراجعت مضطراً ولست مختاراً، لم يعد من المجدي المقاومة، ولكن لو وجدت أعواناً سأظل في الميدان ضدكم إلى الأبد"[515] (كلام يمكن أن يكون جال في خاطر أي مقاوم ضد المستعمرين الغربيين إن لم يقله فعلاً).

ولما سئل الزعيم عن موقفه من تضاؤل أعداد الجواميس، أجاب بأنه يعلم النتيجة الحتمية لأعمال الصيادين البيض التي يأسف لها ويستهجنها في الوقت الذي كان قد تعلم فيه تقدير نعمة الجواميس التي منحها الخالق لبقاء قومه، وعن نقصان الجواميس قال:"نعلم أنه على الجانب الآخر من الحدود لن تبقى الجواميس طويلاً، لماذا؟ لأن المنطقة هناك سُممت بالدماء، وهو سم يقضي على جميع الجواميس أو يسوقها بعيداً، وإنه لمن الغريب أن يشكو الأمريكيون من قيام الهنود بقتل الجواميس، نحن نقتل الجاموس كما نقتل بقية الحيوانات لأجل الطعام واللباس ولجعل مساكننا دافئة، ولكنهم يقتلون الجاموس لأي شيء؟ إذهب خلال بلدك لترى آلافاً من الجثث المتعفنة في السهول، إن شبابكم يقتلون لأجل المتعة، وكل ما يأخذوه من الجاموس هو ذيله أو رأسه أو قرونه ربما لأجل استعراض كونهم قتلوا جاموساً، ما هذا؟ إنها عملية سرقة، إنكم تدعون أننا "متوحشون"، ولكن ماذا تسمون فعل أولئك الصيادين؟ (كما يقذف الغرب اليوم تهم الإرهاب والاستبداد في وجه كل من لا يروق له في الوقت الذي يدعم هذه الممارسات على نطاق واسع

---

[515] -نفس المرجع، ص 108.

عندما تكون في صالحه)، لقد رحل الجواميس شمالاً، ورحلنا نحن أيضاً لنعثر عليها، ولنهرب من مكان أهله كاذبون".

وعندما سُئل عن سبب تقدير قومه إياه قال:" إن قومكم يحترمون الرجال الأثرياء، الذين يملكون أراض واسعة، وبيوت متعددة، ونساء كثيرات، وأنا أعتقد أن قومي يحترمونني لأنني فقير"[516].

في شتاء 1877-1878 بدأت متاعب اللاجئين في كندا، إذ لم تنزل كمية كافية من الثلوج في ذلك العام مما قلل من كمية الأعشاب في الربيع التالي، واندفعت قطعان الجواميس جنوباً نحو الولايات المتحدة فما كان من صيادي الجلود الأمريكيين إلا إحراق الأعشاب خلفها لمنعها من العودة ثانية إلى كندا، ولم يحل صيف 1879 إلا وكانت سهول كندا فارغة من الجواميس وأصبح الهنود يأكلون الحيوانات الميتة والفئران والكلاب والأعشاب، ووضع هنود كندا اللوم على اللاجئين، واجتمع آلاف من أفراد القبائل المختلفة للتسول حول حصن وولش، وكانوا يتقاتلون على بقايا طعام الجنود في المراكز العسكرية، ومع أن الحكومة الكندية أرسلت بعض المساعدات فإنها لم تكن كافية[517] (كما يحدث دائماً عندما "يتصدق" الغرب على ضحايا مآسيه في كل مكان) لاسيما وأن معارضة كندية برزت ضد وجود "الثور الجالس" في كندا، ففي مجلس العموم الكندي مثلاً، أثار عضو في جلسة 18 فبراير/ شباط/ فيفري 1878 موضوع النفقات التي تتحملها الحكومة نتيجة وجود "السو" على

---

[516] -نفس المرجع، ص 109.

[517] -Ogden Tanner، 1981، ص 179.

أراضيها، فوقعت مناقشة أقل ما توصف به هو السخف الذي لا يليق بمجلس رسمي:

"السير جون ماكدونالد: لا أفهم كيف يمكن لثور جالس عبور الحدود.

السير ماكنزي: لا بد وأنه قد نهض.

السير جون ماكدونالد: إذن فهو ليس ثوراً جالساً"[518].

[518] -دي براون، 1982، ص 308.



"الثور الجالس" من رسم جيمس أيرز James Ayers

حاول "الثور الجالس" جمع القبائل الهندية في شمال السهول على قضية واحدة تتجاوز الخلافات البينية، وقيل إنه عبر

الحدود متخفياً ووصل إلى قومه في وكالة الصخرة الواقفة Standing Rock Agency كما أنه أرسل المبعوثين إلى مختلف القبائل بما فيها أعداؤه السابقون، ولكنه لم يتمكن في النهاية من تحقيق هدفه بسبب الضغوط المعيشية والسياسية التي تعرض لها قومه والتي عرضتهم للجوع وألجأته تدريجياً إلى اليأس، وفي حديث له إلى الأب جان جينين في ربيع 1878 قال له إنه لا يريد الحياة في محمية، وإنه يتمنى أن يعيش في أرض ذات وفرة، وإنه بإمكان "الأب الأعظم" أن يحتفظ بذهبه وفضته وبضائعه على أن يمنح الهنود أرضاً للصيد، ولو حاول الجنود أن يجبروهم على حياة المحميات فإن عليهم أن يتحملوا نتيجة ذلك، فلم يكن لدى الزعيم نية لأن يصبح أسيراً في محمية ويسلم أسلحته وجياده، وعن مقتل كاستر قال "الثور الجالس" للأب جينين:"إن الناس في الولايات المتحدة يلومونني لأنني قتلت كاستر وجيشه، لقد هاجموني بأعداد تكفي للقضاء عليّ وعلى أطفالي، وعندما رأيت الجنود توسلت إلى الخالق لمساعدتي وتحريري أنا وأطفالي، على البيض أن يتهموا الخالق لأنه هو الذي أحدث هذا القتال، إنهم يعتقدون أنني رجل شرير، أيها الأب، إن كل ما قمت به أنا في حياتي كان لأجل تدبير معيشة أطفالي ووالديّ الكبيرين وحمايتهم من أخطار الموت"[519] (هذا هو منطق جميع ضحايا الحضارة الغربية ومنطق ضحايا الصهيونية الذين يدافعون عن مصير أبنائهم في وجه الهجوم الكاسح ومع ذلك تُلصق بهم تهم الإرهاب والدموية والتوحش مع أن كل ما يفعلوه هو صد العدوان الذي داهم بيوتهم).

---

[519] -Mark Diedrich، 1998، ص 110.

وفي حديث له إلى جيمس وولش في 21 مارس/ آذار 1879 أصر "الثور الجالس" على الاستمرار في حياة الصيد وعدم التقيد بحياة الاستقرار في مكان واحد والتي تضعف الهندي، وتساءل في نفس الوقت عن مكان الأرض التي يدعون أنهم يريدون أن يعيش الهنود على غلاتها، فأجابه وولش بأنها الأرض التي يعيش عليها في كندا، ولكن الحياة في محمية في الولايات المتحدة ستكون أسهل، وقد وصل اليأس حينئذ بالزعيم إلى مطالبة الحكومة الأمريكية عبر وسيط من أقربائه بلوازم الزراعة من أدوات وحبوب، وفي منتصف يونيو/ حزيران/ جوان من نفس العام عبر الحدود وأقام معسكره على الجانب الأمريكي حيث عثر عليه أحد المراسلين الأمريكيين وأجرى معه مقابلة صحفية في يوم 16 جاء فيها انطباع المراسل عن الزعيم بكونه ليس ضعيفاً ولا رخواً، فسأله إن كان يبغض الأمريكيين فأجاب:"أنا أكرههم، هل تسألني لماذا؟ لأنهم كثيراً ما خدعوني أنا وقومي، لقد طلبوا إلينا أن نذهب إلى بيوت الهدايا (أي المحميات) ليقوموا برعايتنا وإطعامنا، وقد ذهب كثير من قومي لأنهم صدقوا ما قاله الأمريكيون لهم، ثم مكثوا قليلاً من الزمن وقيل لهم إن عليهم أن يزرعوا، وما كان بعضهم ليفعل ذلك حتى وجدوا مؤنهم قلّت.

"لم تمض سنوات كثيرة منذ أخبرنا قومك أنهم سيمنحوننا إقليم التلال السوداء، وقالوا إن أطفالنا يجب أن يملكوها وستكون لهم، ويجب أن تصبح أراضي صيدنا، ولما عثروا على التراب اللامع فيها (أي الذهب) طردونا منها، وقالوا لنا إنها ليست لنا، هذه الأعمال جعلتني لا أستطيع تصديقهم.

"لقد غادرنا التلال السوداء بسلام رغم أننا نعرف أنها غنية بالذهب لأجل منح السلام لنسائنا وأطفالنا، وأرسل الأمريكيون "الشعر الطويل" (كاستر) ليتتبعنا، هل لديك علم بأي عمل قمنا به لاستدراج "الشعر الطويل" حيث كنا عند نهر القرن الصغير؟ لا. فهل يعلم قومك أي شيء من هذا القبيل؟ لا، أيضاً. لقد اجتمعنا هناك في مخيم سلمي، نصطاد لحماً لإطعام عائلاتنا، ما الذي سمعه قومك ليرسلوا إلينا "الشعر الطويل"؟ ومن الذي أخبرهم هذه الأخبار؟ إذا قيل لكم إننا معادون (أي إرهابيون بالمصطلح المعاصر) فإن هذه كذبة، والذي أخبركم بها كاذب كائناً من كان، لقد كان مخيم صيد، لم نهاجم أحداً سوى الجواميس.

"لهذه الأسباب لا أحب الأمريكيين، بسبب سلوكهم نحونا، أنا لا أريد الحرب معهم، لقد تعبت من الحروب ومن الدماء، لقد لجأت إلى هذه الأرض لأتجنب الحرب، ولو كنت أريد القتال لبقيت في أرضي"[520].

وعند سؤاله عن سبب ممارسته الصيد في الجانب الأمريكي حيث تتواجد حصون عسكرية في المنطقة تستهدف منع وصول الهنود إلى قطعان الجواميس، قال إن الهنود يتبعون الجواميس لأنهم يريدون لحماً ولا يوجد ما يقتاتون به إلا حيوانات الصيد، وإنهم لم يأتوا للإضرار بالبيض ولا بممتلكاتهم، ولقد أُجبروا على العبور، ولو تركهم الجنود يصيدون فإنهم سيعودون أدراجهم إلى كندا، فهم لا يريدون دماء الرجل الأبيض ولا جياده، وما يريدوه شيء يأكلونه، وإن الهنود سيتجنبون الجنود

---

520 -نفس المرجع، ص 114-116.

قدر استطاعتهم، ولكن لو لم يمكنهم ذلك سيقاتلون، ولقد جاء هو إلى بلد "الجدة" ليبتعد عن الجنود، ولكنهم تبعوه، وبنوا حصناً لإبعاد قومه عن القطعان لأنهم يريدون أن يجوع الهنود، وأكمل:"إسمعوني يا أصدقاء، إن قومكم أرادوا الحصول على أرضي، وقد تخليت عنها لهم، ولكني لم أبعها لهم، لقد منحتهم إياها، ثم ذهبنا إلى البراري للصيد، فتبعني قومكم، وساقوني أمامهم بعيداً، فهربت منهم، وتركت أرضي خلفي، فجاءوا قريباً من الحدود وبنوا بيتاً للجنود، لقد غادرتنا الجواميس، فتبعناها، ونحن لا ننوي الإيذاء، إن البيض آمنون، ولا نريد سرقة جيادكم، ولكن إذا قدم الجنود سنواجههم.."[521] (كانت دائماً حجة صاحب الأرض في كل مكان هي رغبته في ممارسة حياته اليومية وأن يُترك لشأنه ولكن المستوطن المعتدي هو الذي لا يقبل إلا بالاستيلاء على كل شيء، وأذكر حديث جارة فلسطينية من الذين شردهم العدوان الصهيوني سنة 1967 وشكواها لوزير الدفاع الصهيوني موشيه دايان بقولها إنها تريد العودة إلى منزلها "لتزرع وتحصد"، وبالطبع لم يكن هذا من ضمن اهتمامات الوزير الصهيوني الذي ما جاء أهله من أوكرانيا إلا لطرد الفلسطينيين من أرضهم للحلول محلهم في الزراعة والحصاد ولا يريدون لهم أن يستمروا في حياتهم اليومية).

حاول الصحفي الأمريكي أن يتكلم "بالعقلانية" مع الزعيم، قائلاً إن الهنود في المحميات أكثر سعادة من أولئك الذين يعيشون في خوف دائم (كما هي لغة الرفاهية التي تُبذل لأصحاب الحقوق ليلقوا أسلحتهم ويحتكموا إلى "العقل")،

[521] -نفس المرجع، ص 117.

واستشهد الصحفي بمواقف "الغيمة الحمراء" و"الذيل المرقط" اللذين جنحا إلى السلم واقتنعا به، فغضب "الثور الجالس" عندما سمع بالاسمين وقال:"إن "الغيمة الحمراء" و"الذيل المرقط" وغدان، لقد باعا أرضنا دون موافقة كاملة من قومنا، لقد باع "الغيمة الحمراء" و"الذيل المرقط" وغيرهما أرضنا، إن كثيراً منهم اليوم أموات، لقد ظنوا أنهم حكماء ولكنهم علموا أنهم مغفلون، لم يكن أحد منهم من (عشيرتي) الهنكبابا، لم يبع أي زعيم من الهنكبابا أرضه، فمن أين استمد أولئك الحق بالبيع؟ نحن لم نوافق على ما فعلوه، ثم جعلوا قومكم (الأمريكيين) يصدقون أننا معادون، فقام قومكم بمطاردتنا في البراري، نحن لم نرد القتال، لقد هربنا وتوارينا، فتتبعونا إلى أن وجدنا "الشعر الطويل" (الجنرال كاستر)، فقمنا بالدفاع عن نسائنا وأطفالنا"[522].

بعد شهر من هذا الحديث (16 يوليو/ تموز/ جويلية 1879) وصلت إلى مخيم "الثور الجالس" مجموعة من قبيلة "الشايان" التي جند الجنرال مايلز رجالاً من محاربيها للخدمة في جيشه ضد قبيلة "السو" بعدما تم استقرار "الشايان" بزعامة "الذئب الصغير" في مونتانا في ربيع ذلك العام وفقاً لما سبق ذكره، وافق "الذئب الصغير" على هذه المهمة بعد تردد[523]، وقد صُعق "الثور الجالس" لما رأى حلفاءه السابقين يعملون كشافة لدى الجيش الأمريكي (مثلما تحول الفدائي الفلسطيني إلى شرطي لدى الاحتلال الصهيوني ضد المقاومة الفلسطينية)، فقال لهم موجهاً حديثة إلى أحد المحاربين الذين كانوا قد استبسلوا في

---

[522] -نفس المرجع، ص 118.

[523] -Stan Hoig، 1990، ص 134.

معركة القرن الصغير واسمه "الحصان ذو الذيل القصير":"أين الجنود، هل يتبعونكم ليهاجمونا ويقتلوا نساءنا وأطفالنا؟ هل جئتم بالجيش معكم؟...."،وعندئذ رد عليه الرجل بالقول إن الجنود ضغطوا كثيراً على قبيلة "الشايان" ولم يكن بإمكانها رفض السلام والحياة في المحمية، فرد "الثور الجالس" قائلاً:"لقد كنتم أيها "الشايان" قادة في الحرب ومحاربين كباراً، لماذا تخليتم عن بنادقكم؟ إذا لم تفعلوا ذلك وانضممتم إليّ، سيرحل الجنود ولن يملكوا الشجاعة لمهاجمتنا جميعاً، لن نستسلم بأي شكل من الأشكال، ولكننا لن نقوم بمزيد من التجوال، سنبقى هنا..متى ستعودون؟ لن أهرب، سأظل هنا"[524]، وفي اليوم التالي قدم الجنود مع الكشافة الهندية ووقعت مناوشات مع محاربي "الثور الجالس" قام الجنرال مايلز على إثرها بتوزيع قواته على مواقع مختلفة لمنع الجواميس من التوجه شمالاً في الخريف التالي[525]، وذلك لإحكام الحصار المعيشي على المقاومة (وهي خطة مازالت تطبق إلى هذا اليوم في كل المواقع المقاومة ومنها المقاومة في العراق لمدة 13 عاماً ثم المقاومة في فلسطين).

حاول بعض زعماء المقاومة من قبيلة كري Cree في كندا شن الحرب ضد الجنود الكنديين، وكان زعيم اسمه "الدب الكبير" Big Bear مكروهاً لدى الحكومة الكندية كما كان "الثور الجالس" مكروهاً لدى الحكومة الأمريكية، ولهذا حاول

---

[524] -Mark Diedrich، 1998، ص 119.
-Stanley Vestal، 1980، ص 221-223.
[525] -Mark Diedrich، 1998، ص 119.

"الدب الكبير" الاستعانة بزعيم "السو" لقتال الجنود الإنجليز، ولكن الزعيم لم يعط جواباً رغم ميل البعض للمشاركة[526].

وكما كان يحدث أينما ذهب الهنود، وقعوا هذه المرة في كندا تحت ضغط الجوع الشديد، وهي محنة ستمتد في كندا بين الفترة 1879-1881 وسيموت فيها المئات من الهنود عموماً[527]، وقام بعضهم كما سبق ذكره بعبور الحدود للصيد، ومن الطبيعي ألا يتحملوا رؤية لصوص أراضيهم ويقفوا موقف المتفرج، ولذلك تحولت بعض رحلات الصيد هذه إلى عمليات إغارة على المستوطنين[528] (بعد وقوع النكبة الفلسطينية سنة 1948 كان كثير من اللاجئين يعبرون الحدود لاستعادة بعض الممتلكات ثم صار الفدائيون يغيرون على المستوطنين).

كان شتاء 1879-1880 قاسياً وتعرض أتباع الزعيم البالغ عددهم 450 خيمة لمصاعب في الصيد نتجت عن غزارة الثلوج فلجئوا إلى طلب المساعدات من بعض الوكالات الأمريكية ولكن ذلك لم يمنع الجوع، وفي البداية قدم لهم الشرطة الكندية والمولدون من مؤنهم، وقام بعض الهنود بالعودة إلى الولايات المتحدة والاستسلام[529].

لم يتحمل الأمريكيون عبور "السو" إلى وطنهم الذي طردوا منه وقام الجنرال تيري بإصدار أمر إلى نيلسون مايلز بشن حملة عليهم، وقد دفعت هذه الحملة باسم "الثور الجالس" إلى مقدمة الأحداث في الولايات المتحدة وكندا، وفي رأي رجال

---

[526] -نفس المرجع، ص 120.

[527] -Hugh A. Dempsey، 1972، ص 134.

[528] -Ogden Tanner، 1981، ص 179.

[529] -Mark Diedrich، 1998، ص 120.

الحملة جميعهم كان الزعيم تجسيداً للعدو، وقد كتب عنه صحفي في صحيفة شيكاغو تايمز:"لا يهمني ما يقال عن كون "الثور الجالس ليس محارباً، فإذا لم يكن لديه سيف، فإن لديه على الأقل نفوذ محمد السحري على قبائل المحاربين الخشنة المحيطة به، الجميع يتحدثون عن "الثور الجالس"، وسواء كان زعيماً صورياً، أو مثلاً أعلى، أو لغزاً غير مفهوم، فلا شك في قوة حضوره، ومجرد اسمه مؤثر بقوة"[530].

حاول "الثور الجالس" الحصول على محمية في كندا ولكن الحكومة رفضت طلبه هذا، كما حاول المفتش ولش إقناعه بإيقاف هجمات قومه والاستسلام للأمريكيين، إلا أن الزعيم رفض ذلك، ومع هذا فقد كان المفتش معجباً به، وتطور الإعجاب ليصبح صداقة، ولكن المسئولين الكنديين لم يرتاحوا لذلك ووجدوا فيه تشجيعاً "للثور الجالس" على الاستمرار في المقاومة، ولهذا تم نقل وولش في يوليو/ تموز/ جويلية 1880 من حصن وولش إلى حصن كيبيل Qu'Applle الذي يبعد 160 ميلاً، كما تم إيقاف جميع المساعدات الغذائية إلى "السو"[531].

530- Robert M. Utley، 1994، ص 210.

531- Ogden Tanner، 1981، ص 179.



"الثور الجالس" لوحة من موقع AllPosters.com[532]

إلا أنه يجب الحذر عند وصف هذه العلاقة بكونها صداقة، ففي الوقت الذي كان فيه "الثور الجالس" يبدي ثقته بالمفتش،

532 - http://www.allposters.com/-sp/Sitting-Bull-1834-1890-Posters_i8674187_.htm

كان وولش ينصح حكومته بعدم منح محمية للهنود، لا بسبب كون زعيمهم عنصراً شريراً بل لأنه "أكثر الهنود الأحياء دهاء وذكاء، له طموح نابليون، وشجاع إلى حد الإفراط، في الحرب لا نظير له، وفي المجلس هو أسمى الجميع، إن ما أخشاه أن يكون طموحه أكبر من أن يتركه يعيش مستقراً وقانعاً بحياة لا أهمية لها"[533]، وهذه صورة نموذجية من "صداقة" المسئولين الغربيين، الذين لا يمنعهم الإعجاب بنظرائهم من الاهتمام بمصالح بلدانهم مع إظهار الود والصداقة المجانية التي لا أثر عملياً لها، (وكثيراً ما وقع المسئولون العرب والفلسطينيون في أفخاخ "الصداقة" هذه وقدموا من التنازلات التي كان "أصدقاؤهم" الغربيون يستغلونها أسوأ استغلال ويمتنعون عن تقديم شيء مقابلها)، وبعد مغادرة المفتش حصن وولش وذهابه إلى الحصن الجديد مُنح إجازة مرضية ليعود إلى بيته في أونتاريو.

مر "الثور الجالس" بحزن شديد في تلك الفترة، فها هو مأواه الأخير الذي ظن يوماً أنه يستطيع الحياة فيه حراً يُسحب من تحت رجليه شيئاً فشيئاً، وصار يتنقل من مكان إلى آخر باحثاً عن مأوى وحاملاً شكواه إلى كل من يجد لديه أذناً تسمع، وكان المفتش الجديد في حصن وولش معادياً له، وأخبره كثيراً أنه لم يعد هناك أي طعام لقومه، وبالرغم من أن الجوع والمرض والبؤس دفعوا كثيراً من قومه للتخلي عنه والتوجه نحو الولايات المتحدة للاستسلام، فإنه كان مصمماً على الاستمرار، وحاول ثني الراغبين في الاستسلام عن عزمهم بقوة، ولكنه لم يفلح، فما

---

[533] -Mark Diedrich، 1998، ص 121.
-Ogden Tanner، 1981، ص 172.

أن جاء صيف 1880 حتى لم يعد حوله سوى 100 خيمة معظم أصحابها من أقربائه وكبار السن[534].

عمل المفتش الجديد على تحطيم زعامة "الثور الجالس" تمهيداً لدفع بقية أتباعه نحو الاستسلام، وحاول الزعيم الاستعانة "بصديقه" وولش قبل اتخاذ قرارات جديدة (كثيراً ما علق المسئولون العرب آمالهم "بصداقات" شخصية مع المسئولين الغربيين أو الصهاينة ظانين أن فلان يمكن أن يمنحهم أكثر من علان دون التفكير بأن ما يحكم الاثنين سياسات عليا وليست صداقات شخصية)، وقيل له إن وولش لن يعود، وكان ذلك في 23 نوفمبر / تشرين الثاني 1880، وقد أشار المفتش الجديد إلى أن الزعيم يحاول تأجيل عملية الاستسلام قدر استطاعته، ولكنه لما سمع من "صديقه" وجوب استسلامه قرر أن "يصنع سلاماً" مع هذا العرق "العجيب والمتوحش" على أساس ضمانات بحسن المعاملة، ولكنه ظل متردداً ويحاول البقاء في كندا بالاستعانة بوولش أيضاً ولكنه لم يتمكن من العثور عليه في حصن كيبيل حيث وصل في 28 إبريل/ نيسان/ أفريل 1881 مع أقل من أربعين عائلة للمطالبة بمنحه محمية في كندا ولكن السلطات رفضت ذلك رفضاً قاطعاً[535] ولم يتمكن من الحصول سوى على بعض المؤن مقابل بعض غنائم الهنود من معركة القرن الصغير، وفي هذا المكان انفجر الزعيم حزناً قائلاً:"لقد تخلوا عني"[536].

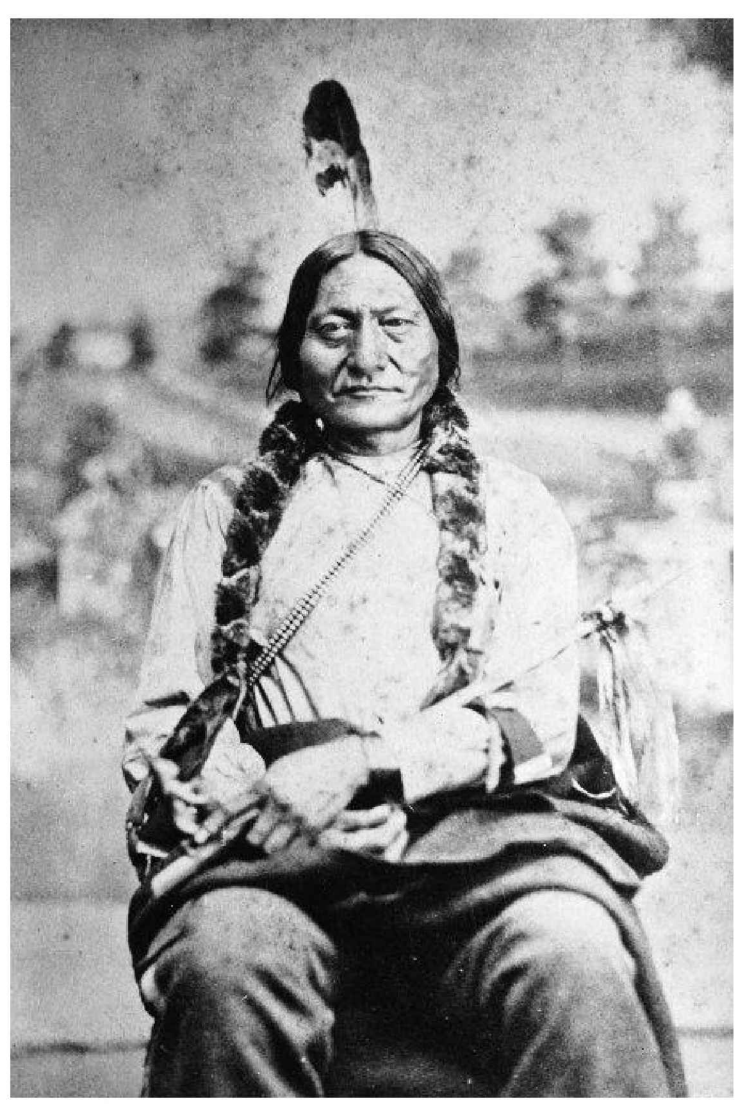
---

[534] -Ogden Tanner، 1981، ص 179 و181.

[535] -Stanley Vestal، 1980، ص 226.

[536] -Mark Diedrich، 1998، ص 122-124.

-Ogden Tanner، 1981، ص 181.



"الثور الجالس" سنة 1881، ومن المرجح أنها أقدم صورة التقطت للزعيم

وفي الأشهر التالية سيتبين مدى قدرة أو عجز الطرف الأضعف في معادلة "عملية السلام" على تحقيق مطالبه والحصول على "السلام العادل الشامل"، وفي هذه الفترة اكتشف "الثور الجالس" حقيقة موقف المفتش وولش الذي كان يظهر الصداقة، فتساءل في 25 مايو/ أيار/ ماي 1881 عن سبب عجلته في دفع الهنود نحو الاستسلام للأمريكيين وترك مقامهم في كندا في الوقت الذي كان فيه وولش نفسه قادماً إليها مما وراء البحار لجمع المال، فلماذا يريد تنحية "الثور الجالس" عنها؟ لقد وافق الزعيم على إرسال مبعوثين للتحقق من معاملة الهنود على الجانب الأمريكي، وذلك بسبب علمه بوجود مكافأة سخية رصدت لرأسه ووصلت إلى عشرين ألف دولار[537]، وهو مبلغ كبير جداً في تلك الأيام التي كان يرصد فيها خمسة آلاف دولار للقبض على أخطر المجرمين أما المجرمون العاديون فكان يرصد للقبض عليهم 500 أو ألف دولار، وقليلاً جداً ما ارتفع الرقم إلى تلك المكافأة المرصودة لقتل الزعيم الهندي الذي وافق أيضاً على العودة إلى الولايات المتحدة ولكنه غيّر رأيه فيما بعد وهو يريد تكوين محكمة من عشرة كنديين وعشرة أمريكيين وعشرة من قومه وعشرة من هنود كندا وعشرة من القساوسة الكاثوليك بالإضافة إلى المولدين لينظروا من هو المخطئ في هذه المباحثات في الوقت الذي يعلم هو سبب دفعه للعودة إلى الولايات المتحدة حيث رصدت الجوائز لقتله وأصبحت جثته تساوي ذهباً.

[537] -Stanley Vestal، 1980، ص 226.

وفي مباحثاته مع الزعيم للحصول على موافقته على الاستسلام للأمريكيين، لم يخف مفوض الشئون الهندية الكندي إدغر دويدني Edgar Dewdney إعجابه بعناد "الثور الجالس"، ولكنه مثل وولش من قبله ومثل كل السياسيين في الغرب لم يجعل هذا الإعجاب مؤثراً في قراراته فبين لرؤسائه أن استسلام الهنود لا يمكن تحقيقه إلا بدفعهم نحو المجاعة الحقيقية[538].

وفي النهاية قرر "الثور الجالس" العودة إلى الولايات المتحدة بعد تمنعه حتى اللحظة الأخيرة رغم الضعف والإنهاك، وإذا عُرف السبب بطل العجب، لقد كان جوع قومه هو الذي دفعه إلى الاستسلام وليس الهزيمة أمام الجيش الأمريكي، وذلك وفقاً لأحد أبناء قبيلته المشهورين والذي عاصر الأحداث[539]، أما السبب المباشر لقراره فهو أنه قد وصلته أنباء القبض على ابنته لدى وصولها إلى حصن بافورد Buford (الخريطة المرجعية رقم 2) فحزن حزناً شديداً وصرخ:"هكذا إذن؟ هل يشنون الحرب على فتاة ضعيفة ومسكينة؟ سأذهب إليها وأقتل آسريها، وسأموت إلى جانبها"، وبعد قليل قال لمن تبقى من أتباعه:"أبنائي، تعلمون أن البيض حاولوا كثيراً إعادتي جنوباً ليسعدوا بذلك، ولكني رفضت مراراً، والآن أخذوا ابنتي، فتاة ضعيفة بلا قوة تدافع عن نفسها، لقد وضعوا الحديد في يديها ورجليها، وأخيراً أصبح عليّ الذهاب جنوباً، إن عليّ أن أتبعها، وأتمنى أن أجدها وأن أقتل من أساءوا إليها، ولا أريدكم أن تذهبوا معي، سأذهب وحيداً وأتحمل ما يصيبني"، ولكن

---

538 - Mark Diedrich، 1998، ص 125-127.

539 - Charles A. Eastman ، 1997، ص 55.

محاربوه أصروا على الذهاب معه فقال لهم:"أصدقائي، لقد مكثتم معي طويلاً، وإذا كنتم تريدون الذهاب لا أستطيع منعكم، ولكن الطريق حالك وخطر، ولا أدري إلى أين يقود"[540].

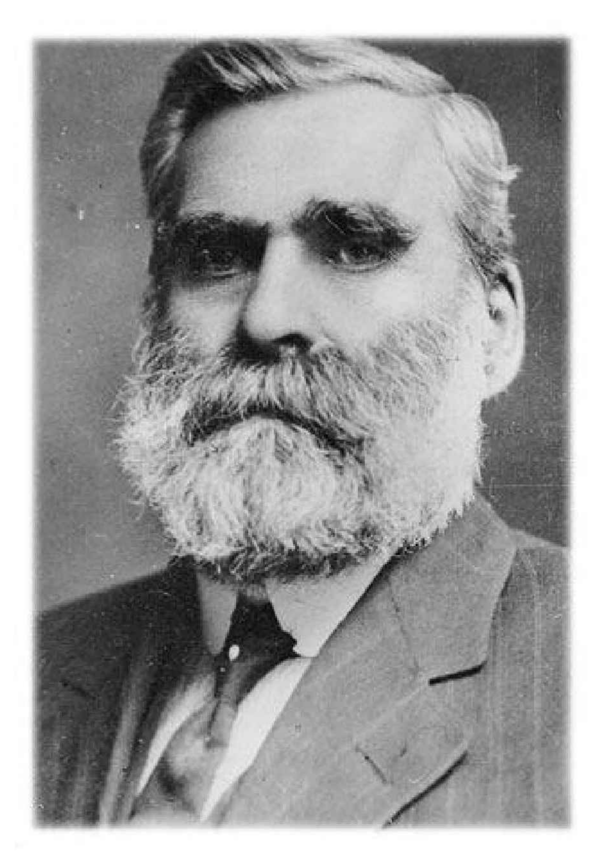
العودة إلى الوطن والاستسلام

أوكل الزعيم عملية عودته إلى الولايات المتحدة إلى أحد التجار الذي توسم فيه الصدق والأمانة والمساعدة وهو جان لويس لاجاري Jean Louis Legare، ولكنه تردد كثيراً أثناء العودة، وتراجع عن قراره لأنه كان يريد التأكيد على أن عودته تمت بقرار حر الإرادة وليس نتيجة أسر أو اعتقال، كما أعلن أنه سيقاتل لو حاول الجيش اعتقال قومه[541]، وكان الارتباك واضحاً في تلك اللحظات التي يبدو أن الزعيم وجدها لا تناسب شخصه ولا تاريخه ولا مبادئه، وقد قرر البعض من أتباعه البقاء في كندا كما فعل ذلك بعض أفراد قبيلة "الأنوف المخرومة" التي كانت قد لجأت إلى مخيم الزعيم قبل سنوات أربع.

---

540 -Mark Diedrich، 1998، ص 128.

541 -نفس المرجع، ص 129.



التاجر جان لويس لاجاري (1841-1918) كان محل ثقة "الثور الجالس"



ترحيل الهنود الذين استسلموا إلى وكالة الصخرة الواقفة (خريطة رقم 6-ج) في ربيع 1881 (Montana Historical Society)

قاد "الثور الجالس" 185-187 من أتباعه وعبر الحدود ووصل حصن بافورد في داكوتا (الخريطة المرجعية رقم 2) في يوم 19 يوليو/ تموز/ جويلية 1881[542]، وفي طريق

[542] -Benjamin Capps، 1982، ص 211.

العودة انتهز الزعيم فرصة اللقاء بالجيش الأمريكي للسؤال عن ابنته، فأكد له الكابتن والتر كليفورد أنها لم تقيد، ولكنه استنتج أن "الثور الجالس" أكثر الزعماء الذين قابلهم عناداً وغطرسة[543]، وعند الوصول إلى حصن بافورد لاحظ ضابط هو الكولونيل وليام بوين William H. C. Bowen أن الزعيم "لا يبدو في حالة جيدة، ويظهر على وجهه وجسده آثار الهم والجوع اللذين مر بهما، كان متقدماً في السن، لقد ظل منذ الستينيات بطل قومه، وأصبح الاستسلام إلى البيض الذين يمقتهم والتخلي النهائي عن استقلاله العزيز إلى نفسه، ضربة قاصمة لكبريائه، وقد تلقاها بصعوبة، لقد أصبح محطماً"[544].

ويعلق مؤرخ على ذلك بقوله: "ربما كانت قوته هي المحطمة، ولكن ليس قلبه الفخور"[545]، ففي حديثه إلى الميجور دافيد برذرتون David Brotherton المسئول في الحصن قال الزعيم: "اليوم عدت إلى وطني، إن الأرض التي تحت قدمي هي لي مرة أخرى، وأنا لم أبعها، ولم أعطها لأحد قط، وإذا كنت قد غادرت التلال السوداء قبل خمس سنوات فإن ذلك كان لأجل أن تنشأ عائلتي بهدوء، وكان قانون المرأة الكبيرة (الملكة فكتوريا) أن يكون كل شيء هادئاً في ذلك المكان، ولكني كنت أفكر دائماً بالعودة إلى هذه الأرض، وعندما كان

-Ogden Tanner، 1981، ص 181.
-Stanley Vestal، 1980، ص 232.
-دي براون، 1982، ص 308.
543 -Mark Diedrich، 1998، ص 138.
544 -نفس المرجع، ص 138.
-Benjamin Capps، 1982، ص 211.
-Stanley Vestal، 1980، ص 232.
545 -Benjamin Capps، 1982، ص 211.

(التاجر) ليجار يعيد أصدقائي، سمعت أن إحدى بناتي معه، فقررت العودة معه إلى هذا الحصن، والآن أنا أريد أن أعقد صفقة محكمة مع "الجد" (الرئيس الأمريكي)، وأريد شهوداً عليها من الطرفين، بعض الإنجليز وبعض الأمريكيين"[546].

سلم الهنود أسلحتهم التي بيعت في المزاد أو احتفظ بها الجنود تذكارات (مازال الجنود الأمريكيون يجمعون التذكارات في كل عمليات العدوان التي يقومون بها إلى اليوم)، كما سلمت الجياد ثم بيعت، احتفظ الزعيم ببندقيته لتسلميها إلى آمر الحصن رسمياً في اليوم التالي، وقال لابنه "قدم الغراب": "بني، إذا عشت، فلن تستطيع أن تكون رجلاً في هذا العالم أبداً، لأنه لا يمكنك أن تحوز بندقية وجواداً"، ويشدد مؤرخ سيرة الزعيم على قوله لابنه: "إذا عشت"[547]، كما ألف أنشودة تعبر عن واقعه: "محارباً كنت، والآن، مضى كل شيء، أمر الآن بوقت عصيب"[548].

وشرح الزعيم سبب عودته واستسلامه بالقول: "أستحق اهتمام الحكومة و"الأب الأعظم"، لكوني لم أتلق حتى الآن قبضة طعام من السلطات الأمريكية، لقد جئت واستسلمت لإرادة الحكومة، ليس خضوعاً لرغبتي بل لأن نسائي وأطفالي يجوعون، لقد كذب جميع البيض عليّ"[549].

---

[546] -نفس المرجع، ص 211.

-Stanley Vestal، 1980، ص 232.

-Mark Diedrich ، 1998، ص 138.

[547] -Stanley Vestal، 1980، ص 232.

[548] -Mark Diedrich ، 1998، ص 138.

-دي براون، 1982، ص 234.

[549] -Mark Diedrich، 1998، ص 137.

وفي يوم التالي (20) قام "الثور الجالس" بتسليم سلاحه رسمياً إلى ممثل الحكومة الأمريكية وهو مسئول الحصن برذرتون، ولم يسلم هذا السلاح بنفسه بل أعطاه لابنه "قدم الغراب" ليسلمه، وقال كلاماً مهماً في هذه المناسبة لأنه سيختبر به حقيقة نوايا التمدين الأمريكية:"إنني أسلم هذه البندقية إليك بواسطة ابني الصغير الذي أريد بذلك أن أعلمه أنه أصبح صديقاً للأمريكيين (رغم هذه المبادرة سيقتل الأمريكيون "الثور الجالس" وابنه فيما بعد في نفس الوقت كما قتل الصهاينة الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات الذي قدم مسدسه للرئيس الأمريكي بيل كلنتون بمناسبة اتفاق أوسلو 1993)، أنا أتمنى له أن يتعلم عادات البيض وأن يصبح متعلماً كأبنائهم المتعلمين.

"وأتمنى كذلك أن يُذكر أنني كنت الرجل الأخير الذي سلم سلاحه من قبيلتي، لقد أعطاكم إياها هذا الصبي، وهو يريد الآن أن يتعلم كيف يكسب عيشه، ومهما كان عليكم أن تقولوه أو تمنحوه، أحب سماعه وتلقيه الآن، ولا أريد أن أبقى في الظلام مدة أطول، لقد أرسلت كثيراً من المبعوثين إلى هنا من فترة إلى أخرى ولكن لا أحد منهم جاءني بخبر، أما الزعماء الآخرون...فلم يريدوني أن آتي، وأنا لم أتلق أخباراً سارة من هنا، أنا أريد أن يسمح لي بالحياة على هذا الجانب من الحدود أو على الجانب الآخر كما أراه ملائماً، وأتمنى أن أستأنف حياة الصيد القديمة، ولكني أريد أيضاً أن يسمح لي بالتجارة على جانبي الحدود.

"إن هذه البلاد بلادي، ولا أريد أن أُجبر على التخلي عنها، إن قلبي حزين جداً لمغادرتي بلاد "الجدة" (الملكة البريطانية)، لقد كانت صديقة لي، ولكني أريد أن ينشأ أطفالي في أرضهم

الأصلية، وأريد أن أشعر أن بإمكاني متى شئت زيارة صديقين على الجانب الآخر من الحدود، الميجور وولش والكابتن مكدونيل، وأريد كذلك أن أتاجر مع لويس لاجاري لأنه كان دائماً صديقاً لي، وأريد أن يعيش كل قومي معاً في محمية لنا على نهر الميسوري الصغير، لقد تركت كثيراً من العائلات (في كندا)، وأريد أن يجتمعوا مع أولئك الذين ذهبوا إلى محمية "الصخرة الواقفة" في مكان واحد، لقد كان كثير من قومي أشراراً في الماضي، ولكنهم أصبحوا أخياراً الآن بتسليم أسلحتهم وجيادهم (اعتنق الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات نفس الرأي عندما تخلى تحت الضغط الشديد عن سلاح المقاومة واصفاً ماضيه بالإرهاب ولن تكون النتائج البعيدة مختلفة في الحالتين).

"إنكم تملكون هذه الأرض معي، وعلينا أن نحاول مساعدة بعضنا البعض (مثل قبول حل الدولتين والجوار المشترك في تاريخ القضية الفلسطينية)، ولا أريد ان أغادر هنا قبل أن يجتمع قومي، وأريد أن أحصل على ابنتي وهي حالياً في حصن آخر، أرسلوها إلى هنا لزيارتي،.....".

افتخر الصحفيون الحاضرون بخطاب "الثور الجالس" الذي قدم مثالاً على موقف رجل عظيم في مناسبة كهذه كما يقول مؤرخ سيرته[550]، ولكن كان رد الصحافة الأمريكية على مطالب الزعيم رداً متغطرساً وانتقامياً، فقالت إنه بهذه المطالب ينسى الأذى الذي ارتكبه، وأنه سيكون محظوظاً لو أفلت من الاتهامات والمحاكمات على جرائمه[551].

---

[550] -Stanley Vestal، 1980، ص 233.

[551] -Mark Diedrich، 1998، ص 139.

منذ البداية اعترض الزعيم على أية نية لحشره وقومه في حياة كالزرائب، وقال إنه أمر كريه للشباب أن يقوم الوكيل بإطعامهم ليصبحوا بعد ذلك كسالى وسكارى، ولاحظ أن جميع الهنود في الوكالات عديمو القيمة، فلا هم محاربون كالهنود ولا هم مزارعون كالبيض (وهي نفس الملاحظة التي انطبقت على كل مكان حل فيه الاستعمار ولم يدخل الأهالي فيه ضمن جنته الموعودة وتركهم مقطوعي الجذور دون ربطهم بجذور بديلة)، وفي هذه الأثناء تعرض الرئيس الأمريكي جيمس جارفيلد إلى محاولة اغتيال ألزمته الفراش لأسابيع قبل أن يموت، ولما سئل "الثور الجالس" عن رأيه في ذلك أجاب بسخرية لاذعة إنه لو كان الدافع للاغتيال هو عدم معاملة الهنود بإنصاف فهو عمل جيد[552].

وكان الاتفاق أن يسلم الزعيم سلاحه مقابل العفو عن ماضيه، وأن يحصل على مأوى ومؤن، وفهم أنه سيحصل على محمية في إقليم الميسوري، ولكن قومه أُرسلوا إلى وكالة الصخرة الواقفة وكان من المفترض أن يلحق بهم، وسر على كل حال لطمأنته على وضع ابنته، وفي يوم 29 يوليو/ تموز/ جويلية 1881 أقلعت السفينة "الجنرال شيرمان" إلى وكالة الصخرة الواقفة وهي تقل الزعيم وقومه في رحلة لمدة ثلاثة أيام.

ولكبح آمال الهنود الذين كانوا يفكرون بالانضمام إليه في كندا، أرسلت برقيات لجميع وكالات "السو" في المحمية تعلن استسلامه، والأهم من ذلك أن المستوطنين على الحدود في

---

552 -نفس المرجع، ص 140.

داكوتا ومونتانا تنفسوا الصعداء واستؤنفت الهجرة إلى مقاطعة ساسكاتشوان الكندية[553] (تماماً كما تضاعف الاستيطان في الأراضي الفلسطينية بعدما سلمت المقاومة سلاحها ودخلت اتفاق السلام في أوسلو 1993).



توزيع المؤن والمساعدات الأمريكية على "السو" في المحمية بعد فقدانهم وسيلة معيشتهم المستقلة (National Anthropolpgical Archives, Smithsonian Institution).

أسير الحرب

خلافاً للوعود التي قطعت للزعيم، لم يُسمح له بالانضمام إلى قومه وأرسل إلى حصن راندال القريب من الحدود بين داكوتا الجنوبية ونبراسكا (الخرائط المرجعية 1 و 2 و3) بصفته

---

[553] Stanley Vestal، 1980، ص 233-234.

أسير حرب حيث احتجز لمدة سنتين وبهذا تم خداعه كما توقع وكا حدث لجوزيف زعيم "الأنوف المخرومة" من قبله (1877)، ورغم ذلك يقول مؤرخ سيرته إن حاله في أثناء الاحتجاز لم تكن تبعث على الشكوى كثيراً، فقد أحبه سجانوه وأعجبوا به، وسمحوا له بإدارة مخيمه، وبمقابلة زعماء قبيلته الذين كانوا يأتون لأخذ مشورته، كما أنه تلقى سيلاً من الرسائل والمقابلات من كل جهات العالم تعبر عن الإعجاب والتأييد[554].

وفي أثناء هذه الفترة عبر الزعيم في أكثر من مناسبة عن رغبته في الحياة كالبيض وطلبه أن يزود بما يلزم للحياة الجديدة كمستلزمات الزراعة والمعلمين والتجار والحدادين لأنه لا يريد أن يكون قومه عالة على المساعدات، ولم يفته أن يلاحظ أن المدارس تجعل أبناء قومه ليسوا هنوداً ولا بيضاً كما أن وضع النساء في الحضارة الجديدة يحيط به الإبهام بعدما كانوا عماداً في الحياة الهندية[555].

وبعد سنتين (1883) رضخت الحكومة الأمريكية للضغوط التي كانت تطالب بالإفراج عن "الثور الجالس" وإعادته إلى قومه في وكالة الصخرة الواقفة على الحدود بين داكوتا الشمالية وداكوتا الجنوبية (الخريطة المرجعية رقم 2) وحيث حصن ييتس Yates (الخريطة المرجعية رقم 3)، ولكن الوكيل الحكومي هناك واسمه جيمس ماك لوفلين James McLaughlin أو "الشعر الأبيض" كما يسميه الهنود، كان لديه أولوية بتحطيم نفوذ الزعيم والقضاء على زعامته[556].

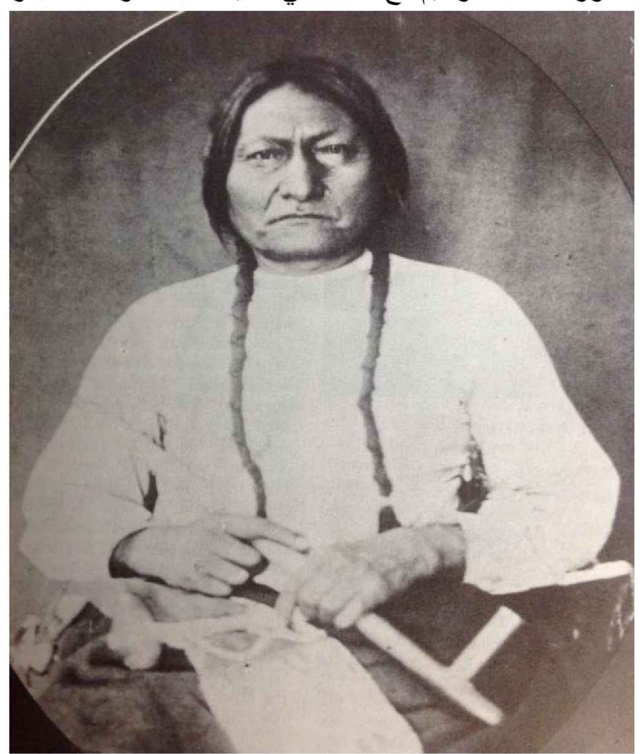
---

554 -نفس المرجع، ص 237.

555 -Mark Diedrich، 1998، ص 142-149.

556 -نفس المرجع، ص 149.


صور التقطت للزعيم مع عائلته في مخيمه أثناء فترة الاحتجاز


الثور الجالس (1882) (Smithsonian Institution)

-Stanley Vestal، 1980، ص 238.



صورة التقطت للزعيم أثناء فترة الاحتجاز (حوالي 1882) ثم صارت تباع بتوقيعه أثناء تجواله فيما بعد مع استعراض صديقه بافالو بيل في منتصف الثمانينيات بصفته شخصية مشهورة

photo: Cowan's Auctions

Read more at:

http://indiancountrytodaymedianetwork.com/2015/06/12/sitting-bull-life-photos-160705



الزعيم وعائلته أثناء الأسر 1883: والدته واسمها "بابها المقدس" تجلس يساراً وأخته "جياد كثيرة" وابنها تجلس يميناً وزوجتاه "الأثواب الأربعة" و"من شاهدتها الأمة" واقفتان في الخلف

via The William F. Cody Archive/McCracken Research Library, Buffalo Bill Center of the West

الانتقال إلى حياة المقاومة السياسية : الهندي الأخير



حصن ييتس حيث عاد "الثور الجالس" إلى موطنه



مركز وكالة الصخرة الواقفة

في الوقت الذي كان فيه "الثور الجالس" محتجزاً كانت الحكومة الأمريكية تقوم بمحاولات جديدة للاستيلاء على مزيد من أراضي "السو" الذين لم يعد لديهم سوى مساحة صغيرة من أراضيهم الأصلية، وعندما كان الزعيم في الإقامة الجبرية توافد عليه سنة 1882 ممثلون من كافة وكالات المحمية

لمعرفة رأيه فيما يجب فعله تجاه مشاريع الحكومة، فطلب إليهم عدم الموافقة على بيع أي جزء من أرضهم.

كان هدف الحكومة هو الاستيلاء على نصف المحمية فلجئت إلى وسائل الغش والخداع لتحقيق هذا الهدف وذلك حين أرسلت لجنة لإقناع الهنود بتقسيم المحمية بين العشائر لتعرف كل عشيرة المساحة التي تخصها، وإذا تمت الموافقة على هذا التقسيم، فإن "الأب الأعظم" في واشنطن سيعطي أبناءه الهنود 25 ألف بقرة وألف ثور.

ولم توضح اللجنة أن التقسيم المقترح ليس مجرد رسم حدود بين العشائر المختلفة، بل هو تقليص أرض كل عشيرة حول وكالتها لتكون النتيجة في النهاية تخلي الهنود عن نصف المحمية وجعلهم جزراً صغيرة متفرقة في محيط الاستيطان الأبيض، وقد كانت هذه الحيلة تقليدية في معاهدات الولايات المتحدة مع السكان الأصليين، إلا أن الهنود رفضوا هذه المرة ولم يقبلوا بالتوقيع، فقد علمتهم التجارب أن التوقيع على هذه الأوراق المشئومة يفقدهم أرضهم، فلجئت اللجنة إلى وسائل حقيرة لإجبار الهنود على التوقيع، وكان من اللازم حسب معاهدة 1868 الحصول على تواقيع ثلاثة أرباع رجال القبيلة ليصبح التنازل شرعياً وسارياً، فهددت اللجنة بأنه إذا لم يوقع الهنود فلن يحصلوا على المساعدات السنوية المضمونة لهم وفقاً لمعاهدات سابقة ولكنها الآن أصبحت أداة تهديد، وسيطردون من المحمية كلها ويُرحلون إلى المقاطعة الهندية جنوباً، كما جعلت اللجنة أطفالاً في السابعة يوقعون على التنازل رغم عدم شرعية هذا السلوك، واستخدم التبشير كذلك في تخويف الهنود من غضب الرب إذا لم يوقعوا، وفي النهاية استند الكونجرس

إلى هذه التواقيع وأصدر في بداية سنة 1883 قانوناً يسلب بموجبه نصف محمية "السو"، ولما أثار المعارضون في العاصمة شكوكاً حول شرعية التواقيع المجموعة أرسلت الحكومة لجنة تحقيق برئاسة السناتور "الإنساني" و"صديق الهنود" هنري دوز Henry Dawes الذي سيضع مستقبلاًقانون التحصيص الذي سيسلب معظم ما ضمنته المعاهدات من أراضي محميات الهنود.

أطلق سراح "الثور الجالس" قبل وصول لجنة التحقيق وتم نقله إلى وكالة الصخرة الواقفة المخصصة لعشيرته الهنكبابا، وكانت اللجنة تعلم أن مهمتها لن تسير في صالح الاستيلاء على الأرض مادام هذا الزعيم يحتل مكانة مهيبة بين قومه وله نفوذ واسع، فحاول أعضاء اللجنة تجاهله وإعطاء غيره اهتماماً أكبر من أحجامهم وذلك بالسماح لهم بالحديث أولاً، وفي نهاية المطاف قال السناتور دوز للمترجم: "إسأل "الثور الجالس" إن كان لديه ما يقوله للجنة"، فأجاب الزعيم: "طبعاً سأتحدث إذا رغبتم بذلك، أعتقد أنه لا يجب أن يتكلم إلا الأشخاص الذين تريدون منهم أن يتكلموا".

رد السناتور دوز في محاولة للتقليل من شأن الزعيم: "اعتقدنا أن الهنود سيختارون رجالاً يتحدثون باسمهم، ولكن سيسرنا أن نستمع إلى "أي شخص" يرغب في الكلام، أو أي شخص يرغب الهنود أن يتكلم باسمهم، هذا إذا كان لديه ما يقوله".

فرد عليه "الثور الجالس": "هل تعرفون من أنا حتى تتحدثوا إليّ بهذه الطريقة؟" ذلك أنه أدرك ما تريده اللجنة من انتقاص

أمره، فقال دوز: "أعرف أنك "الثور الجالس" وإذا كان لديك ما تقوله فسوف يسرنا الاستماع إليك".

-هل تميزونني؟ هل تعرفونني؟

-أعرف أنك الثور الجالس.

-تقول إنك تعرف أني "الثور الجالس"، ولكن هل تعرف المركز الذي أتبوأ؟

-لا أعرف بوجود أي فارق بينك وبين الهنود الآخرين في هذه الوكالة.

-أنا هنا بإرادة الروح العظمى، وبإرادتها أنا الزعيم، قلبي أحمر وعذب، وأنا أعرف أنه عذب، لأن كل ما يمر بالقرب مني يمد لسانه لي، ومع ذلك فها أنتم أيها الرجال تأتون إلى هنا للتحدث إلينا وتقولون إنكم لا تعرفون من أنا، وأريد أن أقول لكم إنه إذا كانت الروح العظمى قد اختارت أحداً ليكون زعيماً لهذا البلد فهو أنا.

-مهما تكن السلطة التي جئتنا بها اليوم فنحن نطلب إليك التحدث إلينا إذا كنت ترغب في ذلك وسنصغي إلى ما تقوله، وإلا فإننا سنفض هذا الاجتماع.

-أجل، هذا حسن، لقد تصرفتم كرجال يشربون الويسكي، وقد جئت إلى هنا لأعطيكم بعض النصح.

ثم أشار الزعيم إلى جميع الهنود ليقوموا ويتركوا الاجتماع ويلحقوا به، وكان الهنود يريدون الاحتفاظ بأراضيهم بأية طريقة، فحاولوا إقناع الزعيم بتليين موقفه من اللجنة لأنها لم تأت للاستيلاء على أرضهم بل جاءت لمعرفة الحقيقة عن ممارسات اللجنة السابقة التي سرقت أرضهم، وبالفعل أرسل

"الثور الجالس" إشارة لأعضاء اللجنة تفيد برغبته بالاجتماع بهم ثانية، وفي هذا الاجتماع التالي تكلم بأدب وقال:
-أنا هنا لأعتذر لكم عن سلوكي السيء، ولأتراجع عما قلته، وأنا أتراجع عنه لأني أعتقد أني جعلت قلوبكم في حالة سيئة... إن ما أتراجع عنه هو ما قلته وتسبب في جعل الناس يغادرون الاجتماع، وأريد الاعتذار لمغادرتي أنا المكان بالذات...والآن سأقول لكم ما بذهني وسأقول لكم كل شيء مباشرة وبصراحة، أعرف أن الروح العظمى تراقبنا الآن من عل وسوف تسمع ما أقول، ولذا سأبذل جهدي للتحدث بصراحة، وآمل أن يصغي إلى رغباتي شخص ما ويساعدني على تنفيذها.
وبعدما تحدث عن الوعود المنكوثة، وضع اللجنة أمام محاولة صادقة للتفاهم تحقق ما ادعى الرجل الأبيض أنه هدفه بتمدين الهنود وجعلهم يعيشون بتحضر كالبيض تماماً:
-إذا خسر شخص ما أي شيء وعاد ليبحث عنه باهتمام فسيجده، وهذا ما يفعله الهنود الآن حين يطلبون إليكم أن تعطوهم ما وعدتم به في الماضي، ولا أظن أنه يجب أن يعاملوا كالوحوش، وهذا هو السبب في أن مشاعري قد أصبحت على ما هي عليه...لقد أرسل لي الأب الأعظم (أي الرئيس الأمريكي) يقول إنه مهما كان لديه ضدي في الماضي فقد غفره لي الآن ورماه جانباً، وإنه لن يحمل عليّ أي شيء في المستقبل، وقد قبلت وعوده، كما قال لي ألا أبتعد عن طريق الرجل الأبيض، وقد قلت له إني لن أفعل ذلك وأنا أحاول جهدي الآن أن أسير على هذا الطريق، أشعر أن بلدي قد أصبح ذا سمعة سيئة وأريد له سمعة جيدة، وقد كانت له سابقاً سمعة جيدة، أجلس أحياناً وأتساءل عمن يكون قد منحه تلك السمعة السيئة.

ثم وصف الزعيم حالة الهنود البائسة وأوضح أنهم لا يملكون شيئاً مما يستعمله البيض في حياتهم، وإذا كان عليهم أن يعيشوا كالبيض فإنهم يطلبون الآن الماشية والعربات وسائر الأدوات "لأن تلك هي الطريقة التي يعيش بها البيض".

وبهذا وضع "الثور الجالس" اللجنة والحكومة أمام المسئوليات التي طالما ادعاها الرجل الأبيض وأكد حرصه على تحقيقها، فقد كانوا يدعون أنهم يعملون على تمدين السكان الأصليين وانتشالهم من حياتهم البدائية ونقلهم من الوحشية والبداوة إلى الاستقرار والمدنية، وها هو زعيم الهنود يعلن قبوله هذا العرض الذي لا يمكن تحقيقه في الفراغ، فليزودهم الرجل الأبيض بوسائل هذه المدنية ومستلزماتها التي يتحدث عنها.

لا شك أن عرض الزعيم كان فرصة سانحة لو كانت الحكومة صادقة في ادعاءاتها ولو كان "صديق" الهنود ورئيس اللجنة هنري دوز صديقاً حقيقياً لهم، إذاً لقبل باعتذار "الثور الجالس" بكل هدوء وتلقف عرضه بكل سرور، كيف لا وهو الآن يقدم عرضاً يمكن أن يضع نهاية للعداء والعنف بين الطرفين ويمهد السبيل لانتشار المدنية البيضاء بين السكان الأصليين، وهي بلا شك فرصة أيضاً لاختبار نوايا الهنود الذين طالما وُصفوا بالعناد وعدم قبول التغيير.

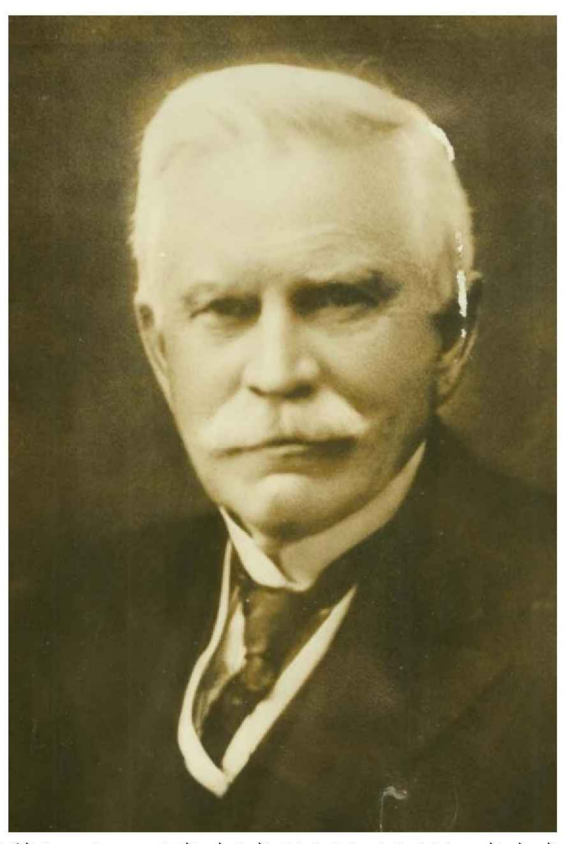
ولكن رد اللجنة كان مختلفاً، فقد قام السناتور جون لوجان John Logan بتوبيخ الزعيم على تصرفاته في الاجتماع السابق ثم بدأ بتوجيه الإهانات التي تفصح عن درجة تمدن قائلها: "أريد أن أقول أيضاً إنك لست زعيما عظيماً من زعماء هذا البلد وإنك بلا أتباع ولا سلطة ولا سيطرة ولا حق في أية

سيطرة، أنت موجود فوق محمية هندية بسبب سماح الحكومة المكرهة على ذلك فحسب، الحكومة تطعمك والحكومة تكسوك، والحكومة تعلم أولادك وكل ما تملكه وما أنت عليه بفضل الحكومة ولولا الحكومة لكنت الآن تتجمد من البرد وتحتضر من الجوع في الجبال..."[557].

لم يكن رد اللجنة مفاجئاً لمن خبر الغطرسة التي اتسم بها تعامل الرجل الأبيض مع غيره من الناس، ولماذا يخرج الآن عن طبيعته ويتواضع؟ بل إن الفائدة التي خرجت بها اللجنة من الاجتماعات هي إدراك ما يمكن أن يؤلفه "الثور الجالس" من خطر على تنفيذ مخططات الحكومة، فتم التحضير لإزاحته من الطريق بمحاولة القضاء على مكانته بين قومه وأوكلت المهمة إلى الوكيل "ماك لوفلين" الذي كان يدعي أيضاً صداقة الهندي.

---

[557] -دي براون، 1982، ص 311-313.
-Stanley Vestal، 1980، ص 239-247.
-Mark Diedrich، 1998، ص 151-153.



جيمس ماك لوفلين (1842-1923) الوكيل الحكومي في وكالة الصخرة الواقفة منذ سنة 1882 حيث أصبح يعيش الزعيم "الثور الجالس" وقام الوكيل بمحاولات حثيثة لتحطيم مكانته إلى أن وصل الأمر لتدبير اعتقاله الذي أدى إلى اغتيال الزعيم سنة 1890 ومع ذلك كان يدعي الوكيل صداقة الهنود وحملت مذكراته (1910) عنوان "صديقي الهندي" My Friend the Indian وكون الوكيل الحكومي كان يتمتع بسلطات عسكرية وصلت رتبة ماك لوفلين إلى كولونيل وظل يترفع إلى أن مات وهو في الخدمة، وهو من أصل كاثوليكي (ويكيبيديا)

ورغم هذه الأحداث فشلت محاولة الاستيلاء على محمية الهنود لأن التحقيقات أظهرت التجاوزات التي ارتكبت في جمع التواقيع، فلم يقر الكونجرس الاتفاق والسبب الأهم في ذلك هو عدم وجود أزمة قومية كالتي صحبت اكتشاف الذهب في التلال السوداء وأدت إلى حرب 1876[558]، ولم يكن الإنسانيون الذين ضغطوا لأجل إجراء التحقيق، ضد تنازل الهنود عن أراضيهم ولا ضد برنامج الحكومة لتمدينهم ولكنهم كانوا ضد تحقيق ذلك بالوسائل غير الشرعية[559]، وهذا يؤكد لنا قصر المدى الذي يمكن أن تحققه معارضة اضطهاد السكان الأصليين في المجتمع الاستيطاني وكون هذه المعارضة محكومة بالإطار العام الذي تسير فيه عملية التوسع ولكن كل ما يطالب به ذوو النوايا الحسنة أن يتم ذلك بأقصى درجة من الشروط الملائمة، أي إذا ذبحتوهم فأحسنوا ذبحهم، ولهذا لم يستطع التوجه الإنساني دفع هذا المجتمع إلى القبول حتى بالهندي طالب التمدن والمستعد للتحضر ولم تلب مطالب الهنود بعدما حشروا في الزاوية ولم يكن لهم بديل عن التحول إلى حياة الرجل الأبيض ولكنه لم يقدم لهم ما يساعدهم على هذا التحول لأن طلبه منذ البداية كان هو الحصول على أراضيهم وليس جعلهم منافسين له في مجتمعه[560] (وهذا هو حال الغرب مع كل العالم الثالث فيما بعد: الاستغلال دون الانضمام).

---

[558] -Edward Lazarus، 1999، ص 108.

[559] -نفس المرجع، ص 108.

-George E. Hyde، 1993، ص 143-144.

[560] -Roger L. Nichols، 1999، ص 169.

استندت خطة الوكيل ماك لوفلين إلى إبراز أشخاص آخرين وتقديمهم بصفتهم زعماء في التعامل اليومي وليس في اجتماع رسمي مفاجئ كما فعلت اللجنة، ولكن بدلاً من القضاء على شعبية "الثور الجالس" بين قومه، ارتفعت شعبيته بين البيض أنفسهم، وفي صيف 1883 انتهت شركة خط حديد شمال الباسيفيك من بناء الخط الذي يصل شرق القارة بغربها وقررت أن تختار زعيماً هندياً ليلقي خطاباً ترحيبياً (بمن دمروا مجتمعه!) في حفل الافتتاح، ولم يقع اختيارها إلا على "الثور الجاس" (وهذه هي مكانة صاحب الحق في بلاد الاستيطان: تحفة تزين الحفلات)، وفي يوم الاحتفال صعد الزعيم المنصة وبدأ خطاباً قال فيه: "أكره كل الناس البيض، أنتم لصوص وكذابون، لقد سرقتم أرضنا وجعلتم منا أشخاصاً منبوذين"[561] (لعل هذا الموقف يشبه موقف الشهيد عبد القادر الحسيني يوم تخرجه من الجامعة الأمريكية في القاهرة سنة 1932 حيث ألقى خطاباً حمل فيه على الجامعة والأفكار المسمومة التي تبثها في عقول الطلاب مما أدى إلى حرمانه من الشهادة لولا تظاهر زملائه انتصاراً لقضيته).

لم يكن أحد يفهم اللغة التي يتحدث بها "الثور الجالس" إلا المترجم الذي لم يكن يترجم كلامه، بل كان يأتي بعبارات ترحيب من عنده مما جعل الناس يصفقون بحماس أثناء خطاب الزعيم، فينحني هو لهم ويبتسم ثم يوجه لهم شتائم جديدة، ومن شدة حماس الناس له دعته الشركة لحضور احتفال آخر في مدينة سانت باول.

---

[561] -دي براون، 1982، ص 314.

وفي تلك الفترة وليس بعيداً من إطلاق سراحه كان الزعيم يعيش حالة من الكآبة بسبب انحدار زعامته في مقابل الزعامات العميلة المزيفة وقيام الأمريكيين كالوكيل وأعضاء اللجنة بإهانته، فمشى يوماً ثلاثة أميال حيث بعض جياده، وبينما هو يصعد تلة، سمع صوتاً قريباً من طير صغير اسمه قبرة المروج الذي كان يعده مصدراً للحكمة من بين عامة الطيور التي كان على صلة بها، وقد تكلم العصفور الصغير وقال له :"إن قومك سيقتلونك"، وهو ما سبب للزعيم الأسى ولم يستطع نسيان هذا التحذير منذ ذلك الوقت[562].



"الثور الجالس" في سنة 1884 مع غليون السلام

[562] -Robert M. Utley، 1994، ص 289-290.



الزعيم سنة 1884 في مينيسوتا أثناء تجواله مع استعراض ألن

وفي سبتمبر / أيلول 1884 قام "الثور الجالس" بجولة زار أثناءها خمس عشرة مدينة أمريكية مع استعراض ألفارن ألن Alvaren Allen الذي وعده بمقابلة الرئيس الأمريكي ليتمكن من شرح قضية قومه له، ولكنه لم يف بوعده، وبعد ذلك عرض عليه وليام كودي William Cody المعروف ببافلو بيل Buffalo Bill أن يشترك في استعراضه الشهير وهو "استعراض الغرب الموحش"، ورغم معارضة المكتب الهندي

في البداية فإن الوكيل ماك لوفلين كان يسره إبعاد الزعيم فوافق وتمنى في نفسه لو كانت الرحلة أبدية، فقد "كان رمزاً دائماً للمقاومة الهندية، ومدافعاً لا يكل عن التراث الهندي الذي كان "ماك لوفلين" مصمماً على إزالته"[563]، وخرج "الثور الجالس" في صيف سنة 1885 مع بافلو بيل وسافر عبر الولايات المتحدة وكندا مقدماً عروضاً عن الثقافة الهندية الروحية، وقد اطلعت بنفسي على ذلك في الذكرى المئوية لهذا العرض (1985) عندما زار الاستعراض الكويت وكان من ضمن عروضه محاكاة لما قدمه الزعيم قبل مائة سنة وهي صلاة روحية تستحضر مظاهر الطبيعة التي يبجلها الهنود كالرياح والجبال، وكان الزعيم يتقاضى 50 دولاراً كل أسبوع في هذه الرحلة ولكنه كان يوزع هذه الأموال بكل سخاء على الأطفال الفقراء الذين يتجمعون حوله فيعاملهم كالعم الكريم دون أن يستطيع فهم كيف أن ثراء الرجل الأبيض يمر بأمثالهم دون اهتمام، وذلك وفقاً لشاهدة عيان اتصلت به عن قرب وكانت تحترمه كثيراً حتى بعد فراقه بسنوات طويلة، وعندما رأى التقدم الذي صنعه البيض في المجال المادي أسف لأنهم لا يتحلون بالأمانة بنفس القدر الذي يملكونه من القدرات العقلية، وقال إنه طالما تحدث بالصدق مع الرجل الأبيض ولكنه كان دائماً يُخدع، وتمنى أن يحصل الهندي على تقدير لذاته وأن يتحلى الرجل الأبيض بالأمانة لإنهاء الصراع نهاية سلمية، ولم تكن مطالبه أكثر من الحصول على العدالة، وهو لا يطلب أكثر مما يمكنه أن يَمنح، وكل ما يطلبه لقومه هو برية واسعة

[563] -دي براون، 1982، ص 314.

يستطيعون العيش فيها بسلام، وقص كثيراً من القصص عن خداع البيض وغشهم[564].

ولوحظ أن "الثور الجالس" ووجه أحياناً بأصوات الاستهجان في رحلاته الأمريكية للتنديد "بقاتل كاستر"[565]، أما في كندا فقد حيته الصحف بصفته "القائد والسياسي الهندي الشهير"[566]، وقد استطاع الزعيم مقابلة الرئيس الأمريكي غروفر كليفلاند في يوم 23 يونيو/ حزيران/ جوان 1885، وسلمه رسالة تخص قضايا قومه وتتحدث عن إعجابه بتقدم البيض وعن جهد قومه في ممارسة الزراعة وحاجتهم إلى مزيد من المساعدات ريثما يتمكنون من إعالة أنفسهم، وعن الحاجة إلى مزيد من تجهيزات الزراعة، وإلى توسيع التجارة وحدود المحمية، كما زار وزارة الحرب حيث التقى الوفد الجنرال فيليب شيريدان ولكن الزعيم لم يعره اهتماماً[567]، وتوطدت صداقته مع بافلو بيل الذي كان واحداً من القلة البيض الذين وثق بهم الزعيم، ومن مظاهر هذه الصداقة أن بافلو بيل أهداه عند نهاية موسم الاستعراض حصاناً أبيض مدرباً وقبعة، ولما قام أحد أقربائه فيما بعد بارتداء القبعة قال له الزعيم بغضب:"إنني أقدرها كثيراً لأن اليد التي وضعتها على رأسي تكن لي مشاعر الصداقة"[568].

وظل "الثور الجالس" مهتماً بقضايا قومه أثناء الرحلة، فأملى رسالة وهو في كندا في سبتمبر/ أيلول 1885 إلى مفوض

---

[564] -Mark Diedrich، 1998، ص 156-158.
[565] -نفس المرجع، ص 314.
-Mark Diedrich، 1998، ص 157.
[566] -Mark Diedrich، 1998، ص 157.
[567] -نفس المرجع، ص 158.
[568] -Benjamin Capps، 1982، ص 211 و214.

الشئون الهندية يسرد فيها شكاوى قومه كتعديات الجيش الأمريكي على الموارد الخشبية في المحمية الهندية، وطالب بوجود تجارة حرة يتمتع الهنود فيها بميزة المنافسة بين التجار البيض (كانت الولايات المتحدة تتحدث دائماً عن مبادئ التجارة الحرة في بلاد العالم الثالث ولا تطبقها على نفسها)، كما اشتكى من تعدي رعاة البقر على أراضي المحمية، ومن جهل المعلمين المعينين لتعليم الهنود الزراعة بلغة الهنود مما يحرم قومه من الإفادة منهم على الوجه المطلوب.

ودهش الزعيم من أعداد البيض الغفيرة التي شاهدها، ولكنه قال إن الخيمة أفضل للهندي إذ أنه أصيب بالمرض من سكنى البيوت، وأزعجته ضوضاء الجموع، وتاق للعودة إلى قومه وغابته، مبدياً نفس الاستنتاج الذي وصل إليه "الغيمة الحمراء" فيما سبق وهو أن الهنود لن يلجئوا للحرب ثانية وأن على "الأب الأعظم" حمايتهم ومعاملتهم بالعدل، وقد سر بافلو بيل بظهور الزعيم في استعراضه في ذلك العام وحقق أرباحاً وصلت إلى مائة ألف دولار وجذب مليون مشاهد.



من الصور التي التقطت "للثور الجالس" بصحبة بافلو بيل في مونتريال بكندا أغسطس/ آب/ أوت من سنة 1885

Photo: William Notman & Son/via Sitting Bull College,IMLS

Read more at
http://indiancountrytodaymedianetwork.com/2015/06/12/sitting-bull-life-photos-160705



"الثور الجالس" في أمريكا حوالي سنة 1885
photo: David F. Barry/Library of Congress



الزعيم في سنة 1885

عرض بافلو بيل على الزعيم في سنة 1887 أن ينضم إليه في جولة أوروبية وحضور اليوبيل الذهبي للملكة فكتوريا، إلا

أن ذلك لم يغره حتى لو كان الثمن مقابلة "الأم العظمى"، فقد اعتذر لانشغاله بالدفاع عن قضية قومه: "إنه من المضر بقضيتنا أن أتجول وأنا مطلوب هنا لأن هناك مزيداً من الحديث عن الاستيلاء على أراضينا"[569].



لقطة فريدة تجمع "الثور الجالس" بالوكيل ماك لوفلين سنة 1886

ورغم معاملة البيض "للثور الجالس" فقد كانت له رؤية حضارية مستقلة تعتمد على البحث عن الأفضل وعدم الاستسلام المطلق للرجل الأبيض، وقال في ذلك: "لقد نصحت قومي بالآتي: عندما تجدون شيئاً جيداً في طريق الرجل الأبيض، اتبعوه، ولكن إذا وجدتم شيئاً سيئاً أو من الممكن أن يصبح سيئاً، دعوه، اتركوه وشأنه"، وعندما عرض الوكيل عليه الانضمام للكنيسة وجده عنيداً ولا سبيل لإصلاحه، وعندما طلب إليه ترك

---

569 -نفس المرجع، ص 214.

-دي براون، 1982، ص 314.

إحدى زوجتيه رد عليه بأنه يحبهما معاً ولن يفرق بينهما في المعاملة، وعندما طرحت فكرة منع الطب الهندي التقليدي رد بأن المهم هو شفاء المريض وأن في جعبته ما يؤدي الغرض المطلوب، ولما طلب المبشرون إليه الانضمام لجماعة المصلين رد بأن المهم هو استجابة دعائه وليس طريقة صلاته[570]: "أنا لا أكذب، ولا أغش، ولا أستولي على أرض أو أي شيء لا يخصني، أليس هذا ما أمركم به الرجل الذي اسمه يسوع؟ ومع ذلك كم رجلاً من البيض يتبع تعاليمه؟".

ولم يكن ما شاهده "الثور الجالس" في المجتمعات البيضاء وأدهشه فيها مانعاً إياه من نقدها نقداً قوياً، إذ قال لإحدى المبشرات في سنة 1888 إن ما يدفعه إلى عدم تشجيع قومه على محاكاة البيض محاكاة دون تمييز هو ما شاهده من عيوب في مدنهم كالفقر والعهر مما يجعله غير راغب في اتباع هذا النموذج: "كلما كان قومي أبعد عن البيض فإن ذلك أرضى لنفسي، إن البيض أشرار ولا أريد أن تصبح نساء قومي كنساء البيض اللواتي شهدت، أنا أريدك أن تعلمي قومي القراءة والكتابة، ولكنهم يجب ألا يصبحوا كالبيض في معيشتهم، إنها حياة سيئة جداً، لن أدعهم يكونوا كذلك، وأفضل أن أموت هندياً على أن أعيش رجلاً أبيض"، وقد وصفته هذه المبشرة بأن شخصيته ساحرة وأنه لطيف ومهذب وحلو المعشر ولديه تأثير لا يقاوم على من يتعامل معه سواء من قومه أو من البيض، وعن اتباع تعليمات الوكيل قال لأخي زوجته إنه يمكنه هو (أي المخاطَب) أن يفعل ذلك ولكنه لا يستطيع أن يتخلى عن العادات

---

[570] -Stanley Vestal، 1980، ص 256.

الهندية المغروسة فيهم بعمق، فليذهب محاوره ويتبع الرجل الأبيض، ولكن ليتركه هو وشأنه[571].

أما خطته المعيشية الجديدة فاستهدفت تحقيق الآتي: الاعتماد على النفس والتعليم وتوحيد القبيلة ودعم ديانتها التقليدية، ويفسر مؤرخ حياته ذلك بالقول إن الزعيم استخدم فيما سبق بندقية البيض للحصول على طعامه، وهو الآن يريد استخدام وسائل أخرى من مجتمعهم لتحقيق الازدهار لقومه، ولهذا عاد إلى مكان ميلاده على النهر العظيم Grang River ومارس الزراعة وتربية الماشية والدواجن والحياة في المنزل الخشبي، وطالب ببناء مدرسة لتعليم أبنائه، وأصبح ملتزماً بالقانون، وصار هو وقومه "متمدنين" أكثر من هنود الوكالات الكسالى الذين لا يعملون، وأقر الوكلاء الحكوميون في أكثر من وكالة بأن أتباع "الثور الجالس" لا يضاهيهم أحد في النشاط[572].

كان "الثور الجالس" يكره حياة الكسل والبطالة وهو مأخذه على حياة الوكالات، وقد قال يوماً:"لقد خلقني الله القادر على كل شيء، لم يجعلني هندي وكالة، سأقاتل وأموت مقاتلاً قبل أن يتمكن أي رجل أبيض من جعلي هندي في وكالة"[573].

وقد خاطب الزعيم تلاميذ المدرسة في يوم من أيام أغسطس / آب/ أوت 1886 :"أحفادي الأعزاء: إنكم جميعاً أقاربي، لأنني "لاكوتا" وأنتم كذلك، لقد كنت سعيداً إذ منحكم ذوو الأردية السوداء (المبشرون الكاثوليك) هذه المدرسة حيث يمكنكم تعلم القراءة والكتابة والحساب كما يفعل البيض، إنكم

571- Mark Diedrich، 1998، ص 166-167.

572- Stanley Vestal، 1980، ص 256-257.

573- David Humphreys Miller، 1985، ص 98.

تطلعون على الطرق التي يعمل بها البيض ويصنعون بها الأشياء، إنكم تعيشون في حياة جديدة:"عندما كنت في عمركم، كانت الأشياء مختلفة جداً، لم يكن لدي معلمون سوى والديّ وأقاربي، لقد ذهبوا الآن وهم في عداد الأموات، وبقيت وحدي، وسيكون الأمر كذلك معكم، آباؤكم يكبرون وسوف يموتون يوماً ما، ويتركونكم وحدكم، ولهذا عليكم أن تصنعوا شيئاً لأنفسكم، وهذا لا يمكن أن يحدث إلا وأنتم صغار: "في أيامي المبكرة كنت تواقاً للتعلم وصناعة الأشياء، ولهذا تعلمت بسرعة وهذا ما جعل الأمر يسيراً على معلميّ، وأنا الآن كثيراً ما ألتقط الأوراق والكتب ذات الصور من جميع الأنواع وأضع العلامات عليها، ولكني لا أستطيع فهمها كما يفهمها شخص أبيض، إن لهم طريقة في التواصل بكتابة رموز وأرقام، ولكن قبل أن يستطيعوا ذلك عليهم التفاهم فيما بينهم، إنكم تتعلمون ذلك وأنا مسرور جداً عندما أسمعكم تقرأون: "في المستقبل سيكون تعاملكم مع البيض صعباً جداً، وعليكم أن تتعلموا جيداً ما يلقى عليكم هنا، ولكن هذا ليس كل شيء، نحن الكبار في حاجة إليكم، ففي تعاملنا مع البيض نحن كالعميان تماماً، لأننا لا نفهمهم، إن عليكم أنتم أن تساعدوننا على فهم هؤلاء البيض: "أحفادي الأعزاء: كونوا طيبين، حاولوا واصنعوا شيئاً لأنفسكم، تعلموا كل ما تستطيعونه، ومن كل قلبي أشكر أصدقائي ذوي الأردية السوداء للطفهم وطيبتهم تجاهي"[574].

كان للحكومة الأمريكية اهتمامات أخرى كما قال "الثور الجالس" لبافلو بيل في ذلك الوقت، إذ صدر قانون دوز

---

[574] -Mark Diedrich، 1998، ص 168.

(1887) لتحصيص الأراضي الهندية وتوزيعها على أسرهم وفتح الأراضي "الفائضة" للاستيطان الأبيض، وفي يوليو/ تموز/ جويلية من العام التالي (1888) توجهت لجنة إلى محمية "السو" الكبرى تحمل مشروعاً كمشروع سنة 1882 لتقسيم المحمية إلى ستة محميات بين العشائر وتحجيم ممتلكاتها وفتح الأراضي الفائضة للاستيطان، وهي بين 9-11 مليون فدان، وعرضت اللجنة نصف دولار ثمناً للفدان الواحد، وهو سعر منخفض جداً حتى بمقاييس ذلك الزمن[575].

ومن اللافت للنظر أن رئيس اللجنة كان مؤسس التعليم الداخلي الهندي الذي عمل سجاناً للهنود قبل ذلك ولما أسس مدرسة كارلسيل الداخلية أدارها بنفس عقلية السجان فساءت سمعته بين الهنود لاسيما أنه كان مستبداً برأيه ولا يتقبل المعارضة ويعامل الزعماء كما يعامل التلاميذ (كما كان الإنجليز يعاملون ملوك العرب وفقاً لشهادة هارولد ديكسون مندوب بريطانيا في الخليج[576])، ومن الغريب أن أصحاب التوجهات الإنسانية الذين اعترضوا في السابق على تعيين أمثاله في لجنة سابقة (1882) باركوا الآن تعيينه رغم علمهم بسلبياته[577]، وهو ما يعطي مثلاً عن حقيقة التعاطف الذي يعرضه الإنسانيون للسكان الأصليين في البلاد الاستيطانية.

ورغم اجتهاد "الثور الجالس" في السير في طريق الزراعة وتبني المفيد من حضارة البيض فإنه وقف بصلابة للتصدي لهذه

---

[575] -Stanley Vestal ، 1980، ص 257.

-Benjamin Capps، 1982، ص 214.

-دي براون، 1982، ص 314.

[576] -مي محمد الخليفة، 1998، ص 423-429.

[577] -George E. Hyde، 1993، ص 189-191.

المحاولة الجديدة لانتزاع أراضي قومه، وقام بإقناع أبرز زعيمين ثانويين، من الزعماء الذين حاول الوكيل الحكومي ماك لوفلين تنصيبهم مكان الزعيم الأكبر، بالتصدي لبيع الأرض ورفضه، وهما "عشب" Grass و"مرارة" Gall[578] (والثاني هو القائد البارز في معركة القرن الصغير الذي تمكن البيض من استمالته بعد ذلك بعيداً عن زعيمه)، وكان مما خاطب به قادة قومه بشأن رسم الحدود لمحمية عشيرته الهنكبابا :"من الذي وضع هذا الحد في الغرب؟ هل كان رجلاً أبيض أم هندياً؟ يقولون إن الحدود التي رسمتها المعاهدات القديمة يجب أن تبقى سواء وضعها رجل أحمر أم رجل أبيض، ولكنني لا أعترف بتلك المعاهدة، لقد سرقت منا تلك الأرض، وقد دفعنا ثمن كل ما قدموه لنا وزيادة عليه أيضاً، ولكنهم لم يلتزموا بأية معاهدة، أنظروا إلى الأرض القليلة التي بقيت لنا، لا توقعوا، فإذا وقعنا سنضيع"[579].

ردت اللجنة بمحاولة جديدة لاستبعاد "الثور الجالس" بالإشاعة بين هنود الوكالة بأنه مضلل وأن الأرض ستؤخذ منهم لامحالة ولهذا فإن عليهم أن يأخذوا ثمنها بدل أن يضطروا للتخلي عنها بلا مقابل، وطبعت أوراق حمراء (وهو لون السعادة عند "السو") للاقتراع بالموافقة، وأوراق سوداء (وهو لون سيء لديهم) للاقتراع بالرفض[580] (كثيراً ما حاول الاستعمار استخدام معتقدات في بلادنا لتسويق برامجه الاستغلالية) ولكن محاولتها باءت بالفشل الذريع ولم تسفر

---

[578] -دي براون، 1982، ص 314.

[579] -Mark Diedrich، 1998، ص 170.

[580] -George E. Hyde، 1993، ص 191.

جهودها المضنية إلا عن الحصول على 22 توقيعاً فقط. (عرضت عروض مماثلة على كثير من الفلسطينيين قبل نكبة 1948 ورفض كثير منهم بيع أراضيهم رغم علمهم بأنهم سيخسرونها ولكنهم رفضوا الإقرار للصهاينة بالاستيلاء عليها)، فعادت اللجنة إلى العاصمة واشنطن بعد فشلها في بقية الوكالات في المحمية الكبرى ونصحت الحكومة بإهمال معاهدة لارامي (1868) والاستيلاء على أرض الهنود بالقوة[581].

وفي أكتوبر/ تشرين الأول من العام نفسه (1888) توجه "الثور الجالس" مع ستين من زعماء قومه إلى واشنطن وقابلوا وزير الداخلية وليام فيلاس فلم يتخل عن المشروع ولكنه عرض مضاعفة سعر الأرض المعروض ليصل إلى دولار واحد للفدان بدلاً من نصف دولار، ولكن معظم الزعماء ومنهم "الثور الجالس" (47 من 61) طالبوا بسعر أعلى وهو دولار وربع سواء بسبب قناعتهم بقيمة أرضهم أم بسبب رغبتهم في إفشال صفقة البيع وهو ما حدث بالفعل فعادوا أدراجهم، ولكن مع تغير الرئاسة الأمريكية وقبول ولايتي داكوتا في الاتحاد ورغبة سكانهما في الاستيلاء على أراضي الهنود بأي ثمن مع كونهم أصواتاً مقترعة قام الكونجرس في السنة القادمة بعرض "تنازل" هام عندما أقر قانون "السو" (1889) وصل فيه سعر الفدان إلى دولار وربع للأراضي التي تستوطن في السنين الثلاث الأولى، وفي شهر مايو/ أيار/ ماي من نفس السنة (1889) أرسلت الحكومة لجنة جديدة إلى محمية "السو" برئاسة الجنرال جورج كروك الذي هزمه "الحصان المجنون"

---

[581] -دي براون، 1982، ص 314-315.

عند نهير البرعم قبل معركة القرن الصغير سنة 1876، وعرضت اللجنة هذه المرة تلك الزيادة الإضافية مع عرض بتزويد كل أسرة هندية بمساحة 320 فدان، وهي ضعف المساحة المقررة في قانون دوز[582].



وفد "السو" أمام مبنى الكابيتول في واشنطن ويبدو "الثور الجالس" في الصف الثالث يقف الأول من اليسار

photo: C.M. Bell/Library of Congress

---

[582] Benjamin Capps-، 1982، ص 214-216.
Edward Lazarus-، 1999، ص 110.
Robert M. Utley-، 1994، ص 276-277.
Mark Diedrich-، 1998، ص 170.



صورة مكبرة للزعيم أمام مبنى الكابيتول

تغيرت الظروف منذ قبول الزعماء بمبلغ الدولار والربع وصاروا جبهة واحدة ضد بيع الأرض[583]، واصطف المعسكران الهندي والأمريكي في مواجهة بعضهما البعض عند

[583] -Robert M. Utley، 1994، ص 277.

وصول لجنة كروك إلى محمية "السو" الكبرى، الهنود التقليديون والتقدميون رفضوا بيع أرضهم، والأمريكيون المستوطنون الطامعون والإنسانيون الخيرون أيدوا عملية البيع، الطامعون بسبب شرههم للأرض، والخيرون لظنهم أن هذا في صالح الهنود، وقضت اللجنة شهرين مستخدة شتى الوسائل للحصول على تواقيع ثلاثة أرباع الرجال، فعملت على التعامل مع رجال القبيلة بصفاتهم المنفردة وليس بصفة القبيلة الموحدة، واستخدمت أزواج الهنديات والمولدين في صفها لإقناع الهنود بترك التفكير بما يناسبهم لأعضاء اللجنة (تفكير استعماري تكرر في بلادنا إلى اليوم) بالإضافة إلى أفراد قبيلة "الشايان" حليفة "السو" والتي رد أفرادها جميل "السو" عليهم في زمن محنتهم (1878-1879) بالتخلي اليوم عن أراضيهم، كما استخدمت الرشوة والتهديدات (بمنع المساعدات أو بالاستيلاء على الأرض بالقوة) والإشاعات والخداع والوعود الكاذبة التي لا سلطة للجنة بمنحها (مثل عدم إنقاص المساعدات وبناء المدارس في المحمية بدلاً من المدارس في الولايات البعيدة ومنح أراض صالحة بديلة) بالإضافة إلى تكتيك الورقة الحمراء للموافقة والورقة السوداء للمعارضة فنجحت في بث الفرقة والحصول على التواقيع[584].

---

[584] -George E. Hyde، 1993، ص 199-228.
-Jeffrey Ostler، 2010، ص 116-117.
-Stanley Vestal، 1980، ص 258-259.
-George E. Hyde، 1993، ص 219-220.
-David Humphreys Miller، 1985، ص 38.



"الثور الجالس" في حصن ييتس سنة 1889 يصد محاولة للاستيلاء على أراضي قومه ويخطب في جمع منهم وأمام ممثلي الحكومة الأمريكية
photo credit: David F. Barry/via Sitting Bull College, IMLS

بدأ كروك جولته بالمحاولة في وكالة البرعم حيث تعيش عشيرة البرول، إلا أنهم وقفوا جميعا ضد التخلي عن أرضهم، وقد تنبه "الدب ذو القرن الأجوف" إلى خطورة استفراد اللجنة بكل وكالة على حدة وقال لكروك:"إنك تريد أن تؤمن كل شيء هنا، ثم تذهب إلى بقية الوكالات وتقول لهم إننا وقعنا"، وأصر على الاجتماع بزعماء الوكالات الست لتقرير ما يجب فعله (هل يذكرنا هذا برفض الولايات المتحدة والكيان الصهيوني لفكرة المؤتمر الدولي لحل قضية فلسطين وإصرارهما المستمر على المفاوضات الثنائية بين الصهاينة وكل بلد عربي على حدة كما تحقق ذلك فعلاً سواء مع دول المواجهة أم بقية الدول العربية التي أصبحت تتسابق للاعتراف والتطبيع)، ولكن بعد تسعة أيام من المفاوضات واستعمال الوسائل المذكورة آنفاً تمكن كروك من الحصول على تواقيع الأغلبية، وبعدما حصلت اللجنة على التواقيع اللازمة في وكالة عشيرة البرول، توجهت إلى وكالة

سلسلة جبال الصنوبر حيث تعيش عشيرة الأوغلالا وزعيمها الكبير "الغيمة الحمراء" الذي قاوم المشروع بقوة إلى حد أنه أحاط اللجنة بمئات من محاربيه ولكن كروك نجح رغم ذلك في الحصول على نصف التواقيع وبعدها توجه إلى الوكالات الصغرى: "البرول السفلى" و "نهير الغراب" و"نهر الشايان" وحصل على النسبة المطلوبة، ولكن بقي عليه المواجهة الكبرى في وكالة "الصخرة الواقفة" حيث تعيش عشيرة الهنكبابا وزعيمها الصلب "الثور الجالس"، بالإضافة إلى عشيرة "القدم السوداء"، وإذا فشل في مهمته هناك فإن المشروع كله سيفشل[585].

لم يتكلم "الثور الجالس" في البداية، إلا أن مجرد وجوده أظهر للجنة استحالة الاتفاق مع الهنود[586]، ولما تحدث الزعيم تحدث بمنطق عقلاني :"أصدقائي وأقربائي: مرة أخرى يربكنا ممثلو "الأب الاعظم"، والوكيل، وأزواج الهنديات، والمولدون، والمترجمون، والزعماء المفضلون الذين يتلقون المساعدات، ماذا يريدون منا هذه المرة؟ إنهم يريدون أن نعطيهم مساحة جديدة من أرض قبيلتنا..وسيظلون يحاولون الحصول على آخر قطعة نملكها، إنهم يخبروننا من جديد ما الذي ينوورن فعله إذا وافقنا على رغباتهم، فهل سبق أن حددنا أي سعر لأرضنا وأخذناه؟ لا، لم يحدث هذا، ما تلقيناه من المعاهدات السابقة مجرد وعود من كل الأنواع، لقد وعدونا بأن نعيش بسلام في الأراضي التي ظلت لنا، وبأنهم سيطلعوننا على طرق المعيشة الجديدة، بل إنهم أخبرونا ما الذي سيحدث عندما نموت ونصعد

585 -دي براون، 1982، ص 315-316.

586 -نفس المرجع، ص 316.

إلى السماء، ولكن كل ما حققناه من الاتفاقات مع "الأب الأعظم" هو الموت بانتظار تحقيق ما وعدونا به...إن شيئاً ما يخبرني أن ممثلي "الأب الأعظم" أتوا ثانية وأحضروا معهم ورقة تحتوي على كلمات منمقة تقول ما يريدونه فقط ولكنها تتجاهل أمانينا...إن قومنا مخدوعون ولا يرون، بعضهم يميل لذلك الاقتراح، ولكننا نحن الذين ندرك أن أبناءنا وأحفادنا قد يعيشون مدة أطول، علينا أن ننظر إلى الأمام وأن نرفض الاقتراح، وأنا من جهتي أعارضه بشدة، لقد أثبت "الأب الأعظم" أنه مخادع في تعامله السابق معنا،

"عندما غزا البيض تلالنا السوداء كانت المعاهدات مازالت سارية، ولكن "الأب الأعظم" تجاهلها، وتظاهر بإخلاء المعتدين بالقوة المسلحة، ولكنه فشل في النهاية في إبعادهم، وكان عليهم أن يتركوهم يستولون على أفضل ممتلكات القبيلة، رغم أن "الأب الأعظم" يملك جيشاً كبيراً يستطيع إيقاف أي شيء،

"ولذلك، أنا لا أرغب في النظر في أي اقتراح بالتخلي عن أي جزء من أراضي قبيلتنا "للأب الأعظم"، وإذا وافقت على التخلي عن أي جزء من أرضنا للبيض سأشعر بالذنب كوني أصادر الطعام من أفواه أطفالنا، ولا أرغب في أن أكون بتلك الحقارة،

"أصدقائي وأقاربي: دعونا نقف كأسرة واحدة كما كنا قبل أن يضلنا البيض"

وفي مرة أخرى وقف في المكان الذي يعتقد أنه ولد فيه وقال:"لقد ولدت قريباً من المكان الذي أقف فيه، وأريدكم أن تتمسكوا بهذه الأرض، أريدكم أن تتبعوني، أريدكم أن تعاهدوا

أنفسكم لفعل ما أطلبه، حافظوا على أرضكم، ستكون قيمتها أكبر كثيراً، تمسكوا بها، اجعلوا قيمتها عشرين دولاراً للقدم"

وقال في مرة ثالثة:"إن شبابنا في الوقت الحاضر يجهلون اللغة الإنجليزية كثيراً وليسوا قادرين على الحكم على هذه القضية التي تمس وجودهم، لقد علمت أن ترجمة بعض الكلمات تقود أحياناً إلى مناقشات عنيفة بين البيض أنفسهم، وحتى بين الناس الذين علموا وألفوا اللغة الإنجليزية،

"وفي مواجهة هذه الحقائق، ما الذي يمكن توقعه من قومي الذين لايقرأ ويكتب منهم إلا القليل، وفي غضون زمن قليل، سيصبح لدينا نحن مدارس يتعلم فيها صغارنا ويصبحون مؤهلين لتقرير القضايا التي تمس مستقبلهم بذكاء،

"ألا يملك البيض أراض كافية في الوقت الحاضر؟ أليس هناك ملايين الأفدنة في ممتلكاتهم الحالية مازالت غير مأهولة؟ فلماذا يستمرون في المجيء إلينا سنة بعد أخرى للاستيلاء على القليل الذي تبقى لنا؟ إذا كانوا يشتهون أراضينا، فلماذا تكون رغبتنا بالاحتفاظ بها أقل مشروعية؟" (وبنفس المنطق نسأل لماذا يشتهي الصهاينة الأراضي المحتلة عام 1967 ويغزونها بالاستيطان الكثيف في الوقت الذي يتركون أراضي عام 1948 فارغة؟).

وفي مجلس اللجنة ترك "الثور الجالس" "عشب" ليقوم بمعظم الحديث ولكن عندما جاء وقت التوقيع قال بصوت عال: "هيا، تعالوا يا أصدقائي، لن نوقع، لم يف البيض بأية معاهدة حتى الآن، ولن يفعلوا ذلك بهذه المعاهدة أيضاً، هيا بنا"، ولما

تبعه قومه أحس بالفخر وغنى: "إن الأمة تريدني ولذلك سأعيش شجاعاً"[587].

نوى الجنرال كروك الأمر باعتقال "الثور الجالس" (كما تضيق ديمقراطية أمريكا بحرية الآخرين في إبداء آرائهم وتقرير مصيرهم) ولكن الوكيل ماك لوفلين كان له رأي آخر سينفذه بذكاء (مثل التوجه الاستعماري الحديث الذي يعمل على احتواء الآخرين بدلاً من حكمهم بالاستبداد)، واستمر الزعيم يخاطب قومه: "في الماضي كان لدينا مساحة واسعة، والآن هي صغيرة، لقد اشتريتم السلام من البيض مقابل أراضيكم (معادلة الأرض مقابل السلام قديمة إذن)، والآن عندما لم يعد لديكم المزيد لبيعه ماذا ستفعلون؟

"لم أرحب بعقد معاهدة مع البيض في الماضي، أنا ضد ذلك، لن أوقع، إن أراضينا قليلة وهي ليست جيدة، لقد حشرنا البيض في صحراء حيث لا يعيش كائن، ومع ذلك إنه ملاذنا الأخير، فهل ستهدمون الأسوار وتجعلون البيض يجتاحوننا؟

"تقولون إننا سنحصل على كمية كبيرة من المال في المقابل، فكيف كان الأمر في السابق؟ كيف التزمت الحكومة بتعهداتها؟ لقد اقتطع الكونجرس مخصصاتنا حسب هواه، فما يدينون لنا به ليس مهماً، وقد رأيتم الصعوبة التي تزرع بها المحاصيل هنا، إننا نحتاج كل قطعة من أرضنا من أجل بقائنا، إنني أكبر وسأصبح متقدماً في السن، وبعد سنوات قليلة سأصبح مع آبائي، ولكن قبل مغادرتي أريد الاطمئنان على بقاء أطفالي، أنا لن أوقع"[588].

---

[587] -Mark Diedrich، 1998، ص 171-172.

[588] -نفس المرجع، ص 173.

ولذلك لجأت اللجنة إلى أسلوب المباحثات الفردية ومحاولة إقناع الهنود فرداً فرداً بفوائد المشروع، ولكن صمود الزعيم أفشل المخطط مرة ثانية، فقام الوكيل ماك لوفلين بالالتقاء سراً مع الزعماء الآخرين وأقنع "عشب" بالتوقيع[589]، بل ساقه سوقاً[590]، وحضر الاجتماع النهائي في الثالث من أغسطس/ آب/ أوت دون علم "الثور الجالس"، وزيادة في الاحتياط أحاط مكان الاجتماع بالشرطة الهندية لمنعه من التدخل، ولكن الزعيم تمكن من اقتحام المكان بالقوة وأخبر الجنرال كروك أنه لم يكن يدري شيئاً عن عقد هذا الاجتماع، ولما سأل كروك الوكيل عن ذلك أجابه بأنه أخبر الجميع، وكان دخول "الثور الجالس" متأخراً والاجتماع في نهايته بعدما أقنع "عشب" الهنود بالتوقيع، وبالفعل تقدموا ووقعوا على تقسيم أرضهم وانتزاع قسم كبير منها، إذ عندما رأى القادة بعضهم يوقع خشيت البقية أن يؤدي رفضها إلى عقوبات تفرض على أتباعها[591] (مثلما كانت عمت الخشية بين زعامات بلادنا من تعميم نموذج العقوبات العراقية بعد تمرد رئاستها على الأوامر الغربية)، وسأل صحفي "الثور الجالس" عن شعور الهنود وهم يتخلون عن أرضهم فأجاب الزعيم بانفعال:"هنود؟ لم يبق هناك هنود سواي"[592]، وتابع: "إن البيض بارعون جداً في اختراع المعاهدات، وهم يعلمون

[589] -دي براون، 1982، ص 316-317.
[590] -George E. Hyde، 1993، ص 227.
[591] -دي براون، 1982، ص 317.
-Stanley Vestal، 1980، ص 261-262.
-Jeffrey Ostler، 2010، ص 117.
[592] -دي براون، 1982، ص 317.
-Stanley Vestal، 1980، ص 261-262.

كيف يخدعون عيون الهنود ليروا الأسود أبيض، أنا أكبر من اتباع طرق البيض الملتوية، ومتمسكاً بمعتقدات آبائي، سأدخل يوماً أرض الصيد السعيدة (الجنة)، حيث يوجد كل ما يحتاجه الرجل الأحمر، وحيث تكون حياتنا أسعد كثيراً إذ لا وجوهاً شاحبة تأتي وتسرق أرضنا منا بالخداع والقوة"[593].

وقد لاحظ "الأيل الأسود" (1863-1950) وهو من مشاهير "السو" وقد عاصر الأحداث صغيراً وشاباً أن الجنرال كروك عندما جاء محارباً وغازياً لقتل الهنود سنة 1876 تمكن "الحصان المجنون" من صده وهزيمته عند نهر البرعم، ولكن عندما جاء الآن بلا جنود تمكن من هزيمة الهنود ومحوهم[594]، ولهذا يجب أن نتذكر كلام أليكسيس دي توكفيل الذي قال في النصف الأول من القرن التاسع عشر إن الأمريكيين تمكنوا من إبادة الهنود وسلب حقوقهم بطريقة أكثر مهارة من الدموية الإسبانية في الجنوب وبمراعاة القوانين بدقة[595]، كما يتبين لنا أن السياسات السلمية الأكثر فعالية لا تدل بالضرورة على ميول أقل عدوانية من الحروب.

لم يوقع أحد من الزعماء الكبار على هذه المهزلة، لا "الثور الجالس" ولا "الغيمة الحمراء" ولا بقية الزعماء الكبار، ولكنهم لم يعودوا يحوزون الأغلبية، وقد تمكن كروك من الحصول على الموافقة من أكثر من نسبة الأرباع الثلاثة المطلوبة (4463 من 5678)[596]، ومن بين الموقعين مقربون جداً من

---

[593] -Mark Diedrich، 1998، ص 173.

[594] -John G. Neihardt، 1998، ص 231.

[595] -أليكسيس دي توكفيل، 1962، ج 1 ص 431.

[596] -Edward Lazarus، 1999، ص 112.

"الثور الجالس" وربما كانوا في الماضي من أشد المتحمسين والثوريين[597]، وحصل الجنرال على اهتمام وثناء الأمريكيين لتمكنه من تحقيق مصالح البيض والهنود معاً، ولم يصغ أحد لصوت فريد ارتفع بالاعتراض على الوسائل المريبة التي استخدمت في جمع التواقيع، وأصبح الطريق مفتوحاً أمام ذوي التوجهات الإنسانية لتحقيق ما وعدوا به من تنمية وتمدين وتقدم[598]، ويجب أن نلاحظ أنهم كانوا واجهة تحقيق هذا المشروع، فالسناتور دوز، والوكيل ماك لوفلين، والجنرال كروك، كلهم من "أصدقاء" الهنود.

ولكن حسابات الحقل اختلفت عن حسابات البيدر، فإضافة لتقلص أرض الهنود وتفكك المحمية الكبرى (اللون البني في الخريطة رقم 17)، لم يؤد توقيع الهنود على رغبات الرجل الأبيض إلا لمزيد من الكوارث، وتحققت أسوأ نبوءات المعارضين، فقد قال "الثور الجالس" بعد موافقة قومه على البيع:"ستحرق الشمس كل شيء، لا يمكن زراعة أي محصول في أرضنا، ولن يسقط المطر لمدة شهور عديدة قادمة"[599]، ولم يجن المؤيدون شيئاً رغم تبريراتهم بعد اتصالاتهم السرية بالوكيل الحكومي (كالدبلوماسية السرية التي طالما مارسها الاستعمار في بلادنا مع عملائه) بأن "الثور الجالس" يهتم بزعامته لا بقومه وأنه يريد إرجاع قومه إلى الوراء[600] (تهم الديكتاتورية الرجعية دائماً !) وبأن التوقيع هو الأفضل للهنود

[597] -Robert M. Utley، 1994، ص 279.
[598] -George E. Hyde، 1993، ص 228.
[599] -David Humphreys Miller، 1985، ص 40.
[600] -Mark Diedrich، 1998، ص 173.

أنفسهم الذين عليهم ألا يرفضوا المستقبل المشرق الذي تعد به المعاهدة[601] (مثل كل الوعود الاستيطانية المكتوبة على الماء).

توالي الكوارث بعد الإصغاء إلى أكاذيب الرجل الأبيض

بعد توقيع الهنود على وثيقة التنازل عن أرضهم لم يعودوا قوة معادية يُخشى جانبها بل كتلة من مستهلكي الصدقات المكلفة التي تدعو للتبرم منهم، فقطع عنهم الكونجرس نسبة كبيرة من المساعدات السنوية (تتراوح المراجع بين الخُمس والنصف)، ولم يكتف بعدم زيادة هذه المخصصات كما كان الجنرال كروك قد وعدهم، كما تأخرت المؤن لمدة أشهر وهي التي يعتمد الهنود عليها في بقائهم، ومات مئات من الأطفال بسبب سوء التغذية وانتشار الأوبئة كالحصبة والانفلونزا والسعال الديكي، وفي وكالة سلسلة جبال الصنوبر وحدها حيث تعيش عشيرة "الغيمة الحمراء" كان يموت من الجوع والمرض 45 هندياً في الشهر، هذا بالإضافة إلى ما أصاب السهول في نهاية الثمانينيات من شتاء قارس وثلوج كاسحة جمدت الماشية حتى الموت، وسلسلة فصول الصيف الجافة والحارة التي جففت الأعشاب واكتسحت الأراضي الزراعية فغادر آلاف من المستوطنين البيض مزارعهم في داكوتا، وأما الهنود فأفسدت محاصيلهم التي شغلوا عنها أيضاً بتصديهم للجان الأمريكية (1888-1889)، ولم تقدم إليهم الأموال التي باعوا بها أرضهم، وصار الناس يتحدثون أن زعماءهم الذين وقعوا على الصفقة باعوا أنفسهم،

---

[601] Edward Lazarus- ،1999، ص 112.

ويقولون إن جميع أطفالهم يموتون وإنه من الأفضل أن يتم قتلهم هم جميعاً أيضاً، وقال "الثور الجالس" حينئذ:"لقد أنبأتكم بذلك"[602].

"سيذكر هنود "السو" صيف 1889 زمناً طويلاً بصفته واحداً من أكثر أيامهم ظلمة، إذ كان الجوع شديداً، وقطعان الماشية هلكت بوباء الجمرة الخبيثة في السنة الماضية، كما اكتسح السهول جفاف فظيع وبلاء الجراد، وذبلت حدائق الذرة وتحولت إلى غبار تحت شمس يوليو الحارقة، لقد اختفت كل الطرائد من المنطقة، وأصبحت الأمعاء الخاوية هي القاعدة وليست الاستثناء، وإضافة للكوارث الطبيعية كان هناك المحاولات الدءوبة للاستيلاء على أراضي الهنود..."[603]..."وأما الزعماء الذين كانوا متفائلين بحماس لدخول قومهم في عالم الرجل الأبيض البديع فقد أصبحوا ينظرون للمعاهدات السابقة بأسف ولا يرون أكثر من مجرد قصاصات من الورق لوثت بأكاذيب البيض"[604]، وسرت إشاعة آنذاك بقرب اندلاع ثورة هندية ولكن الوكيل ماك لوفلين نفسه نفى ذلك وإن سخّر الحدث لصالح برنامج تخلصه من زعامة

---

[602] -Stanley Vestal، 1980، ص 268.
-Benjamin Capps، 1982، ص 216.
-Jeffrey Ostler، 2010، ص 117.
-Angie Debo، 1983، ص 290.
-Edward Lazarus، 1999، ص 113.
-Mark Diedrich، 1998، ص 175.
-John G Neihardt، 1998، ص 230 و249.
-David Humphreys Miller، 1985، ص 82-83.
-Robert M. Larson، 1997، ص 263.

[603] -David Humphreys Miller، 1985، ص 37.

[604] -نفس المرجع، ص 21.

"الثور الجالس" والمحيطين به (التهمة الدائمة للمقاومة بكونها مجرد تحريض من زعامات متطرفة وهذا ما يفسر اهتمام الكيان الصهيوني بالقضاء على الزعامات الفلسطينية واستبدال عناصر متعاونة بها وحتى الآن لم يستوعب المحتلون أن المشكلة في عدوانهم على الشعوب وليست في تحريض متطرفين)، وأكد الوكيل أن تحقيق العدالة للهنود كفيل باستبعاد أية نوايا سيئة لديهم[605].

وفي هذا السياق قال "الثور الجالس" مرة لابن صديقه الذي تعلم في مدارس البيض:"لم يعد الوكيل صديقاً لي، إنه يستبد بي كما لو كنت كلباً، ويرفض أن يمنحني تصريحاً للخروج من المحمية ويوقفني في كل كل الطرق (فكرة الحواجز التي يمارسها الصهاينة في فلسطين)، أعتقد أنه يحاول تحطيمي، ولكنه لن يتمكن من وضع قدمه على رقبتي،

"نحن مستعدون لنحيا حياة جديدة، ولكننا لا نستطيع حراثة الأرض كما يريد هو، اذهب وانظر إلى الحقول، في كل سنة تحرقها الشمس، فأوراق الذرة التفت، والقمح جف، وليس هناك تبن وقد تم اقتطاع مؤننا"[606].

رقصة الأرواح:
التطلع إلى مدد الخوارق بعد اليأس من عدالة البشر

في ظل الكوارث التي تتالت على الهنود في أواخر الثمانينيات وانقطاع الآمال من الإنصاف بالوسائل الطبيعية لم

---

[605] -Stanley Vestal، 1980، ص 269.

[606] -Mark Diedrich، 1998، ص 175.

يكن من بد أن يبحثوا عن العدل فيما وراء الطبيعة، وفي سنة 1889 نفسها أعلن "ووفوكا"، أحد أفراد قبيلة البايوته إحدى قبائل منطقة الحوض العظيم في الجنوب الغربي (اللون الأخضر الفاتح في خريطة رقم 6-د)، أنه أثناء "موت الشمس" (الكسوف)، ذهب في رحله إلى عالم الأرواح وعلم أن أحداثاً عظمى سوف تقع قريباً: سيعود الهنود الموتى إلى الحياة، وسوف يعيش الجميع إلى الأبد، وستعود مراعي الجاموس مليئة بالملايين منه، وستغطي الأرض مياه عذبة وأعشاب حلوة، وسيختفي البيض الظالمون.

وطلب "ووفوكا" إلى الهنود كي تتحقق هذه الأماني، أن يقوموا برقصة علمهم إياها، يقومون فيها بصبغ أنفسهم بلون أحمر، ثم يبدءون بالدوران عكس عقارب الساعة في دائرة ماسحين أقدامهم بالأرض وهم ينشدون أناشيد خاصة تهتف لتلك الأماني الجميلة، ثم تزيد سرعة الدوران شيئاً فشيئاً حتى يسقط الراقص مغشياً عليه ليذهب أثناء وفاته المؤقتة ليرى ذلك الفردوس الآتي، كما طلب "ووفوكا" إلى أتباعه ألا يسرقوا ولا يكذبوا ولا يقوموا بأي عمل عنيف، ومع أن هذا المعتقد نشأ في الحوض العظيم فإنه انتشر في السهول العظمى "كما تنتشر النار في الأعشاب الجافة"[607].

---

[607] -Benjamin Capps، 1982، ص 216.



"ووفوكا" جالساً وخلفه زعماء قبيلة "الأراباهو" (1923)

ذهب "الدب الرافس" Kicking Bear مع عشرة من "السو" إلى منطقة الحوض العظيم وقابلوا هذا "المسيح" حيث وجدوا وفوداً من مختلف القبائل الهندية عنده، وقال لهم كما روى "الدب الرافس": "إن الله خلق الأرض في البدء ثم أرسل يسوع إليها ليعلم الناس ولكن الناس البيض عاملوه معاملة سيئة تاركين ندوباً على جسده، ولذا عاد إلى السماء، والآن هاهو عاد إلى الأرض كهندي وكان عليه إعادة كل شيء كما كان عليه وأفضل"، ثم علمهم الرقصة وما يجب عليهم أن يتحلوا به من أخلاق.



"الدب الرافس" مبعوث "السو" لاستطلاع أمر ووفوكا (مكتبة الكونجرس)

بعد عودة "الدب الرافس" من وكالة "بحيرة الماشي" حيث يعيش ووفوكا، استدعاه "الثور الجالس" ليحكي له تفاصيل الموضوع، وبعد أن أعلمه "الدب الرافس" بكل شيء، صرح له الزعيم بأنه يخشى إن مارس قومه هذه الرقصة، أن يأتي الجنود إلى الوكالة كما حدث في أماكن أخرى، فرد عليه "الدب

الرافس" بأنهم إذا لبسوا الثياب المقدسة وهي "القمصان الشبحية" فإن رصاص الجنود لن يصيبهم بأي أذى[608]، وقد كان هذا الاعتقاد بالقمصان من إضافاته على دين ووفوكا السلمي[609].

طلب "الدب الرافس" من الزعيم أن يتبع ما تبعه قومه فأجابه:"عندما يذهب ابني أو أحد محاربيّ الثقات إلى عالم الأرواح ويعود ليخبرني بالحقيقة، سأصدق حينئذ، إذا كان هذا الدين صحيحاً، فلا أهمية لأعمال أخرى، أعطني إثباتاً فإن آذاني مفتوحة وعينيّ لم تضعفا بعد، وإذا كانت هذه الأغاني صحيحة، فسأقوم بها، وإن لم تكن صحيحة فإنني سأتمنى الموت، دعنا نقيم الرقص غداً"[610].



لوحة تصور رقصة الأرواح (1890) لماري إرفين رايت Mary Irvin Wright

[608] -دي براون، 1982، ص 317-319.
[609] -Rpbert M. Larson، 1997، ص 266.
-Robert M. Utley، 2002، ص 254.
[610] -Mark Diedrich، 1998، ص 176.

ومن الأناشيد التي غناها الهنود في رقصهم:

العالم كله قادم

هناك أمة قادمة

لقد جاء النسر بالرسالة إلى القبيلة

هكذا قال الأب، هكذا قال الأب

على كل الأرض هم قادمون

الجواميس قادمة، الجواميس قادمة

لقد جاء الغراب بالرسالة إلى القبيلة

هكذا قال الأب، هكذا قال الأب[611]



لوحة تصور الوصول إلى حالة الغيبوبة والأحلام للفنانة نفسها

[611] -Jeffrey Ostler، 2010، ص 119.



صورة حقيقية لرقصة الأرواح في قبيلة "الأراباهو" 1890 للمصور جيمس موني James Mooney[612]



612 - http://www.ghostdance.com/images/images.html





نماذج من القمصان التي ارتداها الهنود أثناء رقصة الأرواح ويبدو فيها ما ظهر للمرتدي في أحلامه، وقد اعتقد "السو" خاصة أن هذه القمصان تحمي صاحبها من الأذى حتى لو كان رصاص الجنود

طلب "الثور الجالس" من "الدب الرافس" أن يبقى ويعلم قومه كيف يمارسون الدين الجديد، ويبدو أنه هو نفسه لم يتبناه لأنه مارس الرقص مدة دون أن تأتيه رؤى، إلا أنه لم يقف في وجه المعتقد الجديد قط، وكان يدافع عن حرية قومه في ممارسة الدين الذي يرغبون وألا يكونوا تبعاً لتوجيهات الرجل الأبيض وتعليمات وكيل الحكومة الأمريكية، وقال لهم في هذا الشأن:"هل نحن كلاب لنصمت عند رفسنا؟ عليكم أن تقولوا للوكيل إن البيض هزمونا وتركونا مجردين من كل شيء، ولكنهم لا يستطيعون تجريدنا من ديننا".

ولما زارت الزعيم المبشرة ماري كولينز ونصحته بترك "الطرق الشريرة"، نقلت عنه إجابة قصدت منها إظهار طموحه الشخصي ولكن ما بين سطور الإجابة يفصح عن اهتمامه بحقوق قومه لا بمجرد المكانة الشخصية، إذ روت أنه قال إن قومه"لم يعيروا كلامه اهتماماً فيما يخص بيع الأرض وفتح المحمية للاستيطان، سأظل زعيماً، ولا يمكنني فعل ذلك إلا بأن يظل قومي في حالة بدائية، وإذا أصبحوا متحضرين سأنتهي"[613]، هذا ما نقلته المبشرة ويمكن لحصافة السامع أن تلتقط مقاصد الزعيم بسهولة وهي أنه لا يريد التخلي عن حقوق قومه وإن كلف ذلك البقاء في حالة التخلف كما يصفها البيض، وبالفعل فقد كانت الوعود "بالتحضر" هي البوابة التي دخل منها البيض للاستيلاء على أراضي الهنود كما رأينا، كما نقلت المبشرة عنه أنه شجع قومه على ممارسة الرقصة الجديدة معلناً

---

[613] -Mark Diedrich، 1998، ص 177.

لهم أن الشتاء سيكون معتدلاً ولن تزعجهم برودته، وكان الأمر كما قال[614].

وعندما زاره معلم المدرسة الحكومية خاطبه الزعيم بالآتي:"ديننا يبدو لكم سخيفاً، ولكن هكذا يبدو دينكم لي أيضاً، إن المعمدانيين والمنهجيين والمشيخيين والكاثوليك كلهم لهم رب مختلف، لماذا لا يكون لنا واحد أيضاً؟ لماذا يحاول الوكيل انتزاع ديننا؟

"إن عرقنا يموت، وكذلك إلهنا سيموت معنا، فماذا يهم لو كان ديننا الجديد ليس حقيقياً، أنا لا أعلم ماذا عليّ أن أصدق؟ إذا تمكنت من الحلم كالآخرين وزيارة عالم الأرواح بنفسي سيكون من السهل حينئذ أن أؤمن، ولكن الغشيان لم يأتني بعد، لقد تجاوزني، إنني أساعد الآخرين على رؤية أمواتهم، ولكن أنا لم يساعدني أحد"[615].

كان اليأس الذي يشعر به الهنود في تلك الفترة كفيلاً بنشر تلك الأماني الجميلة بينهم كما تنتشر النار في الهشيم بالفعل، لاسيما بين أولئك النساء اللواتي فقدن أولادهن وأزواجهن، ولشدة تعلق معظمهم بهذه الأماني لم يعد أحد منهم يعترض عليها وذلك كما أقر الوكيل ماك لوفلين في أحد التقارير:"إنه من المستحيل على أي شخص مهما كان جاهلاً أن يصدق مثل تلك الأفكار السخيفة، ولكن العدوى أصبحت مستشرية إلى درجة أن الهنود الطيبين جداً (أي المطيعين للرجل الأبيض) أصبحوا

---

[614] -Stanley Vestal، 1980، ص 278.
-Robert M. Utley، 1994، ص 289.
[615] -Mark Diedrich، 1998، ص 177.

مذهولين وحائرين عند الحديث عن هذا الموضوع"[616]، وتنقل المراجع أن الهنود الذين كانوا مصنفين ضمن "التقدميين" أو أتباع الرجل الأبيض تبنوا المعتقد الجديد[617] ووقفوا خلف زعاماتهم[618]، كما أن قبائل ممن كانت محسوبة على رضا البيض كالشوشون تبنت هذا المعتقد[619]، وتناست عداواتها القديمة مع القبائل الأخرى في مواجهة العدو الحقيقي[620]، وهو دليل على إفلاس الوعود البيضاء للآخرين[621].

وفي ذلك قال الجنرال نلسون مايلز أعلى مسئول عسكري في المنطقة :"لقد استولينا على أرضهم، والبيض الآن يملكونها، وأصبح الهنود نصف شباع ونصف جوعى، ولا أستطيع أنا ولا أي مسئول آخر طمأنتهم بأنهم سيتلقون معاملة مختلفة في المستقبل، وهو يقولون إنهم تعبوا من الوعود المنتهكة، وهم على حق في ذلك"[622]، ومع وضوح الحق والباطل في القضية، ما هو الأثر العملي لهذه المعرفة على مصير المظلومين؟ (وهذا ما يؤكد أن المصالح وليست الحقائق هي التي تملي السياسة الأمريكية وهو أمر مستمر إلى اليوم).

لقد رقص كثير من الهنود حتى أغشي عليهم ورأوا في الغيبوبة مشاهد عجيبة ورائعة عن عودة موتاهم إلى الحياة، ولهذا سمى البيض الرقصة برقصة الأرواح أو الأشباح

---

616 -Benjamin Capps، 1982، ص 220.

617 -David Humphreys Miller، 1985، ص 127.

618 -George E. Hyde، 1993، ص 250 و262.

619 -David Humphreys Miller، 1985، ص 29.

620 -George E. Hyde، 1993، ص 241.

621 -نفس المرجع، ص 316.

622 -Charles M. Robinson III، 1996، ص 343.

Ghost Dance لأن الهنود رأوا في أحلامهم أرواح موتاهم وقابلوها[623]، "وفي منتصف شهر تشرين الثاني (نوفمبر 1890) كانت الرقصة قد انتشرت في محميات عشائر "السو"، بحيث أن معظم النشاطات الأخرى قد توقفت، ما عاد التلاميذ يأتون إلى المدارس، وفرغت المخازن التجارية من روادها، كما توقف العمل في المزارع الصغيرة"، وانتشرت حالة الخوف بين البيض نتيجة للتقارير المضخمة التي أرسلها الوكلاء الحكوميون:"الهنود يرقصون فوق الثلج وقد أصبحوا هائجين وفي حالة من الجنون...نحن بحاجة إلى حماية فوراً، يجب إلقاء القبض على الزعماء وسجنهم في أحد المواقع العسكرية حتى تهدأ الأمور، ويجب القيام بذلك فوراً"، هذا ما كتبه الوكيل في سلسلة جبال الصنوبر، أما الوكيل ماك لوفلين فقد ذهب إلى أبعد من ذلك وأرسل قوة من الشرطة لإخراج "الدب الرافس" من وكالة الصخرة الواقفة.

وحسب الدكتور فالنتين ماك غليليكودي وهو وكيل سابق تم إيفاده إلى وكالة جبال الصنوبر لتقويم الموقف:"في رأيي من الأفضل أن نترك الرقص يستمر، فقد أخاف مقدم الجنود الهنود، وإذا كان أتباع عودة المسيح (من البيض) في اليوم السابع يجهزون ثياب الصعود إلى السماء، انتظاراً للقدوم الثاني للمخلص، فإنه لا يتوجب إرسال الجيش لمنعهم من ممارسة ما يريدون، فلماذا لا يكون للهنود الامتياز نفسه؟ إذا بقي الجنود فلا بد من أن تحدث الاضطرابات"[624].

---

[623] -William Brandon، 1985، ص 348.
-Frank Humphris، 1973، ص 46.
[624] -دي براون، 1982، ص 319-320.

لم يجد هذا الكلام العقلاني طريقه لمن "ليس لهم آذان" كما وصفهم "الثور الجالس" في يوم من الأيام، فلم يتراجع الجنود الذين جاءوا إلى الوكالات كالوحوش المستعدة للانقضاض على ضحاياها، وسببوا خوف الهنود وانسحابهم إلى مناطق آمنة بعيدة عن الوكالات ليمارسوا الرقص فيها باطمئنان بالرغم من الأحوال الطبيعية الرديئة لتلك المناطق.

ومع ذلك فقد كانت الأوامر مشددة وصريحة:"أوقفوا رقصة الأرواح"، فاستنفر الجيش واستعد للإحاطة بأولئك المساكين[625] الذين يراد منعهم حتى من الحلم الجميل، وقد شخص الجنرال نلسون مايلز قائد قطاع الميسوري الحالة بأنها أخطر أزمة هندية منذ زمن الزعيم تكومسيه (1811-1813)[626]، ورأى الجيش والوكلاء على السواء أن أي مقاومة يبديها الهنود البعيدون عن الوكالة نتيجة تحرشات الجيش بهم لا بد أن يكون "الثور الجالس" الموجود في وكالته بعيداً عنهم هو السبب فيها، وقد وجد أعداء الزعيم في هذه الأجواء المتوترة فرصة للتخلص منه، وبدأ الأمر بتقارير من ماك لوفلين تتهمه بأنه المحرك الرئيس لهذه الأزمة، وبالغ الوكيل في تمثيل مسرحيته فذهب إلى مخيم "الثور الجالس" وطلب إليه وقف الرقص، فعرض عليه الزعيم كعادته حلاً عقلانياً هادئاً:"نذهب أنا وأنت إلى القبائل التي جاءت هذه الرقصة من عندها، ونصل إلى آخرها حيث بدأت الرقصة، فإن لم يرونا المسيح، وإن لم نر الموتى يعودون إلى الحياة، سأعود وأخبر "السو" بأن الأمر كله كذبة، وإن وجدنا المسيح فعليك أن تدع الرقصة تستمر".

---

[625] -نفس المرجع، ص 319.

[626] George E. Hyde-، 1993، ص 273.

لم يحاول ماك لوفلين أن يستمع بإخلاص، فهو من قوم "لا آذان لهم"، بل إنه رأى في كلام الزعيم دليلاً على أنه يظهر ما لا يبطن، فكتب بياناً جاء فيه:"إن "الثور الجالس" كان يحرك الدين الجديد منذ أن وصل إلى وكالة الصخرة الواقفة، ذلك أنه فقد تأثيره السابق على "السو" فخطط لاستيراد هذا الدين واستخدامه في إعادة قيادته لقومه الذين يمكنه بعد ذلك أن يقودهم بسهوله في أي مشروع متهور يقوم به"[627].

اغتيال "الثور الجالس" بأيدي العملاء من قومه: الهندي الأخير يصبح هندياً طيباً (أي ميتاً)[628]

وفي 20 نوفمبر / تشرين الثاني 1890 جاء أمر من المكتب الهندي إلى الوكلاء بوضع أسماء "مثيري الاضطرابات" في قائمة، فكان "الثور الجالس" بينهم، فخطط الجنرال نلسون مايلز، الذي "كان يريد إزاحة "الثور الجالس" فوراً" لاعتقاله، وحاول استخدام صديقه القديم بافلو بيل لاستدراجه لعقد اجتماع مع مايلز أو للذهاب إلى أقرب مركز عسكري لتلقي الهدايا، وبالفعل ذهب بافلو بيل إلى الوكالة، ويذكر دي براون أن الملفات لا توضح إن كان بافلو بيل على علم بما ستؤدي إليه الخطة أم لا، ولكن مراجع أخرى تؤكد أن رجل الاستعراضات رأى أن المهمة فرصة ذهبية لحيازة

[627] -Benjamin Capps، 1982، ص 220.
-George E. Hyde، 1993، ص 273.

[628] -وفقاً للمقولة الدارجة التي ابتدعها الجنرال فيليب شيريدان أثناء الحروب الهندية وهي: الهندي الصالح هو الهندي الميت.

الشهرة، وهذا هو الأقرب لطبيعة الرجل الأمريكي الذي لا يقدر صداقة إلا بما تجلبه من منافع، وهذا كان حال "صداقته" مع الزعيم عندما أشركه في استعراضه، أما وقد تطلبت المنفعة الانقلاب على هذه الصداقة، فليس هناك من مانع، المهم في الأمر أن الوكيل ماك لوفلين كره هذا التدخل في اختصاصاته وأقنع المسئولين باستدعاء بافلو بيل فتم إلغاء الخطة بالفعل[629].

وفي 12 ديسمبر/ كانون الأول 1890 أصدر الجنرال نلسون مايلز أوامر إلى قائد حصت ييتس حيث وكالة الصخرة الواقفة موطن "الثور الجالس" (الخريطة المرجعية رقم 2) "بإلقاء القبض على "الثور الجالس" وكذلك زيارة الوكيل الهندي ماك لوفلين للتعاون وتقديم المساعدة للقيام بهذه المهمة على أفضل وجه"، وقد جاءت هذه الأوامر في وقت تلقى فيه الوكيل أنباء عن اعتزام الزعيم القيام بزيارة إلى وكالة سلسلة جبال الصنوبر حيث "الغيمة الحمراء" وعشيرته الأوغلالا، فصمم على اعتقال "الثور الجالس" في الحال، وللقيام بالمهمة "على أفضل وجه" كلف ماك لوفلين الشرطة الهندية بقيادة "رأس الثور" القيام بعملية الاعتقال، وعندما علم بعضهم بالمهمة قدموا استقالاتهم خشية من قيام حرب أهلية[630]، أما البقية فشربوا الخمر الذي قدمه الوكيل إليهم[631] لينفذوا المهمة "بجنون" كما

[629] -نفس المرجع، ص 220.
-دي براون، 1982، ص 320.
-Stanley Vestal، 1980، ص 280.
-David Humphreys Miller، 1985، ص 160.
[630] -Mark Diedrich، 1998، ص 182.
[631] -نفس المرجع، ص 183.

قال أحدهم[632]، ووعدهم الوكيل بمعاشات تقاعد لأيتامهم وأراملهم رغم الادعاء بأن الهدف من إرسالهم هو "منع إراقة الدماء"[633] (تماما كما أدخل الصهاينة ميليشيا القوات اللبنانية في مخيمات بيروت سنة 1982 بحجة منع إراقة الدماء فكانت هي التي ارتكبت المجازر).

كان الزعيم قد تناهى إلى سمعه ما يدبر له فأبدى أسفه وانزعاجه أن يقوم رجال من قومه بقتله، وفضل أن يقوم بذلك جنود أمريكيون، وتحدث عن رغبة الوكيل في إبعاده بسفر آخر ولكنه قال إنه سافر في السابق ولن يعيد الكرة ثانية، وأظهر ندمه لأنه عاد من كندا حيث كان يفضل البقاء ولو أدى ذلك إلى الجوع، وقال إنه لو جاء الوكيل مع الخونة لاعتقاله فإنه سيقاوم حتى الموت، ولا يريد أن يساعده أحد لأنهم يطلبونه هو لا غيره[634].

وقبل حلول فجر الخامس عشر من ديسمبر/ كانون الأول أحاط 43 شرطياً مأجوراً من أولئك الهنود الخونة بكوخ "الثور الجالس" ودخله "رأس الثور" عنوة وأيقظه بغلظة، فنظر إليه الزعيم الكبير قائلاً: "ماذا تريد هنا؟".

فأجابه "أنت سجيني وعليك الذهاب إلى الوكالة"، وأكمل "الرأس الحليق": إذا قاومت ستُقتل هنا".

رد عليهم الزعيم: "حسن، دعني أرتدي ملابسي ثم اذهب معك".

---

632 -David Humphreys Miller، 1985، ص 190.

633 -Stanley Vestal، 1980، ص 303.

634 -Mark Diedrich، 1998، ص 182.

-David Humphreys Miller، 1985، ص 135.

ولكن الشرطي حاول بغلظة أن يضع الملابس عليه ويأخذه في نفس الوقت، فبدأ الزعيم بالمقاومة، وهنا تدخلت إحدى زوجاته وهي تصرخ في وجوه الشرطة:"ماذا تفعلون هنا أيها الحساد؟"، ودفع الشرطة بالزعيم إلى خارج خيمته بقوة ثم أمسكوا به بعنف وهو يقول : "لن أذهب"، وأحاط أتباعه المخلصون بالشرطة المأجورين وصرخ "اصطد الدب" قائلاً: "هل تعتقد أنك ستأخذه؟ لن تفعل ذلك".

وخاطبهم الزعيم قائلاً:"أنتم جميعاً من الهنود، والدماء التي تجري في عروقكم كدمائي، أنتم قومي، لقد حذرت كل الهنود مراراً من الثقة بالحكومة، لقد رفضت أن أتنازل عن أرضنا، والآن ذهبت أراضينا ولم نتلق ثمنها، وجاء أبنائي بصفتهم عملاء لتلك الحكومة لاعتقالي ويقفون لإطلاق الرصاص على لحمهم ودمهم لمساعدة تلك الحكومة، ليس لديكم الحق لتفعلوا ذلك، أنتم جبناء حين تأتون إلى بيتي في الليل، أنتم كلاب لترفعوا أيديكم ضد قومكم، ولا تستحقون الحياة أو اسم قبيلة "لاكوتا"، وقد استدعيت أصدقائي لقتلكم الآن"[635].

فقال الشرطي "رأس الثور" للزعيم: "هيا ولا تصغ لأحد".

فثبت الزعيم في مكانه قائلاً بصوت عال: "لن أذهب، افعلوا بي ما تريدون، لن أذهب، هيا، هيا، افعلوا شيئاً، هيا بنا"، وهو ما فهمه أتباعه أمراً بالتحرك.

وهنا أبرز "اصطد الدب" بندقيته وأطلق النار على الشرطي "رأس الثور" فسقط مطلقاً رصاصة أصابت "الثور الجالس" فتبعه الشرطي "الفأس الحمراء" بإطلاق رصاصة أخرى على

---

[635] نفس المرجع، ص 183.

الزعيم أصابته في رأسه فكانت القاتلة، وتبع ذلك إطلاق نار متبادل أدى إلى مقتل ستة من الشرطة العميلة وثمانية من أتباع "الثور الجالس" بمن فيهم ابنه "رجل الغراب" ذو الأعوام السبعة عشر[636].

فقُتل بهذا الزعيم الكبير، وقُتل معه حلم أمته.



كوخ "الثور الجالس" الذي قُتل عنده

[636] -Benjamin Capps، 1982، ص 220-222.
-دي براون، 1982، ص 321.



الليفتينانت "رأس الدب" الذي قاد محاولة اعتقال "الثور الجالس" وأطلق النار عليه في البداية (photo by F. Fiske)



"الفأس الحمراء" Red Tomahawk قاتل "الثور الجالس" وهو بين شرطيين من الشرطة العميلة

عم السرور بين المستوطنين في الغرب الذين كانوا يعدون "الثور الجالس" عقبة في وجه التقدم والذي كان مجرد وجوده عائقاً في وجه الاستيطان في مناطق واسعة من داكوتا ونبراسكا، ولم يخف الوكيل ماك لوفلين سروره بنجاح خطته وأعلن أن الرصاصات التي قتلت "الثور الجالس" قضت على النظام القديم في موطنه وبين قومه، وحصل أيضاً على إطراء

من الرئيس الأمريكي نفسه وهو بنيامين هاريسون الذي وصف "الثور الجالس" في تصريح لصحيفة نيويورك هيرالد بأنه أكثر الشخصيات الهندية إزعاجاً وتمنى بزوال خطره أن يتم حل المشاكل الهندية في داكوتا فوراً دون مزيد من إراقة الدماء، كما وصفته صحيفة سانت بوليس بيونير برس بأنه الهندي الأكثر خطراً في زمنه، ولكن الموجة لم تظل مؤاتية، فسرعان ما ساد الخوف بين المستوطنين من انتقام الهنود فهرب آلاف منهم إلى المدن، كما وجهت التهم إلى الوكيل بكونه غولاً وقاتلاً، ولكنه لقي دعماً رسمياً ودينياً وشعبياً، وذلك رغم أن التقرير الذي أعقب الحادث اعترف بأن "محاولة اعتقال "الثور الجالس" دبرت بطريقة تضع مسئولية القتال الذي تلاها على أتباعه الذين بدءوا إطلاق النار" (كعادة كل المعتدين الاستعماريين الذين يهمهم تصوير الضحايا أثناء الهجوم عليهم بصورة المعتدين) أما الجنرال مايلز فوجد نفسه وقد تورط في خلاف شخصي بين الوكيل والزعيم الراحل وأصبح أمام مشكلة الذعر الذي انتشر بين الهنود أنفسهم، سواء الموالون أم المعارضون، وقد تخلى الأمريكيون عن عملائهم ولم يكلفوا أنفسهم حمايتهم أو حماية ممتلكاتهم فهرب الآلاف منهم من وكالة الصخرة الواقفة بعد إتمام العملية خوفاً من انتقام قومهم.

95 **The Detroit Free Press** EXTRA

DETROIT, MONDAY, DECEMBER 15, 1890

CHIEF SITTING BULL KILLED

Chief Who Lead Sioux In Battle of the Little Big Horn Is Shot By Indian Police When His Warriors Try to Stop His Arrest At His Village On Grand River

Chief Sitting Bull was shot to death today after his warriors tried to prevent his arrest by Indian Police. Eight Indians, including Sitting Bull's son, Crowfoot, were also killed, as were six of the police. After the battle of the Little Big Horn, Sitting Bull escaped to Canada, but returned to the United States after being promised a pardon. He then appeared in Buffalo Bill's Wild West Show, but lately he has been urging the Sioux not to sell their lands.



Chief Sitting Bull

Since Sitting Bull's return to the U. S. the strange religious craze of the Ghost Dance has spread among the Indians, who believe that a Messiah is coming to free them from the oppression of the white man.

©T.C.G. PTD. IN U.S.A.

See Scoop No. 96 — GERONIMO SURRENDERS TO GEN. MILES

صحيفة ديترويت فري برس تنقل خبر اغتيال الزعيم
في طبعة إضافية يوم الحدث

ihilist, has started for
y he intends to take up
appel announces, in this
Millerand will interpel-
t in the Chamber of
o Mendelsohn's depar-
timated that French
take this step.
rdict is Illegal.
2.—La Lanterne to-day
t to the effect that one
ried Eyraud and Ga-
a bankrupt, which, says
facto annuls the verdict.
to-day that Gabrielle
r term of twenty years'
entral prison at Ren-
Composer.
ember 22.—The death
le, the composer, has
. He was born in this
817, and became first
Royal. In 1841 he
d by the Copenhagen
r his first great compo-
n Ossian."
Economize.
22.—A circular just
ritish branches of the
he services of most of
with such branches
the future owing to

SITTING BULL'S DEATH.

Official Report of the Arrest and Killing of the Old Sioux.

The Movement Was Made in Obedience to a Military Order From General Miles.

Agent McLaughlin Praises the Indian Police for Their Brave Conduct in the Affair.

WASHINGTON, December 22.—The Commissioner of Indian Affairs has received from Indian Agent McLaughlin a report dated Fort Yates, Standing Rock Agency,

of Sioux, numbe
of the most defi
result so far has
Schofield is very
port and said thi
hear very soon t
had surrendered.
Su
OMAHA, NEB.
to the Bee say
150 warriors led
rendered to Colo
soldiers succeede
vicinity of Stand
making for the B
A Fi
DENVER, COL
special from the
S. D., says: Rep
dians north of h
ed. A large con
in charge of Col
band of Indians
A scout who was
afternoon. He
heard that Hur
were reported as
tiles in the Bad
band, he sent a
them on their a
were repulsed,
but no one was

صحيفة كليفلاند ليدر يوم 23 ديسمبر بعد الحادث بثمانية أيام

دفن الزعيم بعد يومين من الاغتيال ولم يحضر دفنه أحد وكان ذلك في زاوية بعيدة في حصن ييتس وأفاد النجار الذي صنع التابوت أن ملامحه كانت مشوهة جداً، ولم يجرؤ أحد على دفن بقية الضحايا إلى أن تولى ذلك رجل دين فحصل على العرفان بالجميل من القبيلة[637].



القبر الذي دفن فيه "الثور الجالس" بعد اغتياله

وبعد فوات الأوان كالعادة، وبالتحديد في 19 ديسمبر/ كانون الأول 1890، كتب الجنرال نلسون مايلز قائد قطاع الميسوري مقراً بأن السبب في المتاعب التي نشأت هو سياسة الإكراه التي استعملتها الحكومة لتجبر الهنود على الزراعة في مواسم الجفاف حين لا يمكن لمحصول أن ينمو، وبدلاً من تزويدهم بالمؤن التي باعوا أراضيهم بها تم اقتطاع جزء كبير منها،

[637] Stanley Vestal-، 1980، ص 293 و303-311.
David Humphreys Miller-، 1985، ص 193-195.
Mark Diedrich-، 1998، ص 174.

والحل لن يكون إلابالالتزام بتعهدات الحكومة للهنود[638]، ومن الذي حمل هذه السياسة إلى الساسة وأوصاهم بها؟ إنهم الخيرون الإنسانيون "أصدقاء الهنود" وفي مقدمتهم السناتور هنري دوز، ومن الذي تبنى إجبار الهنود على التنازل عن أراضيهم سنة 1889؟ إنهم الخيرون الإنسانيون وعلى رأسهم السناتور دوز نفسه، وهذا السناتور لم يكن يعلم بوجود مجاعة بين الهنود، وأنها تعود لسنتين ماضيتين، ووضع اللوم عليهم (لوم الضحية دائماً !) لأنهم تركوا حقولهم ووكالاتهم وانضموا إلى المتسكعين المتبطلين (وهو اتهام باطل لأن من وصفهم بذلك كانوا من الهنود المسيحيين المزارعين)، ورد عليه أحد زملائه بأن إرسال مؤن للهنود كان قراراً أصوب من إرسال بنادق لقتلهم، ورد دوز بأن الكونجرس والحكومة لم يخلفا وعود كروك (الذي توفي تأثراً من أساه لكسر كلماته !) ولكن في رأي دوز "صديق الهنود" أن أي كمية من المساعدات لم تكن لتفيد في وجود زعامات "متطرفة" كالغيمة الحمراء والثور الجالس، وهو اتهام باطل لاسيما أن "الغيمة الحمراء" كان صاحب توجه مسالم وهو شبه أعمى ولا خطر منه[639]، ويصف أحد المؤرخين هذه التهم بأنها لم تزد رصيد السناتور دوز الذي فضحه اعترافات العسكر كما سبق، وهذا هو حال "أصدقاء الهنود"، فكيف بالأعداء؟! وهل نجح اكتشاف الخلل في ذلك الزمن في تجنب مزيد من الكوارث، الإجابة لا لأن مجزرة الركبة الجريحة كانت على الأبواب.

---

[638] -George E. Hyde، 1993، ص 281.
-Robert M. Larson، 1997، ص 272.
[639] -George E. Hyde، 1993، ص 280-281.



في سنة 1953 نقل رفات الزعيم داخل محمية الصخرة الواقفة من حصن ييتس في داكوتا الشمالية إلى جوار مدينة موبريدج في داكوتا الجنوبية، ووضع هذا النصب الذي نحته نفس الفنان الذي يشرف على تمثال الحصان المجنون الذي سبق الحديث عنه، ولم يستغل الموقع مالياً ولا سياحياً وصار مكرساً لمحبي الزعيم بعيداً عن الأضواء[640]

أقوال في "الثور الجالس"

وتجدر الإشارة إلى اثنين من التعليقات على قتل الزعيم، وهما تعليق المفتش جيمس وولش الذي التقى "الثور الجالس" كثيراً أثناء تواجده في المنفى بكندا، وتعليق أول كتاب سيرة الزعيم، وهو ويليس جونسون.

أما وولش فقد كتب بعد الاغتيال بيوم (16 ديسمبر / كانون الأول 1890):"إنني سعيد أن أعلم أن "الثور الجالس" قد تحرر

640 - http://heritagerenewal.org/stone/sittingbull.htm

من آلامه حتى لو كان ذلك بفعل الرصاص، إن رجلاً كان له من النفوذ ما للملك كما كان "للثور الجالس" على قوم جموحين، لا يمكنه أن يتحمل الفقر والعبودية والتسول الحقير دون أن يعاني من ألم نفسي شديد، وفي الموت راحة له....إن إيمان "الثور الجالس" بالروح العظمى كان أقوى مما رأيته في أي رجل آخر، لقد كان يثق به بشكل مطلق، والتاريخ لا يخبرنا عن هندي عاش أعظم من "الثور الجالس"، لقد كان محمد الهنود، واضع القوانين وصانع الزعماء "للسو""[641].

أما جونسون فقد كتب:"لقد ذهبوا للقتل، وقد قتلوه، وأنا أقول من واقع فهم أفضل للظروف والحوادث من البعض: إن هذه جريمة قتل، وبعد ذلك قرأت في صحيفة كبرى إن "الجميع راضون بقتله" وأنا أصرخ ضد هذا الكلام كما فعلت ضد الفعل، لقد قرأت أنهم دفنوا جسده كما لو كان كلباً، دون مراسم العزاء، إن هذا ما يحدث اليوم، وهذا هو أفضل ما يمكن لهذا الجيل أن يقدمه لهذه الشخصية التاريخية النبيلة، ولكن جيلاً قادماً سيعكس حكمنا، فأطفالنا سيبنون النصب لمن نرجمهم، والسكان الأصليون العظماء الذين قتلناهم سيصبحون لأمريكيي المستقبل من الشخصيات التاريخية لهذه القارة..."[642]. (وهي نفس معضلة الندم بعد فوات الأوان الملازمة لمظالم الغرب والتي تكون جلية في زمنها ولا يمنع من الاعتراف بها سوى طغيان المصالح فلما تنقضي هذه المصالح وتتحرر الأجيال التالية من إسارها يصبح الندم ليس مكلفاً ومن ثم يظهر بوضوح على السطح، وهو ما أدركه الأديب الصهيوني عاموس عوز فى هذه

---

[641] -Robert M. Utley، 1994، ص 306-307.

[642] -Mark Diedrich، 1998، ص 174 و185.

المسألة وحاول تسخيره لصالح الجرائم الصهيونية فقال في حديث مع مسئول كبير من الصهاينة:"ماذا لو قتلنا مليوناً من العرب، أو حتى ستة ملايين؟ إن التاريخ سينسى ذلك (ولكن التاريخ يأبى نسيان ملايين المحرقة النازية الستة لأنهم ليسوا عرباً !)، ويأتي أدباؤنا ويكتبون روايات عظيمة عن المذابح التي ارتكبناها في حق العرب ومشاعر الذنب التي تنتاب الجيل الجديد، ويحصلون على جوائز نوبل في الأدب"[643]).

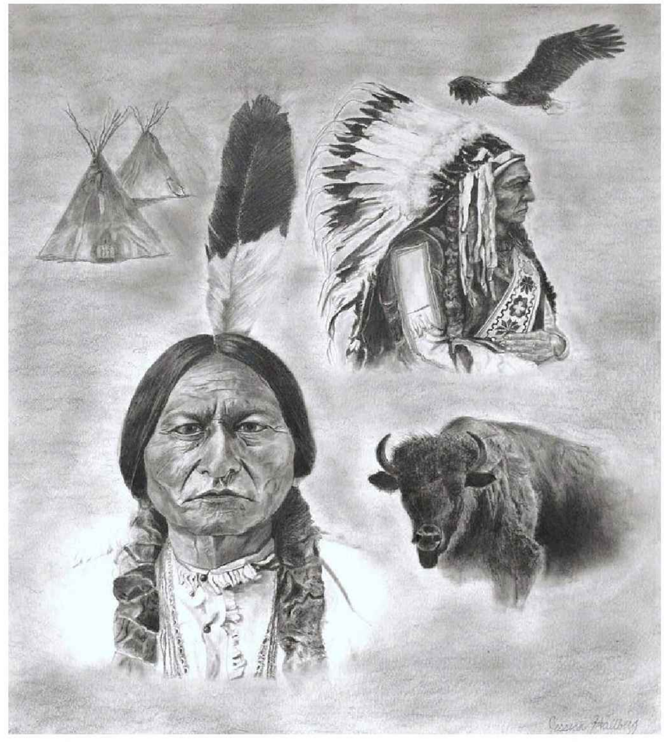
وتصديقاً لقول المؤرخ جونسون يقول كاتب سيرة الزعيم المؤرخ روبرت أتلي إن الصورة التي رسمها الوكيل ماك لوفلين "للثور الجالس" ظلت مهيمنة إلى أن أعاد المؤرخ ستانلي فستال رسم صورة جديدة أكثر واقعية، وكان ذلك في سنة 1932 في الكتاب الشهير:"الثور الجالس: بطل السو"، وفي خاتمته قال فستال في ذلك العام إن موقف الأمريكيين صار يبدي تغيراً تجاه "الثور الجالس" وهذا أمر جيد لأنهم يدينون بالكثير لعدوهم القديم، ولو كانت القارة فارغة عندما حل بها الأوروبيون لكان تاريخهم فيها مجرد تمدد رتيب ومكرر، ولمّا كان المؤرخون يذكّرون الأمريكيين أن التخوم هي التي كوّنت أمريكا، فإن الهنود هم الذين صنعوا هذه التخوم، وكان "الثور الجالس" زعيم أكبر قبيلة هندية في القارة، وأقوى وأشجع وأعند مقاوم للنفوذ الأوروبي، وكان هو قلب وروح التخوم، وعندما يكتب التاريخ الحقيقي للعالم الجديد، سيحصل على مكانه فيه، فقد كان ممن صنعوا أمريكا[644] (ولكن بلا شك لم تكن هذه هي أمريكا التي يريدها رغم دوره الكبير فيها الذي يمكن أن يشبه

---

[643] -الدكتور رشاد عبد الله الشامي، 1988، ص 177.

[644] -Stanley Vestal، 1980، ص 315.

المقاومة التي تقوي الجسد بدل القضاء عليه، وهو ما اعترف به مؤرخنا، ولهذا يجب ألا تعزى شرور أمريكا لمثل هؤلاء الكبراء).



لوحة للفنانة جيسيكا هالبيرغ Jessica Hallberg[645]

وفي سنة 1976 قال المؤرخ فرانك همفريز عن "الثور الجالس" في الذكرى المؤية لمعركة القرن الصغير: "لقد صُور كثيراً كهمجي متوحش وماكر، لاسيما بعد صدمة هزيمة كاستر،

645 - http://fineartamerica.com/featured/sitting-bull-jessica-hallberg.html

ولكن لا دليل على هذا الكلام، بل على العكس لقد كان يصادق رجالاً بيضاً، ولكنه كان وطنياً، يقاتل في سبيل وطنه ويغضب من المظالم التي ترتكب ضد قومه، وكان كذلك سياسياً بارعاً وذكياً إلى حد الدهاء، ولو عاش في أيامنا هذه لأصبح بطلاً قومياً بارزاً، لقد كانت قدرته التنظيمية هي التي وحدت القبائل للمعركة التي علم أنها قادمة بلا شك"[646].

وقالت عنه موسوعة الغرب الأمريكي (1977): "كان "الثور الجالس" لغزاً كبيراً للبيض في زمنه، وقد عكست سمعته فيما بعد هذه الحيرة، ذلك أن مواهبه كانت أكبر مما أراد معظم الأمريكيين الاعتراف به لمجرد همجي في نظرهم، وإما أنه تعرض للانتقاص أو الإضافة، فأنكر بعض المؤرخين أنه محارب وادعوا أنه كان جباناً ومتسولاً ومتوحشاً وضيق الأفق، وقام آخرون بالادعاد جدياً أنه درس سراً في الكلية العسكرية في وست بوينت بل إنه درّس فيها أيضاً بشكل مستتر، أما الكتاب المزيف الذي وضعه ر. د. كلارك بعنوان "مؤلفات الثور الجالس" (1878) فقد صوره كخريج جامعي وشاعر باليونانية واللاتينية والفرنسية، أما بين قومه فقد كان محل الإعجاب بصفته والداً محباً ومدافعاً شجاعاً، لطيف المعشر، ورعاً في التدين، ومتنبئاً ذا مصداقية وشرف"[647].

ومن مهازل اكتشاف الحقائق بعد فوات الأوان، أن الوكيل ماك لوفلين ضمن حملته الإعلامية ضد "الثور الجالس" زمن رقصة الأرواح، ادعى أن الزعيم قد كسر غليون السلام الذي يمتلكه، وبنى على هذه المعلومة أنه يستعد لإثارة المتاعب

646- Franf Humphris، 1976، ص 31.

647- Howard R. Lamar، 1977، ص 1120.

وإعلان الحرب على الرجل الأبيض، وترتبت الأحداث المأساوية التالية على هذا الادعاء[648]، ولكن المضحك المبكي أنه تم اكتشاف غليون مطابق لغليون الزعيم في بداية القرن الحادي والعشرين، ومن الفحوصات الدقيقة بالوسائل الحديثة تبين حتى الآن أنه هو نفسه غليون الزعيم[649]، وسواء كان هو أم لم يكن، فإن ادعاءات ماك لوفلين لم تكن الكذبة الأولى ولا الأخيرة التي احتج بها الرجل الأبيض لشن عدوانه الكاسح على الآخرين ثم يأتي بكل برود بعد ذلك ويعتذر عن الخطأ الذي ارتكبه وكأنه مجرد دوس على طرف الثوب، وما مشهد كذبات العدوان على العراق ببعيد.

وفي الكتاب الذي حمل عنوان "غليون الثور الجالس: إعادة اكتشاف الرجل وتصحيح الأسطورة" (بعد أكثر من قرن) قال المؤلفان: "لقد صنع "الثور الجالس" التاريخ، وأصبح ميراثه أكثر أهمية بمرور الزمن، كما أن غليونه ملكية شخصية هامة تجسد اليوم روحانيته وأهميته، وفي القرن الحادي والعشرين يربطنا هذا الغليون بعظمة الرجل وبالصدام الحضاري في زمنه"[650].

---

[648] -Kenneth B. Tankersley and Robert B. Pickering، 2006، ص 22-23.

[649] -نفس المرجع، ص 72 و75.

[650] -نفس المرجع، ص 75.



نماذج من التحقيق في الغليون المكتشف (باللون البني) مقابل صورة الغليون الأصلي بيد الزعيم[651]: مهزلة أخرى من سلسلة الاكتشافات بعد فوات الأوان (أكثر من قرن)، ومازال الكذب مستمراً ومازال هناك من يؤمن بفعالية انتظار "آلية التصحيح الذاتي" !

[651] -نفس المرجع، ص 73.

باغتيال "الثور الجالس"، انطوت صفحة من صفحات البطولة الإنسانية، ولكن نهاية الحياة لا تعني نهاية المثل والنموذج، والمتدبر فيه يرى أن عظمة الزعيم لم تكن في المواقف الشجاعة التي وقفها في معاركه واشتباكاته فقط، بل كانت أساساً في الأفكار والمبادئ التي حفزته لاتخاذ المواقف المبدئية العديدة في معاركه الحربية والسياسية والاجتماعية، فقد كان يصر على حق قومه في الحياة الكريمة والحرة، ولذلك رفض القبول بأي شكل من أشكال محميات الفقر ووكالات التسول، حتى في الوقت الذي كان فيه "الغيمة الحمراء"، الزعيم الأكبر الذي أخضع الحكومة الأمريكية لشروطه سنة 1868 بعد حرب طاحنة ضدها، قد مال إلى التفاوض والقبول، أما "الثور الجالس" فقد اعتقد أن البيض سحروا عيني "الغيمة الحمراء" ليرى ما يريدونه.

وقد أدرك "الثور الجالس" أن رفض الحياة في المحمية سيؤدي حتماً إلى الحرب، لاسيما بعد تحرش الجيش بقرية "الشايان" المسالمة في مارس 1876، ولذلك قام بتوحيد القبائل على كلمة واحدة لمواجهة العدو الزاحف، ولأول مرة في تاريخ هنود السهول يسلم هذا العدد من المحاربين من القبائل المختلفة بزعامة رجل واحد، فانضموا تحت لوائه، وكانت معركة نهر "القرن الصغير" الذي يطلق عليه الهنود نهر العشب الدهني.

وبينما كان الجميع يستسلمون بعد الضغوط الشديدة التي مارسها الجيش عقب الانتصار الهندي الساحق على كاستر، لم يكن الاستسلام في جدول "الثور الجالس"، فقام باللجوء إلى كندا مع أكثر من خمسة آلاف من أتباعه، وحاول قدر استطاعته أن

يعيش حراً بعيداً عن أولئك الأمريكيين الذين سرقوا أرضه وأرادوا استعباده، ولكنه تعرض للبلاء الشديد في منفاه.

كان زعيم "الشايان" المسالم "الإبريق الأسود" قد أصر على انتهاج الطريق السلمي رغم وقوع مجزرة "نهير الرمل" (1864) ضد قومه، وتخلي قومه عن زعامته بعدها، ونقض البيض لمعاهدة "الكوخ السحري" بمنع المساعدات عن قومه وتركهم للمجاعة، ولكن "الإبريق الأسود" تحمل كل هذه "التضحيات" ليبقى على الجانب "الآمن" دائماً مهما كلفه ذلك من حريته وكرامته بل وحياة قومه الذين كان مسئولاً عنهم، وهو نموذج متكرر من الساسة المستسلمين لأقدار المستعمرين.

وفي مقابل ذلك تحمل "الثور الجالس" المجاعة، وتخلي قومه عن البقاء معه في كندا، وبقي على الجانب العزيز مهما كلفه ذلك من تضحيات حقيقية تحملها بكل ثبات، ولم يكن باحثاً عن الزعامة كما صوره بعض المؤرخين، لأنه لو كان كذلك لما وقف يتفرج على تضاؤل عدد أتباعه في كندا حتى انخفض من 5600 إلى 187، ولم يكن باحثاً عن الحياة الهادئة بأي شكل، لأن المصاعب التي واجهها في الفترة الأخيرة من إقامته في كندا أسوأ كثيراً من حياة المحميات التي كان يمكن أن يحياها في الولايات المتحدة، لقد كان باحثاً عن الحرية وكان يريد قيادة قومه إلى حياة مثلى بحث عنها ولكنه لم يجدها في ظل ظلم البيض وعدوانهم.

وصمد "الثور الجالس" في كندا أكثر مما يمكن، وحتى عندما استسلم لم يكن استسلامه خضوعاً، فقد أخبر ضابط الحصن أن الأرض التي يقف عليها هي ملك له وأنه لم يتخل عنها، ولم يسلم سلاحه بنفسه وترك هذه المهمة لابنه الصغير، وانتقل بعد

ذلك إلى مرحلة جديدة من النضال، فلا يعني كونه سلم بندقيته أنه قد تخلى عن كفاحه وأصبح سهلاً ومطواعاً ومتعاوناً مع سلطات الاحتلال وصديقاً لها، فليس كل أشكال الكفاح بحاجة إلى بندقية لاسيما لو كان الكفاح السياسي صلباً كما مارسه هذا الزعيم الذي تصدي كالسور العالي للحكومة التي كانت تحوم حول أراضي المحمية التي تبقت لقبيلة "السو" وذلك لتنشب مخالبها في أملاك هؤلاء الهنود، وساعده على ذلك التصدي وقوف قومه حوله على كلمة واحدة، ولكن عندما لم يعد هناك من يتصدى سواه، وخُدع قومه بكلمات اللصوص البيض، لم يعد بإمكانه أن يقف وحده لمنع الاستيلاء على الأرض لأن العدد هو العامل الحاسم في تمريرها.



الزعيم من تصوير: David Frances Barry

كان الزعيم معجباً بثقافة قومه ومتمسكاً بها، ولم يجد في حضارة البيض وثقافتهم ما يجذبه إليها أو يدعوه للمقارنة المبهورة بينها وبين ثقافة قومه بأخلاقها وتأملاتها الرفيعة، وزاد من ثباته ما رآه في المجتمع الأبيض لما تجول فيه، وتكلم عن العيوب الكثيرة التي لاحظها في تجواله.

الثور الجالس: "إن حب الامتلاك مرض في الأمريكيين، يأخذون ضريبة من الفقير والضعيف ليدعموا بها الثري الذي يحكم، ويدعون أن أمنا هذه، الأرض، تخصهم ويمكنهم أن يطردوا منها جيرانهم، ولو كانت أمريكا أكبر مرتين من حجمها، فلن تكفيهم"

وعن موقفه من الرجل الأبيض وحضارته تقول موسوعة الغرب الأمريكي: "كان "الثور الجالس" منذ يفاعته عدواً عنيداً للبيض، ولم يكن ذلك ناتجاً عن تجربة شخصية محددة، بل نتيجة إخلاصه الشديد لعادات قومه وفضائلهم التقليدية، فقد كان

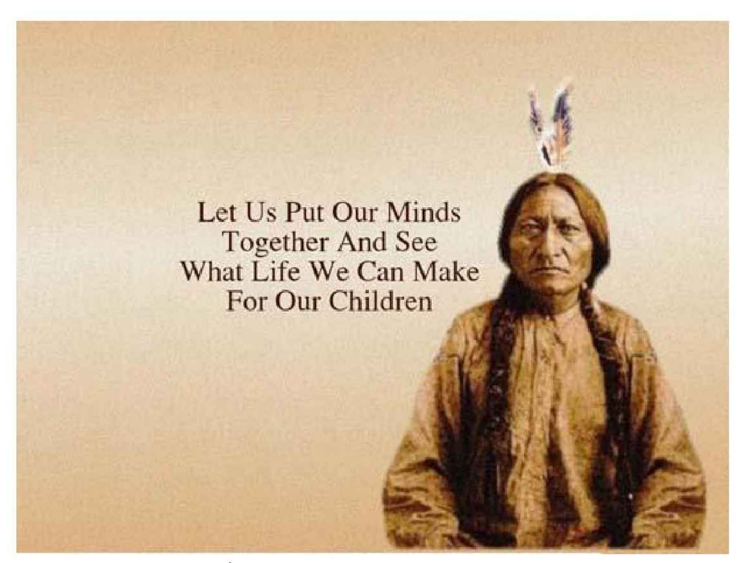
يشعر بتفوقهم، ولهذا كان الاختلاط بالبيض لا يجلب سوى ضعف وإفساد ثقافة قبيلته، وقد لاحظ الخيانة والوحشية اللتين مارسهما البيض الذين بدءوا بالاندفاع داخل أراضي "السو"، وما رافق ذلك من انحطاط أعداد كبيرة من الهنود نتيجة شرب الخمر والأمراض، فلم يؤد ذلك إلا إلى دعم موقفه"[652].

هذا الموقف لم يكن خاصاً "بالثور الجالس" وحده، إذ يتحدث "الأيل الأسود" الذي زار مدن أوماها (نبراسكا) وشيكاغو ونيويورك أن مقارنة حياة الهندي بحياة الرجل الأبيض جعلته حزيناً إذ فارق وطنه لأنه لم ير ما يفيد قومه عند البيض، ولا يمكن أن تكون حياتهم أفضل من حياة الهنود، لأنهم لا يعتنون ببعضهم البعض كما يفعل الهنود، ويسلبون ممتلكات بعضهم البعض إذا تمكنوا من ذلك، ولدى بعضهم من الممتلكات أكثر مما يحتاجونه ويمكنهم استعماله في الوقت الذي يعيش فيه جموع من المحرومين من كل شيء إلى درجة الجوع[653].

وعندما أغلقت السبل جميعها أمام "الثور الجالس"، رضي بتبني الزراعة والاستقرار والحضارة والمدنية وكل ما يدعي البيض أنهم يحاولون جلبه للهنود، وقبوله هذا يدل على أنه لم يكن رافضاً التعامل مع شكل جديد من الحياة بشرط ألا يكون قناعاً للاستسلام والتسول.

652- Howard R. Lamar، 1977، ص 1119.

653- John G. Neihardt، 1998، ص 216-218.

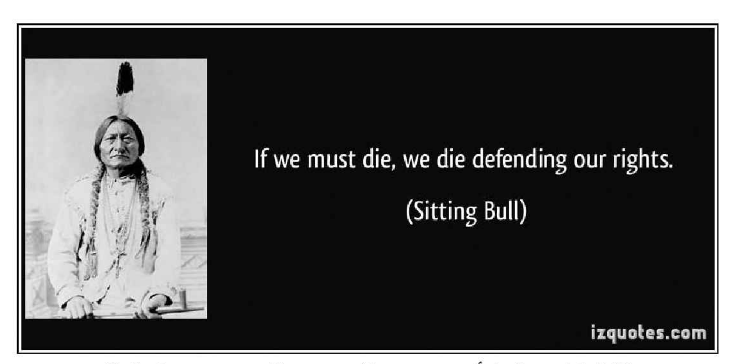


لم يرفض "الثور الجالس" فكرة التعايش وخاطب الأمريكيين بقوله: "دعونا نفكر معاً بنوع الحياة التي يمكن أن نقدمها لأبنائنا" ولكن الطمع الأبيض هو الذي يرفض التعايش

ولهذا لم يوافق على بيع الأرض حتى بعدما أصبح مزارعاً، وقد علمتنا تجربته أن مزاعم الرجل الأبيض عن جلب الحضارة والتمدين ليست سوى شعارات كاذبة يقصد منها سلب الممتلكات وتحقيق المصالح على حساب الآخرين، ولهذا ظل وجوده يؤرق الظالمين بالرغم من قبوله بطريقهم والمكاسب التي حققوها، وانتهزوا ظهور رقصة الأرواح للتخلص منه برصاصة عميل خائن، ولكن عمر البطولة لا يقاس بأعمار أصحابها.

"أية معاهدة صنعها الرجل الأبيض وخرقها الرجل الأحمر؟ لا يوجد، وأية معاهدة عقدها البيض معنا نحن الحمر والتزموا بها؟ لا يوجد.

"عندما كنت صغيراً كان شعب "لاكوتا" يملك العالم، الشمس تشرق وتغرب في أرضهم، كانوا يجهزون عشرة آلاف فارس للمعركة، أين المحاربون اليوم؟ من الذي ذبحهم؟ وأين أراضينا؟ من يملكها؟ أي رجل أبيض يستطيع أن يقول إنني سرقت مرة واحدة أراضيه أو بنس من ماله؟ ومع ذلك يقولون إنني أنا اللص؟ أية امرأة بيضاء أهنتها في الأسر مرة واحدة مهما كانت وحيدة؟ ومع ذلك يقولون إنني أنا الشرير، أي رجل أبيض شاهدني مرة واحدة وأنا سكران؟ من الذي أتاني مرة وهو جائع ولم أطعمه؟ من الذي شاهدني مرة واحدة أضرب زوجاتي أو أسيء معاملة أطفالي؟ ما هو القانون الذي خرقته؟ هل من الخطأ أن أحب ما يخصني؟ إنه خطأ لأن بشرتي حمراء، لأنني هندي من "لاكوتا"، لأنني ولدت حيث عاش آبائي، لأنني مستعد للموت في سبيل قومي وبلدي"[654].



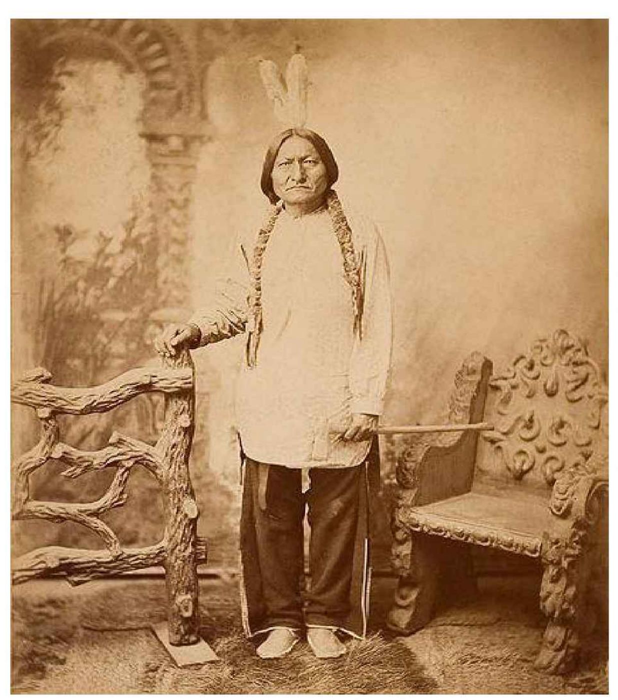
"إذا كان علينا أن نموت، فلنمت مدافعين عن حقوقنا"

---

[654] -Mark Diedrich، 1998، ص 185.

أنشودة "الثور الجالس"

محارباً....
كنت
والآن
مضى كل شيء
أمر الآن
بوقت عصيب[655]



David Frances Barry :تصوير

[655] -دي براون، 1982، ص 234.

مجزرة الركبة الجريحة تسدل الستار
على واحدة من أبشع مآسي التاريخ

زاد نبأ اغتيال "الثور الجالس" حدة التوتر المنتشر في أنحاء المحمية، وتفرقت جماعات من الهنود هنا وهناك وسط جو من الذعر للالتجاء إلى حماية الزعماء الكبار، واتجه بعضهم إلى "القدم الكبيرة" وهو أحد زعماء عشيرة المينيكونجو الذي كان في طريقه إلى الوكالة ليتسلم المساعدات، ولكنه لم يكن يعلم أن اسمه أدرج في قائمة مثيري الاضطرابات، وعُين قائد الفرقة الثامنة الكولونيل سمنر Sumner لاعتقاله.

لما علم "القدم الكبيرة" باغتيال "الثور الجالس" أراد الاتجاه إلى سلسلة جبال الصنوبر ناشداً الحماية في ظل زعامة "الغيمة الحمراء" ولكنه التقى في الطريق بقوة الجيش حيث أكد "القدم الكبيرة" نواياه السلمية لسمنر فسأله عن السبب الذي دفعه لإيواء بعض أتباع "الثور الجالس" فرد عليه الزعيم بأنه ما كان ليدعهم وهم جياع ولا يملكون ملابس وأقدامهم متقرحة في منتصف الشتاء، فأمره سمنر بالسير معه هو وأتباعه الثلاثمائة نحو معسكر الجيش ليكونوا تحت مراقبته، فساروا جميعاً حتى وصلوا قريباً من قريتهم وهنا امتنع الهنود عن مواصلة السير وطلب "القدم الكبيرة" من سمنر أن يدعهم يعودوا إلى موطنهم لأنهم لم يفعلوا ما يوجب نقلهم إلى مكان آخر.

وفي هذه الأثناء كانت الأنباء ترد بمجيء مزيد من الجنود مما دفع أتباع "القدم الكبيرة" للهرب ليلاً نحو الأراضي الرديئة Badlands، فأصدر الجنرال نلسون مايلز أمراً باللحاق بهم واعتقالهم، فلحقت بهم فرقة أخرى بقيادة الميجور وايت سايد

Whiteside في 28 ديسمبر/ كانون الأول 1890 فطلب إلى الهنود استسلاماً فورياً فوافق "القدم الكبيرة" لأن حالة قومه كانت سيئة جداً ولا تسمح لهم حتى بالتفاوض، فسيق الهنود إلى نهير "الركبة الجريحة" Wounded Knee Creek حيث أقاموا مخيمهم وسط حصار الجنود، وفي صباح اليوم التالي، التاسع والعشرين من ديسمبر وصل جنود آخرون بقيادة الكولونيل جيمس فورسيث James Forsyth الذي خلف كاستر في قيادة الفرقة السابعة وأخبر وايت سايد بأن يحمل أوامر بترحيل الهنود إلى سجن عسكري في مدينة أوماها بنبراسكا واستعد لنزع سلاحهم فأحاط المخيم من جميع الجهات وسلط عليه أربعة مدافع وجلس يحتفل مع جنوده بالقبض على "القدم الكبيرة" ومعهم برميل من الخمر، وكان مجموع عدد الجنود 470.

وفي الساعة الثامنة صباحاً تجمع المحاربون الهنود وجلسوا على شكل نصف دائرة فأمرهم فورسيث بأن يقوم كل عشرين فرد منهم في دفعة واحدة ويحضروا أسلحتهم، واغتاظ لما لم يحضر له الفوج الأول سوى قطعتين من السلاح، واستنتج أنهم لن يسلموا أسلحتهم طوعاً فضيق الحصار وأرسل جنوده لتفتيش الخيام فقاموا بالمهمة بطريقة استفزازية حيث نثروا الممتلكات وداسوا عليها وأفسدوها فصرخت النساء عليهم، وبدأ ساحر القبيلة "الطير الأصفر" بممارسة رقصة الأرواح والنفخ في صفارة من عظام النسر ليخبر المحاربين أن رصاص الجنود لن يؤذيهم وأن عليهم مقاومة اعتداءات الجنود.

انفجر الوضع عندما بدأ الجنود بتفتيش الهنود أنفسهم وحاولوا نزع بندقية "الذئب الأسود" الذي رفض تسليمها لأنه

دفع ثمناً كبيراً لها، "لو تركوه لشأنه فإنه كان سيضع بندقيته على الأرض حيث يجب، ولكنهم أمسكوا به ودفعوه باتجاه الشرق وحتى ذلك الحين لم يكن مكترثاً ولم تكن بندقيته موجهة إلى أي شخص، كانت نيته هي أن يضع البندقية أرضاً، وبعد أن دفعوا به سمعنا إطلاق نار، وكان الصوت عالياً" وذلك كما جاء في شهادة أحد الهنود الحاضرين واسمه "اللحية المنداة".

وقال "الصقر الملتفت" إن "الذئب الأسود" أطلق النار، وإن "الجنود ردوا على النار وبدأ القتل دون تمييز"[656]، وبالفعل رد الجنود على الرصاصة بوابل قتل نصف المحاربين فقامت البقية بإخراج الأسلحة المخبأة والاشتباك مع الجنود، وبدأت المدافع تقصف المخيم وتحرقه، وخرجت النساء والأطفال والرجال غير المسلحين وهربوا خارج المخيم، وذهب كثير منهم للاختباء في أحد الأودية فسلطت المدافع عليهم ومحت "كل شيء يتحرك فيه"[657]، وحاول بعض الجرحى الهروب وتمكنوا من قطع ميلين قبل أن يموتوا، "حاولنا الركض ولكنهم أطلقوا علينا النار وكأننا قطيع من البافلو، أعلم أن هناك بعض البيض طيبي القلب، ولكن الجنود كانوا أخساء إذ راحوا يقتلون النساء والأطفال...الهنود لا يمكن أن يفعلوا ذلك بالأطفال البيض" كما جاء في شهاد "لويز دبة بنت عرس"[658]، كان الجنود يصرخون انتقاماً لكاستر الذي قتله الهنود سنة 1876 في معركة القرن الصغير بعدما هجم عليهم: "تذكروا معركة القرن الصغير، تذكروا كاستر"، وكان فورسيث يراقب مشهد القتل بهدوء وكأنه

---

[656] -دي براون، 1982، ص 325.

[657] -Benjamin Capps، 1982، ص 225.

[658] -دي براون، 1982، ص 325.

مشهداً مسلياً[659]، ولحق الجنود بعض النساء مسافة ثلاثة أميال لقتلهن[660]، وكوفئ المشاركون في المجزرة بأوسمة تقديراً لهم[661] (!)، ثم يأتي التاريخ المعاصر ليحاول تبرئة هذا العار بالقول إن هذا الحدث المؤسف لم يخطط له أي من الجانبين وإن الجانبين فيهما من تصرف تصرفاً خاطئاً ولكن لا يمكن تعميم الإدانة على أي منهما[662] (لاحظ المساواة بين الجلاد والضحية وكأنهما في مبارزة رياضية انتهت بغير ما هو متوقع بطريقة تفقد المراقب توازنه من هذا الإلغاء لكل المعاني).

"لم أكن أعرف آنذاك كم كان قد انتهى، حين أنظر الآن من أعلى هذا الجبل العالي لعمري المديد باتجاه الأسفل، فإني لا أزال أستطيع أن أرى النساء والأطفال المذبوحين وقد كوموا أو تناثروا على امتداد الوادي العميق المتعرج، بذلك الوضوح نفسه الذي أرى عيونهم حين كانت لاتزال شابة بعد، وأستطيع أن أرى شيئاً ما قد مات هناك أيضاً في الطين الدامي، ودفن في العاصفة الثلجية، لقد مات حلم شعب هناك، كان ذاك حلماً جميلاً...إن طوق الشعب قد كسر وتناثر، لم يعد هناك أي مركز له، كما أن الشجرة المقدسة قد ماتت"[663].

---

659 -David Humphreys Miller، 1985، ص 234-236.

660 -William Brandon، 1985، ص 349.

661 -Jack Utter، 2001، 394.

662 -Francis Paul Prucha، 1995، ص 729.

-Robert M. Utley، 2002، ص 256-257.

-Robert W. Larson، 1997، ص 278.

663 -David Humphreys Miller ، 1985، ص 327.

-John G. Neihardt، 1998، ص 270.

قُتل في المجزرة ما يقارب 180 من الهنود، وتركوا ثلاثة أيام بعد ذلك ممددين في العاصفة الثلجية[664]، وحُمل الناجون إلى وكالة سلسلة جبال الصنوبر وتم إيواؤهم في مقر البعثة البروتستانتية حيث كتب فوق منبرها:"السلام على الأرض وفي الناس المسرة"[665] (!)، وفي الأول من يناير / كانون الثاني / جانفي 1891 أرسل عمال الدفن إلى مسرح الجريمة ليواروا خطيئة أمتهم يوم عيدها والتي تؤكد أن مدنيتها لم تقم إلا على جماجم البشر، "كان شيئاً يذيب قلب الرجل حتى لو كان من الحجر، أن يرى أولئك الأطفال الصغار وقد قطعت أجسامهم من الرصاص، يُقذفون في القبور"[666].



دفن الضحايا في مقبرة جماعية

[664] -Benjamin Capps، 1982، ص 225.
[665] -دي براون، 1982، ص 326.
[666] -Benjamin Capps، 1982، ص 225.


الزعيم "القدم الكبيرة" متجمداً


عودة الجيش من المجزرة



موقع المجزرة كما يبدو حديثاً



النصب التذكاري في موقع المجزرة اليوم

استنتاجات

أكذوبة الرأي العام وأوهام السلام وأساطير الإنسانية

مع انتهاء الحرب الأهلية الأمريكية (1865)، تحول انتباه المصلحين والمبشرين الذين تبنوا تحرير الرقيق نحو تأسيس نظام أمريكي جديد يخلو من الظلم والتمييز (كدعاوى النظام العالمي الجديد بعد كل حرب كبرى يخوضها الغرب ويفرض هيمنته على العالم بعدها وكان آخر هذه الدعاوى سنة 1990 والتي تمخض عنها تدمير العراق وذبحه باسم الإنسانية)، واستجاب الرأي العام لأصحاب الميول الإنسانية بعدما حملت الحروب الخزينة الحكومية عبئاً لا يطاق، وبعدما صدم الأمريكيون من عمليات الانتقام الهندية التي أعقبت مجزرة "نهير الرمل" (1864) حين تهددت المستوطنات وطرق المواصلات وخطوط الاتصالات في الغرب[667]، ولهذا انصب الاهتمام الجديد على استيعاب السكان الأصليين في نسيج المجتمع الأمريكي، وكان المثال الذي يتطلعون إليه هو دمج منطقة التخوم في الولايات المتحدة وجعل أهلها أمريكيين جيدين متميزين بالعمل والكد والمثابرة وحب الرب وذلك بتقديم التعليم والمسيحية لتمدين الهنود وتحضيرهم، وسينضم هؤلاء الإنسانيون إلى شركات السكك الحديدية وحكومات الغرب الأوسط والجيش للفت انتباه الأمة إلى سياسة الدولة تجاه

---

[667] -David A. Nichols، 2000، ص 208.

الغرب، وكما كان تحرير الرقيق برنامجاً شمالياً لسحب البساط من تحت قوة ونفوذ النخبة الجنوبية ولم يكن للرقيق السابقين مكان كبير في إعادة الإعمار وسيظل التمييز العنصري قائماً لمدة قرن بشكل رسمي بعد ذلك، سيكون برنامج "تحرير" الهنود كذلك برنامجاً أبيض لتمهيد الهيمنة والسيطرة والاستعمار ولكن بشكل أكثر وضوحاً من استغلال الأفارقة إلى درجة أن الهندي لن يشعر بنشوة الحرية التي أسبغها لنكولن على العبيد، وسيؤدي برنامج "التحرير" إلى سلب الهندي والقضاء على مصادر رزقه وتدمير مجتمعه دون إحلال بديل آخر محله، ومازال هذا الوضع سائداً إلى يومنا هذا.

كان حاكم مقاطعة داكوتا التي تأسست سنة 1861 من أنصار "السلام" ليس بسبب ميوله الإنسانية والخيرية بل لأن السلام هو الذي يهيئ الأجواء لجذب المستوطنين ونمو الاستيطان (تماماً كما حصل في فلسطين بعد توقيع اتفاق أوسلو) بالإضافة إلى جذب المتعاقدين لتوفير مخصصات الهنود ومؤنهم، لدرء الجوع عنهم وتزويد المقاطعة في نفس الوقت بمورد غني، فهي مصدر أرباح وكان يتوقع منها أن تساهم في الازدهار الاقتصادي لمنطقة مازالت خصوبتها موضع شك لشيوع الاعتقاد بكونها جزءاً من "صحراء أمريكا الكبرى" وهو الاسم الذي كان يطلق على السهول العظمى، هذا عن مزايا السلام التي يضاف إليها سلبيات الحرب لارتفاع نفقاتها التي تصل إلى مليوني دولار شهرياً تتكلفها خزينة الدولة للاحتفاظ بجيش فعال في شمال السهول، وهو ما يعني بحسابات حاكم داكوتا أن نفقة قتل الهندي الواحد تصل إلى 150 ألف دولار، ومن هنا اتفقت الميول الإنسانية مع الدوافع النفعية في دعم

عملية السلام (تكررت رؤى "البزنس" السلمي في تاريخ القضية الفلسطينية على يد أنصار التمدد الاقتصادي الصهيوني بدلاً من الهيمنة على الأرض).

ولكن وجهة نظر متطرفي الجيش كانت مختلفة ولا تقبل هذه المساومات التي تقترحها السياسة السلمية، وتعتقد أن الاتفاق مع الهنود هو بمثابة دفع المال إليهم ومساعدتهم على ارتكاب أعمال العنف ضد "النساء والأطفال"، أي ضد المستوطنين الذين يقتحمون الأراضي الهندية (وهي نفس الحجة التي يرفعها الصهاينة اليوم ضد المقاومة ويصورون دفاعها عن وجود شعبها بأنه اعتداء على نساء وأطفال ويهملون حقيقة جوهرية أن هؤلاء "النساء والأطفال" ورجالهم يغتصبون أرض الآخرين ويدمرون حياتهم ويبنون وجودهم على حسابهم وليسوا مجرد نساء وأطفال في مواطنهم الأصلية البعيدة التي لا تفكر المقاومة بطبيعة الحال بملاحقتهم فيها).

كانت وزارة الداخلية تمثل وجهة النظر "السلمية"، ووزارة الحرب تمثل وجهة النظر المتشددة، وقد تصارعت وجهتا النظر على الهيمنة على السياسة الهندية للدولة وحاول كل طرف فرض خططه وإحباط خطط الآخر، وكان ذلك انعكاساً للخلاف داخل الرأي العام الأمريكي على السياسة الملائمة للمشكلة الهندية التي اعترضت تقدم الاستيطان داخل القارة الأمريكية، وسيظل الرأي العام متردداً بين التشدد مع الهنود عندما يسمع عن الهجمات الهندية، والتساهل معهم عندما يسمع عن همجية الجيش الأمريكي أو الفساد داخل إدارة الشئون الهندية، وهذا التذبذب سيؤدي إلى التأثير على وزن وجهتي النظر في معالجة هذه المسألة إذ ستقوى فكرة وزارة الحرب عندما يميل الرأي

العام للتشدد وتقوى فكرة وزارة الداخلية عندما ينعكس اتجاه الرأي العام[668] (وهو ما يجعل المراهنة على كسب الرأي العام في الدول الغربية بصفته وسيلة النضال الرئيسة مراهنة عبثية لاسيما في الدول المعادية التي تسلم بتوجه العدو و"حقوقه" في بلادنا مما يجعل من فورات التعاطف إثر مجزرة أو عدوان يقوم به غير مجدية لأنه سرعان ما سينقلب هذا الرأي العام ضدنا عندما نقوم بأية حركة لمقاومة هذا الاعتداء ويتم وصفها بالعنف والإرهاب لأن المطلوب لاستدرار العطف هو البقاء في موقع المظلومية وهو ما لا يؤدي إلى ردع المعتدي، وسنجد هذه الدروس واضحة في تاريخ المقاومة الهندية).

ويجب التأكيد هنا على أن الخلاف بين الصقور والحمائم لم يكن على الهدف النهائي، بل على وسيلة الوصول إلى هذا الهدف، وكما ذكر بعض المفكرين الضالعين في الحضارة الغربية، لا يقوم العقل بتحديد الأهداف في حضارة العقل، بل إن الرغبة هي التي تقوم بذلك، ووظيفة العقل هنا هو تحديد أقصر الطرق للوصول إلى هذه الرغبة[669]، وقد اتفق الأمريكيون في القرن التاسع عشر على أن الرب كلفهم برسالة خاصة هي نشر الحضارة المسيحية البروتستانتية في القارة كلها، وذلك على غرار فكرة عبء الرجل الأبيض الاستعمارية البريطانية وفكرة الرسالة الحضارية الاستعمارية الفرنسية في نفس الوقت، وكلها أفكار تستند إلى فلسفة "الداروينية الاجتماعية" التي تؤمن بتفوق العرق القوقازي وقدره في الهيمنة على أعراق العالم الأدنى

---

[668] -Edward Lazarus، 1999، ص 30-32.

[669] -محمد شعبان صوان، 2015، ص 290.

والتي اجتاحت الغرب في ذلك الزمان[670]، كما اتفق الأمريكيون على أن الهندي يؤلف مشكلة أمام توسعهم الاستيطاني، وأنه عليه أن يختفي لتختفي المشكلة، وكان خلافهم على طريقة اختفائه، هل يتم ذلك بالقتل والإبادة، أم بالاستيعاب داخل النسيج الاجتماعي الأمريكي ليصبح الهنود "متمدنين" و"متحضرين" وتختفي بذلك شخصيتهم الحضارية التي تعرقل إخضاع الطبيعة والأرض وفقاً لنموذج الرجل الأبيض؟[671] (يذكرنا هذا "الخلاف" بين الحمائم والصقور بالخلاف داخل الكيان الصهيوني بين نفس الطرفين اللذين يتفقان على إنكار حق الفلسطينيين في أرضهم، وأصالة الوجود اليهودي فيها وفي عاصمتها القدس ولكنهما يختلفان على الوسيلة الأفضل لتثبيت هذا الوجود هل هو بضم الأراضي ذات الكثافة الفلسطينية أم بالاحتفاظ بالنقاء العرقي اليهودي في الدولة اليهودية)، وكان حماس الحمائم لتمدين الهندي ولو بالقوة يقودهم أحياناً لتأييد السياسات العنيفة ضده حتى ما كان يحجم العسكريون أنفسهم عنها كما سيأتي.

لم تكن الفترة التي أعقبت الحرب الأهلية الأمريكية استثناء في تذبذب الرأي العام الأمريكي، فمنذ أن تم القضاء على الوجود الهندي في شرق القارة واطمأن الاستيطان الأبيض هناك، أصبح حراً من مشاعر الانهماك المباشر في المعركة وصار لديه ترف الشعور بالتعاطف بل الإحساس الزائف بالذنب

---

[670] -مايكل أورين، 2008، ص 269.

[671] -Robert M. Utley، 1994، ص 42.

-Tony Boddington، 1977، ص 126.

-Jeffrey Ostler، 2010، ص 51-52.

مع إمكان عودة المشاعر العدائية كالسابق عند أي فعل هندي مقاوم أو انتصار على العدوان الأمريكي، ورغم ذلك فقد اتضح الانقسام بين شرق الولايات المتحدة حيث لم يعد الخطر الهندي ماثلاً وبين الغرب حيث مازالت المعركة جارية، وبدأ ظهور علامات "التعاطف" منذ ما بعد الثورة الأمريكية التي سحقت الهنود كما سبق ذكره في الجزء الأول من الكتاب، ولما استقر صلب الأمة الأمريكية في ولايات الشمال ظهرت بدايات "تفهم" محنة الهنود و"التعاطف" معهم أثناء تطبيق سياسة ترحيلهم من الجنوب إلى الغرب في ثلاثينيات القرن التاسع عشر، ويلاحظ هنا أن سياسة التهجير تركزت في الجنوب وليس في الشمال.

ولما وقعت معركة جراتان (1854) ضد هنود "السو" الذين صدوا المعتدين عليهم وأبادوهم، أصبح الرأي العام ضدهم وينظر إليهم كمتوحشين يجب معاقبتهم وإثبات التفوق عليهم[672]، وهو ما أدى إلى مجزرة "وادي الرماد" (1855) ضد هنود مسالمين، ولما اندلعت ثورة "السو" الشرقيين (1862) انتشرت كراهية الهنود كالنار في الهشيم وصدرت الأوامر بقتل كل هندي بلغ الثانية عشر من عمره ورصدت الجوائز الضخمة للإتيان بفروات الرءوس[673]، فلما وقعت مجزرة "نهير الرمل" (1864) ضد هنود "الشايان" تعاطف الرأي العام في الساحل الشرقي مع الهنود، أما في الغرب المنهمك في الصراع فكانت المطالبة بالإبادة رائجة وشاع الثناء على المجزرة[674]، وهو ما يؤكد أن العامل الحاسم في التعاطف هو عدم وجود مصلحة

---

672 -Jeffrey Ostler، 2010، ص 44.

673 -Edward Lazarus، 1999، ص 29.

674 -نفس المرجع، ص 29.

مباشرة في العنف وليس التقدم الفكري داخل المجتمع الأمريكي، ولهذا عاب بعض الغربيين على الشرقيين هذا النفاق بعد فوات الأوان والتخلص من الوجود الهندي في الساحل الشرقي، وقالوا إن ما حدث في "نهير الرمل" سبق أن حدث أسوأ منه في الشرق على أيدي أجداد من يذرفون الدموع المزيفة اليوم[675]، وتوزعت الآراء عن المجزرة بين "واجب حضاري" أو "دفاع عن النفس" (نغمة مازلنا نسمعها من الولايات المتحدة والصهيونية في جميع عمليات العدوان إلى اليوم) بالإضافة إلى وصف المجزرة بأنها "واحدة من أبشع الأعمال في تاريخ أمريكا" أو "لم تحصل على التفويض من الحكومة أو وزارة الحرب"[676] (وهل كل التاريخ الوحشي لمدة 400 سنة لم يحصل على التفويض كذلك؟ كلام يشبه وقوف الغرب اليوم متفرجاً على عدوان أمريكا ويكتفي بسلقه بألسنة حداد)، ورغم أن المجزرة حرفت الانتباه عن الحرب الأهلية بأهوالها، فإن ذلك كان لهنيهة ما لبثت أن خبت ولم تنتج أي عمل منظم[677]، ثم ضاعت الحقوق بين تعدد الآراء، ولما وقعت مجزرة واشيتا (1868) ثار الجدل والخلاف عليها ولكن الرأي العام ما لبث أن نسي كل ذلك وصادق على أنها انتصار "مجيد"[678]، وأصبح مرتكبها الجنرال كاستر محارب الهنود الأكثر شهرة بين الأمريكيين، فطرح زي الحرب الأهلية الرسمي وارتدى ملابس التخوم الجلدية[679]، ولما وقعت معركة فترمان (1866) التي

---

675 -William W. Savage، 1977، ص 90.

676 -David A. Nichols، 2000، ص 172-174.

677 -Robert M. Utley، 2002، ص 96 و102..

678 -Edgar I. Stewart، 1987، ص 165.

679 -John D. McDermott، 1998، ص 150.

هزم فيها الهنود الجيش الأمريكي المعتدي على أرضهم، عم الغضب الأمريكي والمطالبة بالثأر[680]، وتصاعدت حمى المطالبة العسكرية وعلى التخوم الغربية بالإبادة رغم إدراك قادة الجيش أن المستوطنين هم سبب المتاعب، ومع ذلك أراد قائد الجيش أن يكون قاسياً ضد الهنود كما كان ضد الجنوبيين في الحرب الأهلية، وذلك رغم أن أصحاب التوجهات الإنسانية في الشرق كانوا يطالبون "بالرأفة" و"الشفقة"[681]، ولكن الرأي العام عموماً لم يفضل حرباً هندية شاملة في ذلك الوقت[682]، وعند النظر إلى مخرجات العملية السلمية النهائية، نعلم أن كل هذه المعمعة الإنسانية لم يكن لها أثر إيجابي فيما حل بالسكان الأصليين، وهو ما يشير إلى عقم المواعظ والتوسلات في لجم الأطماع.

تتابعت اللجان "السلمية" على قبيلة "السو" منذ إقرار الكونجرس بفتح طريق بوزمان مروراً بأحداث معركة فترمان ومعركة العربات، وكان الهدف من مهماتها إقناع الهنود بالركون إلى "السلام" وقبول التحضر الأمريكي حتى نجحت أخيراً في عقد معاهدة حصن لارامي (1868).

وظلت الميول "السلمية" هي السائدة في نهاية ستينيات القرن التاسع عشر وذلك لسببين سياسي واقتصادي دعما الرأي الإنساني الذي نبت مع الحرب الأهلية ونشراه ومنحاه أرضية للوقوف عليها: أما السياسي فهو الانهماك في الهيمنة على

---

680 -Robert W. Larson، 1997، ص 102.
-Howard R. Lamar، 1977، ص 1117.
-Howard R. Lamar، 1998، ص 1053.
681 -Edward Lazarus، 1999، ص 39-40.
682 -Robert W. Larson، 1997، ص 109.

الجنوب المهزوم في الحرب الأهلية وإعادة إعماره، وأما الاقتصادي فهو تفضيل الانهماك في بناء السكك الحديدية على الإنفاق على جنود يحرسون طرق المواصلات التي تخترق أراضي الهنود[683]، وقد قلص الكونجرس مخصصات الجيش بشكل واضح[684]، وعموماً كان السلام أرخص وأجدى من الحرب، فبنفقة يومين من الحرب يمكن عقد "سلام دائم"، وإطعام الهندي أرخص من قتاله، وقتل ثقافة الأمة أرخص من قتل أبنائها[685]، وفي النهاية كان الهندي مخيراً بين "التمدن"، بالمقاييس الضيقة المطلوبة، أو الفناء، ولن يسمح له بأن يكون عائقاً في وجه تمدد "الحضارة"[686]، حتى في معتقد أنصار "السلام"، وقد مهدت هذه الرؤى "لسياسة السلام" التي سيتبعها الرئيس يوليسيس غرانت (1869-1877).

كان أصحاب الرأي المتشدد يؤمنون بأن تمدين الهندي لن يكون طوعياً ولا سلمياً وأنه يجب إجباره على ذلك بالقضاء على الأساس المادي الذي تقوم عليه طريقة حياته وهو ثور البيسون[687]، ولهذا وقف العسكريون والمؤسسة السياسية أيضاً خلف عملية الصيد الواسعة التي تحولت إلى إبادة شاملة لهذا النوع طلباً للرياضة والفراء وبعض أجزاء اللحم، وكان هدف السياسيين والعسكريين من دعم الصيادين هو التمهيد لنشر "الحضارة" على أنقاض "البربرية" و "الهمجية"[688].

---

683 -نفس المرجع، ص 114-115.
684 -Jeffrey Ostler، 2010، ص 58-59.
685 -Edward Lazarus، 1999، ص 43.
686 -نفس المرجع، ص 45 و51.
687 -نفس المرجع، ص 42 و52-53.
688 -Tony Boddington، 1977، ص 134.

أما أصحاب التوجهات السلمية فكانوا يعتقدون أن الهندي موضع شفقتهم سيتحول إلى التحضر والتمدن بأسرع مما حدث فعلاً، وكانوا يلومون الجيش وأساليبه العنيفة في التعامل مع الهنود وفي رأيهم أن هذا هو ما سبب الحروب دون جدوى لما كانت ستحققه السياسة السلمية من فوائد لتحقيق نفس الهدف الذي يسعى العسكريون إليه، وهو الحصول على الأرض ولكن بعد "تمدين" الهنود ودفعهم إلى حياة الملكة الفردية وليس بقهرهم وإبادتهم، وكانوا يعتقدون أن الهنود دائماً على حق في صراعهم مع أهل التخوم المخطئين دائماً، ولكنهم كانوا يرسمون في أذهانهم هندياً خاصاً بهم سيسارع للتوقيع على ما يطلب إليه لو كان ذلك بطرق دبلوماسية رقيقة[689]، دون أن يخطر ببالهم أن الهندي، أو قسماً كبيراً من مجتمعه، لا يريد حضارتهم ويفضل أن يستمر في طريقة حياته دون أن ينازعه أحد في رزقه (وقد فسر الرسميون البيض موقف الهنود بأنه حسد لحضارة الرجل الأبيض تماماً كما فسر الرسميون الأمريكيون المقاومة ضد عدوانهم في زمننا بنفس التفسير) [690]، ولهذا كانت صدمة الإنسانيين عنيفة لما واجههم واقع المقاومة الهندية[691]، وفي زمن الكوارث التي حلت بالهنود ابتداء من اكتشاف الذهب في أراضيهم (1874) سايرت الإنسانية سياسة استخدام القوة

---

[689] -George E. Hyde، 1975، ص 136-138.
-Edgar I. Stewart، 1987، ص 46.
[690] -Jeffrey Ostler، 2010، ص 60.
-Edward Lazarus، 1999، ص 51-52.
-Howard R. Lamar، 1977، ص 1117.
-Robert M. Utley، 2002، ص 169.
[691] -Jeffrey Ostler، 2010، ص 88.

ضدهم وتمكن الرأي العام السائد من إسكات اعتراضاتها لاسيما في ظل قناعة رجالها بأن المسألة الهندية لن تحل بمجرد اللطف[692]، وفي نهاية ثمانينيات القرن التاسع عشر كان الإنسانيون يغرقون في نعيم الجهل بما يصيب الهنود من كوارث قادتهم إلى اليأس المطلق فأصبح الإنسانيون أشد وطأة من العسكريين كما سبق أن رأينا، وكانوا يطالبون بعقاب راقصي الأرواح أشد العقاب في الوقت الذي كان العسكريون أكثر رأفة بعد مجزرة الركبة الجريحة[693]، كما يبدو أنهم لم يستحضروا تجارب التمدين التي ادعاها الرجل الأبيض منذ بداية وجوده على أرض القارة والتي انتهت بالفشل لاسيما أن الكذبة فيما سبق كانت أوضح عندما ادعى البيض أنهم يسوقون الحضارة والزراعة لأمم هندية علمتهم الزراعة فكان جزاؤها التدمير بحجة تعليمها الزراعة (!)، أما الدفاع بعد ذلك عن بقاء الهنود في السهول كما يريدون فلم يكن وارداً في ذلك الزمن[694] ولا حتى في زمننا هذا الذي يدعي التعددية والحرية ولهذا ما زال الهندي غريباً في وطنه.

وخلاصة الحديث أن قضية السكان الأصليين لم تفتقد التعاطف من جانب الرأي العام الأمريكي، ولكن هذا التعاطف كان مشروطاً بكون الهندي ضعيفاً ومجنياً عليه يسيل دمه دون أن يتمكن من المقاومة، فإذا انتصر لنفسه ودافع عن حقوقه وانتصر انتقلب نفس هذا الرأي العام ضده وطالب بالقضاء عليه، هذا في الوقت الذي لا تنتجز له مشاعر التعاطف أي

[692] -George E. Hyde، 1975، ص 250.
[693] -George E. Hyde، 1993، ص 314 و318.
[694] -Francis Paul Prucha، 1995، ص 491.

انتصار حقيقي لحقوقه لو اختار الاعتماد على الرأي العام وترك القتال بنفسه.

لقد كانت قضية العلاقات مع السكان الأصليين هي وحدها التي كونت اتجاهات الرأي العام الأمريكي بل والسياسة الحكومية منذ مجزرة "نهير الرمل" (1864)، وكانت الحوادث في السهول العظمى الأكثر أثراً في تكوين الرأي العام من أي مكان آخر في الغرب[695]، وصارت المسألة الهندية هي الأكثر جذباً لاهتمام الناس في مرحلة متقدمة[696].

انقسم الأمريكيون بين شرقيين متعاطفين مع الهنود تتبنى وزارة الداخلية رأيهم، وغربيين مطالبين بالإبادة تسندهم وزارة الحرب، وقد سبق الحديث عن معنى "التعاطف" الذي أبداه الأمريكيون آنذاك، المهم أن الاهتمام بالمجزرة في "نهير الرمل" خبا بعد زمن قصير[697]، وأصبحت الحرب على نفس قبيلة "الشايان" مطلباً شعبياً نتيجة معركة كان الهنود قد انتصروا فيها على الجيش الأمريكي في صيف عام 1868 وأصبحت الإبادة لأجل حماية مواطني الولايات المتحدة شعاراً انتخابياً فاز بموجبه الجنرال يوليسيس غرانت (1869) بمنصب الرئاسة[698]، ثم انقلب الرأي العام مرة أخرى نتيجة تبعات مجزرة واشيتا (نوفمبر / تشرين الثاني 1868) بعدما هتف لمرتكبها الجنرال كاستر الذي أصبح بطلاً شعبياً[699] ولكنه

---

[695] -Robert M. Utley، 2002، ص 172.
[696] -George E. Hyde، 1993، ص 158.
[697] -Robert M. Utley، 2002، ص 101-103.
[698] -نفس المرجع، ص 122-125.
[699] -نفس المرجع، ص 130.
-Edgar I. Stewart، 1987، ص 165.

حصد غضب أصحاب الاتجاه الإنساني[700] مما أدى إلى توجه إدارة نفس الرئيس غرانت صاحب الشعارات الإبادية إلى تطبيق "سياسة السلام" التي دعمها إجرام الجيش في مجزرة ضد عشيرة البيجان Piegan إحدى فروع قبيلة القدم السوداء Blackfoot في 23 يناير/ كانون الثاني/ جانفي 1870، وهو ما أدى إلى المطالبة بكف أيدي العسكريين عن الشئون الهندية[701]، وفي داكوتا كان الرأي العام معادياً للهنود بعد معركة فترمان (1866) ثم طالب بالسلام في معاهدة لارامي (1868) ثم تحول الرأي العام مرة جديدة ضد الهنود عندما اكتشف الذهب في التلال السوداء وصار الأمريكيون يطالبون بالاستيلاء عليها من الهنود[702] وأدى ذلك إلى حتف الجنرال كاستر (1876) فأصبح الرأي العام ضد الهنود أيضاً[703] كما سبق ذكره، وهنا ارتفعت أصوات الإبادة ثانية، ثم التفت الرأي العام إلى ثلاث قضايا بارزة شدت اهتمامه لصالح السكان الأصليين، وهي هروب قبيلة "الأنوف المخرومة" من حياة المحمية (1877) وخروج قبيلة "الشايان" من المحمية وعودتهم إلى موطنهم (1878) ومحاكمة قبيلة البونكا التي طالبت بالعودة إلى وطنها (1879)[704]، وقد وجدنا أن ما أسفر عنه التأييد الشعبي لهذه القضايا كان هزيلاً جداً كما مر في شرحها، فقد تعرضت قبيلة "الأنوف المخرومة" للقمع الشديد ولم تتمكن

---

[700] -Robert M. Utley، 2002، ص 130.

[701] -John D. McDermott، 1998، ص 122.

[702] -George E. Hyde، 1975، ص 250.

[703] -نفس المرجع، ص 281.

-Robert W. Larson، 1997، ص 218.

[704] -Robert M. Utley، 2002، ص 208-209.

من العودة ولم شملها رغم التضحيات الكبيرة، أما قبيلة "الشايان" فقد تعرضت للملاحقة والعذاب الشديد الذي نتج عنه كثير من الضحايا ليتم حصرها في النهاية في محمية كانت هي أقصى آمالها بعد سلب كل حقوقها، أما قبيلة البونكا فقد حصلت على حكم قضائي بعد موت كثير من أبنائها في رحلة عودتهم إلى موطنهم، ويقضي الحكم بأنه لا يحق للدولة أن تجبر الهندي على العيش في محمية خلافاً لإرادته، ولكن هذا الحكم لم يعمم على القبيلة نفسها فضلاً عن تعميمه آنذاك على جميع السكان الأصليين لأنه كان خطراً على نظام المحميات وسابقة قد تطيح بالسياسة الحكومية تجاه الهنود، وعندما قسمت أراضي الهنود (1889) بموجب قانون دوز (1887) لم يتساءل الرأي العام عن الوسائل المشبوهة التي تم بها هذا الأمر رغم الأصوات التي استنكرت الإكراه والخديعة والرشوة، واكتفى الرأي العام بإطراء من سعوا خلف المصلحة الأمريكية الهندية المشتركة(!)[705]، ففي المجتمع الديمقراطي القائم على الاهتمام بمصالح الناخبين، كانت مشاكل الهنود لا تهم السياسيين، وبعد ربع قرن من الحروب الهندية الدامية كان معظم السياسيين والرأي العام من خلفهم يعتقدون أن الهندي سائر على طريق الرجل الأبيض، وأنه لم يعد عقبة أمام تمدد "الحضارة" (أي الاستيطان وهذا هو المهم)، ولم يكن الرئيس الأمريكي فضلاً عن المواطن العادي يدرك مأساة الهندي الجائع المبتلى بالأوبئة والأمراض المهلكة كالجدري والانفلونزا والحمى القرمزية[706]، وبعد ثلاثة أشهر من مجزرة الركبة الجريحة (1890) نسي

---

[705] George E. Hyde-، 1993، ص 228.

[706] David Humphreys Miller-، 1985، ص 19-20.

الرأي العام أمرها وانشغل بغيرها[707]، وإن المصير النهائي الذي حل بالسكان الأصليين في مجتمع قائم على الاهتمام بشأن القاعدة الجماهيرية الناخبة يبين عقم المراهنة على تأييد الرأي العام المعادي الذي هو معني بمصالحه في الدرجة الأولى ومؤقت ومتقلب في تأييده قضايا الآخرين.

وهذا التقلب هو نفسه الذي شهدناه في الرأي العام الصهيوني الذي اغتصب أرض فلسطين ثم خرج محتجاً على مجازر صبرا وشاتيلا في بيروت سنة 1982 بأكبر مظاهرة في تاريخ الكيان حتى ذلك الزمان ثم كان هذا الرأي العام نفسه هو الذي رفع مجرمي المجزرة إسحق شامير ثم أرييل شارون إلى منصب رئاسة الوزراء بعدما رفع صورهما بأنياب تقطر دماً بعد تلك المجزرة، وهذا الرأي العام الذي يراهن عليه أنصار الحل السلمي هو نفسه الذي لم يتمكن من الجرائم التي اعترض بكثافة عليها سنة 1982 فلم تتوقف المجازر الصهيونية ضد الفلسطينيين والعرب وما زال هذا الرأي العام يتجه يميناً كلما قام صاحب الأرض في فلسطين ليسترد حقاً من حقوقه أو حقق انتصاراً أو حتى توازناً ضعيفاً مع آلة الحرب الصهيونية الكاسحة، وما زال المسئول الصهيوني الذي يرغب في تكوين سمعة ورفع شعبيته يتوسل لذلك بالتشدد السياسي والعسكري ضد العرب والمسلمين، ولست أدري على ماذا يراهن المتعلقون بأهواء الرأي العام، فقد اجتمع العالم كله إلا شرانمه إجماعاً غير مسبوق ضد شن العدوان على العراق سنة 2003، ولكن كل المظاهرات والصيحات والتشنجات لم تنفع ووقع العدوان

[707] George E. Hyde-، 1993، ص 319.

ودُمر العراق وذهب جميع المتظاهرين إلى بيوتهم، فماذا انتفع الضحية من كل ذلك؟ وماذا نأمل بعد كل ذلك؟

ومن عجائب مسألة الرأي العام أن التعاطف مع الضحايا لم يكن مقتصراً على مجموعة من ذوي الرحمة والشفقة والنوايا الطيبة والإنسانيين وأهل اليسار، بل وجدنا هذا التعاطف حتى لدى الطبقة العسكرية المنهمكة في حرب وقتال وقمع السكان الأصليين، وهو تعاطف يشبه تعاطف الرأي العام في كونه ضمن إطار الحملة العامة للاستيلاء على أملاك الهنود وكان يتميز بمعرفة حقيقة المظالم التي حلت بهم لأن العسكريين كانوا هم المباشرين لها ولكن كل ما كان يرجى منهم ومن مواقفهم المتعاطفة هو الأمل، الذي كثيراً لم يتحقق، بتحسين ظروف استسلام الهنود وخضوعهم لحكم البيض المطلق.

ومن هؤلاء العسكريين الذين أظهروا الشفقة على الهنود الجنرال نلسون مايلز (1839-1925) الذي وُصف بأنه أكثر ضباط الجيش الأمريكي طموحاً في زمنه وربما أكثرهم كفاءة[708]، وهو الذي قاتل الهنود في جنوب السهول العظمى في حرب النهر الأحمر (1874-1875) وفي حرب "السو" الكبرى (1876-1877) وطارد قبيلة الأنوف المخرومة لإجبارها على الحياة في محمية (1877) كما شارك في الحرب ضد قبيلة الأباتشي (1886) وقاد الجيش لقمع حركة رقصة الأرواح في أراضي "السو" (1890-1891)[709]، ومع هذا السجل الطويل في القمع وجدناه يبدي تعاطفه مع ضحاياه في أكثر من مناسبة تدل على حيرته بين قلبه وسيفه مثل غيره من

---

[708] -John D. McDermott، 1998، ص 110-111.

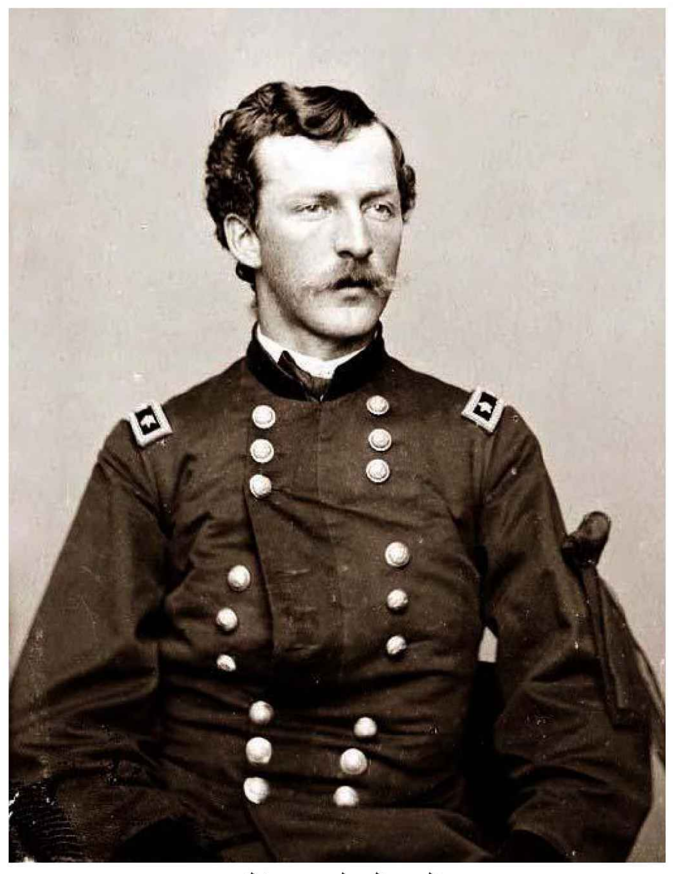
[709] -Robert M. Utley، 2002، ص 186.

العسكريين، ومن ذلك تأييده لعودة قبيلة "الأنوف المخرومة" التي كان يطاردها (1877)، إلى موطنها الأصلي، حتى أنه بذل لها وعداً بذلك ولهذا قبلت الاستسلام، ولكن لم تقبل المؤسسة الحاكمة بتنفيذ وعد مايلز[710] رغم اعتراضه على هذا النكث[711]، ثم طالب بعد ذلك بعودة قبيلة "الشايان" إلى موطنها الأصلي بعد هروبها من المقاطعة الهندية في الجنوب (1879)[712]، وهو ما تحقق فعلاً بعد تضحيات هندية جمة وبعد سلب كثير من أراضي القبيلة، ثم كان متفهماً لسخط قبيلة "السو" في سنة 1890 بسبب الظروف السيئة التي مرت بها وعبر هو عنها في مقال كتبه (ديسمبر/ كانون أول 1889) وشخص فيه جذور الأزمة الهندية بسياسة الإكراه التي تتبعها الحكومة الأمريكية التي تريد فرض الزراعة على الهنود في الوقت الذي تجتاز المنطقة مواسم جفاف كبرى[713]، وبقوله لزوجته، أي في حديث خاص:"لقد استولينا على أرضهم وأصبح البيض يملكونها، وقد أصبحوا هم نصف جوعى بعدما منحناهم نصف كفايتهم من الطعام فقط، ولا أستطيع أنا ولا غيري من الرسميين أن نعدهم بشيء آخر في المستقبل، وهم يقولون إنهم ملوا من نكث الوعود، وهم على حق في ذلك"[714]، ولكنه رغم

---

[710] -Paula Mitchell Marks، 1998، ص 200.
-Francis Paul Prucha، 1995، ص 574.
[711] -Angie Debo، 1983، ص 264.
-Ralph K. Andrist، 2001، ص 316-317.
[712] -John D. McDermott، 1998، ص 165.
[713] -George E. Hyde، 1993، ص 280.
[714] -Paula Mitchell Marks، 1998، ص 223.
-Charles M. Robinson III، 1995، ص 343.

هذا عمل في الميدان ضد "السو"[715] وطبق سياسة الإكراه التي كان ينقدها وكان القائد الرئيس في عملية القمع التي أدت إلى مجزرة "الركبة الجريحة" ضد أنصار الزعيم المسالم "القدم الكبيرة"، وإنهاء المقاومة الهندية المسلحة بشكل عام.



الجنرال نلسون مايلز

---

715 -Paula Mitchell Marks، 1998، ص 223.

ومن أولئك العسكريين الذين احتاروا بين قلوبهم وسيوفهم فسحقوا الهندي وتعاطفوا معه في نفس الوقت الجنرال جورج كروك الذي وصف بأنه أعظم مقاتل للهنود شهدته الولايات المتحدة[716]، ومع شراسته في قتال الهنود على أرض المعركة، اعترف بأنهم مستعدون لتقبل الحضارة (الأمريكية) أكثر من استعدادها لتقبلهم، وأنهم ليسوا بتلك القتامة التي صُوروا بها، وأنه إذا أحسنت معاملتهم يمكن أن يكونوا مواطنين أفضل من كثير من المواطنين الذين يحملون هذه الصفة[717]، بدأ حياته العسكرية بالعمل في منطقة الساحل الغربي (كاليفورنيا) حيث لم تعجبه معاملة البيض للهنود فتعاطف مع الضحايا تعاطفاً قلبياً ولكنه قاتلهم في نفس الوقت[718]، وعندما ثارت قبيلة البانوكس Bannocks على سوء معاملة الولايات المتحدة لها (1878) بعدما دعمت الجيش الأمريكي في قمع قبيلة "الأنوف المخرومة" (1877) ونبش أفرادها قبور أبناء جنسهم الذين احترموا قواعد الحرب وجثث أعدائهم، فكان جزاؤهم أن شوهوا جثثهم إرضاء لسادتهم الأمريكيين، كان الجنرال كروك ممن وصفوا حالتهم بدقة فقال إن تعدي البيض على مصدر طعام القبيلة هو سبب المتاعب وعندما يرى أفرادها نساءهم وأطفالهم جوعى، والمصدر الأخير لطعامهم يقطع عنهم فإنه من الطبيعي أن يذهبوا للحرب، وبعد ذلك نرسَل نحن لقتالهم (فمصير

---

716 -Debo. ، 1983، ص 237.
-Ralph K. Andrist، 2001، ص 249.
-Benjamin Capps، 1981، ص 64.
-Howard R. Lamar، 1998، ص 275.
717 -Mcdermott. ، 1998، ص 106.
718 -Howard R. Lamar، 1998، ص 275.

العملاء هو نفسه مصير المقاومين)، وهذا انتهاك للقانون"[719]، كما أشار إلى أن "المشاكل الهندية" نتجت عن نقض الحكومة لتعهداتها أو تأخرها في الوفاء بها[720]، وإلى أنه لا يعرف حالة واحدة قام فيها الهنود بعقد سلام مع الحكومة ثم نقضه أو ترك محمياتهم دون سبب وجيه، وإلى أن يتم النظر في شكاواهم وعلاج مظالمهم تكون ثورتهم قد اندلعت.

وكان كذلك من أفضل أصدقاء الهنود في المحكمة التي حاكمت قبيلة "البونكا" (1879) التي طالبت بالعودة إلى موطنها وعدم إجبارها على الحياة في المقاطعة الهندية[721]، ولما أرسلته الرئاسة لاستطلاع أحوال قبيلة الآباتشي كتب أن ارتكاب البيض أعمال الخيانة والوحشية غير الإنسانية هي التي حولت القبيلة إلى عدو عنيد بعدما كانت قد بدأت بمحاولة إقامة الصداقة مع الأمريكيين، وأنه لا يعرف حالة مثل حالة الهنود أُفسدت فيها الأخلاق وأحبطت المعنويات ومع ذلك كان الضحية نموذجاً للشرف والنبل مقارنة بالحقراء الذين يسلبونه القليل الذي منحته الحكومة إياه [722]، وبعدما أقنع القبيلة بالاستسلام (1886) بعد مقاومة عنيفة، نقضت الرئاسة الأمريكية ورئاسة الجيش شروطه التي اتفق مع الهنود عليها وتم إرسال المستسلمين والمتعاونين مع الجيش والمسالمين أيضاً إلى السجن والمنفى بعيداً في فلوريدا[723] (أي أن مصير المسالمين والعملاء أيضاً لم

---

[719] -Ralph K. Andrist، 2001، ص 319-320.

-Angie Debo، 1983، ص 263-265.

[720] -Howard R. Lamar، 1998، ص 275.

[721] -.Mcdermott ، 1998، ص 106.

[722] -William Brandon، 1985، ص 378-380.

[723] -نفس المرجع، ص 381.

يختلف عن مصير المقاومين) مما أدى إلى استقالة الجنرال اعتراضاً عنيفاً على ذلك[724]، فقام بإلقاء الأحاديث أمام منظمات حقوق الهنود، وبكتابات ومراسلات واسعة، كما شن حملة إعلامية مضادة للجنرال مايلز بخصوص أولئك الآباتشي[725]، هذا الجنرال الذي حاول أن يحقق للهندي بالسلام ما لم تحققه الحرب مات سنة ١٨٩٠ وهو يحاول ترتيب شروط استسلام ومعيشة أفضل لقبيلة الآباتشي[726] ومن أساه لخيانة الحكومة تعهداتها لهنود "السو" والتي كان هو أحد القائمين عليها[727]، كما كان في آخر عمره وسيلة لإقناع الهنود بقبول سياسة توزيع قطع محددة من الأراضي على أسرهم لقناعته كبقية المصلحين أن هذا هو طريق تمدين السكان الأصليين، ولكنه لم يعمر ليشاهد فشل هذه السياسة التي نزعت من الهنود أراضيهم "الفائضة" وتركت لهم فتاتاً غير مجد دون تقديم العون الحقيقي اللازم ليصبحوا مزارعين ذوي ملكية فردية كالبيض تماماً[728].

ويجمل أحد المؤرخين وضع الجنرال جورج كروك بقوله إنه كان من فئة العسكريين الذين عُرفوا "بالجنود الإنسانيين" لاهتمامهم بالهنود، وإن كروك كان بارزاً من بينهم، فهو قد خدم في الغرب لمدة ثلث قرن واستحق سمعة المقاتل الشديد ضد الهنود، ولكنه أيضاً طور فلسفته الخاصة بشأن علاقة بهم قائمة على الشرف والعدل والاهتمام بتمدينهم، وقد دعم قضية قبيلة

-Robert M. Utley، 2002، ص 201.

[724] -Ralph K. Andrist، 2001، ص 332.

[725] -Howard R. Lamar، 1998، ص 275.

[726] -Angie Debo، 1983، ص 281.

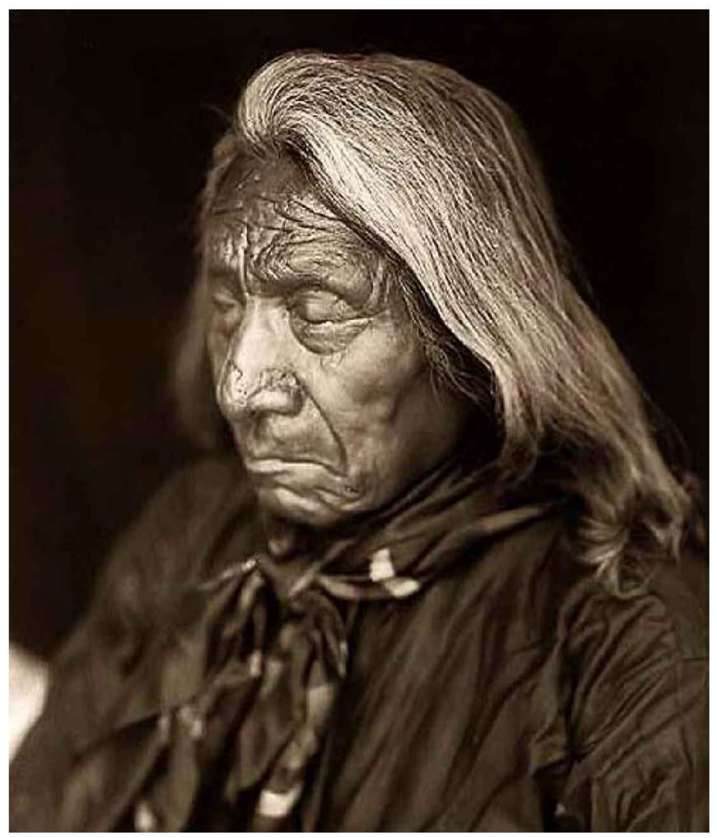
[727] -.Hyde ، 1993، ص 280.

[728] -Howard R. Lamar، 1998، ص 275.

البونكا (1879) وأيد قبيلة "الشايان" في نفس العام وقبيلة البانوك أيضاً، وعمل على رفاهية قبيلة الآباتشي وتحويل أفرادها إلى مزارعين رأسماليين (1882-1886)، وفي أواخر سنواته كانت وجهات نظره متقاربة جداً مع المصلحين المدنيين الذين أصبح على صلة وثيقة بهم، وآمن بقدرة الهندي على البقاء والتقدم لو أعطي فرصة لذلك، وقال إنه مؤمن بأن الهندي نظير من الناحية الفكرية لمعظم القوميات التي تم استيعابها في أمريكا إن لم يكن كلها، وذلك إذا مُنح نفس الحقوق السياسية والقضائية التي حصل الآخرون عليها، وعندما توفي وُصف بأنه صرح قوي لكل من جاهد لأجل تمدن الهنود"[729]، ورغم ضآلة الإنجازات امتدحه زعيم "السو" الغيمة الحمراء بأنه لم يكذب قط، وأن كلماته منحت الهنود الأمل[730]، مما يدل على تعطش الضحية الهندية لظل من الصدق والعدالة والشرف أكثر مما يدل على تفوق كروك في هذه الساحة.

729- Francis Paul Prucha، 1995، ص 545-546.

730- Howard R. Lamar، 1998، ص 276.



"الغيمة الحمراء" في سنواته الأخيرة (1905)، ورغم عجز الجنرال جورج كروك عن تقديم شيء ملموس إلى قومه "السو" وجده الزعيم نموذجاً فريداً في غابة البيض الموحشة

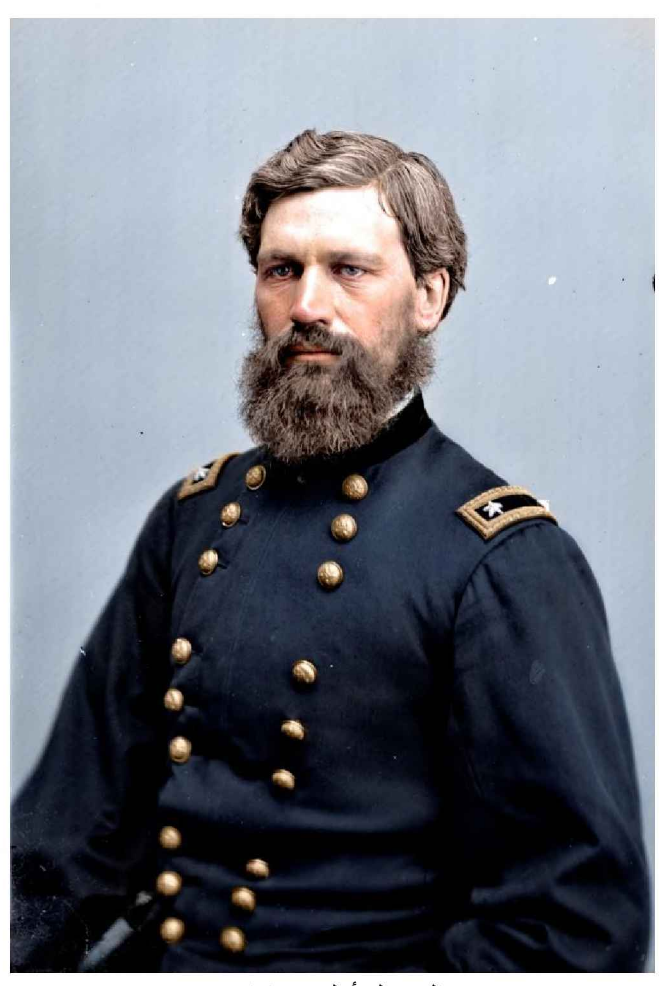
ولو تدبرنا ما سبق سنرى أن سيف كروك كان هو الفعال والمؤثر في مصير السكان الأصليين، وكانت أفعاله بمستوى توقع السلطات التي استهدفت قمع الهنود، أما قلبه فلم يتمكن من التأثير بنفس المستوى، ولم يمنح الهنود ما كان يطمح إليه لأن

القرار السياسي لم يكن بيده فاستفادت السلطة من سيفه وتركته يتمنى بقلبه ما شاء، وإلى اليوم لم يتحقق حلم كروك بمساواة الهندي مع بقية القوميات داخل المجتمع الأمريكي، وسبب هذا الخلل واضح، إذ كيف يُمنح صاحب الحق في الأرض التي يراد سلبها منه نفس الحقوق التي يراد منحها لمن جاء يسلبه؟ وتلك المعضلة التي وجد كروك نفسه فيها هي نفس معضلة الإنسانيين المدنيين الذين خدموا تطلعات وأطماع الساسة والعسكريين والمستوطنين في الاستيلاء على أراضي الهنود "الفائضة" بحجة تعليمهم الملكية الفردية، ولكنهم لم يتمكنوا من تطبيق بقية البرنامج التمديني الذي حلموا به، فاستفاد المجتمع الاستيطاني من تعاونهم معه ولكنه لم يطبق لهم رؤيتهم كاملة، أي انتقى منهم ما يناسبه ثم رمى بهم بعيداً حتى استقال كروك اعتراضاً ومات كمداً، وهذا هو مصير كل محاولات "الإصلاح من الداخل" والحصول على الحقوق بالوسائل القانونية و"الشرعية" داخل المجتمعات المعادية، وإذا كان المجتمع الاستيطاني قد حصل على مآربه من كروك وأمثاله من المصلحين، فمن الذي يأبه لما كان يجول في صدورهم؟ وإذا كان متنفذ بمستوى الجنرال كروك لم يستطع تطبيق رؤيته الإصلاحية في مجتمعه، فمن الذي سيقدر على ذلك؟ ولكننا نعود للاستدراك والتساؤل: إذا كان الجنرال كروك وأمثاله لم يكونوا هم أنفسهم عملياً على مستوى أحلامهم المثالية، فلماذا نتوقع من الآخرين أن يكونوا على هذا المستوى؟

ومن أمثلة العسكريين "الإنسانيين" الجنرال أوليفر هاوارد (1830-1909) الذي شارك في الحرب الأهلية الأمريكية

وكان عطوفاً على العبيد المحررين وساهم في إعتاقهم[731] وفي إنشاء الجامعة التي حملت اسمه لتعليمهم، ولكن سجله كسجل أمته في زمنه لم يلاق السكان الأصليين بنفس الترحاب[732]، إذ وصف بأنه قاس على قدر تقواه[733]، فقد ساهم في تحديد محميات الآباتشي بشكل سلمي في البداية (1971) وكان ذلك ضد رغبة الجنرال جورج كروك الذي دعا إلى حسم عسكري، ولكن تلك الميول السلمية تغيرت بعد حرب "السو" الكبرى التي سجلوا فيها انتصاراً ساحقاً على الجيش الأمريكي (1876)، فكان ذلك مما بدل مشاعره تجاه الهنود[734] كما بدلت مشاعر الأمة الأمريكية كلها فساهم في السنة التالية (1877) في مطاردة قبيلة "الأنوف المخرومة" مطاردة عنيفة أدت إلى إنهاكها، فوعدها بعد ذلك بالعودة إلى محمية في وطنها ولكن السلطات لم تأبه بوعوده[735].

[731] -Geoffrey C. Ward، 1996، ص 310.
[732] -Ralph K. Andrist، 2001، ص 304.
[733] -Geoffrey C. Ward، 1996، ص 310.
[734] -Angie Debo، 1983، ص 270-271.
[735] -نفس المرجع، ص 264.



الجنرال أوليفر هاوارد

ولم يقتصر التفهم والتعاطف القلبي على العسكريين "الخيرين" و"الإنسانيين"، بل وجدنا حتى العسكريين الشرسين يعترفون بواقع الحال الذي كان يجري على الهنود، ومن هؤلاء

الجنرال جورج كاستر الذي نحن بصدد قصته في حرب "السو" الكبرى، فقد كان معادياً بشدة للهنود وارتكب الفظائع ضدهم، ولكنه مع ذلك كان يتفهم مقاومتهم النابعة من عدوان البيض عليهم، فقال إنه لو كان هندياً لقرر أن يكون في صف الذين يختارون حياة الحرية ويفضلونها على حياة القيود في المحميات حيث يعيشون على تلقي عطاءات الحضارة الممزوجة بعيوبها دون حدود، وإن الهندي يتصرف كما كان "أخوه" الأبيض سيفعل لو نشأ في نفس ظروفه، ولكن الجنرال يؤكد أن الهندي لو لم يستسلم ستسحقه كاسحة الحضارة[736]، وكان بذلك كما يقول أحد المؤرخين يعبر عن تعاطفه مع الهنود ولكنه لا يسمح لهذه المشاعر بالتدخل في سياسة الإبادة[737]، وهذا يفسر كثيراً من المشاعر التي أظهرها البيض تجاه ضحاياهم وهو أمر نابع من الفطرة الإنسانية ولكن السلوك يختلف وفقاً للمصالح، ولهذا علينا ألا نراهن كثيراً على من يظهرون التعاطف مع بلايانا لأنهم قد يرونها نوعاً من القضاء والقدر لا يمكن رد غائلة الرجل الأبيض فيه.

ومن الغريب أن الجنرال وليلم شيرمان قائد الجيش الأمريكي نفسه الذي قاد الحروب ضد الهنود بعد الحرب الأهلية الأمريكية وعاملهم بكل شراسة، وكانت الكلمة المفضلة[738] والأكثر استعمالاً في سياسته هي الإبادة[739]، ومع ذلك قال:"لقد أخذنا أرضهم ووسائل معيشتهم، وحطمنا أسلوب حياتهم، وعاداتهم،

---

[736] -General George Armstrong Custer، 1962، ص 13 و22-23.
-Benjamin Capps، 1981، ص 217.

[737] -Richard Slotkin، 1998، ص 411.

[738] -Angie Debo، 1983، ص 260.

[739] -Ralph K. Andrist، 2001، ص 124.

وأدخلنا الأمراض والتحلل بينهم، وضد كل هذه الأشياء شنوا حربهم، هل يمكن لأي أحد أن يتوقع أقل من ذلك؟"[740]، ومع ذلك فإنه برر الجريمة عملياً بقوله إن سبب فشل السياسة الأمريكية تجاه السكان الأصليين أمر يتعلق بطبيعة الأمور وليس برغبة في ارتكاب الأخطاء"[741]، وهو يقصد أن هذا هو القدر وليس خطيئة البشر، كما اعتقد كثير من الأمريكيين في زمنه أن فناء الهنود أمام تقدم الحضارة قضية لا مرد لها، وهي القدرية التي طبعت التبرير الحضاري الغربي للجرائم الغربية المختلفة، دون أن يدرك أنصار الغرب في بلادنا أنهم يناقضون أنفسهم عندما يعيبون الاتجاه القدري في الحضارة الإسلامية والذي استسلم لإرادة الحكام المستبدين في نفس الوقت الذي يبررون فيه قدرية الغرب التي ارتكبت مظالم الإبادة التي تهون إلى جانبها كل مساوئ استبداد الحكام في تاريخ الإسلام.

---

[740] -John D. McDermott، 1998، ص 12.

[741] -Edward Lazarus، 1999، ص 95.



الجنرال وليام شيرمان أحد القادة البارزين في الحرب الأهلية الأمريكية بدعوى تحرير الرقيق ثم كان قائد الحروب على الهنود للقضاء على حريتهم، بعد الحرب الأهلية مارس أساليبه العنيفة في إخضاع الجنوب على الهنود[742] وكان هو أول من استخدم عبارة "الحل النهائي" التي تشير إلى إبادة عرق محدد وهي نفس العبارة التي عرفت عن النازية فيما بعد[743]، ولهذا يرى مؤرخون ومفكرون أن الإبادة ظاهرة متكررة في الحضارة الغربية وليست محصورة في النازية وأن النازية وليدة هذه الحضارة وليست ظاهرة معزولة عنها.

---

742 -Geoffrey C. Ward ، 1996، ص 235.
-Edward Lazarus، 1999، ص 41.
743 -Joy Hakim، 2003، ج 7 ص 84.

كما وجدنا الجنرال يوليسيس غرانت يفوز بمنصب الرئاسة (1869) بناء على برنامجه الانتخابي الذي تبنى فكرة الإبادة "لحماية" مواطني الولايات المتحدة[744]، ثم ينقلب بعد تسلمه المنصب إلى تبني سياسة السلام، ولكن ماذا كانت نتيجة عملية السلام؟

حصاد "سياسة السلام" بين الفساد والعنف

عندما قرر البيض استيطان السهول العظمى بعد فترة من العزوف عنها، كانت المشكلة التي واجهوها وجود السكان الأصليين فيها، ففضلاً عن مقاومتهم التي لم تكن هينة لاسيما بعد انتصارات "السو" بزعامة "الغيمة الحمراء" 1866-1867، برز سؤال محير هو ما العمل حتى لو تمت هزيمتهم؟ ماذا يُفعل بهم؟ وقد انقسم المجتمع الأمريكي فريقين: فريق رفع شعار الإبادة الذي لخصه الجنرال فيليب شيريدان قائد قطاع السهول (الميسوري) بقوله إن الهندي الصالح هو الهندي الميت (والذي طبقه الصهاينة فيما بعد على أهل فلسطين)، وكان هذا الفريق يضم رجال الجيش ومستوطني التخوم من رعاة البقر والمزارعين والمنقبين، أما الفريق الآخر فتكوّن من الإنسانيين الذين اتفقوا مع الفريق الأول على كون الهندي عائقاً في وجه تمدد "الحضارة" وأنه يجب أن يختفي ولكنهم رأوا أن اختفاءه يجب أن يكون لا بالإبادة بل بتعليمه أن يكون كالبيض مزارعاً في قطعة أرض يملكها وأن يتخلى عن حياته القبلية وأملاك

[744]- Robert M. Utley، 2002، ص 125.

قبيلته في الأرض، وكان لحقيقة ارتفاع نفقات الحروب الهندية (2 مليون دولار سنوياً لإبقاء فرقة من الجيش مرابطة في السهول) الدور الحاسم في فوز الفريق الإنساني بالإمساك بحل المشكلة الهندية وفقاً لرأيه[745]، وأيده في ذلك الجمهور الأمريكي الذي لم ير فائدة في النفقات العالية التي صرفت على تعقب الهنود دون نتيجة، وهو ما مهد لمعاهدة لارامي بعد انتصارات "الغيمة الحمراء" وبداية عملية السلام[746]، أي أن مصلحة الرجل الأبيض هي التي قررت اللجوء إلى "الإنسانية" وليس أي مشاعر إنسانية حقيقية، وسنرى أن هذه المنفعة لن تنقذ الهندي لأنه لم يكن من ضمن حساباتها (وهو ما يجب أن يعلمه جميع المراهنين على "إنسانية" الرجل الأبيض أو "تطابق المصالح" معه).

وهناك من يؤرخ بداية السياسة السلمية التي أحب أن أطلق عليها عملية السلام تشبيهاً لها بما مرت به القضية الفلسطينية، بسنة 1865 بعد الحرب الأهلية الأمريكية مباشرة[747] كما سبق ذكره، ويؤكد ذلك آخرون بالقول إن سياسة السلام مثل كل الظواهر البشرية من الصعب تأريخ بدايتها ونهايتها بأحداث فاصلة ولهذا فهي تسبق رئاسة الرئيس يوليسيس غرانت (1869) وتمتد إلى نهاية القرن التاسع عشر وما بعدها[748]، ويؤكد ذلك أحد المؤرخين فيرى أن سياسة السلام حكمت لمدة نصف قرن بعد الحرب الأهلية[749].

---

[745] -Tony Boddington، 1977، ص 125-127.

[746] -Geoffrey C. Ward، 1996، ص 235.

[747] -George E. Hyde، 1975، ص 197.

[748] -Francis Paul Prucha، 1995، ص 481.

[749] -Edward Lazarus، 1999، ص 30.

استهدف برنامج السلام تحقيق عدة أهداف يتم بموجبها تمدين السكان الأصليين بالقضاء على هويتهم المتميزة والتي وصمت بالتخلف ومن ثم تحويلهم إلى أمريكيين يستوعبهم المجتمع الأمريكي كما يستوعب أبناءه والمهاجرين إليه، وكانت هذه الأهداف التي توخى المصلحون تطبيقها على السكان الأصليين هي الزراعة، في المحميات أولاً لعزلهم عن الآثار الضارة للاحتكاك بالبيض، ثم في الملكية الفردية لجعلهم كالأمريكيين، والأمركة، والقانون، والمسيحية، والتعليم، ولن يتم ذلك في نظرهم سوى بتحطيم بنية المجتمع الهندي القائم على القبيلة ودمج الهنود بصفتهم الفردية في المجتمع الأمريكي، وقد تولى المصلحون المسيحيون من أتباع الكنائس المختلفة تطبيق هذه السياسة.

ولكن ما هي إنجازات عملية السلام؟

●**الحروب الأشد دموية والقضاء على آخر مظاهر المقاومة الهندية**: بعد نهاية الحرب الأهلية الأمريكية نشطت عملية بناء الحصون العسكرية في منطقة التخوم، ورغم قلة إمكاناتها في البداية فقد كانت دافعاً هاماً لعملية التمدد الاستيطاني[750]، ويمكننا أن نلاحظ من أحداث هذا الكتاب أن نتيجة "سياسة السلام" هي كما قال أحد المؤرخين "جهود لدفع القبائل المختلفة نحو أراض محددة بعيداً عن أوطانها، وفشل في حمايتها وإطعامها... وأثناء السنوات العشرين التي حاولت فيها الحكومة تطبيق سياسة السلام انفجرت بعض أكثر الحروب الهندية دموية وكلفة"[751]،

---

[750] -Robert M. Utley، 2002، ص 158.

[751] - .Hoxie، 1996، ص 474.

ولاحظ مؤرخ أنه من المفارقة أن عهد سياسة السلام كان عهداً للحروب التي حطم بها الجيش مقاومة السكان الأصليين[752]، وأكد مؤرخ آخر أن عهد السياسة السلمية شهد بعض أعنف الحروب في تاريخ العلاقات مع السكان الأصليين[753]، ويجب أن نلاحظ أن كل تلك الحروب الهندية وما صاحبها من تمدد جرى على أيدي نفس الرجال الذين فرغوا لتوهم من القتال "في سبيل حرية الرقيق" لينقضوا على حرية الهنود بعد ذلك، ولم يستطع أنصار السلام التدخل للحفاظ على تعهدات الحكومة ووعودها للهنود كما حدث في موضوع كتابنا عندما عجز المصلحون على كبح التمدد الاستيطاني والتنقيبي داخل أراضي هنود "السو" بعد اكتشاف الذهب في التلال السوداء رغم وعود الحكومة بالتدخل لكبح أي تطفل أبيض[754]، وكانوا قد عجزوا حتى عن منع حملة الجنرال كاستر الاستكشافية التي نقضت المعاهدة واقتحمت أرض الهنود دون رضاهم (1874) ثم نشرت حمى اكتشاف الذهب[755]، ولكن الرئيس غرانت موجه عملية السلام هو الذي تدخل لكبح أي تنفيذ لوعود الحكومة للهنود كما سبق ذكره ولهذا انفجرت حرب "السو" الكبرى، وقد انتهت الحروب الهندية في سنة 1890 بالقضاء على المقاومة وإغلاق منطقة التخوم الحدودية وتمت بذلك السيطرة على القارة كلها والاستعداد لغزو العالم الخارجي، إذ من السذاجة الاعتقاد أن من تمددوا في أرض الهندي غيروا طبيعتهم الاستعمارية

---

752 -Francis Paul Prucha، 1995، ص 482.

753 -Robert M. Utley، 2002، ص 155-164.

754 -Jeffrey Ostler، 2010، ص 70.

755 -نفس المرجع، ص 81.

وسيتوقفون عن أطماعهم بعد نفاد الأراضي بين شواطيء القارة[756].

●**احتلال جميع الأراضي الهندية وإغلاق منطقة التخوم الحدودية وتدفق المستوطنين البيض**: شهدت الفترة التي اندلعت فيها آخر حروب الهنود تدفق المستوطنين البيض على أمريكا، "والكتلة الكبرى من سكان أمريكا جاءت إلى أمريكا لدى إغلاق التخوم الغربية،.....إن ما يزيد عن أحد عشر مليوناً شقوا طريقهم إلى أمريكا بين عامي 1870 و 1900 "[757]، وسنرى أن التدفق سيزيد في العقد القادم مع اشتداد حركة التحصيص وسلب ما تبقى من الأرض الهندية، وسيصل مجموع المهاجرين منذ نهاية الحرب الأهلية ولمدة نصف قرن قادم إلى 26 مليون نسمة[758].

●**إبادة البيسون وفقدان استقلال السكان الأصليين وهزيمتهم دون تقديم أي بديل قابل للحياة**: قبل سنة 1840 كان الأمريكيون يعتقدون أن منطقة السهول العظمى في وسط القارة صحراء جرداء غير صالحة للزراعة واستقرار البيض فيها[759]، ويرجع سبب هذا الاعتقاد إلى حملة لويس وكلارك الاستكشافية التي أرسلها الرئيس توماس جيفرسون لاستكشاف الغرب (1804-1806) بعد شرائه لويزيانا من فرنسا (1803)، ورحلة زيبولون بايك بعدها (1806)[760], وعلى هذا الأساس وحده وهو كون هذه المنطقة صحراء أمريكا الكبرى

---

[756] -أناتول ليفن، 2008، ص 252.

[757] -ضياء الدين سردار وميريل وين ديفيز، 2006، ص 288-289.

[758] -Joy Hakim، 2003، ج 7 ص 115.

[759] -Jennifer and Martin Tucker، 1996، ص 6 و10.

[760] -Edgar I. Stewart، 1987، ص 6.

Great American Desert تم تخصيصها في قانون 1834 مكاناً لإقامة السكان الأصليين وترحيلهم إليه حيث يتعلمون صيد جاموس البيسون والحياة اعتماداً عليه[761]، ونسي البيض حديثهم عن ضرورة تحول الهنود إلى مزارعين وهم يدفعون بالقبائل الزراعية إلى ترك طريقة حياتها لتصبح بدوية متنقلة، وأصبح من المحظور على البيض دخول هذه المنطقة الواسعة إلا بترخيص ويمنع فيها بيع الخمور للهنود[762]، ولما اندفع البيض نحو الغرب فضلوا الاستقرار على الساحل الغربي قبل الاستقرار في السهول الوسطى، المهم أن هذه المنطقة ظلت خارجة من حساباتهم الاستيطانية إلى أن غيرت بعض الظروف النظر إليها وأصبح الاستقرار فيها مقبولاً لاسيما بعد صدور قانون السكن (1862) في عهد أبراهام لنكولن واختراع وسائل للتغلب على صعوبة الحياة فيها كالأسلاك الشائكة (1873) ومضخات المياه الهوائية[763].

وبعدما كانت السهول منطقة مخصصة للهنود بسبب كونها جرداء، حلت في عيون البيض[764] وأصبحت في حالتها الهندية حيث حياة الجاموس الوفيرة، عائقاً في وجه تمدد الحضارة البيضاء بمستوطناتها ومدنها ومزارعها وطرقها الحديدية[765]، وصار تمدد هذه "الحضارة" متوقفاً على زوال حياة الهنود "المتخلفة"، وكانت أداة هذا التمدد الأمريكي الرئيسة هي اختراع ثالث هو القطارات التي سهلت انتشار الجيش الأمريكي

---

761 - Ralph K. Andrist، 2001، ص 7.

762 - Edgar I. Stewart، 1987، ص 6.

763 - Jennifer and Martin Tucker، 1996، ص 40-41.

764 - David J. Wishart، 1994، ص 101.

765 - Ralph K. Andrist، 2001، ص 179.

وتزويده بخطوط المؤن في منطقة كانت حكراً على السكان الأصليين، بالإضافة إلى تسهيل انتشار المستوطنات والقضاء على قطعان الجواميس ومن ثم على استقلال الحياة الهندية وقدرتها على تحمل شن الحروب على الأمريكيين[766].



كانت القطارات عاملاً رئيساً في تسهيل إبادة الجواميس، ويذكر أحد كبار رجال الأعمال الذي عمل في تحويل العظام إلى سماد أنه كان يدفع 24 دولاراً لكل طن من العظام التي تنقل بالقطارات، وقبل أن يغلق هذا العمل في سنة 1886 كان قد أنفق 40 مليون دولار[767]

كان التضييق على الهنود بواسطة القضاء على جاموس البيسون من الوسائل الفتاكة التي استعملت في شن الحرب ضدهم، إذ أن فقدان أي مجتمع استقلاله الاقتصادي يجعله عرضة للخضوع لشروط أعدائه، وكان هدف الجيش الأمريكي الرئيس هو القضاء على الأوضاع التي تهيء للهنود استقلال

[766] -Francis Paul Prucha، 1995، ص 560-561.

[767] - https://otrwjam.wordpress.com/2013/09/08/glasgow-montana-pioneer-museum/

مجتمعاتهم[768]، وقد كان ما مجموعه أكثر من عشرين قبيلة تعتمد في مختلف جوانب حياتها على الجاموس: في الطعام والسكن وأدوات المعيشة، ولم يكن الهنود يتركون أي جزء منه بلا إفادة [769]، حتى روثه كان مفيداً لوقودهم، ولكن الصيادين البيض قاموا بعمليات إبادة واسعة ووحشية طمعاً في الفراء، في البداية كانت القطعان تؤلف قطيعاً واحداً ممتداً على طول السهول العظمى تفاوتت تقديرات أعداده ووصلت إلى 75 مليون رأس[770] وربما أكثر من ذلك، حتى أن أحد شهود العيان لم يجد ما يقارن به أعداد الجواميس إلا أعداد الأسماك في البحر[771]، فلما حل القطار القاري سنة 1867-1868 قسم القطيع إلى قطيعين شمالي وجنوبي[772]، وكان القتل في البداية على أيدي الصيادين لأجل الفراء، بمعدل 100 ألف قطعة في السنة وذلك في أربعينيات القرن التاسع عشر[773]، أو على أيدي السياح الباحثين عن الرياضة في نفس الفترة[774]، ثم على أيدي المهاجرين الذين بدءوا بعبور جبال الأبالاش منذ الثورة الأمريكية مما أدى إلى انقراض الجواميس شرق المسيسبي بحلول ثلاثينيات القرن التاسع عشر[775] لتستمر الهجرة غرباً بعد ذلك محدثة أضراراً جسيمة وإن كانت ليست منهجية على طول

---

[768] -Jeffrey Ostler، 2010، ص 70.
[769] -Howard R. Lamar، 1998، ص 140.
[770] -Carl Waldman، 2000، ص 210.
-Warren A. Beck and Ynez D. Haase، 1992، ص 10.
[771] -Warren A. Beck and Ynez D. Haase، 1992، ص 10.
[772] -Robert M. Utley، 2002، ص 229.
[773] -Benjamin Capps، 1981، ص 167.
[774] -Carl Waldman، 2000، ص 210.
[775] -Howard R. Lamar، 1998، ص 140.

طرق الهجرة[776]، ثم على أيدي رجال السكك الحديدية للحصول على الطعام في الستينيات من القرن نفسه[777]، وابتداء من 1871 اخترعت وسيلة دباغة جديدة للإفادة من جلده دون الفرو الكثيف [778]، فتسارع الصيد وأصبح مستمراً طوال العام ولم يعد مقصوراً على الموسم الذي يغطي الفراء فيه جسد الجاموس[779]، هذا فضلاً عن الصيد للحصول على اللسان فقط بوصفه طعاماً شهياً[780] أو رغبة في ممارسة الرياضة أو السياحة أو لمجرد رؤية الحيوان يهوي أرضاً[781]، وبلغت هذه العمليات أوجها في أواسط سبعينيات القرن التاسع عشر، ووصل معدل الصيد السنوي إلى ثلاثة ملايين ثور[782]، ويذكر أنه في سنة 1873 وحدها وصل عدد الجواميس المقتولة إلى خمسة ملايين[783]، وكان الصيادون يحصلون على الجلود ويتركون الجثث بمئات الآلاف تتعفن بعد ذلك مما أفسد هواء السهول المفتوحة التي

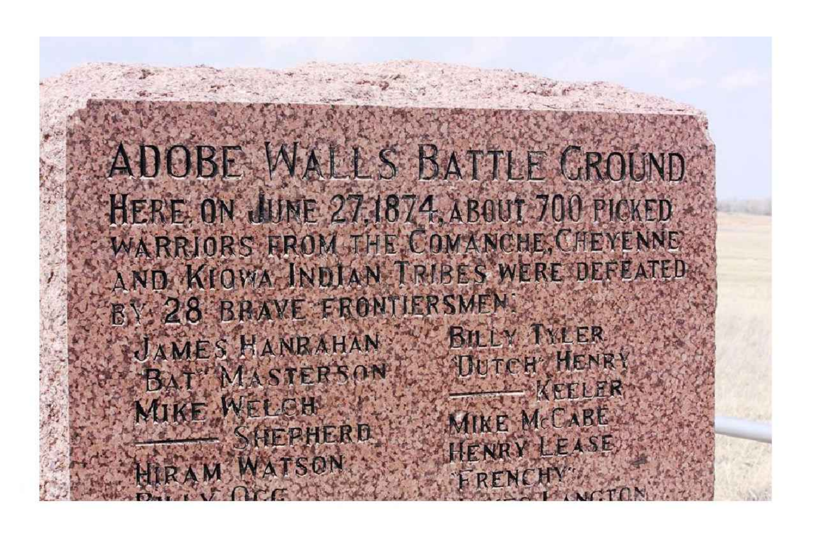
---

[776] -Angie Debo، 1983، ص 213.
-Benjamin Capps، 1981، ص 167.
[777] -Carl Waldman، 2000، ص 210.
-Warren A. Beck and Ynez D. Haase، 1992، ص 10.
-Angie Debo، 1983، ص 213.
[778] -Ralph K. Andrist، 2001، ص 179.
-Robert M. Utley، 2002، ص 229.
[779] -Howard R. Lamar، 1998، ص 140.
-Carl Waldman، 2000، ص 210.
[780] -Ralph K. Andrist، 2001، ص 147.
-Benjamin Capps، 1981، ص 167.
[781] -Angie Debo، 1983، ص 214.
-Ralph K. Andrist، 2001، ص 147.
[782] -Robert M. Utley، 2002، ص 229.
[783] -Angie Debo، 1983، ص 213.

ازدحمت بالجثث ثم بعظامها[784]، ولقد استمرت عملية الإبادة جنوباً في الفترة الواقعة بين 1870-1874 [785]، وبحلول سنة 1875 اختفت قطعان البيسون من جنوب السهول، وفي سنة 1878 لم يعد للجواميس أي وجود هناك[786]، وبعدها بخمس سنوات اختفت من الشمال أيضاً[787]، حيث استمرت الإبادة بين 1876-1883[788]، وكانت آخر عملية صيد كبرى قد تمت في سنة 1883[789]، ومن بين الخمسين مليوناً التي قدر وجودها في منتصف القرن التاسع عشر[790]، لم يتبق في سنة 1889 سوى أقل من 1100 جاموس[791].

---

[784] -نفس المرجع، ص 214.
-Francis Paul Prucha، 1995، ص 561.
-Robert M. Utley، 2002، ص 174.
[785] -Russell Thornton، 1990، ص 52.
[786] -Angie Debo، 1983، ص 213-214.
[787] -Robert W. Larson، 1997، ص 217.
[788] -Russell Thornton، 1990، ص 52.
[789] -Francis Paul Prucha، 1995، ص 561.
-Ralph K. Andrist، 2001، ص 334.
[790] -Benjamin Capps، 1981، ص 167.
-Jennifer and Martin Tucker، 1996، ص 52.
[791] -Russell Thornton، 1990، ص 52.



مثلما يفعل أي إنسان يهدَد وجوده ومصدر معيشته، دافع السكان الأصليون في سهول أمريكا عن أنفسهم بالهجوم على من يقومون بصيد الجواميس صيداً عبثياً[792]، ومن أشهر المعارك التي اندلعت لهذا السبب معركة "الحوائط اللبنية" الثانية حيث هاجم مئات من هنود الكومانشي والشايان والكيووا بزعامة "كواناه باركر" تجمعاً لهؤلاء الصيادين في هذا المبنى الواقع في تكساس في يوم 27 / 6 / 1874، وكانت أهمية إنقاذ البيسون لديهم أكثر من أهمية طاعة الأوامر الأحادية للرجل الأبيض والتي تتغاضى عن حقوقهم في الصيد ولا تتدخل لمنع الصيادين البيض من سلب حقوق الهنود المضمونة[793]، وتبدو المفارقة الصارخة في طلب البيض أن يتعلم الهنود الزراعة في الوقت الذي كانت فيه أطماعهم في أراضي قبيلة الكومانشي في

---

[792] -Geoffrey C. Ward، 1996، ص 283.

[793] -دي براون، 1982، ص 201.

تكساس هي التي صرفتها عن الاقتصاد الزراعي إلى صيد الجواميس، ثم ها هم البيض يعيدون اللعب بورقة الزراعة[794] (!)، ويبدو النصب التذكاري للمعركة قائماً اليوم كما في الصورة، ورغم قلة عدد الصيادين وكثرة الهنود فإن السلاح المتقدم الذي حمله البيض وهي البندقية ذات العدسة المكبرة جعلت النتيجة لغير صالح الهنود، وبعد هذه الهزيمة اتجه الزعيم باركر إلى حياة الرجل الأبيض، ورغم الازدهار الشخصي الذي تمكن من تحقيقه فإن قبيلته انحدرت انحداراً ملحوظاً (معركة "الحوائط اللبنية" الأولى جرت قبل الثانية بعشر سنوات بعد مجزرة "نهير الرمل" التي ارتكبها البيض ضد قرية "الشايان" بزعامة "الإبريق الأسود"، وفي المعركة الأولى قاتل 300 من البيض عشرة أضعافهم من هنود "الشايان" والكومانشي والكيووا الذين أرادوا الانتقام من المجزرة الوحشية، ولم تكن المعركة حاسمة)[795]

---

[794] -نفس المرجع، ص 189.

[795] -Howard R. Lamar، 1998، ص 249.



وادي بالو دورو[796] في تكساس كان المعقل الأخير لجواميس البيسون في جنوب السهول في سنة 1874 وقد لجأ إليه آلاف من هنود "الشايان" والكومانشي والكيووا هرباً من حياة المحميات التي دشنتها معاهدة الكوخ السحري 1867 وشن الجيش حملته التي ارتكب فيها مجزرة واشيتا 1868 لإجبار الهنود على هذه الحياة المقيدة حيث المساعدات الضئيلة والأطعمة الرديئة التي لا تناسب حاجاتهم، فضلاً عن تعديات رعاة الماشية وباعة الخمور ولصوص الجياد على أراضي الهنود بالإضافة إلى صيادي الجواميس التي ضُمن حق صيدها للسكان الأصليين الذين كانوا يعتمدون عليها اعتماداً كلياً، وذلك بعدما كان الزعيم ساتانتا قد رحب بحضارة الرجل الأبيض:"كل هذه الأرض لكم لتفتحوا فيها الطريق الذي سنسير عليه، وبعد هذا سأسير في طريق الرجل الأبيض، سأزرع الذرة والقمح..لن

---

[796] -Fiona Macdonald، 1992، ص 49.

نسمع بعد الآن عن أن الكيووا قتلوا المزيد من البيض"، ولكن خيبة الأمل وقلة ذات اليد من الحضارة البيضاء ردت الهنود إلى أصولهم، ولم تقبل المؤسسة العسكرية المتطرفة بقيادة الجنرال شيرمان حياة الهنود مستقلين حتى لو كانوا معزولين لشأنهم فشنت على الوادي حرباً من الجهات الأربع سميت حرب "النهر الأحمر" التي استمرت إلى ربيع 1875، فاجتاح الجنود الوادي وأحرقوا الخيام ودمروا المؤن وجمعوا ألف جواد وذبحوها، وشردوا الهنود وتصيدوهم فمنهم من وقع في الأسر وهرب بعضهم، وكان من يضطرون إلى الاستسلام يوضعون في الزرائب ويجردون من السلاح وتكوم أمتعتهم وتحرق، أما الزعماء فكانوا يحبسون في الزنزانات أو خلف جدران عالية ليس لها أسقف حيث ترمى لهم كل يوم قطع اللحم النيء كأنهم حيوانات، ثم أجريت لهم محاكمات وأرسل في النهاية كثير منهم إلى المنفى في فلوريدا حيث رمى زعيم الكيووا ساتانتا نفسه من نافذة غرفة المستشفى في السجن بعد ثلاثة أعوام من سوء المعاملة ومات بقية الزعماء الكبار أيضاً، وبعد الانتهاء من حرب "النهر الأحمر" سنة 1875 توجه الجيش لقمع هنود الشمال[797] وهي الأحداث التي يتكلم عنها هذا الكتاب

[797] -دي براون، 1982، ص 188 و202-205.
-Robert M. Utley، 2002، ص 173-178.



هجوم الجيش الأمريكي على الوادي الذي اعتزل فيه الهنود في آخر معاقل الجواميس كما تخيله الفنان [798]



يقول بعض المراقبين إن أراضي شرق مونتانا كانت في فترة صيد الجواميس بيضاء من تناثر العظام فيها[799]

---

[798] - http://heronartconnection.com/clydegallery.php

وإنه من الخطأ الاعتقاد بأن هذه الإبادة كانت عملية تخص الصيادين وحدهم، إذ كان عملاً قذراً ومتعمداً ومبيتاً من جهة الحكومة في سبيل كسر إرادة الهنود[800]، على الأقل بالموافقة التامة والإقرار الكامل لهذا الفعل، وقد حصلت عملية الصيد على ثناء المسئولين المدنيين والعسكريين في الحكومة لأنها ستؤدي إلى تخلي الهنود عن عادة الصيد ليصبحوا معتمدين على الحكومة وهي خطوة أولى نحو القبول بالحياة المستقرة المعتمدة على العمل في الزراعة وفق نموذج الملكية الفردية[801]، وهو كلام نظري لم يطبق عملياً لأن الحكومة لم تزود الهنود بمستلزمات حياة الزراعة والاستقرار بدءاً من الأرض الصالحة وانتهاء بأدوات الزراعة أو حتى بالغذاء اللازم ريثما تنتج الأرض ما يكفي للاعتماد عليها، كما كانت الماشية والأدوات الزراعية التي تخصص للهنود تباع في السوق السوداء للبيض في التخوم[802] (وهو درس بليغ لكل من يفكر في وعود عملية السلام الوهمية)، ولم تفت ملاحظة التقصير الحكومي على الهنود الذين طلب إليهم تحقيق هذه النقلة الحضارية[803]، ومع ذلك كان قائد الجيش الأمريكي الجنرال وليام شيرمان يعتقد أن إبادة الجواميس يمكن أن تؤدي إلى حل

---

799 - https://otrwjam.wordpress.com/2013/09/08/glasgow-montana-pioneer-museum/

800 -Jennifer and Martin Tucker، 1996، ص 52.

801 -Francis Paul Prucha، 1995، ص 561.

802 -William K. Powers، 1989، ص 114.

803 -Ralph K. Andrist، 2001، ص 335.

-Robert M. Utley، 2002، ص 230-232.

المسألة الهندية أفضل مما تؤديه أية حملة عسكرية[804]، وفي ذلك قال الجنرال فيليب شيريدان قائد قطاع الميسوري الذي وقعت فيه الإبادة: "دعوهم يقتلون ويسلخون ويبيعون حتى ينقرض الجاموس، إذ أنها الطريقة الوحيدة لإحلال سلام دائم والسماح للمدنية بالتقدم"[805]، وكان يعتقد أن عمل الصيادين في ثلاث سنين أكثر فعالية مما أنجزه الجيش في ثلاثين عاماً لحل المسألة الهندية المعقدة[806] (وهو تصريح واضح عن حقيقة "السلام الدائم" الذي يفرضه المستوطن على حساب وجود السكان الأصليين وليس بالاتفاق معهم ولهذا قال أحد زعماء "السو" واسمه "الغيمة البيضاء" إنه حيثما حل الرجل الأبيض اختفى الجاموس وجاع الهندي حتى الموت، وهذا "السلام الدائم" لا يختلف عن سلام الصهاينة الذي يسعون لفرضه على فلسطين).

وبالفعل كان القضاء على قطعان الجواميس هو أهم الأسباب في هزيمة السكان الأصليين في منطقة السهول العظمى[807]، كما كانت التقنية العلمية هي التي سهلت هذه الإبادة سواء القطارات أم اختراع وسيلة دبغ الجلود أم البنادق ذات المستويات التقنية العالية[808] وذلك كما سهل اختراع محلج القطن عملية استرقاق

---

[804] -Edward Lazarus، 1999، ص 42.
[805] -دي براون، 1982، ص 200.
[806] -Francis Paul Prucha، 1995، ص 561.
[807] -Tony Boddington، 1977، ص 133.
-Edward Lazarus، 1999، ص 36-37.
[808] -Francis Paul Prucha، 1995، ص 561.
-Warren A. Beck and Ynez D. Haase، 1992، ص 10.
-Carl Waldman، 2000، ص 210.

الأفارقة[809] (وهو ما أطلق عليه الدكتور عبد الوهاب المسيري العلم المنفصل عن القيمة)، ولم يقتصر القتل على الوسائل البشرية بل أدت الأمراض التي حملتها مواشي المهاجرين دورها في هذه الإبادة[810]، وهو ما يؤكد تلازم العوامل البشرية مع العوامل "الطبيعية" التي ألقيت على عاتقها مسئولية الإبادة الهندية كقضاء وقدر لا دخل للبشر فيه.

لم يكن الإنسانيون الممسكون بزمام الحكم بعيدين عن عملية الإبادة التي جرت أحداثها بين 1867-1883، ومنذ البداية كان هناك رأي بعدم السماح للهنود بالوقوف في وجه تقدم "الحضارة" ولو أدى ذلك إلى العنف والإبادة[811]، وبأن الهدف الرئيس هو القضاء على استقلالية السكان الأصليين ودفعهم دفعاً نحو الاعتماد الكامل على الحكومة الأمريكية في معيشتهم مقدمة لإجبارهم على العمل في سبيل البقاء[812]، وهو نفس رأي المتشددين الذي لم يمنح الهنود البديل بعد سلبهم وسيلة عيشهم (وهو ما يذكرنا بانسجام الصهاينة "المعتدلين" وحتى "الإنسانيين" مع الرأي الصهيوني العام المعترض على حقوق الفلسطينيين الرئيسة كحق العودة وتقرير المصير، كما يذكرنا بنتائج التغريب الاقتصادي الذي يترك بلاد "الأطراف" معتمدة على "المركز" في الحصول على لوازم حياتها مقابل تزويده بالمواد الخام).

---

[809] -Paula Mitchell Marks، 1998، ص 189.

[810] -Warren A. Beck and Ynez D. Haase، 1992، ص 10.

-Geoffrey C. Ward، 1996، ص 260.

-Carl Waldman، 2000، ص 210.

[811] -Edward Lazarus، 1999، ص 45.

[812] -نفس المرجع، ص 66.

وكعادة التأريخ الأبيض لا بد أن نجد بعد فوات الأوان وانقضاء الجريمة من يحاول تخفيف العبء الأخلاقي عن البيض ويشارك السكان الأصليين فيه بالقول إن الهنود قاموا بدور في عملية إفناء جواميس البيسون وجاروا البيض في عملية الصيد المفرط لتلبية طلبات السوق الأمريكي ولم تقتصر الممارسة على البيض وحدهم[813]، فالمسئولية مشتركة[814]، وذلك كمن كانوا يقولون مثلاً إن البيض لم يفرضوا الرق والنخاسة على الأفارقة وإنهم كانوا يمارسون ذلك قبل مجيء البيض أو القول إن البيض لم يستحدثوا احتلال أراضي الهنود الحمر حيث كان الهنود يسلبون أراضي بعضهم بعضاً أو القول أيضاً إن عملية إخضاع القارة الأمريكية لم تكن صراعاً حدياً بين سكانها الأصليين والبيض بل لقد شارك الهنود إلى جانب البيض في شن الحرب على إخوانهم الهنود.

هذه النغمة التي تحشر الضحية في ممارسة الجريمة وتبرر فعل الأبيض بفعلها باطلة من وجهين: أنها تبرر عيوب الأبيض بعيوب من سبقه من البشر في الوقت الذي تدعي تفوقه عليهم وتطالب بمزايا هذا التفوق له، أي أنها تدعي تفوقه وتعفيه من واجبات هذا التفوق (وهو الرقي الحضاري والأخلاقي) في الوقت الذي تطالب فيه بحقوق المتفوقين (وهي الحصول على الأولوية والصدارة)، وذلك كالأب الذي يحاول تربية ابنه على الصدق مثلاً من موقع الوالد ثم يمارس نفس عيوب الأطفال بالكذب فإذا اعترض عليه ابنه بأنه يفعل ما ينهى عنه وما يتنافى مع موقع الأبوة برر الأب تصرفه بأن الابن نفسه يمارس عادة

---

813 -Ralph K. Andrist، 2001، ص 178.

814 -Robert M. Utley، 2002، ص 229.

الكذب فلماذا يعترض على أبيه ! فأي منطق هذا وهل يمكن قبوله من الأب الراشد؟

الوجه الثاني للاعتراض على منطق البيض هو أنه مع افتراض وقوع كل هذه العيوب من السكان الأصليين، فهل كانت ستؤدي إلى الكوارث التي حدثت بتدخل العامل الأبيض؟ وفي موضوعنا هنا لو كان الهنود يمارسون كل الصيد المفرط بأدواتهم القليلة فهل كان الجاموس سينقرض لولا تدخل الصيادين البيض بأدواتهم الحديثة وكثرتهم العددية؟

ولهذا فقد أشار مؤرخون إلى أن صيد الهنود المفرط لم يكن هو عامل الإفناء الوحيد، حتى لو غضضنا النظر عن دور البيض في تحريضهم على الصيد وما يمكن أن يوصف باستغلال بشع لبساطتهم، إذ أن الصيادين البيض والأمراض التي جلبتها ماشية البيض إلى جانب عوامل الجفاف الطبيعي تدخلت كلها بإلحاق أضرار فادحة حتى قبل بدء المجزرة الكبرى بعد الحرب الأهلية الأمريكية[815]، فدور البيض كان هو الذي أدى إلى الوصول بالجواميس إلى حافة الانقراض بسرعة[816]، لاسيما بعد اختراع الدباغة الجديدة التي دشنت عمليات الصيد الواسعة[817]، ولم يكن صيد الهنود قبل ذلك حتى لو كان مفرطاً في سبيل طلب السوق قد أدى إلى تضاؤل ملحوظ في أعداد الجواميس[818]، وحتى في أثناء الإبادة الكبرى حسب أحد المؤرخين نصيب الهنود من بين 3.7 مليون ثور قتلوا في

[815] -Paula Mitchell Marks، 1998، ص 130-131.

[816] -Carl Waldman، 2000، ص 210.

[817] -Howard R. Lamar، 1998، ص 140.

[818] -Angie Debo، 1983، ص 213.

فترة الذروة في الجنوب فوجد أن الهنود قتلوا 150 ألف ثور منهم فقط[819]، فأين دور الهنود وحتى دور عوامل الطبيعة التي كانت موجودة منذ مئات السنين في هذه المجزرة الكبرى؟

ويشير أحد المؤرخين إلى أن تطوير السهول للبيض جاء على حساب الهنود، وبحشرهم في المحميات، دون أية إشارة إلى تطورهم فيها بالقول إن مسئولين رسميين وعسكريين أمريكيين أشاروا إلى القضاء على جاموس البيسون بصفته وسيلة لضبط القبائل الهندية ولجعل الغرب آمناً للمزارعين ورعاة الماشية، ولتغيير حياة الهنود وإجبارهم على دخول المحميات، وبحلول ثمانينيات القرن التاسع عشر تم إنجاز هذا الهدف بالتطوير الاقتصادي[820] (ومن الواضح من هو الطرف المستفيد من هذا التطور نظراً لما أصاب الهنود في المحميات التي أُجبروا على الحياة فيها في الوقت الذي صار الغرب فيه "آمناً" لرعاة الماشية والديمقراطية في نفس الوقت، وفي ذلك إشارة لما كان يعنيه للسكان غير البيض في العالم الثالث قيام الرؤساء الأمريكيين بدخول حرب أو تدخل مسلح لجعل العالم "آمناً" للديمقراطية).

●**حصر الهنود في أشد البقاع قفراً وفقراً**: مثلما كان مبرر الرجل الأبيض لتهجير السكان الأصليين من شرق المسيسبي إلى غربه والاستيلاء على أراضيهم وتدمير تجاربهم الحضارية مبرراً "إنسانياً" وهو عزلهم عن الآثار الضارة لاحتكاكهم به، اخترع مبرراً "إنسانياً" جديداً لحصر الهنود في المحميات بعدما قرر غزو السهول العظمى التي كان يفردها كلها لسكنى الهنود

---

[819] -دي براون، 1982، ص 200.

[820] -Carl Waldman، 2000، ص 210.

بقانون 1834 حينما كان يعتقد عدم ملاءمتها له، وكان هذا المبرر مشابهاً لسابقه وهو عزل الهنود عن الآثار الضارة لاحتكاكهم بالبيض بتخصيص محميات يتعلمون فيها الحضارة[821]، وليس من المعلوم كيف سيصبحون متحضرين وهذه الحضارة نفسها أنتجت النماذج السلبية التي يراد عزلهم عنها، وكيف سيكون الرجل الأبيض الذي هو عائق التحضر[822] مساعداً على هذا التحضر(!)، وفي الحقيقة لم يكن هذه المبرر سوى ذريعة للاستيلاء على بقية أراضيهم متخذاً قناعاً إنسانياً، وكان الدافع هو عزل السكان الأصليين لتمهيد السهول للاستيطان بوسيلة سلمية يمكن أن تحقق الاستقرار بنفقات يومين فقط من نفقات الحروب لاسيما أن خزينة الدولة كانت تعاني من الإفلاس بعد الحرب الأهلية، وعلم الأمريكيون آنذاك أن إطعام الهندي أرخص من قتاله، وقتل ثقافته أرخص من قتله[823] (وقد عرفنا هذه الدوافع المادية التي تتخذ مبررات إنسانية لتنفيذ أحط المصالح الدنيئة، ومن ذلك مكاسب الشركات الأمريكية التي استفادت من معاناة الشعب العراقي أثناء الحصار المجرم لتحقيق الأرباح من الادعاءات الإنسانية على حسابه)[824].

ولكن لم تكن وعود السلام والتمدين تعني أن تطبيقها سيكون مطابقاً للنظرية التي وعدت بتحويل الهندي إلى مزارع نشيط ينتج قوته من الأرض المملوكة له، وأولى عقبات الوصول إلى

---

[821] -Francis Paul Prucha، 1995، ص 481.

[822] -نفس المرجع، ص 509.

[823] -Edward Lazarus، 1999، ص 43.

[824] -جيف سيمونز، 1998، ص 276.

هذه النتيجة، هي أن وضع الهنود في المحميات تم بالقوة المسلحة، إذ بعد نهاية الحرب الأهلية وسم العنف العلاقة بين الهنود والحكومة الأمريكية، وتحت ذريعة سوقهم إلى الحضارة في المحميات نشبت معظم الحروب الهندية في زمن السياسة السلمية[825]، والعقبة الأخرى، هي موقف الهندي الذي ربما كان مرتاباً ورافضاً هذا التحول السريع الذي أنكر إمكان تحققه نافذو البصيرة من رجال ذلك الزمن مما دفع السياسة لتمرير بنود فرض الزراعة في على الهنود في المعاهدات دون علمهم وهم أصحاب الشأن وهو ما زاد التوتر[826]، ولم يغرس التحضر، وحتى لو وافق الهنود فإن الأراضي التي اختارتها سياسة السلام لاستقرار الهنود كانت الأراضي التي لا يرغب بها الرجل الأبيض، وذلك يعني بكل بساطة أنها غير صالحة للزراعة أو الرعي أو التنقيب حتى لو خضع الهندي لشروط الحضارة وهو ما فعله البعض راضين[827] وآخرون مرغمين[828]، ولكنهم قبلوا في نهاية الأمر حيث لا بديل[829]، نعم رفض كثير من الهنود مثل "السو" ممارسة الزراعة في البداية، وظنوا أن الحكومة الأمريكية موكلة بإطعامهم مدة طويلة جداً مقابل تخليهم عن التلال السوداء، وأنهم ليسوا مضطرين للعمل في الوقت الذي كانت الحكومة تعتقد فيه أن مهمتها تنتهي باعتماد الهنود على أنفسهم، ولكن عندما اتجه الهنود للعمل في النهاية ذهبت كثير من هذه الجهود سدى نتيجة العقبات البشرية والعوائق الطبيعية

825- Robert M. Utley، 2002، ص 164.

826- George E. Hyde، 1975، ص 246.

827- Clark Wissler، 1989، ص 320.

828- Paula Mitchell Marks، 1998، ص 204-205.

829- Robert W. Larson، 1997، ص 217-218.

التي واجهوها[830]، ذلك أن جهود الزراعة فشلت في هذه المنطقة آنذاك[831]، وكما فشل الهنود فقد فشل البيض أيضاً[832]، وباختصار كانت أراضي المحميات جافة وقاحلة وهضبية لا تصلح للزراعة ولا للرعي[833]، أي أن الرجل الأبيض طلب من الهندي أن يصبح مزارعاً متحضراً حيث لا يمكن للزراعة أن تنمو، مما نتج عنه الفقر والمجاعة في الوقت الذي تسربت فيه أراضي القبائل الهندية "الفائضة" إلى أيدي البيض[834]، وهنا يظهر كيف أن دافع المنفعة الذي منح القيادة للإنسانيين لا يمكن أن يكمل الطريق في صالح الهندي الذي ربما نجا في البداية من قبضة أنصار الإبادة ولكنه واجه نوعاً آخر من الإبادة لأن الحياة في المحميات تحت ظل منفعة الرجل الأبيض تسببت في خسائر بشرية أكبر مما تسبب به الحروب، ويصف أحد المؤرخين المشهد بقوله إن القاعدة في الحروب الهندية كانت زيادة خسائر البيض عن الخسائر الهندية حتى في الهزائم التي واجهها الهنود، وإن الخسائر الأعظم التي مني بها السكان الأصليون كانت نتيجة حياتهم في المحميات حيث واجهوا الهزيمة الحقيقية سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وعددياً أيضاً[835].

ولم يكن تقصير الحكومة في تزويد الهنود بالأراضي الملائمة والأدوات اللازمة والمؤن الكافية لتحقيق الهدف

---

[830] -Edward Lazarus، 1999، ص 103-104.
[831] -Warren A. Beck and Ynez D. Haase، 1992، ص 2.
[832] -Edward Lazarus، 1999، ص 63.
[833] -Tony Boddington، 1977، ص 127.
-David J. Wishart، 1994، ص 166.
-Charles M. Robinson III، 1996، ص 29 و261.
[834] -New Standard Encyclopedia، 1999، ج 9 ص I-89b - I-89a.
[835] -Clark Wissler، 1989، ص 311.

المنشود هو العائق الوحيد الذي وقف في وجه نجاح التجربة التمدينية[836]، بل كان هناك العجز الرسمي عن حماية ممتلكات الهنود[837]، وكان الفساد والبيروقراطية أيضاً من العوائق الهامة إذ كثيراً ما تسبب التأخر في وصول المساعدات إلى مجاعات وانتشار الأمراض ومن ثم ثورة الهنود كما حدث في مينيسوتا (1862)، بالإضافة إلى وضع الهنود تحت سلطة الفاسدين من رجال الحكومة والتجار والوكلاء والممونين الذين كانوا يثرون بوسائل عديدة على حساب المساعدات التي خصصت لسكان المحميات ريثما يتمكنون من الاعتماد على أنفسهم، وكان هؤلاء الفاسدون إما يستولون على هذه المساعدات أو يغشون في نوعيتها أو ينقصون من كميتها، وبالإضافة إلى كل ذلك قامت الكوارث الطبيعية (كالجفاف والجراد والسيول) وجهل الرجل الأبيض بطريقة التعامل معها ومع تلقي الهندي لها جعل من الرؤية البيضاء استشراقاً-استئصالياً لأنها أصرت على تطبيق رؤاها الخاصة على واقع مغاير لا يمت لواقعها هي بشيء، فالإصرار على تطبيق طرق زراعية لا تصلح إلا في الساحل الشرقي ولا تمت لواقع السهول العظمى بشيء وعدم القيام بمحاولة جادة للاستبدال بالطرق المفروضة بسبب التمسك بنموذج ضيق[838] (كما هو حال الولايات المتحدة مع بقية الشعوب إلى اليوم)، وعدم الاهتمام برؤية الهندي لأسباب الفشل[839]، كل ذلك أدى إلى إجهاض الجهود الزراعية[840] التي

---

[836] -Paula Mitchell Marks، 1998، ص 204-205.
-David J. Wishart ، 1994، ص 58.
[837] -Donald J. Berthrong، 1992، ص 19.
[838] -Robert M. Utley، 2002، ص 240.
[839] -Clark Wissler، 1989، ص 318.

قامت على الاستشراق-الاستئصالي الذي لا يرى إلا ما يناسب قناعاته ولو كان خلافاً للواقع وذلك تمهيداً للهيمنة المطلقة.

●**انتقال معظم أراضي الهنود المضمونة بالمعاهدات إلى ملكية الرجل الأبيض وتدفق المستوطنين على الأراضي الهندية**: كان قانون التحصيص الذي صدر باقتراح من "صديق الهنود" السناتور هنري دوز (1887) هو الوسيلة الأكثر فعالية في الاستيلاء على أراضي محميات الهنود القليلة أصلاً والتي ضمنتها لهم المعاهدات بعد سلسلة طويلة من المقاومة المسلحة والهزائم الشديدة التي واجهوها، وكان "الإنسانيون" هم الوسيلة التي تم بها الاستيلاء على البقية الباقية من أراضي الهنود، وقد لاحظ المؤرخون هذا التطابق بين الطامعين وأصحاب النوايا الطيبة[841]، لأن نيتهم "الطيبة" كانت تحويل الهندي إلى نسخة مطابقة للرجل الأبيض المتمدن الذي يعمل في قطعة أرض يملكها ملكية شخصية ويحصل على قوته منها، وانتظروا من القانون الجديد أن ينجز ما عجزت عن إنجازه عمليات التهجير والحروب والمدارس والكنائس وغيرها من محاولات

---

[840] -Paula Mitchell Marks، 1998، ص 169.

[841] -Francis Paul Prucha، 1995، ص 564 و632.

-Robert M. Utley، 2002، ص 246.

-Paula Mitchell Marks، 1998، ص 232.

-Angie Debo، 1983، ص 299-300.

-David J. Wishart، 1994، ص 57.

-David A. Nichols، 2000، ص 147 و149 و159 و197.

-Donald J. Berthrong، 1992، ص 119.

-Edward Lazarus، 1999، ص 30 و108.

التمدين[842]، وتحت ذريعة تطابق المصالح بين المستوطن وصاحب الأرض[843]، وبعدما كان الاحتكاك بالبيض ضاراً ولهذا عزل الهنود في المحميات، تغيرت النغمة فجأة ليصبح من صالح الهنود الاحتكاك بجيرانهم البيض لاكتساب عاداتهم الحضارية[844]، و"بالصدفة" فإن هذا يعني الاستيلاء على كل الأراضي التي تملكها القبائل ملكية مشاعية بصفتها أراضي "فائضة" عن الحاجة، وكان تأييد التمدد الاستيطاني والشعور بكونه حتمياً هو الذي دفع إلى إقرار مشروع قانون دوز الإنساني[845]، ويلاحظ أن الفترة التي بلغت فيها سياسة التحصيص ذروتها (1900-1910)[846]، هي نفسها التي أعقبت إغلاق التخوم والقضاء على آخر مظاهر المقاومة الهندية، وهي نفسها الفترة التي بلغت فيها الهجرة إلى الولايات المتحدة ذروتها (1901-1910) حين وصل إليها 8.8 مليون مهاجر[847]، تمكنت من استيعابهم جميعاً وضاقت في نفس الوقت بالقلة القليلة من السكان الأصليين أصحاب الحق الأول في الأرض والذين لم يكونوا آنذاك يزيدون عن ربع مليون نسمة[848]، والغريب أن الأراضي "الفائضة" التي سحبت من الهنود كانت أفضل ما يملكونه وتركت لهم أشد الأراضي قفراً

---

[842] - Roger L. Nichols، 1999، ص 235.

[843] -Francis Paul Prucha، 1995، ص 637 و664.

[844] -Roger L. Nichols ، 1999، ص 235.

-Edward Lazarus، 1999، ص 104.

[845] -Francis Paul Prucha، 1995، ص 661-662.

[846] -Paula Mitchell Marks، 1998، ص 232.

[847] -New Standard Encyclopedia، 1999، ج 18 ص U-121.

[848] -Russell Thornton، 1990، ص 160.

وبوراً[849]، "بالصدفة" أيضاً (!) ففي ظل تطبيق قانون دوز في الفترة الممتدة بين 1887-1934 انتقل إلى ملكية البيض ثلثا أراضي المحميات، فقد طبق التحصيص على مائة محمية وتم الاستيلاء على مساحة تصل إلى ضعف مساحة أوكلاهوما من السكان الأصليين[850]، إذ فقد الهنود 76 مليون فدان من أصل 138 مليون فدان ولم يتبق بأيديهم سوى 52 مليون فدان[851]، أي أن عملية السلام أفقدت الهنود أكثر من 62% من أراضيهم المضمونة لهم بالمعاهدات والاتفاقات السابقة، وهناك أرقام أخرى تتحدث عن خسارة 103 ملايين فدان من أصل 155 مليون ليتبقى 52 مليون فدان أي أنهم خسروا 66% من أراضيهم المضمونة[852]، وهذه بالفعل نتيجة لم تكن الحروب ولا الترحيل ولا التعليم ولا التبشير قادرين على إحداثها بعد الأيمان المغلظة التي أقسمتها الحكومة الأمريكية، أما التمدين والتحضير فلم يكن يوماً هدفاً جدياً لعملية الاستيطان الأوروبي في أمريكا، سواء في البداية أم النهاية[853]، لا في برنامج الحكومة والسلطة التشريعية حيث لم تخصص الإمكانات اللازمة لتمدين الهنود رغم الحديث المتطاول عن الوصاية عليهم[854] ولا في برنامج جيران الهنود من البيض العاديين الذين أثبت الاحتكاك بهم مرة أخرى أنهم وبال على الهنود نتيجة الطمع والجشع الذي حفز الجار الأبيض على نهب جاره الهندي وسرقته بدلاً من تعليمه

---

849 -New Standard Encyclopedia، 1999، ج 9 ص I-89a.

850 -William Brandon، 1985، ص 388.

851 -Paula Mitchell Marks، 1998، ص 271.

852 - Roger L. Nichols، 1999، ص 235.

853 -نفس المرجع، ص 55 و169.

854 -Donald J. Berthrong، 1992، ص 328.

وإرشاده[855] وفقاً للخطة المرسومة وذلك بدعم من القضاة العنصريين الذين يتحايلون على القانون ويهملون الأدلة والبينات[856].

أما القبائل الخمس التي أقر البيض بتمدنها في المقاطعة الهندية في أوكلاهوما والتي دُمرت تجربتها الحضارية في الولايات الجنوبية واضطرت للرحيل في رحلة درب الدموع في ثلاثينيات القرن التاسع عشر، فقد كان تطبيق التحصيص الإنساني كارثة جديدة عليها لم تستطع البرء منها بعدما تعافت من كارثتي الترحيل والحرب الأهلية الأمريكية، وقد تقلصت أملاكها من 20 مليون فدان إلى 1.5 مليون فدان فقط، وعلق أحد المؤرخين على نتائج التحصيص الإنساني بالقول إن ثلثي هنود أمريكا أصبحوا بلا أرض كلياً أو بمساحات غير كافية للحياة عليها[857]، ووصفت مؤرخة حال هؤلاء الذين كانوا متحضرين، بعد اللمسات الإنسانية، بأنهم انسحبوا إلى التلال والغابات وعاشوا حياة فقر وتدهور أخلاقي[858]، وبهذا تم الإفادة من الميول الإنسانية في تحقيق أهداف الطامعين دون تحقيق الرؤية الإنسانية المتكاملة التي اقتضت وضع الهنود في أراض ملائمة وتزويدهم بمتطلبات تعليمهم الزراعة وضمان حقوقهم في الأرض ولكن ذلك لم يطبق[859]، إذ تغلبت سياسة الاستغلال على هدف استيعاب الهندي في المجتمع الأمريكي[860]، وعدم

---

855 -نفس المرجع، ص 241 و254 و283 و288.

856 -نفس المرجع، ص 339.

857 -Paula Mitchell Marks، 1998، ص 271.

858 -Angie Debo، 1983، ص 329.

859 - Paula Mitchell Marks، 1998، ص 219-220.

860 -نفس المرجع، ص 232.

إخلاص الرجل الأبيض حتى للنموذج الذي ادعاه يؤكد أن الحقائق التي كان يعترض بها بعض الساسة النظيفين لم تكن مجهولة أو سابقة عصرها وأن ما كان يمنع الأخذ بها هو الطمع لا أكثر، ومن أقوى الأدلة على نوايا الأطماع أن الكونجرس أقر في سنة 1902 قانوناً يسمح بانتقال ملكية الهندي بعد وفاته إلى الرجل الأبيض عن طريق الورثة وهو ما يناقض كل ما أعلن من نوايا لقانون دوز عن تعليم الهندي العمل والمثابرة على ملكيته الفردية وسمح القانون الجديد بتجريد كثير من الهنود من كل أملاكهم مما كان له أثر مدمر، وقد يكون "غير مقصود" كالعادة[861] (!)

●**الإدارة الأشد فساداً:** يصف أحد المؤرخين الرئيس الأمريكي يوليسيس غرانت الذي دشن سياسة السلام بكونه من أضعف الرجال في الحكم على الآخرين، وكان يظن أن الصداقة كفيلة بجعل الإنسان وفياً ومخلصاً وأميناً، ولهذا كانت فترة رئاسته من أشد الفترات فساداً في التاريخ الأمريكي إن لم تكن أفسدها قاطبة[862]، وقد انعكس هذا الفساد على الهنود الضعفاء أكثر مما عانى منه الشعب الأمريكي الأبيض، (وذلك كما نرى اليوم أن شعب فلسطين يعاني من فساد الإدارات الصهيونية أكثر مما يعاني منه شعب الكيان).

وهناك الكثير من الفضائح المتتالية كالجمعة السوداء وكريديت موبلييه والاستيلاء على الأجور وعصابة الويسكي

-Angie Debo، 1983، ص 304.

[861] -Donald J. Berthrong، 1992، ص 280 و295.

[862] -Edgar I. Stewart، 1987، ص 132-133.

وفضيحة وزير الحرب بلناب[863]، وأشهر هذه الفضائح هي فضيحة كريديت موبلييه Credit Mobilier (1869) حيث كانت محاولة لتحويل أموال بناء الخط الحديدي القاري إلى جيوب الرسميين، ولهذا أنشئت شركة باسم كريديت موبلييه للحصول على هذه الأموال على شكل أسهم لكبار أعضاء الحزب الجمهوري وموظفي الحكومة، وقد أدت الفضيحة إلى إنهاء الحياة السياسية لنائب الرئيس غرانت [864]، أما فضيحة وزير الحرب ويليام بلناب William W. Belknap (1876) فكانت بسبب تلقيه رشاوى ممن عينه في مركز للتجارة المربحة مع الهنود[865]، وكان الذي أثار هذه الفضيحة قبل الحملة على هنود السهول، التي انتهت بمعركة القرن الصغير موضوع هذا الكتاب، هو الجنرال جورج كاستر بسبب طموحاته السياسية وسيشهد في التحقيقات بصورة غريبة لصالح الهنود ويتباكى على ما يصيبهم من سوء معاملة على أيدي المستفيدين والوصوليين (حيث تقتضي المنفعة هنا الدفاع عن الهنود) وسيكون في شهادته ضد شقيق الرئيس غرانت الذي سينتهز فرصة مخالفة قام بها كاستر فيما بعد، لإعفائه من قيادة أحد طوابير الحملة على الهنود رغم توق كاستر الشديد لهذه المشاركة، وسيقوم الجنرال بكل ما يستطيع لاستعادة مشاركته ووصل الأمر إلى أن يركع باكياً أمام قائده الجنرال ألفرد تيري طالباً مساعدته في التوسط لدى الرئيس لإعادته إلى الخدمة في الحملة، وهو ما تم ولكن على أن يكون كاستر تحت إمرة

---

[863] -Robert A. Rosenbaum، 2003، ص 145.

[864] -The New York Public Library، 1997، ص 192.

[865] -Robert A. Rosenbaum، 2003، ص 32.

تيري[866]، وسيعمل الجنرال كاستر بعد ذلك على الحصول على نصر منفرد ليكون في هذا السعي حتفه يوم المعركة 25 يونيو / حزيران / جوان 1876 كما سبق ذكره.

لم يكن الفساد في معاملة السياسة الأمريكية للسكان الأصليين خاصاً بعهد الرئيس يوليسيس غرانت وحده أو بزمن سياسة السلام، فقد رافق هذا الفساد الجمهورية منذ نشأتها حتى طالب الرئيس الأول جورج واشنطن بتشريع لمنع الخداع في التجارة مع الهنود، وظل هذا الغش مستمراً ليتحدث عنه تقرير لجنة رسمية بعد الحرب الأهلية الأمريكية (1869) جاء فيه أنه إضافة للصوص والخارجين على القانون في منطقة التخوم كان هناك مجموعة كبيرة من الرجال "المحترمين" الذين يستخدمون نفوذهم لإشعال الحروب ضد الهنود طمعاً في الأرباح التي تدخل جيوبهم من وجود الجيش في الميدان والإنفاق الحكومي على ذلك، وهو أمر كان شائعاً ومعلوماً حتى أن الصحافة أطلقت على هذه الطبقة لقب "العصابة الهندية" (ألا يذكرنا هذا بالعصابات اللاحقة في الإدارة الأمريكية والتي أشعلت الحروب لأجل الأرباح؟).

كان السياسيون الفاسدون هم رأس هذه العصابة، ومنهم أعضاء السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية الذين كانوا يستخدمون نفوذهم لتعيين معارفهم في وظائف مربحة تتصل بالمحميات الهندية كوظيفة التاجر أو الوكيل أو المتعهد، وكان الرئيس ووزير الداخلية ومفوض الشئون الهندية هم الذين يقومون بهذه التعيينات لتنال تصديق الكونجرس فيما بعد، وكل

---

[866] -Edgar I. Stewart، 1987، ص 120-139.

هؤلاء المسئولين والموظفين التابعين لهم بالإضافة إلى أقاربهم كانوا عرضة للفساد المالي الذي يستهدفهم بالرشاوى والمصالح الأخرى لتمرير التعيينات.

أما الوكيل المسئول عن المحمية فكان يمكنه الإثراء عن طريق عدم توزيع المخصصات على مستحقيها من الهنود والاستيلاء عليها وبيعها إلى السوق الخارجي، وقد جمع الوكلاء الفاسدون ثروات ضخمة في نهاية تعيينهم رغم أن راتب الوكيل كان ضئيلاً، كما كان يمكنه تضخيم عدد الهنود في المحمية لتزيد الحكومة من كمية المساعدات مما يعطيه فرصة أكبر في التصرف بها، ويمكنه أيضاً أن يدرج معارفه ضمن الموظفين في المحمية (مدرسون مثلاً) رغم عدم وجود هذه الوظائف أساساً فيها، ويمكنه كذلك أن يزيد من المبالغ في قائمة الرواتب التي تدفع للموظفين الموجودين فعلاً في المحمية ليحصل على هذا الفرق لنفسه.

وكان الوكيل يعمل بالتعاون مع التجار الجشعين الذين يؤلفون رافداً آخر للعصابة الهندية، إذ كانوا يستولون بمساعدة الوكيل على المساعدات المخصصة للهنود الذين قد لا يحصلون سوى على عُشر المخصص لهم أما الباقي فيستولي عليه التجار ليقوموا ببيعه للهنود أنفسهم، وبهذه الطريقة أثرى الكثير منهم ثراء ضخماً.

أما المتعهد فهو الذي كان يزود الهنود بالبضائع التي وعدوا بها وفقاً للمعاهدات، وكان يثري عن طريق تزويدهم ببضائع ذات مستوى منخفض الجودة كطعام لا يصلح للاستخدام البشري مثلاً أو ببضائع لا يحتاجونها أصلاً كالمظلات والناموسيات، وأحياناً كان يحصل على أسعار مرتفعة أكثر من

سعر السوق نظير بضائعه، وأحياناً كان المتعهد وسيطاً يحصل على سعر مرتفع مقابل تأمين متعهد آخر بسعر أقل[867]، وأحياناً كان المورد يبتكر من الوسائل الخفية ما يغش به الحكومة والهنود، كأن يشحن الطحين في أكياس مزدوجة تمر أولاً على مراقب الحكومة فيختمها ثم تدخل في غرفة مجاورة حيث يتم نزع الكيس الأول المختوم وتدخل ثانية على المراقب ليختمها بصفتها كمية أخرى، وبهذا يتسلم الهنود نصف الكمية الموعودة ولكنها رسمياً الكمية كلها مختومة[868] (كان الموردون الأجانب أثناء فرض الحصار المجرم على العراق لا يفون بالتزاماتهم أيضاً مما كان له نتائج وخيمة على العراقيين)[869].

ومن أركان العصابة الهندية كذلك السكان البيض الذين يحيطون بالمحميات الهندية والذين كانوا بارعين في التكسب من أموال الحكومة على حساب الهنود وكانوا يتميزون بالخروج على القانون وسرعة استخدام السلاح وعدم الشعور بوخز الضمير، ومن وسائل التكسب اختراع القصص الوهمية التي تستدعي وجود الجيش في الميدان لأن ذلك يفيد متعهدي التموين والنقل الذين يزودون الجنود بالخدمات، أو بتسهيل سرقة الهنود لبعض الحيوانات غير المفيدة كالجياد المعاقة للحصول على تعويضات من الحكومة، وهو ما يتم من أموال الهنود عادة[870]، وللدلالة على حجم هذه الظاهرة ذكر أحد المؤرخين أن أحد معسكرات ترحيل الهنود والذي كان يحتوي 1300 فرداً لا

---

[867] -John D. McDermott، 1998، ص 4-6.

[868] -George E. Hyde، 1975، ص 235.

[869] -جيف سيمونز، 2003، ص 140.

[870] -John D. McDermott، 1998، ص 6-7.

يزيد عدد الرجال بينهم عن 116 عسكر حولهم 600 فرد من البيض للتكسب من مخصصات الحكومة لهم (1863)[871].

وبشكل عام يقر المؤرخون أن الفساد السياسي والإداري والمالي من الأسباب الرئيسة لفشل برنامج التمدين الإنساني[872]، وأن سياسة الرئيس غرانت السلمية لم تتمكن من كبح هذا الفساد[873]، فلو فرضنا أن جميع الأركان النظرية لهذا البرنامج كانت صحيحة وقابلة للتطبيق بنجاح، فإن الفساد الذي شاب منفذيها بدءاً من رئاسة الجمهورية نزولاً إلى أصغر المسئولين جعل من هذا البرنامج وسيلة للتكسب وليس لتحقيق أي تقدم للسكان الأصليين.

●**إلحاق السكان الأصليين بصفتهم قصّراً تحت رعاية الحكومة الأمريكية وإلغاء الاعتراف باستقلالهم**: في ظل سياسة السلام تم رسمياً إلغاء الاعتراف الشكلي باستقلالية القبائل الهندية الذي أقر في سنة 1832وكونها أمماً قائمة بذاتها يجب أن تكون العلاقات معها كالعلاقات مع البلاد الخارجية، ففي سنة 1871 ألغي عقد المعاهدات treaties مع هذه القبائل وتحولت الدبلوماسية إلى عقد اتفاقات agreements، وفقد مجلس الشيوخ احتكار التصديق على المعاهدات وصار الأمر بأيدي المجلسين معاً، كان الفرق شكلياً فقط[874]، ولكنه كان ضرورياً للاعتراف قانونياً بوضع الهنود بصفتهم تحت وصاية الحكومة

---

[871] -David A. Nichols، 2000، ص 122.
[872] -Robert M. Utley، 2002، ص 221-226.
[873] -Paula Mitchell Marks، 1998، ص 203.
[874] -Ralph K. Andrist، 2001، ص 246.
-Robert M. Utley، 2002، ص 154.

الأمريكية (والأمم الغربية حريصة قدر المستطاع على إخراج هيمنتها بصورة "قانونية" ولكن هذا لا يمنع ارتكاب أبشع الجرائم تحت مظلة "القانون")، ومع ذلك لم يرض "المصلحون" باستمرار الاعتراف بالكيانات القبلية وبالمعاهدات التي أبرمت قبل سنة 1871 [875]، وذلك لأن ما سبق يتعارض مع منظورهم للتحضر الذي يراد نسخ الهنود على شاكلته، وسيستمر الهجوم على القبيلة والقيادة وكل مظاهر التميز والهوية الهندية بدعوى "إنقاذ" الهندي منها.

●**تحطيم المجتمع الهندي وعدم إقامة بديل عنه[876]**: بعدما أصبح السكان الأصليون تحت وصاية الحكومة الأمريكية وتم حشرهم في المحميات لتمدينهم، قامت الحكومة بعملية تفكيك المجتمع الهندي بتصويب سهامها إلى أعمدته وكيانه، فهمشت الزعماء التقليديين باختلاق زعماء "تقدميين" يوافقون على البرنامج الأمريكي "التمديني"[877] (كما وافق زعماء التغريب على البرامج الأمريكية والغربية في بلادنا)، وتشجيع الهنود على أن يكون كل شخص "زعيم نفسه" نظرياً وتابعاً للوكيل الحكومي في المحمية عملياً وذلك بنزع سلطة توزيع المؤن والمساعدات من الزعماء وربط الهنود بالوكيل الحكومي مباشرة مما جعله يحتل مكان الزعماء الذين أرادت الحكومة بدعم من الإنسانية الخيرية "تحرير" الهنود منهم ويستولي على

---

[875] -Francis Paul Prucha، 1995، ص 532-533.

[876] -Robert M. Utley، 2002، ص 236 و251.

-Francis Paul Prucha، 1995، ص 598.

[877] -Paula Mitchell Marks، 1998، ص 202.

نفوذهم، وهو فرد متسلط يحكم حكماً قاسياً(كمظاهر الاستقلال في بلادنا التي تخفي حقيقة التبعية الانبطاحية للغرب)، وتكاثر الزعماء حتى أن عددهم تزايد في وكالة "الغيمة الحمراء" بعد معركة القرن الصغير من 12 إلى 63 في غضون سنتين بتشجيع واضح من الحكومة الأمريكية (وهذا ما فعله ويفعله الغربيون والأمريكيون في بلادنا وفق قاعدة فرق تسد منذ سقوط الخلافة)، وأصبح الوكيل الأمريكي يعتمد عليهم في ترويض المحاربين الذين لم يعتادوا حياة الوكالات[878].

ويجب ألا ننسى أن الزعماء التقليديين هم الذين كانوا يقودون حروب المقاومة ضد التمدد الأمريكي ولهذا اتجهت سهام الهجوم ضدهم[879]، سواء بالتهميش ونزع السلطات أو بالنفي والحبس أو حتى القتل والاغتيال، كما عملت الحكومة على تحطيم الثقافة الهندية بقمع ديانتها[880] وتهميش القائمين على شعائرها[881] الذين يحافظون على هويتها[882] وبالتبشير بالمسيحية لاستئصال المقاومة من الهنود[883] وجعلهم يقبلون بالخضوع ويتحولون إلى "برابرة غير خطرين"، وهي سياسة

---

[878] -Edward Lazarus، 1999، ص 98-99.
-Robert M. Utley، 2002، ص 241.
-Clark Wissler، 1989، ص 317.
-Paula Mitchell Marks، 1998، ص 203.
-George E. Hyde، 1993، ص 230.
[879] -Ralph K. Andrist، 2001، ص 199.
-Donald J. Berthrong، 1992، ص 211.
[880] -Jeffrey Ostler، 2010، ص 113-114.
[881] -Francis Paul Prucha، 1995، ص 646-647 و842.
[882] -Alvin M. Josephy، 1989، ص 77-78.
[883] -Robert M. Utley، 2002، ص 129.

ترجع لبدايات الغزو الأبيض[884]، وكذلك بنشر ثقافتها عن طريق المدارس الداخلية (1879) التي أسسها سجان كان يشرف على حبس الهنود المنفيين إلى فلوريدا[885]، وكانت هذه المدارس سجوناً فعلية لأطفال الهنود ولم تحول الهندي إلى التمدن الأبيض بل جعلته شخصاً مروضاً يسهل قياده، وفي غربة عن مجتمعه التقليدي في نفس الوقت الذي لم يُقبل فيه في المجتمع الأبيض[886]، وبهذا كان نشر التعليم والتبشير بالمسيحية ونموذج العمل (الذي لم يتحقق) والانبهار بقوة الولايات المتحدة عوامل قيدت الهندي وقضت على مقاومته أكثر من الوسائل العسكرية، ويتباهى المصلحون أن مدرسة "السو" في وكالة جبال الصنوبر لم تنقطع عن العمل في ذروة القتل والاضطرابات التي عصفت بالمحمية سنة 1890[887] (وهذا مثل لمن يتساءلون عن مفعول الغزو الفكري)، ويجب أن نتذكر دائماً أنه كما كان إطعام الهندي أرخص من قتاله فإن تعليمه (أو تدجينه) أرخص كذلك من قتاله[888].

وبعد القضاء على مصدر قوت الهنود وهو البيسون، جردتهم الولايات المتحدة من الأراضي المشاعية التي كانت القبائل تمتلكها وكان ذلك خطوة أخرى في طريق تحطيم القبيلة بدعوى

---

[884] -Robert A. Williams، 1992، ص 198-199.

[885] -نفس المرجع، ص 218.

[886] -Fiona Macdonald، 1993، ص 57.

-Angie Debo، 1983، ص 288.

-Robert M. Utley، 2002، ص 245.

-Edward Lazarus، 1999، ص 102.

[887] -Francis Paul Prucha، 1995، ص 730-731.

[888] -Clyde Ellis، 1996، ص 9.

تمدين الهنود رغم ما رأيناه من نتائج كارثية وقعت عليهم بعد تطبيق قانون دوز للتحصيص (1887).

●**قتل حلم الولاية الهندية المستقلة القائم منذ ما قبل الاستقلال الأمريكي**[889]**:** في ظل السياسة السلمية تم تطبيق قانون دوز الذي سلب الهنود أراضيهم المشاع وتركهم عرضة للبؤس والفقر، وقد حاولت القبائل الخمس المتمدنة في المقاطعة الهندية (أوكلاهوما الحالية) أن تنقذ أنفسها في ظل شريعة الرجل الأبيض وتقدمت بمشروع (1905) لدخول الاتحاد الأمريكي بولاية مستقلة ولكن الكونجرس الأمريكي رفض هذا المشروع وأنهى وجود المقاطعة الهندية وحل جميع الحكومات الهندية (1906) وفتحت أراضي القبائل للاستيطان وأدمجت جميعاً في مقاطعة أوكلاهوما التي تحولت إلى ولاية بيضاء دخلت الاتحاد في سنة 1907، وكان مشروع مماثل قد أجهض أيضاً في نفس المكان سنة 1888[890]، وبهذا كان هذا الحلم الهندي يواجه في كل مرة منذ الثورة الأمريكية بإجراءات تحطم القومية الهندية[891] وهو ما يدل على أن الاستيطان الغربي لا يتعايش بأية وسيلة مع السكان الأصليين وهذا ما ثبت في كل بلاد الاستعمار الاستيطاني الأوروبي (وهو درس بليغ لحالمي التعايش مع الصهاينة "جنباً إلى جنب").

●**هل اختلف أداء المصلحين المتدينين والكنائس المسيحية عن أداء السياسيين العلمانيين؟** تشير المراجع إلى أن

---

[889] -Angie Debo، 1983، ص 309.

[890] -نفس المرجع، ص 303.

[891] -نفس المرجع، ص 309.

المصلحين تبنوا نفس المنطلقات الفكرية للسياسة الأمريكية في زمنها سواء عن دونية السكان الأصليين وحضارتهم وتفوق الحضارة البيضاء أم عن ضرورة القضاء على هوية الهندي وإن لم يكن على حياته، وتحالفت الهيئات الدينية فعلياً مع أشرس الأطماع المادية في زمنها وسهلت لها طريق التمدد وفرضت رؤاها على السكان الأصليين بالقوة وبررت لنفسها ذلك باللجوء إلى التبريرات الاستشراقية-الاستئصالية التي ناظرت الاستشراق الذي مهد للاستعمار في بلادنا، إذ لم تفهم السكان الأصليين ولم تحترمهم، تماماً كما فعل مستشرقو الإدارات الاستعمارية في بلادنا، فلم تأبه بالتخريب الاجتماعي الذي نتج عن السياسات العنيفة التي استخدمت ضد الهنود ولم تأبه أيضاً بعدم كفاية البديل الذي قدم إليهم كالأراضي القاحلة ذات الطبيعة غير الملائمة للزراعة[892]، وبذريعة غرس التمدين ولو بالقوة دافع هؤلاء "المصلحون" عن أشد السياسات عنفاً وتطرفاً، في وقت السلم بتجويع الهنود لإجبارهم على العمل أو إرسال أبنائهم إلى المدارس أو السلوك بتحضر كما يتوقع منهم، مع استحضار التبرير الديني لهذه القسوة[893]، وفي وقت الأزمات بالاعتقالات والعقوبات الجماعية، وهو ما كان حتى العسكريين يحجمون عن مجاراتهم فيه[894] (وهو مشهد لحظناه في بلادنا حين يقوم اليسار الصهيوني بقيادة عمليات عدوان يحجم عنها اليمين نفسه)، ولم يقف الأمر عند هذا الحد إذ لم يكن موظفو الكنائس والهيئات الدينية أنظف يداً من غيرهم وشاركوا

---

[892] -Charles M. Robinson III، 1996، ص xxiv.
[893] -George E. Hyde، 1993، ص 158-160.
[894] -نفس المرجع، ص 318.

بالفساد المالي الذي وسم خدمات الشئون الهندية من قبلهم[895]، ويقول أحد المؤرخين إن سياسة هؤلاء المصلحين لم تكن بديلاً حقيقياً للسياسات التي اتبعها الآخرون[896].

●**تقويم سياسة السلام:** كان اللجوء إلى السياسة السلمية اعترافاً بفشل السياسة الأمريكية السابقة، وكانت السياسة الجديدة ذات طابع ديني إذ وزعت مناصب الوكلاء المسئولين عن القبائل الهندية على الطوائف المسيحية المختلفة باستثناء المورمون، ولكن هذه السياسة الدينية فشلت أيضاً، ذلك أن الكونجرس لم يخصص الأموال اللازمة لتنفيذ أهدافها مما أدى إلى انتشار المجاعة في أرجاء المحميات، كما أدى عدم الوضوح في تحديد المحميات الرسمية إلى كوارث كمجزرة واشيتا (1868) ضد قرية "الشايان" بزعامة الزعيم المسالم جداً "الإبريق الأسود" الذي ذهب ضحية ميوله السلمية، كما أن الفساد المالي لم ينقطع واستمر الوكلاء في جني الأرباح نتيجة عدم كفاية راتبهم الرسمي (1500 دولار سنوياً)، وانشغلت الطوائف المسيحية بالصراعات الدينية وبتعليم الكتاب المقدس للهنود بدلاً من تعليمهم الزراعة.

ونتيجة لذكريات الاضطهاد الماضية وممارسات القمع التالية رفض الهنود حياة المحميات مما أدى إلى عودة النزعة العسكرية التي قهرتهم أو أبادتهم وأفسحت السياسة السلمية المجال للاستيلاء على أراضيهم وصادقت على انتشار النزعات العنصرية ضدهم، وقد امتدت تأثيرات هذه السياسة إلى ما بعد عهد الرئيس يوليسيس غرانت فصدرت عدة قوانين بتأثير منها

---

[895] -George E. Hyde، 1975، ص 187.

[896] -Charles M. Robinson III، 1996، ص xxiv.

أبرزها قانون التحصيص (1887) وقانون إعادة التنظيم (1934)[897].

●**النتيجة:** يورد المؤرخون على اختلافهم عدة عناصر أدت إلى هزيمة الهنود وفنائهم هي الأمراض والكحول والاعتماد على البضائع المصنعة الأخرى التي جلبتها لهم التجارة مع البيض، والتهجير والقضاء على مصادر الرزق لاسيما ثور البيسون، والحياة في المحميات وشن الحروب عليهم[898]، وبغض النظر عن حقيقة مسئولية الرجل الأبيض عن كل هذه العوامل، فإننا نلاحظ أن من بينها بل معظمها عوامل طبقها البيض بصفتها وسائل لترقي الهنود وتمدينهم وتحضيرهم بل إنقاذهم[899] وهي التجارة والتهجير وحياة المحميات والقضاء على طريقة الحياة وإفناء الجواميس، (كما كانت وصفات التقدم الغربية وهي التجارة الحرة والاستثمارات والديون في زمن الدولة العثمانية سبباً في تخلفنا) ولهذا قيل إن المصلحين وأصدقاء الهنود كانوا في الحقيقة أسوأ أعدائهم[900]، والخمر كذلك كانت أيضاً من وسائل التمدين والتي سمح لهم بها رسمياً منذ سنة 1953 (وكأنها كانت ممنوعة فعلاً !) علامة على تحقيق "المساواة" بعد بلوغهم سن الرشد الحضاري (!)[901]، بل

---

[897] -Howard R. Lamar، 1998، ص 845-847.
[898] -Russell Thornton، 1990، ص xvi.
-Warren A. Beck and Ynez D. Haase، 1992، ص 49.
-Tony Boddington، 1977، ص 114 و133 و135.
-Roger L. Nichols، 1999، ص 122.
[899] -Francis Paul Prucha، 1995، ص 594.
[900] -Charles M. Robinson III، 1996، ص 28.
[901] -Clark Wissler، 1989، ص 324.

لقد ساهمت المؤسسات التعليمية في الإبادة الجسدية فعلياً[902]، وقد عجب بعض المؤرخين من بقاء السكان الأصليين في أمريكا وليس من فنائهم بعد كل عوامل الإبادة التي واجهوها[903]، والسؤال الأهم بعد كل هذه المحاولات التمدينية الفاشلة على فرض جديتها: ألم تتعلم حضارة "آلية التصحيح الذاتي" في أية مرحلة بعد كل تلك العقود والقرون من المحاولات العقيمة أن التغير الاجتماعي الجذري يحتاج وقتاً أكثر من الذي منحته سرعة الاستيطان الأبيض في أمريكا للسكان الأصليين؟

●**"سياسة السلام" "كعملية السلام" في بلادنا من حيث بريق النوايا وبلاء النتائج نفسها**: وإذا أردنا أن نحصي نتائج عملية السلام التي حشرت فيها قضية فلسطين سنرى أنها أدت إلى التنازل عن 78% من أرض فلسطين للكيان الصهيوني (1988)، ثم أصبحت البقية أراض متنازع عليها وليست أراض محتلة (1993)، مما مهد الطريق لاجتياحها بالسرطان الاستيطاني الذي تضاعف أكثر من مرة بعد توقيع اتفاق أوسلو قاتلاً حلم الدولة الفلسطينية المستقلة، وتنامت عملية فقدان الاستقلال الاقتصادي لشعب فلسطين فأصبح معتمداً بصورة كارثية على رواتب المساعدات الدولية غير المجانية بالطبع، وذلك بعد الإلحاق الاقتصادي الذي بدأ منذ نكسة 1967، وهذا

---

[902] -محمد شعبان صوان، 2015، ص 32-34.
-Angie Debo، 1983، ص 288.
-Jeffrey Ostler، 2010، ص 115.

[903] -Clark Wissler، 1989، ص 318.

بالإضافة إلى الإلحاق السياسي إذ أصبحت الأراضي الفلسطينية بموافقة الفلسطينيين منطقة حكم ذاتي تتبع الكيان الصهيوني، ثم تم القضاء على القيادة التاريخية للشعب والتي تبعت سياسة السلام لمدة طويلة بعد التمهيد لها لمدة أطول على أمل الحصول على الشرعية الدولية ولكن كل ذلك لم يؤد إلا إلى القضاء على هذه القيادة واغتيالها لأن المطلوب كان هو الاستسلام الكامل وليس السلام الذي كان يحلو تصويره بسلام الشجعان ولكن الطرف الآخر لم يكن سوى جبان غدار لا علاقة له بالشجاعة المرجوة، وبهذا أيضاً شهدت المنطقة بعض أعنف الحروب بعد توقيع اتفاقيات السلام، ويمكننا أن نؤرخ هذه الحروب بما حدث منذ توقيع اتفاقية السلام بين الكيان الصهيوني والرئيس الراحل أنور السادات (1979) ثم اتفاقية أوسلو مع الرئيس الراحل ياسر عرفات (1993) ثم اتفاقية وادي عربة مع الملك الراحل حسين (1994)، ولم تهدأ المنطقة منذ التاريخ الأول حيث شهدت بلادنا غزو لبنان (1982) وما تبعه من مجازر دامية ثم قمع انتفاضة الحجارة (1987) ثم حروب لبنان (1993 و 1996 و 2006) وحروب غزة (2008-2009 و 2012 و 2014) وكلها حروب عنيفة جداً، فهل يعيد تاريخ الهنود الحمر نفسه؟

ملخص

ملخص السياسات الأمريكية ومراحل الاستيلاء على أراضي الهنود ومصير التلال السوداء

(المحمية الكبرى، فالمحميات الصغرى، فالملكية الفردية الصغيرة، فالفقر)

قام المجتمع الأمريكي على أساس استبعاد السكان الأصليين من دخوله[904]، ورغم ادعاءات جلب الحضارة والتبشير والهداية فإن مصير الهنود اتضح منذ البداية أنه الاستئصال أو الاستبعاد، وفي البداية كانت عملية الاستبعاد لمن ينجون من الحروب المتتالية وموجات الأوبئة المتعاقبة تتم بإرسالهم غرباً حيث يعيشون بعيدين عن الرجل الأبيض، وفي سنة 1834 صدر قانون يفرد كل منطقة غرب المسيسبي لاستعمال الهنود لأنه كان من المعتقد أنها صحراء كبرى ومن ثم لا مطمع للرجل الأبيض فيها، حيث سيعيش الهنود وفقاً لتقاليدهم أو يتبنون ببطء حضارة الرجل الأبيض، لا فرق، فلا أهمية لهم.

ولكن التمدد الاستيطاني تواصل وكشف عن صلاحية الصحراء للاستيطان، فتقلصت مساحة أرض الهنود وتغيرت السياسة الأمريكية نحو حصرهم في محميات خاصة وكانت معاهدة لارامي (1851) هي الخطوة الانتقالية لهذه السياسة

---

[904] -Roger L. Nichols، 1999، ص 55.

الجديدة، وبظهور بعض الاختراعات التي تسهل الحياة والتمدد في أجواء السهول العظمى أصبحت عملية ملئها بالمستوطنين مسألة وقت فقط، ولم يعد هناك غرب للتخلص من الهنود فيه، وأصبح الخيار المطروح أمامهم نظرياً هو إما التحضر والانخراط في المجتمع الأمريكي أو الفناء، ولكن الحقيقة أن هذا المجتمع لم يعرض عليهم فرصة عادلة لدخوله كالفرص التي كانت معروضة على المهاجرين وشذاذ الآفاق من كل أنحاء العالم، فقد تم حصرهم في المحميات التي صممت نظرياً لتعليمهم الحضارة بعيداً عن رذائل البيض ولكنها لم تقدم لهم أي فرصة حقيقية لاستيعاب الحضارة[905]، وذلك لأنها كانت أراض قاحلة غير مناسبة للزراعة كما أن الحكومةالأمريكية لم تقدم المعونة اللازمة للتغلب على العقبات الطبيعية ولم تقدم كذلك المؤن اللازمة لمعيشة الهنود.

وبعد استمرار الطمع في أراضي الهنود القليلة التي تبقت لهم ظهر مشروع تمديني جديد للقضاء على البقية الباقية من "تخلف" الهنود أو شخصيتهم ومقاومتهم دون النظر في درجة تحضرهم[906]، وبنفس الوقت للحصول على ما تبقى من أراضيهم، وكان مشروع التحصيص الفردي (1887) هو الذي فكك المحميات وحصل على أفضل أراضيها باسم تعليم الهندي الحياة المتحضرة على قطعة أرض يملكها ملكاً شخصياً ويعمل عليها لكسب قوته، ولكن مرة أخرى لم تقدم الحكومة ما يساعد على تحقيق التمدين[907]، لأن الهدف الحقيقي كان هو الاستيلاء

---

[905] -Tony Boddington ، 1977، ص 129.

[906] -Angie Debo، 1983، ص 299.

[907] -Paula Mitchell Marks، 1998، ص 220.

على الأرض ولم يكن الاهتمام بهم يناظر الاهتمام بمصير البيض فتركوا بعدها لمصيرهم المظلم وحتى الزراعة انخفضت في ظل التحصيص[908]، ولهذا قيل إن المصلحين كانوا أكثر براعة في التنظير من التنفيذ[909].

ويلاحظ أن كل هذه المشاريع التي قدمت لمصلحة الهنود نظرياً كانت "بالصدفة" أيضاً في مصلحة البيض عملياً وهم الذين أفادوا منها في النهاية ولم يحصل الهندي على أي فائدة بل كان وضعه في تراجع مستمر وهو ما كان يشير إليه معارضو هذه المشاريع دون أن يجدوا من يصغي إليهم ومن الصعب أن نتصور أنهم كانوا سابقي عصرهم إذ أن كل ما نبهوا إليه تحقق وكل ما ادعاه الأغلبية فشل مما يشي بغير أن القضية مجرد صراع فكري بريء، ولهذا يلاحظ استخدام الوسائل العنيفة في تطبيق هذه الرؤى التي ادعت العمل لمصلحة السكان الأصليين وانتهت بهم إلى الإبادة فيما كان البيض هم المستفيدين، فهل من الصدفة أن تحققت مصالح البيض دائماً ولم يفز الهندي بشيء حتى من الوسائل الإيجابية ظاهراً كالتعليم هذا إذا أخذنا السياسات الأخرى كتحطيم القبيلة والزعامة والثقافة على حسن الظن؟

ولكن ماذا حدث بعد استيلاء الحكومة الأمريكية بالإكراه على أرض "السو" المقدسة في التلال السوداء (1876-1877)؟

1920 صدور قانون "السو" القضائي الذي يخول محكمة المطالبات (التي تأسست سنة 1855 واستثني الهنود منها في

[908] -Francis Paul Prucha، 1995، ص 895.

[909] -نفس المرجع، ص 655.

البداية) بالنظر في دعاوى قبيلة "السو" العادلة ضد الولايات المتحدة.

1922 القبيلة توكل محامين للدفاع عنها.

1923 المحامون يصنفون 24 قضية تعويضات منفصلة.

1924 منح الجنسية الأمريكية لمن تبقى من السكان الأصليين يؤدي إلى تكريس وضع الهندي المعتمد على الحكومة ولا تزيده الجنسية أية قدرة على إدارة شئونه والتحكم بمصيره[910]، وفي الوقت الذي قررت فيه الحكومة الاتحادية وضع الهنود كمواطنين رفضت ولايات وضعهم كمواطنين لها لأنهم خاضعون للحكومة الاتحادية[911].

1934 صدور قانون إعادة التنظيم الذي ألغى قانون دوز (التحصيص) وأوقف سياسة أمركة الهنود ودمجهم في المجتمع الأمريكي وعمل على إعادة أراض إليهم وزيادة مشاركتهم في إدارة شئونهم، بإقامة حكومات على غرار حكومة الرجل الأبيض ولكن الأغلبية الهندية عارضت ذلك لكونها تفضل الزعامة التقليدية ومنهم من اندمج وصارت له أراض خاصة وقد تفاعل الهنود مع تشجيع ثقافتهم المحلية وكان القانون ذا أثر هام في تغيير دائم في السياسة الهندية[912] (بعد زوال الخطر وفوات الأوان) فتكونت حكومات قبلية[913]، ولكن ما سلب منهم

---

[910] -Vine Deloria، 1985، ص 91-92

[911] -نفس المرجع، ص 107.

[912] -Roger L. Nichols، 1999، ص 279.

[913] -Edward Lazarus، 1999، ص 436.

بعد هذا القانون يفوق بأضعاف ما تم رده[914]، كما أنه عمل على زيادة التحكم بالهنود[915].

1937 المحكمة العليا تقضي بأن التعديل الخامس للدستور يخول الكونجرس بدفع تعويضات مالية فقط بدلاً من رد الأراضي.

1946 تأسيس لجنة المطالبات الهندية بقانون أصدره الكونجرس للنظر في مظالم الهنود المعلقة وسيتم ذلك بدفع تعويضات عما سلب من الأرض وفقاً لقيمتها في زمن السلب وليس بعد ذلك ودون أية فوائد وبمبالغ مالية لا تشمل رد الأرض نفسها، واقتصر رد الأراضي على قضايا محدودة جداً ولهذا كان إنجازها لصالح الظالم وإرضاء ضميره أكثر من تعويض الهنود[916].

1950 رفع قضية التلال السوداء في لجنة المطالبات.

1953 صدور قانون الإنهاء الذي استهدف إنهاء مسئولية الحكومة الاتحادية على الهنود بصفتهم كاملي الأهلية [917] وكونهم وصلوا إلى درجة الدمج في المجتمع الأمريكي، ولكن هذا القانون يتسبب في كوارث جديدة للمجتمعات الهندية ويثبت كونه أكثر من مجرد سياسة خاطئة غير مدروسة أو غير مقصودة، إلى أن يتم إلغاؤه سنة 1970 دون معالجة آثاره المدمرة[918].

---

914 -Vine Deloria، 1985، ص 60.

915 -نفس المرجع، ص 181.

916 -نفس المرجع، ص 52.

-Jack Utter، 2001، ص 223-224.

917 -Edward Lazarus، 1999، ص 436.

918 -918 -Roger L. Nichols، 1999، ص 292-293.

1954 لجنة المطالبات ترفض دعوى التلال السوداء.

1956 محكمة المطالبات تقر قرار اللجنة.

وقبائل "السو" تستبدل بمحاميها آخرين.

1968 مد حقوق دستورية لساكني المحميات.

تأسيس حركة الهنود الامريكيين التي انتقدت الحكومات القبلية ووصفتها بالعمالة للحكومة الأمريكية ونفت كونها تعبيراً عن الحكم الذاتي.

1969-1971 احتلال جزيرة الكتراز في كاليفورنيا على أيدي مجموعة من السكان الأصليين وإعلانها أرضاً هندية باسم جميع الهنود.

1972 الهنود يتظاهرون في مسيرة المعاهدات المنتهكة ويحتلون مكتب الشئون الهندية.

1973 موقعة الركبة الجريحة الثانية : حركة الهنود الأمريكيين تقود احتجاجاً ويقوم أتباعها باحتلال القرية في موقع المجزرة التي وقعت في سنة 1890 بالقوة المسلحة ويطالبون بحقوقهم وتقرير مصيرهم، والسلطة الأمريكية تدعم رئاسة الحكومة الهندية الديكتاتورية الموالية لها في المحمية.

1973-1976 تعقيم آلاف النساء الهنديات دون موافقتهن[919].

1974 لجنة المطالبات تحكم بتعويض "السو" 17.5 مليون دولار وفائدة بدلاً من التلال السوداء.

1975 قانون تقرير المصير الهندي وقانون التعليم.

الكونجرس يلغي حساب المؤن من التعويضات.

---

[919] -Vine Deloria، 1985، ص 61.

ومحكمة المطالبات تلغي قرار لجنة المطالبات بتعويض "السو" لكون القضية "مقضية" ولا يجوز الحكم فيها ثانية.

1978 إلغاء عمل لجنة المطالبات وتحويل القضايا لمحكمة المطالبات الأمريكية

وقانون الحرية الدينية.

الكونجرس يتنازل عن كون القضية مقضية وغير قابلة للمراجعة.

1979 محكمة المطالبات تحكم مرة ثانية بمبلغ 17.5 مليون دولار مع الفوائد.

1980 المحكمة العليا تقر ذلك الحكم وتقضي بمبلغ 106 مليون دولار للهنود.

1985 تقديم أول مشروع قانون لرد التلال السوداء.

1989 محكمة المطالبات تقضي بأربعين مليون دولار في قضية انتهاك معاهدة لارامي 1868.[920]

ورغم هذه الملاحقة في أروقة المحاكم لمدة ستين عاماً لم تحصل التلال السوداء على العدالة البيضاء ورغم تراكم فوائد المبلغ الذي حكمت به المحكمة للتعويض عن الاستيلاء على التلال السوداء بطريقة غير شرعية، وتعديه المليار دولار مازالت القبيلة ترفض تسلمه وتصر على عودة أرضها المقدسة رغم ضعف موقفها وعدم وجود خيارات أمامها وفقر أبنائها الذين سيقبض الواحد منهم عشرة آلاف دولار لو قبلوا التعويض، فهل تعتبر أمة المليار مسلم؟

---

[920] -كثير من تفاصيل الجدول في:

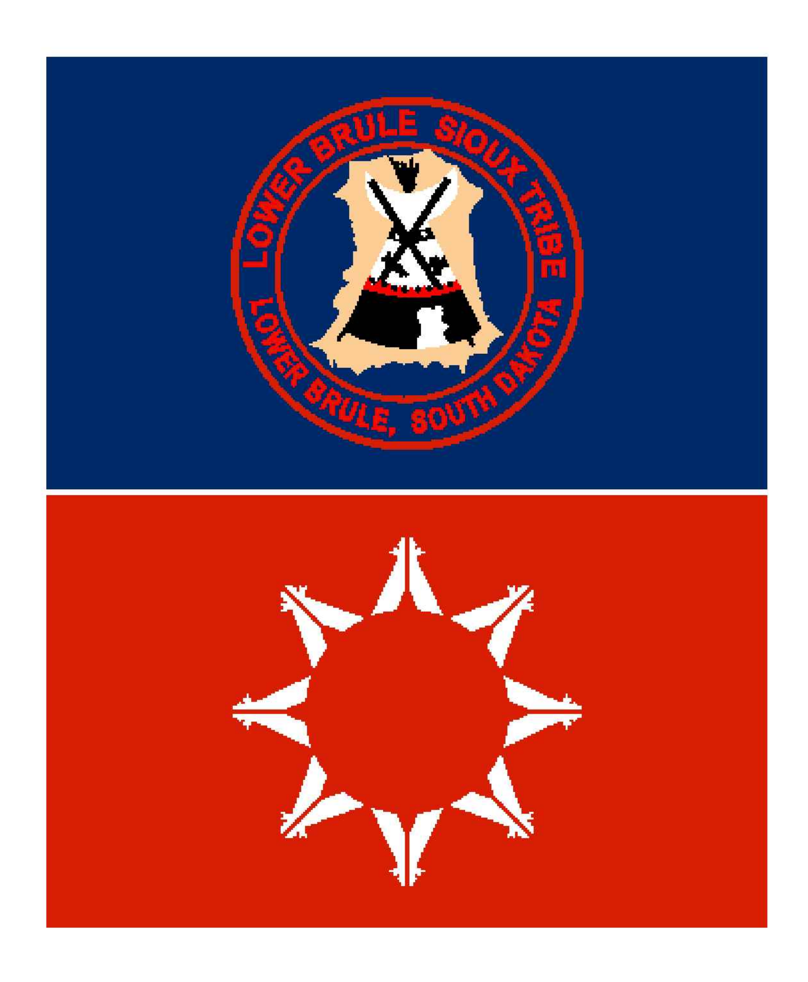
-Edward Lazarus، 1999، ص 435-438 و290-311.

ملاحق

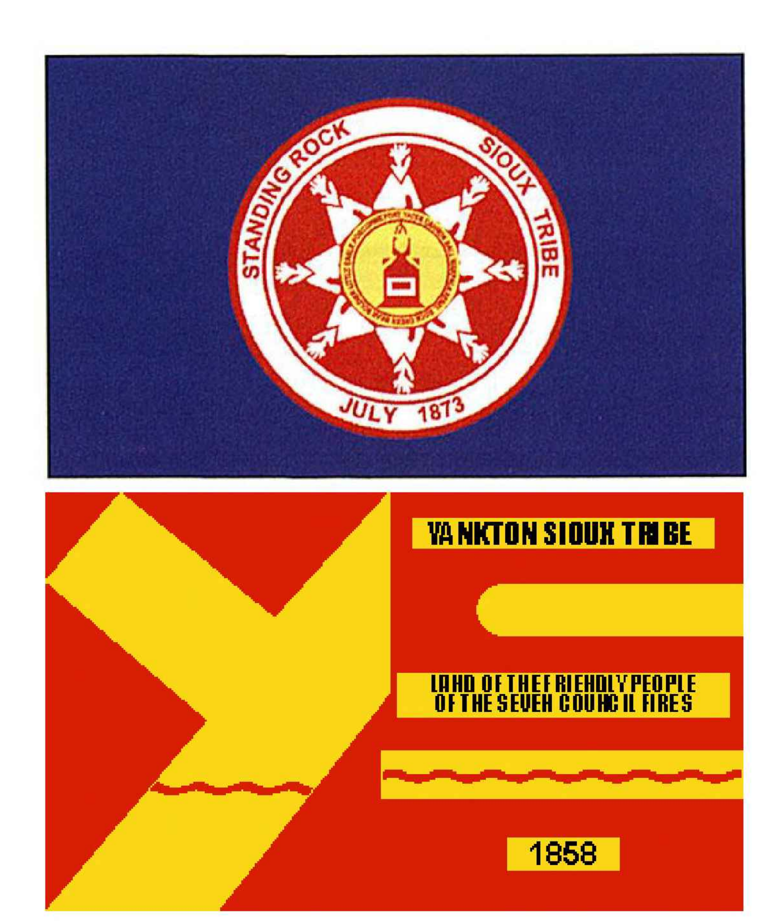
أعلام عشائر قبيلة "السو" الحالية

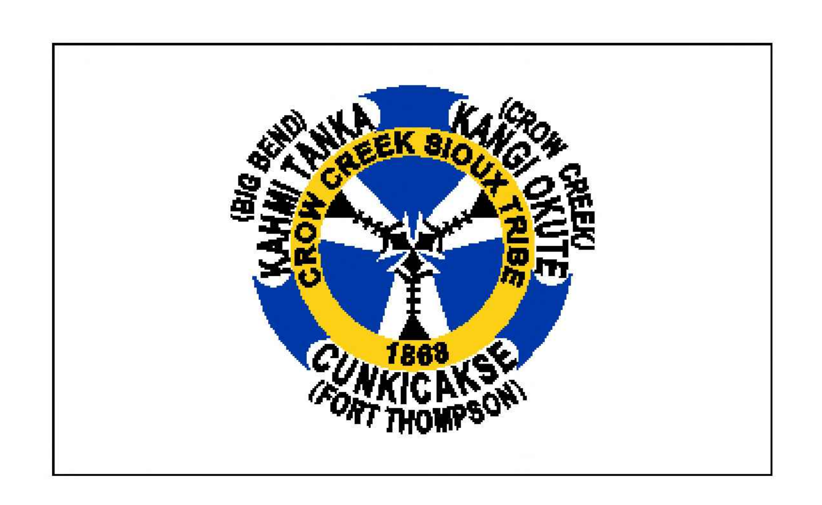





LOWER BRULE SIOUX TRIBE
LOWER BRULE, SOUTH DAKOTA


ROSEBUD SIOUX TRIBE
ROSEBUD, SOUTH DAKOTA
SANTEE SIOUX TRIBE
OF NEBRASKA


STANDING ROCK SIOUX TRIBE
JULY 1873
YANKTON SIOUX TRIBE
LAND OF THE FRIENDLY PEOPLE
OF THE SEVEN COUNCIL FIRES
1858





الخميس ٢١ ابريل ١٩٧٧

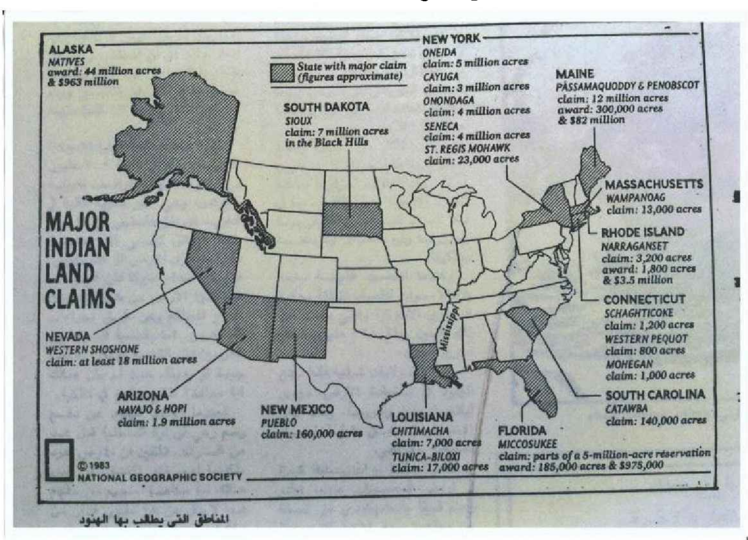
سيتنغ بول.. حفيد الزعيم الهندي الاحمر

يزور فرنسا

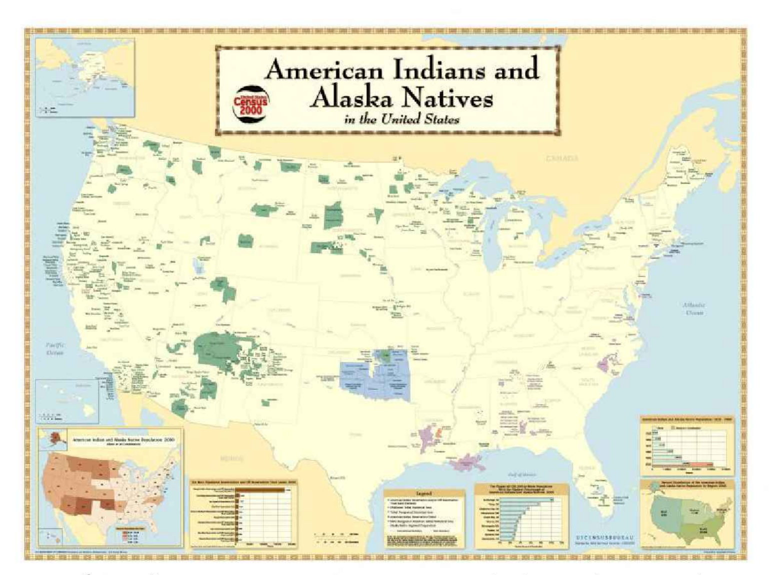
"النسر المقدس" حفيد "الثور الجالس" في زيارة لفرنسا كما في صحيفة "الهدف" الكويتية الأسبوعية 1977/4/21


يعودون الى الجذور

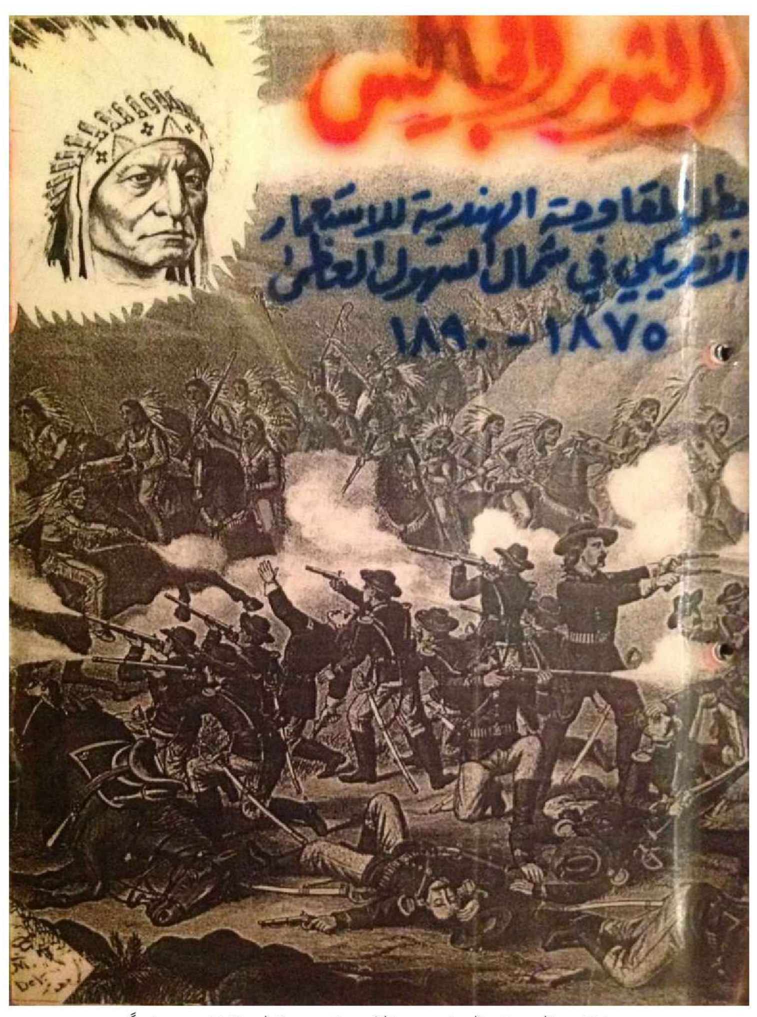
التظاهرة الهندية المطالبة بالتلال السوداء (1981) في ملحق صحيفة القبس الكويتية 1983/7/25



الولايات التي يطالب الهنود باسترداد أراضيهم فيها (1983)



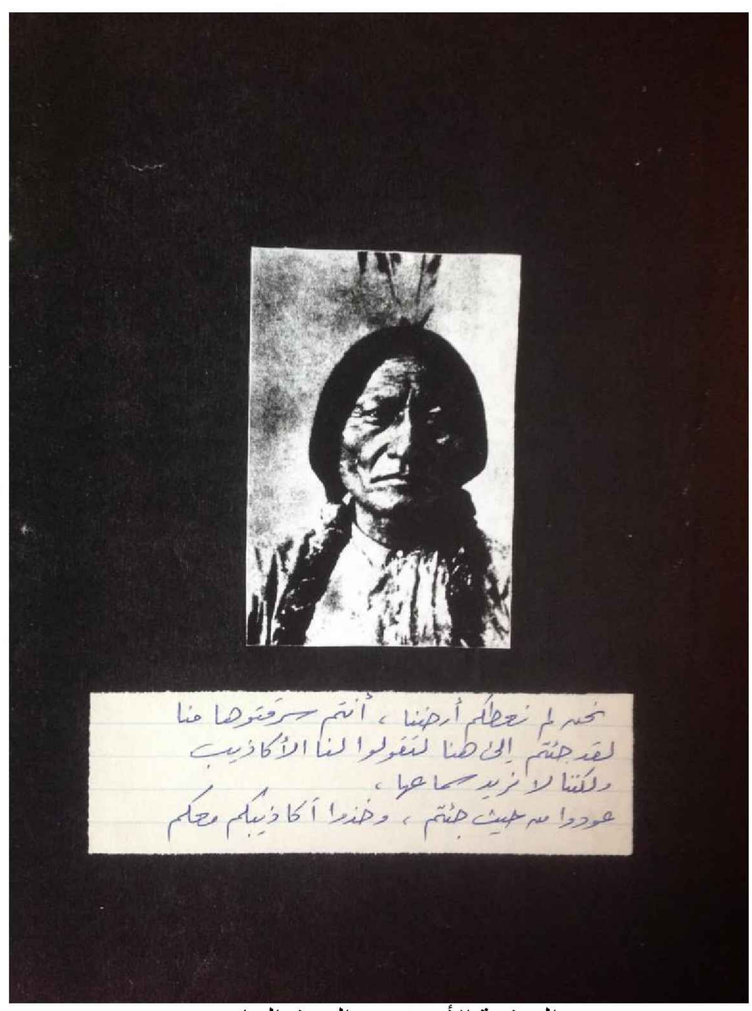
المحميات الهندية الحالية (إحصاء سنة 2000) وهي باللون الأخضر، أما الألوان الأخرى فهي حكومات قبلية دون أراض
(http://www.justice.gov/usao/priority-areas/indian-country/facts-and-figures)



غلاف البحث الجامعي الذي كتبته قبل ثلاثين عاماً
وبني هذا الكتاب على أساسه



زيارة استعراض الغرب الموحش لبافلو بيل إلى الكويت في الذكرى المئوية لرحلة "الثور الجالس" (1985)



الصفحة الأخيرة من البحث الجامعي

المراجع

●الأجنبية

1- Angie Debo .(1983) .*A History of the Indians of the United States* .Norman: University of Oklahoma Press.

2- Armstrong Starkey .(1998) .*European and Native American Warfare, 1675-1815* .Norman: University of Oklahoma Press.

3- Benjamin Capps .(1982) .*The Great Chiefs* . Alexandria ،Virginia: Time-Life Books.

4- Benjamin Capps .(1981) .*The Indians* . Alexandria ،Virginia: Time-Life Books.

5- Bill Yenne .(1986) .*The Encyclopedia of North American Indian Tribes: A Comprehensive Study of Tribes from the Abitibi to the Zuni* .London: Bison Books Ltd.

6- Bruce Grant .(1989) .*Concise Encyclopedia of the American Indian* .New York: Wings Books.

7- Carl Waldman .(2006) .*Encyclopedia of Native American Tribes* .New York: Facts On File, Inc.

8- Charles A. Eastman (Ohiyesa) .(1997) . *Indian Heroes and Great Chieftains* .New York: Dover Publications, Inc.

9- Charles M. Robinson III .(1996) .*A Good Year to Die: The Story of the Great Sioux War* . Norman: University of Oklahoma Press.

10- Clark Wissler .(1989) .*Indians of the United States* .New York: Anchor Books.

11- Clyde Ellis .(1996) .*To Change Them Forever: Indian Education at the Rainy Mountain Boarding School, 1893-1920* .Norman: University of Oklahoma Press.

12- David A. Nichols .(2000) .*Lincoln and the Indians: Civil War Policy & Politics* .Urbana and Chicago: University of Illinois Press.

13- David Humphreys Miller .(1985) .*Ghost Dance* .Lincoln: University of Nebraska Press.

14- David J. Wishart .(1994) .*An Unspeakable Sadness: The Dispossession of the Nebraska Indians* .Lincoln: University of Nebraska Press.

15- David Lavender .(1992) .*Let Me Be Free: The Nez Perce Tragedy* .Norman: University of Oklahoma Press.

16- David Nevin .(1981) .*The Soldiers* . Alexandria ،Virginia: Time-Life Books.

17- David Reynolds .(2009) .*America, Empire of Liberty: A New History of the United States* .New York :Basic Books.

18- Dee Brown.(2009) .40th Anniversary Edition . *Bury My Heart at Wounded Knee: An Indian History*

of the American West .New York & London: Sterling Innovation.

19- Donald J. Berthrong .(1992) .*The Cheyenne and Arapaho Ordeal: Reservation and Agency Life in the Indian Territory, 1875-1907* .Norman: University of Oklahoma Prss.

20- Edgar I. Stewart .(1987) .*Custer's Luck* . Norman: University of Oklahoma Press.

21- Edward Lazarus .(1999) .*Black Hills White Justice: The Sioux Nation versus the United States, 1775 to the Present* .Lincoln: University of Nebraska Press.

22- Fiona Macdonald .(1993) .*Native Peoples of North America* .London: Collins Educational.

23- Fiona Macdonald .(1992) .*Plains Indians* . Oxford: Oxford University Press.

24- Fracis Paul Prucha .(2000) .*Documents of United States Indian Policy* .Lincoln: University of Nebraska Press.

25- Francis Paul Prucha .(1995) .*The Great Father: The United States Government and the American Indians* .Lincoln: University of Nebraska Press.

26- Frank Humphris .(1976) .*Battle of the Little Big Horn: Custer's Last Stand* .Loughborough ، England: Ladybird Books Ltd.

27- Frank Humphris .(1973) .*The Story of the Indians of the Western Plains* .Loughborough ، England: Ladybird Books Ltd.

28- Frank Waters .(1998) .*Brave Are My People: Indian Heroes Not Forgotten* .Athens: Swallow Press, Ohio University Press.

29- Frederick E. Hoxie (Ed). .(1996) *Encyclopedia of North American Indians* .Boston: Houghton Mifflin Company.

30- General George Armstrong Custer .(1962) . *My Life on the Plains: or, Personal Experiences with Indians* .Norman: University of Oklahoma Press.

31- Geoffrey C. Ward .(1996) .*The West: An Illustrated History* .Boston: Little, Brown and Company.

32- George E. Hyde .(1993) .*A Sioux Chronicle* . Norman: University of Oklahoma Press.

33- George E. Hyde .(1975) .*Red Cloud's Folk: A History of the Oglala Sioux Indians* .Norman: University of Oklahoma Press.

34- Howard R. Lamar (Ed). .(1977) *The Reader's Encyclopedia of the American West* .New York: Thomas Y. Crowell Company.

35- Howard R. Lamar (Ed). .(1998) *The New Encyclopedia of the American West* .New Haven & London: Yale University Press.

36- Hugh A. Dempsey .(1972) .*Crowfoot* . Norman: University of Oklahoma Press.

37- Jack Utter .(2001) .*American Indians: Answers to Today's Questions* .Norman: University of Oklahoma Press.

38- Jason Hook .(1986) .*Sitting Bull and the Plains Indians* .East Sussex ‹England: Wayland.

39- Jeffrey Ostler .(2010) .*The Lakotas and the Black Hills: The Struggle for Sacred Ground* .New York: Viking Penguin.

40- Jennifer and Martin Tucker .(1996) .*The American West* .Cheltenham ‹England: Stanley Thornes Ltd.

41- Jerome A. Greene (Ed). .(1993) *Battles and Skirmishes of the Great Sioux War, 1876-1877: The Military View* .Norman: University of Oklahoma Press.

42- Jerome A. Greene (Ed). .(1994) *Lakota and Cheyenne: Indian Views of the Great Sioux War, 1876-1877* .Norman: University of Oklahoma Press.

43- John D. McDermott .(1998) .*A Guide to the Indian Wars of the West* .Lincoln: University of Nebraska Press.

44- John G. Neihardt (Ed). .(1998) *Black Elk Speaks* .Lincoln: University of Nebraska Press.

45- John H. Monnett .(2001) .*tell them we are going home: The Odyssey of the Northern*

Cheyennes .Norman: University of Oklahoma Press.

46- Jon Manchip White .(1979) .*Everyday Life of North American Indians* .New York: Dorset Press.

47- Joy Hakim .(2003) .*A History of US* .New York: Oxford University Press.

48- Jr Alvin M. Josephy .(1989) .*Now That the Buffalo's Gone* .Norman: University of Oklahoma Press.

49- Jr. Robert A. Williams .(1992) .*The American Indian in the Western Legal Thought: The Discourses of Conquest* .Oxford: Oxford University Press.

50- JR. Vine Deloria (Ed). .(1985) *American Indian Policy in the Twentieth Century* .Norman: University of Oklahoma Press.

51- JR. Vine Deloria .(1992) .*God Is Red: A Native View of Religion* .Golden ‹Colorado: Fulcrum Publishing.

52- Jr. William W. Savage (Ed). .(1977) *Indian Life: Transforming an American Myth* .Norman: University of Oklahoma Press.

53- Kenneth B. Tankersley and Robert B. Pickering .(2006) .*Sitting Bull's Pipe: Rediscovering the Mam, Correcting the Myth* .Wyk auf Foefr ‹ Germany: Tatanka Press.

54- Leslie Tillett (Ed). .(1976) *Wind On The Buffalo Grass: The Indians' Own Account of the Battle at the Little Big Horn River & ,the Death of their Life on the Plains* .New York: Thomas Y. Crowell Company.

55- Mark Diedrich .(1998) .*Sitting Bull: The Collected Speeches* .Rochester ‹Minnesota: Coyote Books.

56- Michael Johnson & Jonathan Smith .(2000) . *The Tribes of the Sioux Nation* .Osprey Publishing: Oxford.

57- Morris Jastrow .(2010) .*The War and the Bagdad Railway: The Story of Asia Minor and it(s) Delation (Relation) to the Present Conflict* . Charleston ‹South Carolina: Biblio Life.

58- *New Standard Encyclopedia* .(1999) . Chicago: Ferguson Publishing Company.

59- Ogden Tanner .(1981) .*The Canadians* . Alexandria ‹Virginia: Time-Life Books.

60- Paula Mitchell Marks .(1998) .*In A Barren Land: American Indian Dispossession and Survival* . New York: William Morrow and Copany.

61- Ralph K. Andrist .(1993) .*The Long Death: The Last Days of the Plains Indians* .Norman: University of Oklahoma Press.

62- Richard Carlisle (Ed). .(1978) *The Illustrated Encyclopedia of Mankind* .New York: Marshall Cavendish Corp.

63- Richard Slotkin .(1998) .*The Fatal Environment: The Myth of the Frontier in the Age of Industrialization, 1800-1890* .Norman: University of Oklahoma Press.

64- Robert A. Rosenbaum .(2003) .*The Penguin Encyclopedia of American History* .Middlesex ، England: Penguin Group.

65- Robert M. Utley .(2002) .*The Indian Frontier of the American West 1846-1890* .Albuquerque: University of New Mexico Press.

66- Robert M. Utley .(1994) .*The Lance and The Shield: The Life and Times of Sitting Bull* .New York: Ballantine Books.

67- Robert W. Frazer .(1972) .*Forts of the West: Military Forts and Presidios and Posts Commonly Called Forts West of the Mississippi River to 1898* . Norman: University of Oklahoma Press.

68- Robert W. Larson .(1997) .*Red Cloud: Warrior-Statesman of the Lakota Sioux* .Norman: University of Oklahoma Press.

69- Roger L. Nichols .(1999) .*Indians in the United States and Canada: A Comparative History* . Lincoln: University of Nebraska Press.

70- Royal B. Hassrick .(1964) .*The Sioux* . Norman: University of Oklahoma Press.

71- Russell Thornton .(1990) .*American Indian Houlocaust and Survival: A Population History Since 1492* .Norman: University of Oklahoma Press.

72- Scavan Bercovitch .(1975) .*The Puritan Origins of the American Self* .New Haven: Yale University Press.

73- Stan Hoig .(1990) .*The Peace Chiefs of the Cheyennes* .Norman: University of Oklahoma Press.

74- Stanley Vestal .(1980) .*Sitting Bull: Champion of the Sioux* .Norman: University of Oklahoma Press.

75- The New York Public Library .(1997) . *American History Desk Reference* .New York: Macmillan.

76- Tony Boddington (Ed). .(1977) *The American West 1840-95* .Edinburgh: Holmes McDougall Ltd.

77- Warren A. Beck and Ynez D. Haase .(1992) . *Historical Atlas of the American West* .Norman: University of Oklahoma Press.

78- Wayne R. Kime .(1996) .*The Black Hills Journals of Colonel Richard Irving Dodge* .Norman: University of Oklahoma Press.

79- Wiley Sword .(1993) .*President Washington's Indian War: The Struggle for the Old Northwest, 1790-1795* .Norman: University of Oklahoma Press.

80- William Brandon.(1985).*Indians*.New York: American Heritage.

81- William H. Goetzmann .(2006) .*Exploration and Empire: The Explorer and the Scientist in the Winning of the American West* .New York: History Book Club.

82- William K. Powers .(1989) .*Beyond the Vision: Essays on American Indian Culture* .Norman : University of Oklahoma Press.

●العربية

83- الدكتور رشاد عبد الله الشامي. (1988). *الفلسطينيون والإحساس الزائف بالذنب في الأدب الإسرائيلي*. القاهرة: دار المستقبل العربي.

84- أليكسيس دي توكفيل. (1962). *الديمقراطية في أمريكا* . (ترجمة: أمين مرسي قنديل) القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر.

85- أناتول ليفن. (2008). *أمريكا بين الحق والباطل: تشريح القومية الأمريكية*. (ترجمة: د. ناصرة السعدون) بيروت: المنظمة العربية للترجمة.

86- تزفيتان تودوروف. (1992). *فتح أمريكا: مسألة الآخر*. (ترجمة: بشير السباعي) القاهرة: سينا للنشر.

87- جورجي كنعان. (1995). *الأصولية المسيحية في نصف الكرة الغربي (الجزء الأول: الدعوة والدعاة)*. بيروت: بيسان للنشر والتوزيع.

88- جيف سيمونز. (2003). *استهداف العراق: العقوبات والغارات في السياسة الأمريكية*. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

89- جيف سيمونز. (1998). *التنكيل بالعراق: العقوبات والقانون والعدالة*. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

90- حمدان حمدان. (2000). *على أعتاب الألفية الثالثة: الجذور المذهبية لحضانة الغرب وأمريكا لإسرائيل*. بيروت: بيسان للنشر والتوزيع والإعلام.

91- دي براون. (1982). *تاريخ الهنود الحمر*. (ترجمة: توفيق الأسدي) اللاذقية: دار الحوار.

92- رجاء جارودي. (1986). *فلسطين أرض الرسالات الإلهية*. (ترجمة: الدكتور عبد الصبور شاهين) القاهرة: دار التراث.

93- رضا هلال. (2001). *المسيح اليهودي ونهاية العالم: المسيحية السياسية والأصولية في أمريكا*. القاهرة: مكتبة الشروق.

94- ريجينا الشريف. (1985). *الصهيونية غير اليهودية: جذورها في التاريخ الغربي- سلسلة عالم المعرفة عدد 96*. (ترجمة: أحمد عبد الله عبد العزيز) الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

95- صوفي بيسيس. (2002). *الغرب والآخرون: قصة هيمنة*. (ترجمة: نبيل سعد) القاهرة: دار العالم الثالث.

96- ضياء الدين سردار وميريل وين ديفيز. (2006). *الحلم الأمريكي كابوس العالم*. (ترجمة: فاضل جتكر) الرياض: مكتبة العبيكان.

97- ضياء الدين سردار وميريل وين ديفيز. (2005). *لماذا يكره العالم أمريكا*. (ترجمة: معين الإمام) الرياض: مكتبة العبيكان.

98- فؤاد شعبان. (2003). *من أجل صهيون: التراث اليهودي-المسيحي في الثقافة الأمريكية*. دمشق: دار الفكر.

99- كميل منصور. (1996). *الولايات المتحدة وإسرائيل: العروة الأوثق*. (ترجمة: نصير مروة) بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

100- مايكل أورين. (2008). *القوة والإيمان والخيال: أمريكا في الشرق الأوسط منذ عام 1776 حتى اليوم*. (ترجمة: آسر حطيبة) أبو ظبي والقاهرة: كلمة وكلمات عربية للترجمة والنشر.

101- محمد شعبان صوان. (2015). *معضلة التنمية الاستعمارية: نظرات في دعاوى إيجابيات الاستعمار*. بيروت والجزائر: دار الروافد الثقافية-ناشرون ودار ابن النديم.

102- منير العكش. (2002). *أميركا والإبادات الجماعية: حق التضحية بالآخر*. بيروت: رياض الريس للكتب والنشر.

103- منير العكش. (2004). *تلمود العم سام: الأساطير العبرية التي تأسست عليها أميركا*. بيروت: رياض الريس للكتب والنشر.

104- مي محمد الخليفة. (1998). *سبزآباد ورجال الدولة البهية: قصة السيطرة البريطانية على الخليج العربي*. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

105- ميخائيل سليمان (المحرر). (1996). *فلسطين والسياسة الأمريكية من ويلسون إلى كلينتون*. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

106- نبيل مطر. (2012). *الأتراك والإنكليز والمغاربة في عصر الاستكشاف*. (ترجمة: د.محمد عصفور) بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

107- هاري ماجدوف. (1981). *الإمبريالية من عصر الاستعمار حتى اليوم*. بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية.

108- يوسف الحسن. (1990). *البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي-الصهيوني (دراسة في الحركة المسيحية الأصولية الأمريكية)*. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

●المواقع

109- http://www.ndstudies.org/resources/IndianStudies/standingrock/images/seven_council_large.gif

110- http://wintercounts.si.edu/html_version/html/socialstructure.html
111- http://www.wyohistory.org/encyclopedia/connor%E2%80%99s-powder-river-expedition-1865
112- http://www.ndstudies.org/resources/IndianStudies/standingrock/images/sioux-wars_large.jpg
113- http://commons.wikimedia.org/wiki/File:Platterivermap.png
114- http://fineartamerica.com/featured/red-cloud-1822-1909-granger.html
115- https://americangallery.files.wordpress.com/2012/05/spotted-tail.jpg
116- http://www.russellmeansfreedom.com/tag/treaty-of-fort-laramie-1868/
117- http://poulosstudios.com/sitting%20bull.htm
118- http://www.pbs.org/newshour/bb/social_issues-july-dec11-blackhills_08-24/
119- http://en.wikipedia.org/wiki/Black_Hills_Land_Claim
120- http://en.wikipedia.org/wiki/William_S._Harney
121- https://kirstenclarke.files.wordpress.com/2013/11/buffalo.png
122- http://en.wikipedia.org/wiki/Red_Cloud
123- https://suite.io/kraig-myers/5ngm2ch

124- http://en.wikipedia.org/wiki/Bloody_Knife
125- http://www.cr.nps.gov/history/online_books/hh/1b/hh1l1.htm
126- http://en.wikipedia.org/wiki/William_Tecumseh_Sherman
127- http://en.wikipedia.org/wiki/Crazy_Horse_Memorial#
128- http://ngm.nationalgeographic.com/2012/08/pine-ridge/reservation-map
129- http://en.wikipedia.org/wiki/Nez_Perce_War
130- http://en.wikipedia.org/wiki/Chief_Joseph
131- http://nezpercetrail.net/i/maps-large/JPEG/2sign2_2.jpg
132- http://upload.wikimedia.org/wikipedia/commons/a/a4/Nezperce01.png
133- http://en.wikipedia.org/wiki/File:FortRobinsonPit006.jpg
134- http://www.thecanadianencyclopedia.ca/en/article/buffalo-hunt/
135- https://otrwjam.wordpress.com/2013/09/08/glasgow-montana-pioneer-museum/
136- http://heronartconnection.com/clydegallery.php
137- http://indiancountrytodaymedianetwork.com/2015/06/12/sitting-bull-life-photos-160705

138- https://en.wikipedia.org/wiki/James_McLaughlin_(Indian_agent(
139- http://www.ghostdance.com/images/images.html
140- http://heritagerenewal.org/stone/sittingbull.htm
141- http://www.justice.gov/usao/priority-areas/indian-country/facts-and-figures
142- http://blog.education.nationalgeographic.com/2012/11/20/native_american_heritage_month/
143- http://fineartamerica.com/featured/sitting-bull-jessica-hallberg.html

لديك من الأسباب ما يجعلك تعتقد أننا،
وبخاصة الفلسطينيين منا، لسنا هنودا حمر!
هذا الكتاب سوف يقدم لك فائدتين غير مسبوقتين
في المعرفة التاريخية. الأولى، هي أننا لا نعرف من
هم الهنود الحمر حقا. والثانية، هي أننا في وضع أسوأ منهم.
إنه كتاب تاريخ فريد من نوعه،
يقدم قصة صراع على الأرض انتهت بمأساة.
ولكنه كتاب شديد الغنى بمضامينه وبالدروس
التي يمكن استخلاصها منه.
لقد قدم محمد شعبان صوان عملا استثنائيا بكل معنى
من معاني الكلمة. ليس لأنه يجمع بين قيمتين:
تاريخية وسياسية،
بل لأنه يسمح، ونحن نقرأ عن الغير، أن نعرف من نحن!

